

■ نهم وتشو مسكي ■ تواربخ الانشقاق

حوارات أجراها معه:

ديفيد بارساميان

ترجمة: محمد نجر



نعمو متشومسکی

تواریخ الانشقاق

حوارات أجراها معه:

دقیقید بارسامیان

ترجمة: محمد نجر



الأهلية للنشر والتوزيع
للمملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القلنس : ص . ب ٧٧٧٢
هاتف ٦٣٨٦٨٨ - فاكس ٦٥٧٤٤٥

منشورات الأهلية لعام ١٩٩٧
نعوم تشومسكي / توليف الانشقاق
الطبعة العربية الأولى
حقوق النشر محفوظة للنشر ©

تصميم الغلاف : سكتة سويج ©
التنفيذ : مؤسسة باقوت للخدمات المطبعية

طبع في لبنان
على مطابع شركة الطبع والنشر اللبنانية

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه أو نقله
بأي شكل من الأشكال ، أو تصويره ، دون إذن خطي مسبق من الناشر .

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced,
stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any
means, without the prior permission of the publisher.

المحتوى

الصفحة

- ١ - تقديم: البحث عن الحقيقة ٩
- ٢ - اللغة في خدمة الأغراض الدعائية ١٥
- ٣ - إسرائيل: مصدر القوة الاستراتيجي ٢٥
- ٤ - الارهاب: لغة السياسة ٥٦
- ٥ - نظام الدعاية ٦٨
- ٦ - الهندسة التاريخية ٨٠
- ٧ - إسرائيل، حرب الإيابة (المحرقة) والاسامية ٩٣
- ٨ - سلطة الدولة والعدو الداخلي ١٠٧
- ٩ - نخبة السلطة ومسؤولية المفكرين ١٣٩
- ١٠ - تخطيط الدولة الاقتصادي ١٦١
- ١١ - التدخل الأميركي وزوال التهديد السوفياتي ١٨٤
- ١٢ - بدائل «امبراطورية الشر» ٢٠٩
- ١٣ - التهديد لحرب الخليج ٢٤٢
- ١٤ - النظام العالمي: القديم والجديد ٢٥٥
- ١٥ - خدمة الحماية الدولية: انعكاسات حرب الخليج ٢٧٩
- ١٦ - رهان باسكال ٣١٠
- ١٧ - بيرل هاربر ٣٣٤

—

تقديم

البحث عن الحقيقة

ذهب تشومسكي الى طبيب الاسنان، الذي قام بدوره بفحص وتنقيق أسنانه، فلاحظ ان المريض كان يصرّ على أسنانه. وبعد استعلامه من السيدة تشومسكي عن سبب ذلك، كشفت للطبيب بأن الصرّ على الأسنان لا يتم أثناء ساعات نوم تشومسكي. فمتى يحدث ذلك إنز؟ وأخيراً توصلنا الى أن ذلك يحدث كل صباح، عندما كان تشومسكي يقرأ صحيفة «نيويورك تايمز»، فيصك على فكيه لاشعورياً عند كل صفحة يطالعها. فسألت تشومسكي لماذا يحدث ذلك، مع تقديم دليل وخبرة طويلة، من أن الصحافة المشتركة، وبشكل خاص صحيفة «نيويورك تايمز»، لا تنحرف عن الحقيقة. فلا بد أن الأمر اختلف حتى جعل تشومسكي يفعل ذلك. وتنهّد تشومسكي، وعزم على عدم الاستمرار في قراءة الصحيفة لكي لا يرتج في كل صباح من جراء الغضب والانفعال لانحراف الصحيفة عن الحقيقة.

ويعرف تشومسكي مكان الجرح أو الخلل، فهو لم يتصور أنه في يوم من الأيام سيكتب مقالة نقدية تنتج عنها ردة فعل قوية، مما يدفع صاحب «النيويورك تايمز» بأن يدرك فجأة مدى خطأ التعليمات والأوامر التي كان يصدرها لموظفيه في الصحيفة فيما يتعلق بحقيقة الأخبار. بيد أنه يؤمن أيضاً في قوة العقل، للاستدلال على الحقيقة بعناية. فهنا يكمن سبب الصرّ على الأسنان. «لا أعرف لماذا يستمرّون في نفاقهم»، قال لي ذلك على الهاتف في يوم آخر، وهو يتحدث بنوع من الاستغراب العنيف، عندما كنا نناقش بحق مسألة «التطهير العرقي» في البوسنة، والذي أثار أيضاً أصوات يهود اميركيين، من الذين قضوا حياتهم وهم يكتمون بهوء مسألة التطهير العرقي الذي بدأ في اسرائيل في عام ١٩٤٨.

ويشعر تشومسكي بظلم، وقسوة ونفاق السلطة بشكل أكثر من أي واحد آخر أعرفه. إنها حالة من الحيطة المستمرة. فغالباً، وعندما لاحظ قصة ما في الصحيفة

تكون ملفقة بالزيف، فإنني بعد أسبوع أو أسبوعين أجد في صندوق بريدي صورة عن نفس القصة مرسله من تشومسكي، وبها مشها ملاحظات وعبارات غاضبة.

ويعلق القراء أحياناً على بعض مقالاتي ويصفونها بأنها غريبة وشاذة وكتلتها مخصصة لصحيفة أجنبية، ويسألونني عن سبب ذلك. فهم يتصورون بأنني أساهم في صحف يومية أخرى، مثل «الجيرودالم بوست» أو «انكوريج تايمز». ويبدو هذا وكأنه وهم على الأغلب. فالقراء يرسلون أشياء تجلب انتباههم فقط. أما الصيد الأسبوعي الثمين الذي يرسل فهو من قبل تشومسكي.

إن الوقت الذي قضيته في منزل نعوم وكارول تشومسكي في ليكسينغتون، وشاهدته يعمل بجد حول كمية ضخمة من الصحف، والمجلات الأسبوعية والشهرية، في حين كانت زوجته كارول تقوم بنفس العمل في زاوية أخرى من الغرفة. إضافة لذلك، فهناك الكم الهائل من المراسلات - فقد أبلغني تشومسكي في إحدى المرات، بأنه يقضي عشرين ساعة في الأسبوع ليجيب عن الرسائل - إضافة للمحادثات الهاتفية، ومقابلات الزوار في مكتبه. فإن أول واجب للمفكر هو معرفة ما يجري ويحدث وهذا عمل صعب جداً بحد ذاته.

وكتب فريد غارنر حول زيارة قام بها تشومسكي لمنطقة في ربيع عام ١٩٩١، بأنه لاحظ «أنه من الصحيح أن تشومسكي عنده فهم جيد للتاريخ والسياسة المعاصرة، بحيث يتناول الموضوع بشجاعة فائقة... بيد أنه ليس لديه أية مصابر ذاتية، فلا يوجد هناك شيء فيما عمله أو كيف يعمل ذلك أنها فوق مقدرة أي بروفيسور راينكالي. فيجب أن يكون هناك تشومسكي أو اثنين في كل حرم جامعة. فالحقيقة بأنها أرض قاحلة ما بين جامعتي كامبريدج وبركلي - وهناك افتقار أو افلاس لجامعاتنا من الناحية الفكرية. وهذا صحيح بغايته. فمعظم الوقت الذي لا تحتاجه «المصابر الخاصة»، هو فحسب المقرة والقيرة على الاحتمال للقراءة بشكل نكي مهما تكن المادة في الحقل أو الميدان العام. (فمن إحدى الجهود الأكثر نجاحاً في جمع المعلومات في الحرب العالمية الثانية أنها كانت تدار من قبل ضابط استخبارات في الجيش، الذي كان لديه عدد وافٍ من الأشخاص من الذين يعرفون قراءة الصحف اليابانية والألمانية). ويرجى

ما - فإنه نتيجة لشجار سياسي وتسرب معلومات وبالتالي - فإن صحيفة شيكاغو تريبيون نشرت بأن نتيجة المعركة البحرية في المحيط الهادي، كانت على ما يبدو بسبب فقدان مائة سفينة من قبل اليابانيين.

إن هناك عدة جامعات في الحقيقة عبر أمريكا لديها واحدة من الكليات الراديكالية أو أكثر تقوم ببذل جهودها للبحث أو التنقيب عن الحقيقة وإخراجها للضوء. وملاحظة تشومسكي الأكثر تكراراً حول أحاديث لا تحصى عبر البلاد تتعلق بشكل دقيق بالوهم من أن هناك أرض مقفرة جرداء (اختلاف) ما بين جامعتي كامبريدج ويريكلي، كالبعد عن الحقيقة.

وما يقدمه تشومسكي فهو «صورة كبيرة» مترابطة، مدعومة بحقيقة تشتمل على مئات الصور الصغيرة ومسارح منفردة للصراع، والنضال والقمع. وينهب الناس للتحديث مع تشومسكي لكي يؤكدوا لأنفسهم بأنهم لن يصابوا بالجنون، وبأنهم يكونون على حق عندما لا يصدقوا ما يقرأوه في الصحف أو ما يشاهدوه على أجهزة التلفزيون. ومن بين مئات الآلاف من الناس على مر السنين، ولا بد أنه كان بينهم العديد من الطلاب الأميركيين - فإن تشومسكي قد قدم الثقة، والاساس الفكري والأخلاقي، من أن هناك وسيلة أخرى للنظر بواسطتها للأشياء. فهو يقف في هذا العمل الحيوي بنفس الطريقة أمام مستمعيه كما كان يفعل الفيلسوف الذي أعجب به بشكل كبير، وهو برتراند راسل.

وهناك وجهة نظر غير متعاطفة مع تشومسكي، من أنه قد همش من قبل الثقافة المهيمنة أو السائدة. ولغاية الوقت الراهن فإن هذا الرجل الذي اعتبر من أعظم المفكرين البارزين الأميركيين، والذي لم يشاهد أو يقابل شبكات التلفزيون الأميركية، كان عرضة للافتراء والتشهير والأذى في الصحافة (الأميركية) المشتركة.

إن مثل هذا النم والتشويه هو متوقع تماماً. فمعظم أعمال تشومسكي تستلزم الذاكرة، لتذكر كل شيء حول الموضوع. فالمقالات مثل المقالة التي كرمت أ. ج. ميوسست حيث يثير فيها تشومسكي مسألة السياسة الأميركية تجاه اليابان في عقد الثلاثينات، بالنسبة للنخبة الحاكمة، هي بالتأكيد خارجة عن النقييدات. ولقبولها فينبغي الاعتراف بحجم للمومات الغير قابلة للتسامح.

وقد حذر أحد الأعضاء البارزين لنخبة المفكرين البريطانيين، زميلاً له بلن لا يتورط في نزاع مع تشومسكي، ووصفه بأنه «معارض مزعج وقاس»، وقد عني بذلك من أن تشومسكي لا يستسلم أبداً، ولا يتخلى عن موقفه مطلقاً، كما يتقن فن المناورة. وهذا بالتأكيد يبين لماذا يواجه بالاذى والضرر بأساليب غريبة وصبيانية تنصب عليه. ويتهرب معارضوه من الحجة الحقيقية، فهم يخشون بأنهم سيخسرون، وبالتالي فإن هذا سيشكل لهم إهانة وتشويه.

ولكن فوق كل ذلك، فهل كان تشومسكي مهمش حقاً؟ إذ توجد هناك منذ زمن طويل محاولات عنيفة لإقصائه وإبعاده عن أي مسرح تقليدي للتداول أو النقاش الفكري، وخاصة فيما يتعلق بالمسائل الأكثر رخصاً وأهمية في مناطق مختلفة من العالم، وخاصة الشرق الأوسط وأمريكا الوسطى وغيرها. بيد أن القول بأنه قد «همش» فهو قول سخيف، لا ينطبق مع وزنه الفعلي في الثقافة ككل.

وفي إحدى المرات صرخت جوان ويبجويسكي، رئيسة تحرير صحيفة «الامة»، «ولكن انه امر محزن جداً برمته»، عندما انتهى تشومسكي من تحليل له عن بعض اختراق مفترض لمحاكمات السلام الفلسطينية - الاسرائيلية. فلجأها قائلاً: «إنه ليس من شأنى بلن أجعلك تفرحين». ولقد سمعت اناساً يندبون، بعد سماعهم لحديث أنلى به تشومسكي، وهو نابراً ما يفعل ذلك. فلحد الأشخاص الذين قابلتهم، قال لي بأنه كتب للبروفيسور (تشومسكي) موبخاً إياه على مثل تلك اللامبالايات، وأنه بعد ذلك تلقى رداً مكوناً من ثلاث صفحات تحتوي على عناصر استراتيجية ورؤيا ايجابية. فتشومسكي هو شخص واقعي وليس متشائم، وهو يؤمن بعمق في النزعات الحميدة للجنس البشري. وأنه لن يكون فوضوياً بالاعتناع السياسي.

فتشومسكي، وعلى أن اعترف، انه لا يظهر بوضوح الكثير من الاهتمام في نزعات وسلوك المملكة الطبيعية، باستثناء الجنس البشري. فقد ويخته في إحدى المرات لقوله بلن على المهاجرين التاهيتيين أن يشقوا طريقهم من خلال المياه المليئة بسماك القرش. فنكرته بلن سمك القرش يقتل سنوياً (٢٥) انساناً في أنحاء العالم، في مقابل أن البشر يقتلون في كل سنة حوالي (٢٥) مليون سمكة قرش. فإنه نوع من التناقض

بين الأسطورة والحقيقة يحب تشومسكي أن يعرضها على المستوى البشري. ونكرت له بعد وقت ليس ببعيد من أنه كان يوجد لديّ جياداً في مزرعتي بشمال كاليفورنيا. فاستهجن ذلك، سائلاً بتهكم فيما إذا كنت ألعب البولو، ولذلك السبب أقتني هذه الجياد. وكان الشيء ذاته، عندما قلت له بأنه كان لدي قطاً).

إن أعظم منقبة لتشومسكي هي أن رسالته الأساسية بسيطة. وهنا مثال يوضح ذلك من خلال مقابلة أجريت معه حيث قال:

«إن أي شكل من أشكال السلطة يتطلب للتبرير؛ وأنه ليس مبرر ذاتياً. ولن للتبرير يمكن أن يمنح بشكل نادر. فبعض الأحيان يمكنك أن تمنحه. فاعتقد أنه بإمكانك أن تعطي حجة أو نريعة بأنه يجب عليك أن لا تدع طفلاً عمره ثلاث سنوات يركض عبر الشارع. فذلك هو شكل السلطة التي تبرر أو تكون قابلة للتبرير. إلا أنه لا يوجد هناك الكثير منها، وغالباً ما يفشل الجهد الذي يمنح تبريراً. عندما نحاول مواجهته، فإننا نجد بأن السلطة غير شرعية. وفي أي وقت تجد فيه شكل السلطة غير شرعي، فإنه يجدر بك بأن تتحداها. وتنشأ النزاعات بسبب حقوق الإنسان والحريات وتستمر للأبد. وتتغلب على امر ما ومن لم تكتشف امراً آخر. ومن وجهة نظري بأن ما ينبغي أن تكون عليه الحركة الشعبية هو التحرر بشكل رئيس: من أشكال القمع، السلطة والهيمنة، وبالتالي تحديها. فتكون في بعض الأحيان قابلة للتبرير تحت اوضاع معينة، وفي بعض الأحيان لا تكون كذلك. فإذا لم تكن كذلك، فحاول أن تتغلب عليها».

الكسندر كوكبورن

بتروليا - كاليفورنيا

أب ١٩٩٢

اللغة في خدمة الدعاية

كانون اول، ١٩٨٤

■ ليفيد بارساميان (سؤال): ما هي العلاقة ما بين السياسة واللغة ؟

تشومسكي (جواب): هنالك علاقة طفيفة، وهناك في الواقع عدة اختلافات متنوعة. واعتقد بأن هناك مبالغة في أهميتها. فهناك في المقام الأول التساؤل الذي بحث، على سبيل المثال، من قبل جورج أرويل وآخرين، هو كم هي اللغة مسيئة، معنبة ومشوهة، بطريقة ما، من أجل فرض اهداف أبولوجية. ويمكن أن يكون المثال التقليدي على ذلك في تغيير اسم البنتاغون من وزارة الحربية الى وزارة الدفاع في عام ١٩٤٧. وحالاً حدث ذلك، فإن أي شخص مفكر يجب عليه أن يفهم بأن الولايات المتحدة لم تعد لتكون في موقف الدفاع. فإنها ولا بد أن تنخرط في حرب عدوانية. تلك كانت القضية بشكل اساسي، وانها كانت جزءاً من سبب التغيير في المصطلحات الفنية، للتذكر لتلك الحقيقة. ويوسع المرء أن يعطي لإعطاء عدد لا يحصى من الأمثلة على هذا النوع. وربما المثال التقليدي لذلك هو كتاب أرويل «السياسة واللغة الانجليزية».

وهناك أيضاً شيء أكثر براعة وأكثر تشويقاً بل انه حتى ارتباط أكثر ضعفاً وهو: ان أي موقف يتخذه المرء فيما يتعلق بالمسائل الاجتماعية، على سبيل المثال، كالل دفاع عن نوع ما من الإصلاح، أو الدفاع عن التغيير الثوري، أو التغيير المؤسسي، أو الدفاع عن استقرار ، والحفاظ عن التركيبات كما هي - فمثل هذا الوضع، مفترضاً أن له أي اساس أو قاعدة اخلاقية، لا تستند تماماً على الاهتمام الذاتي الشخصي، فهو يستند أخيراً على بعض فهم طبيعة الانسان. ذلك انه، اذا ما افترضت ان الأمور يجب ان تصلح في هذا أو ذاك الأسلوب، وان هناك قاعدة اخلاقية لذلك، فانك ستقول بفعالية: «إن البشر مدركون بأن هذا التغيير هو من مصلحتهم. وأنه يتعلق بطريقة ما بمسئلاتهم الانسانية الأساسية». فالفهم الأساسي لطبيعة الانسان هو نادر الواضح. وأنه تقريباً ضمني وكامن ولا أحد يفكر بشئنه كثيراً. ولكن اذا ما كنا نريد تحقيق أو

دراسة الحالة - وكما بعينين جداً عن ذلك - وإذا ما وصلت الدراسة للتي أجريناها إلى نقطة انضباط مع ارتياح فكري مهم، فإن هذا الفهم سيكون مفهوماً وموضحاً. وإذا ما بحثنا في أنفسنا، فافتنا نجد بأن لدينا مفهوماً ومن المحتمل أن يكون مستنداً على بعض الافكار التي تتعلق بالحاجة الإنسانية الأساسية للحرية بعيداً عن التقيدات والسيطرات الخارجية الاعتبارية، مفهوماً للوقار الانساني الذي يمكن أن يعتبر كانتهاك أو خرق لحقوق الإنسانية الأساسية لتكون مستعبدة، وممتلكة من قبل الآخرين وحتى من وجهة نظري فإنها تُقرض من الآخرين، كما هو الحال في المجتمعات الرأسمالية، وهلم جرا. ولم تنشأ وجهات النظر تلك على مستوى علمي. بل انها مجرد التزامات. ويمكن أن تكون مسائل قابلة للتحقيق العلمي، كما لو كان البشر كممثل الطيور أو ما شابه ذلك. فدراسة اللغة يمكن أن تكون لها بعض العلاقة غير المباشرة، حيث انها أساساً تحقق في بعض العناصر الأساسية للنكاه الانساني وطبيعته، وهي موحية على الأقل بمدى القدرات الإنسانية المركبة ومدى تشابهها أساساً. ومن الممكن للمرء أن يجري بعض التخمينات الضعيفة حول المظاهر الأخرى لطبيعة الانسان، كالنوع الذي فكرته والمتعلق بالحرية من التقيدت الخارجية، لخضوعها لقوة خارجية، الخ. بيد أن تلك مسافة بعيدة جداً، وتعتبر أملاً للمستقبل أكثر منه حقيقة حالية.

■ سؤال: هل الحرية هي إلزام لغوي ؟

جواب : إنه مجرد أمر سطحي وظاهري، وإن الحقيقة الواضحة حول لغة الانسان هي أن لها مظهر مبدع أساسي. فكل انسان طبيعي، ويشكل مستقل بما نطلق عليه «بالنكاه»، وعلى مدى واسع، بعيداً عن الأمراض الشديدة الحقيقية، وبسرعة مذهلة، فإنه يمتلك نظام لغوي يمكنه من التعبير وابتداع افكار جديدة، ومن أن يتفاعل مع الآخرين الذين يبتدعون أيضاً افكاراً جديدة ويعبرون عنها، وإن يقوموا بذلك دون حدود أو تقيدت، مع أنه نمط مقيد بشكل عالٍ في شروط قاعدة النظام المثبتة نسبياً في شخصيته كجزء من طبيعة الانسان الأساسية، بيد أن ذلك لا يسمح ولا يسهل التعبير الخلاق الحر. فذلك مظهر أساسي حول نكاه الانسان. وأنه على ما يبدو يميز البشر عن أية كائنات حية أخرى نعرف عنها. فكم يمكن أن يمتد ذلك إلى حقول أو مياين أخرى،

فإن هذا مجال للتخمين، إلا أنني أعتقد بأن المرء يمكنه أن يجري تخمينات شيقة أو مثيرة للاهتمام.

■ سؤال : هل يمكنك أن تعالج الفكرة من أن الكلمات واللغة لها قوة متماسكة، وأن الأفكار والمفاهيم تنقل معاني أبعد من كلماتها ؟ وماذا يحدث من الناحية الفنية عندما تستخدم عبارات معينة، مثل «العالم الحر»، أو «المصالح الاستراتيجية»، أو «المصالح الوطنية» ؟

جواب : إنه موضوع مألوف يمكن أن يبحث عندما يتحدث الناس عن السياسة واللغة، وأعتقد بأنه من الجدير بحثه، ولكنني أعتقد بأنه واضح تقريباً إلى درجة التفاهة. فالمصطلحات مثل «العالم الحر» و«المصالح الوطنية» وهلم جرا، هي مصطلحات دعائية فحسب. فلا يجب على المرء أن يتخذها على نحو جاد للحظة. فقد صممت هذه المصطلحات، وعلى نحو واع تماماً، وذلك لكي تحاول سد أو إعاقة الفكر والفهم. فعلى سبيل المثال، فإنه في عقد الأربعينات كان هناك قرار، ومن المحتمل أنه قرار واع، اتخذ في نواتر العلاقات العامة، وذلك لتقديم مصطلحات مثل «المؤسسة الحرة» و«العالم الحر» وهلم جرا، بدلاً من المصطلحات الوصفية التقليدية مثل «الراسمالية». وجزء من سبب ذلك كان ليلمح ببعض الشيء بأن أنظمة السيطرة والهيمنة والاعتداء التي التزم بها أولئك الذين كانوا في موقع السلطة، وكانت في الحقيقة كنوع من الحرية. فأنها كانت مجرد ممارسات دعائية شائعة ومألوفة. ونحن نفرق أنفسنا بهذا في كل لحظة من حياتنا. فكثير منا يجعل ذلك ذاتياً، وعلى المرء أن يدافع عن نفسه ضد ذلك. ولكن عندما يتحقق المرء مرة بأن ما يجري ليس صعب جداً من الدفاع ضده. فهذه هي وسائل تلبست فيها أفكارنا وهدمت فيها قدرتنا على التفكير وقوضت إمكانياتنا على العمل السياسي المجدي بواسطة الأجهزة الفعالة تماماً على تعلم مبادئ المعرفة وسيطرة الفكر المستزرمة، إذ أن كافة هذه الأجهزة تسيء للغة. ويوسع المرء أن يرى هذا في أي مكان.

■ سؤال : لقد كتبت نقول «إن من بين العديد من الرموز المستخدمة للافزع والتأثير على الدول الديمقراطية الشعبية، هناك القليل كان له أهميته أكثر من الرعب والإرهاب». فهل بإمكانك التحدث حول ذلك ؟

جواب : على سبيل المثال، فإنه في السنوات العديدة الأخيرة، دعي شيء ما باسم «الارهاب الدولي»، ووضع في المقام الأول. وكانت هناك مؤتمرات، وكتب ومقالات، الخ بهذا الشأن. ولقد قيل لنا عندما جاءت ادارة ريفان للحكم، من ان الكفاح ضد الارهاب الدولي كان يعتبر مسألة مركزية في سياستها الخارجية، واستمر الامر على هذه الوتيرة. وتداول الناس هذا الامر كما لو أنه عالم أو مجال حقيقي. فهم لم يكونوا في العالم الحقيقي. فاذا ما كان هناك مثل هذا الشيء من الارهاب الدولي، فإن الولايات المتحدة تعتبر من إحدى راعييه الرئيسيين. فعلى سبيل المثال، ووفقاً للمبدأ أو العقيدة الرسمية، وكما تحدث عنه وزير الخارجية جورج شولتز، فإن كويا هي واحدة من الدول الرئيسة التي تمارس الارهاب الدولي.

ولكن هناك كتاباً مثل كلير ستيرلنغ، وولتر ليفيور وآخرين، قد بينوا بأن الدليل من أن الشيوعيين يقفون وراء ذلك، هو بالفعل بسبب ما يدعى بـ «العالم الحر». وإن حقيقة الامر ان كويا قد تعرضت للارهاب الدولي اكثر من بقية دول العالم الأخرى مجتمعة. وبدأ هذا في مطلع الستينات، عندما شنت ادارة الرئيس كنيدي حرباً ارهابية رئيسة ضد كويا. واستمر ذلك لعدة سنوات! وكل ما نعرفه بانها ما زالت جارية حتى الآن. إلا أن انبعاثاً ضئيلة جداً. فعليك أن تبذل جهداً لتجد ماذا يجري هناك، وذلك من خلال المذكرات وتقارير المشاركين فيها وهلم جرا. وإن ما حدث ما هو إلا مستوى أو نوع من الارهاب الدولي، ذلك بقدر ما اعلمه بأنه لا نظير له، بمعزل عن الهجوم المباشر. وهذا يشمل الهجوم على المنشآت المدنية، وتفجير الفنادق، وإغراق قوارب الصيد، وتدمير المنشآت البتروكيماوية، وتسميم المحاصيل والمواشي، ومحاولات الاغتيال، وعمليات القتل الفعلية، وتفجير الطائرات، وعمليات تفجير السفارات الكويتية في الخارج، الخ. إنها حرب ارهابية ضخمة. إلا أنها لم تظهر ابداً في مناقشات الارهاب الدولي. أو على سبيل المثال، فلنأخذ الشرق الأوسط.

فإن منظمة التحرير كانت تعتبر رمزاً للارهاب. فقد انخرطت بالتاكيد في اعمال ارهابية، إلا أن اسرائيل، التي تعتبر عيلتنا، قد انخرطت أكثر بكثير في عمليات ارهابية - بشكل لا يقارن - بيد أننا لم نطلق عليها على أنها اعمال ارهابية. فعلى سبيل المثال، فإنه في ربيع هذا العام، اختطف أربعة فلسطينيين من قطاع غزة، من الذين يعيشون في

ظل اوضاع قمع شعبية، اختطفوا حافلة ركاب وحاولوا دفعها الى خارج القطاع. ولم يكن يبدو بلته كان لديهم اسلحة، وأوقفت الحافلة من قبل جنود اسرائيليين ويسبب إطلاقهم النار عليهم، فقد قتلت امرأة اسرائيلية من الركاب. والقي القبض على المختطفين، فقتل اثنان منهم على الفور، واقتيد الاثنان الآخران بعيداً وتم قتلها، بعد عملية تعذيب من قبل الجنود الاسرائيليين. وتلا ذلك اجراء تحقيق بالحادث، إلا أنه لم يتج عنه شيء؛ ولم يوجه الاتهام لأحد. وفي الوقت ذاته، قصفت الطائرات الاسرائيلية منطقة بعلبك في لبنان. ووفقاً لتقارير الصحافة، بما فيها الصحافة الاميركية، فقد وقع نتيجة لتلك الغارة (٤٠٠) اصابة، من ضمنها اصابة حوالي (١٥٠) طفلاً، وقموا بن قتل وجريح بعد تدمير مدرستهم من قبل الطائرات الاسرائيلية. ولم يعتبر تلك عملاً ارهابياً. وحتى انه لم يشر أحد الى تلك العمل على انه عمل ارهابي، وحتى مع انه استخدمت فيه طائرات حربية اميركية للصنع. وانما دعي فحسب على انه «هجوم انتقامي غير حكيم، أو شيء ما من هذا القبيل».

ويعود كل ذلك الى أوائل السبعينات، والتي كانت تعتبر زاخرة بالهجمات الارهابية الفلسطينية، كما حدث في مستوطنة معالوت وغيرها. مما دفع اسرائيل لتقوم بشن غارات كثيفة على اهداف مدنية في جنوب لبنان الى درجة دفعت مئات الآلاف من السكان على هجر قراهم ومناطقهم. ولم يدع ذلك بالارهاب. ولاستخدام مصطلح «المقياس المزوج» على ذلك، فانه في الحقيقة يساء الى هذا المصطلح؛ فإن ذلك يتجاوز أي شيء يمكن أن تدعوه بالمقياس المزوج. فانه تقريباً عبارة عن نوع من التطرف. وانه انعكاس للنجاح المفرط لتعليم مبادئ المعرفة في المجتمع الاميركي. فانه لا يوجد لديك أي مجتمع آخر حيث تكون الطبقات المتعلمة، على الأقل، مسيطر عليها ومستحوذة من قبل جهاز الاعلام.

■ سؤال: دعنا نتحدث عن نظام الدعاية ذلك. فقد اشرت في مرات عديدة الى جهاز دعاية الدولة. فما هو الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام في تعزيز وخدمة مصالح الدولة؟

جواب : ينبغي أن يكون المرء مستوعباً انه في الاشارة الى «جهاز دعاية الدولة» فلا اعنى هنا بلته بلتي من الدولة، فجهازنا يختلف بشكل لاقت للنظر، لنقول مثلاً، عن جهاز

الاتحاد السوفياتي، حيث جهاز الدعاية موجه انبيأ وسيطر عليه من قبل الدولة. فنحن لسنا بمجتمع لديه وزارة للصدق والتي تصدر العقيدة أو المبدأ، الذي يجب على كل واحد عنده ان يطيعه مهما كلف الامر. فجهازنا يعمل بصورة مختلفة كثيراً وبشكل أكثر فعالية. انه جهاز مخصص للدعاية، يشمل وسائل الاعلام، والصحافة المعبرة عن الرأي، ويتضمن بشكل عام الاشتراك الواسع لرجال الفكر والعلم، وهم الجزء المتعلم والمثقف للشعب. والعناصر الأكثر وضوحاً لأولئك الجماعات، التي تصل الى وسائل الاعلام، بما فيها الصحف والمجلات الفكرية، والذين يشرفون بشكل اساسي على للجهاز التعليمي، يجب ان يشار اليهم تماماً كطبقة «المفوضين». ذلك ان وظيفتهم الرئيسية هي: لتصميم، ونشر وخلق جهاز من العقائد والمبادئ، التي ستقوض الفكر المستقل وتمنع الفهم وتحليل التركيبات المؤسسية ووظائفها. ولا اعني القول بانهم واعين ومدركين لها. فهم ليسوا كذلك. في الواقع. ففي جهاز فعال حقاً للتلقين والتعليم، فان المفوضين هم غير مدركين لذلك تماماً، ويظنون أنفسهم بانهم مستقلون، وأصحاب أفكار انتقادية. واذ ما حققت بالانتاجات الفطرية لوسائل الاعلام، وصحافة الرأي، الخ، فانك ستجد ذلك بالضبط فانه اعتبار ضيق جداً، ومقيد باحكام وغير دقيق بشكل غريب للعالم الذي نعيش فيه.

فالحالات التي نكرتها تعتبر امثلة على ذلك. فلم تكن هناك أبداً مناقشات ومداولات بشكل حي ومطول في الولايات المتحدة، على علمي، حول الحرب في فيتنام. ومع ذلك، وباستثناء بعض المناسبات الهامشية فان المناقشات كانت تعقد بين أولئك الذين يسمون «بالحمائم» و«الصقور». وبدأ كل من الحمائم والصقور بقبول الكنبه المدهشة جداً، حيث ان ارويل لا يمكنه تصورها. واعني ان الكنبه هي اننا كنا ندافع عن فيتنام الجنوبية، في حين كنا في الواقع نهاجم فيتنام الشمالية. فحالما تبدأ بالمقنعة، فكل شئ يتبع بعد ذلك.

وهناك الكثير من الامثلة في الوقت الراهن. ولنأخذ مثلاً الصفقة التي حدثت مؤخراً حول طائرات الميغ في نيكاراغوا. فعاذاً حدث؟ لقد ارسلت الولايات المتحدة طائرات حربية متقدمة الى السلفادور، وذلك لكي نكون قاسرين على شن هجوم على شعب السلفادور. والجيش الذي سينفذ هذا الهجوم هو في الحقيقة جيش احتلال، مثله تماماً مثل للجيش البولندي الذي هو جيش احتلال لبولندا، مدعوم من قوة أجنبية، باستثناء

ان الجيش الذي في السلفادور هو اكثر وحشية ويقوم باعمال وحشية بالغة. ونحن نحاول بلن نشن هذا الهجوم بارسالنا لطائرات متطورة وطيارين اميركيين، وهم الآن يشتركون مباشرة في الاشراف على الغارات الجوية. الخ.

وانه من الطبيعي تماماً، من ان اي تلميذ لارويل سيقبل بلتنا يمكن ان نتهم الجانب الآخر في جلب الطائرات للمقاتلة مسبقاً. ونحن ايضا ندير حرباً حقيقية ضد نيكاراغوا من خلال جيش من المرتزقة. فهم يدعون «بالثوار» في الصحافة، إلا انهم لا يشبهون أي شيء من هذا القبيل. فهم مسلحون على مستوى تسليح جيوش دول اميركا الوسطى. وهم غالباً ما يتفوقون على جيش نيكاراغوا. فهم مجهزون ومشرف عليهم تماماً من قبل قوة اجنبية. وهم يتلقون دعماً ضئيلاً او محدوداً جداً من الداخل، كما يعلم اي واحد بذلك. فانه جيش مرتزقة اجنبي يهاجم نيكاراغوا، ويستخدم جنوداً من نيكاراغوا، كما هو الحال غالباً في الحروب الامبريالية.

وفي هذا السياق، فان النقاش الكبير هو فيما اذا كان شعب نيكاراغوا قد جلب او طلب او لم يطلب قنوم الطائرات التي يمكن ان تستخدم للدفاع عنه. فالحمام يقولون بلنهم من المحتمل انهم لم يطلبوا قنومها، ولذلك فان هذا الامر قد بولغ فيه. كما يقول الحمام ايضا، ويمكنك هنا ان تستشهد بقوال - بول تسونفاس، مثلاً، او بقوال كريستوفر بود، وهما من اشد الحمام في الكونغرس - بلنه إذا ما طلب شعب نيكاراغوا في الحقيقة الطائرات للمقاتلة، فعندئذ يجب علينا ان نقصفهم بها، لانهم سيكونون عنصر تهديد لنا.

وعندما ينظر المرء الى هذا، فانه يرى شيئاً غير قابل للوصف. فقبل خمسين عاماً، سمعنا هتلر يتحدث عن تشيكوسلوفاكيا كخنجر في قلب المانيا، وشعبها على حد سواء. بيد ان تشيكوسلوفاكيا كانت تشكل تهديداً حقيقياً لألمانيا إذا ما قورنت مع التهديد الذي تشكله نيكاراغوا بالنسبة للولايات المتحدة. واذا ما سمعنا مثل هذا النقاش في الاتحاد السوفياتي، حيث سيتعامل الناس هناك فيما إذا كان يجب، دعنا نقول، ان نقصف الدنمارك، لان لديها طائرات يمكنها ان تبلغ الاتحاد السوفياتي، وسنكون مروعين من جراء ذلك. وفي الواقع، فان ذلك تشابه جزئي غير عادل بالنسبة للروس. فهم لا يهاجمون الدنمارك كما نهاجم نحن نيكاراغوا والسلفادور. ولكننا نقبل ذلك الامر

هنا برمته. فنحن نقبله لأن الفئات المتعلمة، التي هي في موقع، من خلال الامتياز والهيبة والتعليم والثقافة، الخ. تعمل فيه فهم جلي للعالم، داعمة جداً للنظام الطائفي. ذلك بلانها لا يمكنها حتى ترى ان اثنان زائد اثنان يساوي اربعة. فهي لا يمكنها ان ترى ما هو صحيح امام أعينها: بلاننا نهاجم نيكاراغوا والسلفادور، وان شعب نيكاراغوا له الحق بالطبع للدفاع عن نفسه ضد هذا لهجوم. فاذا ما كان للاتحاد السوفياتي جيش مرقزق يهاجم الدنمارك، وينفذ الأعمال الارهابية ويحاول تدمير البلاد. فانه سيكون للدنمارك الحق عندئذ للدفاع عن نفسها. ونحن سنقرر ذلك. وعندما يحدث شيئاً من هذا القبيل في اراضينا او ولاياتنا، فان الشيء الوحيد الذي نساله هو، هل يحق لهم ام لا يحق جلب طائرات للدفاع عن انفسهم؟ فاذا ما كان الامر انه يحق لهم، فانه عندئذ سيكون لنا الحق ان نهاجمهم بعنف.

وليس هناك فعلياً اي صوت في الصحافة يثير التساؤلات حول حقنا في اتخاذ عمل اكثر عنفاً ضد نيكاراغوا. فهذا مؤشر لوجود مجتمع مفسول الدماغ جداً. وتبعاً لمقاييسنا فان منظر يعتبر عاقلاً فيما كان يفعله في الثلاثينات.

■ سؤال : دعنا نتحدث قليلاً حول اللغة والسياسة، وبشكل معين فيما يتعلق بحالة او وضع نيكاراغوا. لقد نقلت صحيفة النيويورك تايمز عن سفير الولايات المتحدة لدى كوستاريكا قوله بان حكومة نيكاراغوا لديها شبكة يسارية متطرفة تعمل لصالحها في واشنطن. وهذه هي كمثل الشبكة التي عملت ضد المصالح الاميركية في فيتنام. ومن المحزن القول ان العديد من رجال الكونغرس هم اسيرون لمساعدتهم، الذين يعتمدون على كثرة المعلومات عن اليسار. وعندئذ شبه السفير نيكاراغوا بالمانيا النازية، ويخلص بشكل نهائي الى اعتبار ان نيكاراغوا قد اصبحت مثل قطعة ملوثة او فاسدة من اللحم تجلب اليها حشرات من جميع انحاء العالم، وقد عني بالحشرات مثل الكوبيين والمنشقين الباسك وغيرهم.

جواب : ان كل هذا ينكرنا بالمانيا النازية. فملاحظات السفير هي نموذج تماماً لتلك التصريحات التي كان يبلي بها الدبلوماسيون النازيون وبنفس الدرجة وحتى بنفس

الأسلوب، كالحديث عن «الحشرات» وما شابه ذلك. وبالطبع، فإن ما يصفه هو بعيد عن الحقيقة، وحتى أنه من غير الضروري بحثه. ففكرة وجود شبكة يسارية في واشنطن هو أمر صاخب فقط فما يريد أن يقوله أو يعنيه باليساريين، أنهم أناس مثل تسونفاس وود. فهؤلاء هم بالتحديد الأشخاص الذين أراد الإشارة إليهم. الأشخاص الذين يقولون بأنه يجب علينا قصف نيكاراغوا إذا ما فعلت شيئاً ما للدفاع عن نفسها. وهذا بالنسبة للسفير ما هي الا محاولة يسارية لتقويض سياستنا. وهذا هو مثل مناقشة دعاية نازية حقيقية، التي حتى لا تجعل هناك حجة أو ذريعة لكونها متعلقة بالحقيقة، وتعتبر أي انحراف أو تحييد عن تلك كأمور غير مقبول ولدينا تأكيد كلي، من وجهة نظره، لنصل الى وضع يسمح لنا فيه ويبرر في تنفيذ أي عمل تخريبي، أو عدواني، أو القيام بأعمال القتل والتعذيب، الخ. فأي انحراف عن هذا الوضع، فهو من وجهة نظره، عبارة عن مؤامرة يسارية موجهة من موسكو. وهذه هي الغاية القصوى للنظام الدعائي، إلا أنه ليس الجزء المهم منه، من وجهة نظري. وأنه من الجنون لأي واحد أن ينظر من خلاله.

والجزء المهم منه هو تلك النوع الذي لا يبدو مجنوناً جداً، النوع الذي يقدم من قبل الحماثم، الذين لا يقبلون مطلقاً الاوضاع المتباينة. فهم يقبلون المبدأ القائل من أنه من حقنا استخدام القوة والعنف لتقويض أو تدمير المجتمعات الأخرى، التي تهدد مصالحنا، تلك المصالح التي تخص فئة معينة، وليس مصالح الشعب. وهم يقبلون هذا الوضع، ويبحثون كل شيء في تلك الشروط لذلك فإن هجومنا ضد بلد آخر يصبح «دفاعاً» عن تلك البلد. ولذلك فإن الجهد من نيكاراغوا للحصول على طائرات للدفاع عن نفسها يصبح عملاً غير مقبول، ولا بد من أن يثير عنف أكثر من جانبنا. وأنه على ما يبدو يعتبر وضعاً خطيراً ويلعب دوراً مهماً جداً في نظامنا الدعائي. فهذه نقطة لا يعترف بها غالباً. فالأمر يصبح أوضح، إذا ما كان الشيء بعيداً أكثر، وإن لا نكون منخرطين فيه مباشرة. ولناخذ حرب فيتنام مثلاً. فالمساهمة الرئيسة للنظام العقائدي أو المبدئي خلال فترة حرب فيتنام، من وجهة نظري، هي بالتأكيد موقف الحماثم. فقد كان الحماثم يقولون بأننا كنا ندافع عن فيتنام الجنوبية، فهذا أمر محدد، إلا أنه لم يكن حكيماً، وكلف الكثير الكثير، أكثر من طاقتنا وقوتنا. فإذا ما كنا قاهرين على التفكير، فانتنا سنفهم بأن موقفهم يشبه الى حد كبير موقف الجنرالات النازيين بعد معركة ستالينغراد. الذين قالوا بأنه كان من الخطأ فتح جبهتين في آن واحد، وأنه من المحتمل

ان لا تتحمل ذلك، وان هذا من المحتمل ان يعتبر جهداً يجب علينا ان نعمله ونغيره، مع انه بالطبع يعتبر عادلاً وصحيحاً. ونحن لا نعتبر الجفرالات النازيين على انهم حمام. فنحن ندرك من هم. إلا انه في مجتمع يعتبر فيه هذا الوضع على انه انشقاقاً، ووضعاً خطيراً، فإن الطاقة من اجل التفكير قد دمرت. ويعني بأن نطاق الافكار القابلة للتفكير هي مقيدة الآن ضمن النظام الدعائي.

إن النقاد هم الذين جعلوا هناك مساهمة اساسية لذلك. فهم اولئك الذين كشفوا مسبقاً عن الحقيقة الأساسية، والتحليل الأساسي، والتفكير المستقل وذلك بالتظاهر ولكونه يعتبر كتبني لموقف ناقد، بينما انهم في الواقع يعتبرون مساعدين للمبادئ الأساسية للنظام الدعائي. وفي رأيي فإنه مهم أكثر من التعليقات الطائشة التي اقتبستها في الحقيقة.

■ سؤال: ماذا يوسع الناس ان يفعلوا ليخترقوا هذا الاطار المحكم والمزخرف للدعاية ليحصلوا على ما هو حقيقي، ويصلوا للحقيقة؟

جواب : لا اعتقد بصراحة انه أكثر مما هو مطلوب، وجود شعور عادي مشترك. فما على المرء ان يفعله هو تبني اتجاه المرء لمؤسساته الذاتية، بما فيها وسائل الإعلام والصحافة والمدارس والكليات، واتخاذ نفس الموقف النقدي والعقلاني الذي تتخذه تجاه مؤسسات أي سلطة أخرى.

فعلى سبيل المثال، عندما نقرأ انتاجات جهاز الدعاية في الاتحاد السوفياتي او المانيا النازية، فإنه لا توجد لدينا مشكلة تماماً في فصل الحقائق عن الاكاذيب، والتحقق من التشويهات والتحريفات التي تستخدم لحماية مؤسساتهم من الحقيقة. ولا يوجد هناك سبب لماذا لا يجب علينا ان نكون قاطرين على اتخاذ نفس الموقف تجاه انفسنا، بالرغم من الحقيقة بأن علينا الاعتراف بأننا غمرنا بهذا باستمرار، يوماً بعد يوم. والرغبة باستخدام نكاه المرء الفطري والشعور المشترك لتحليل وتدقيق ومقارنة الحقائق مع الطريقة التي تقدم فيها وهل هي ملائمة في الحقيقة.

واذا ما كانت المدارس تقوم بوظيفتها، وهي لا تفعل ذلك بالطبع، ولكنها يمكن ان تكون، فيمكنها تزويد الناس بوسائل الدفاع الذاتي الفكرية. وبالتالي سيكرسون انفسهم

بطاقة ضخمة وتطبيقها بدقة لأنواع الأشياء التي نتحدث عنها، نلك أن الناس الذين ينشأون في مجتمع ديمقراطي ستكون لهم وسائل الدفاع الذاتي الفكرية ضد الجهاز. واليوم، فإن الأفراد عليهم أن يباشروا هذه المهمة بطريقة ما ولا اعتقد بأنها صعبة جداً في الحقيقة. فعندما يفهم المرء ماذا يحدث، فإن عليه أن يتخذ الخطوة الأولى لتبني موقفاً ليكون ببساطة واحداً من النكاء النقدي تجاه كل شيء يقرأه، في جريدة هذا الصباح أو صحيفة الأمس أو أي شيء آخر، ويكتشف الافتراضات والتضمينات التي تحملها. ومن ثم يقوم بتحليل هذه الافتراضات وتعيد تقييم الحقائق مرة ثانية في شروط تكون حقيقة للوقائع، وليس ببساطة كانعكاسات لجهاز الدعاية المشوه. وعندما يفعل نلك فإنني اعتقد بأن العالم يصبح واضحاً إلى حد ما. وعندئذ فإن باستطاعة المرء أن يصبح شخصاً حراً، وليس عبداً لبعض سيطرة وتلقين جهاز الدعاية.

■ سؤال : هل بوسعك التحدث عن دولة القرن العشرين؟ فإنك كتبت بشكل كثيف عن نلك. وما هو تركيبها الذي يسمح بالإبادة الجماعية، وما دعاء انورارد سعيد في الوقت الحاضر في مقالة كتبها «بظاهرة اللاجئين». فهل هذه هي مظاهر دولة القرن العشرين؟ وهل توافق على هذه الافتراضات؟

جواب : ليس تماماً. واعتقد بأن هناك بعض الحقيقة في نلك، لأن الدولة الحديثة ببساطة، والنموذج الأوروبي لنلك، بما فيه الولايات المتحدة، حيث لتكون ويمقاييس تاريخية قوية جداً. فدرجة السلطة في الدولة الحديثة هي بدون تساؤ تاريخي. فهذه القوة منضبطة مركزياً إلى أقصى مدى وبدرجة محدودة جداً للمشاركة الشعبية في كيفية ممارسة تلك السلطة. وأيضاً، فإن لدينا ازدياد مرعب في مستوى سلطة الدولة، ونتيجة لدرجة العنف الشديدة.

ومع نلك، فإنه من الخداع الاعتقاد، أو القول، بأن الإبادة الجماعية لفئة أو شعب معين هي كونها ظاهرة للقرن العشرين. ودعنا نأخذ تاريخنا الذاتي كمثال على نلك، تاريخ غزو همسفير الغربية. فنحن نحتفل بنلك في كل عام، وفي ولاية ماسوشتس على الأقل، لدينا عطلة رسمية تدعى «يوم كولومبس»، وفئة قليلة من الناس تترك بأنها تحتفل بأول إبادة وحشية لشعب في العصر الحديث. وهذا بالضبط ما كان عليه كولومبس.

وكما لو أنهم يحتفلون «بيوم هتلر» في ألمانيا. فعندما جاء المستعمرون من اسبانيا وانجلترا وهولندا وغيرها الى همسفير، فأنهم وجدوا مجتمعات مزدهرة. فالاكتشافات الحالية للآثار البشرية تشير الى أن عدد السكان الأصليين في غرب همسفير يمكن أن يكون تعدادهم قد قارب من مئة مليون نسمة، وربما كان يوجد حوالي ثمانين مليون نسمة في شمال ريو جراند، واثنًا عشر مليوناً أو ما شابه ذلك الى شمال النهر (نهر المسيسيبي). فخلال حوالي شهر، فإن أولئك السكان قد أيبدوا. فلنأخذ مثلاً منطقة شمال ريو جراند، حيث كان يتواجد هناك من عشرة الى اثنتي عشر مليوناً من السكان الأصليين الأميركيين. ومع عام ١٩٠٠، فإنه لم يبق سوى مائتي ألف نسمة منهم فقط. أما في منطقتي الأندين ومكسيكو، فإنه كانت هناك مجتمعات هندية كثيفة، إلا أن معظمها قد اختفى. فمعظمهم قد قتلوا أو أيبدوا تماماً، وآخرون هلكوا نتيجة للأمراض الأوروبية، التي جاء بها المستعمرون. فإنها إنن إبادة جماعية، حدثت قبل وقت طويل من نشوء دولة القرن العشرين. فربما تكون واحدة من أكبر حروب الإبادة، إذا لم تكن أعظمها في التاريخ البشري. إلا أنها لم تكن غريبة من نوعها. إنها حقائق لا نعترف بها.

إن الوسائل والطرق التي نحمي أو نبعد أنفسنا فيها عن الحقائق هي غالباً ما تكون مدهشة تماماً. ودعني أورد لك مثلاً شخصياً على ذلك. ففي عيد الشكر الماضي نهبت أنا وعائلتي في نزهة الى المتنزه الوطني القريب. فمررنا بجانب شاهدة قبر، وضعت من قبل هيئة المتنزهات الوطنية كنيليل أو كوشهانة، أو كايماة في الواقع، وكايماة حرة بلا شك تجاه الهنود الحمر في الماضي، وكتب عليها عبارة: «هنا ترقد امرأة هندية، ضحت عائلتها وقبيلتها بانفسها وبأرضها ثمناً لتولد وتنشأ هذه الأمة العظيمة». إنه مثال مروع جداً، ذلك حتى أن المرء لا يعرف كيف يبحثه أو يناقشه. فهي (تلك المرأة) وعائلتها «لم يضحوا بانفسهم وأرضهم». بل إنهم قتلوا من قبل أبائنا وأجلوا عن أرضهم. كما لو أن هذا يحدث بعد مائتي عام من الآن، أن تلقى الى اشويتز وتجد شاهد قبر تقول: «هنا ترقد امرأة يهودية، ضحت بانفسها ومعها عائلتها وممتلكاتهم ذلك حتى يمكن لهذه الأمة العظيمة أن تنمو وتزدهر». وهذه انعكاسات بما يعتبر هنا على أنه موقف ليبرالي حر وقريب. وبكل هذه المظاهر لتجربتنا التاريخية، ولأسس مجتمعاتنا، فإننا مبتعدون عن رؤيتها. فبالنظر الى شاهد القبر ذلك، فإن أي شخص لديه حتى أدنى

شعور عام ومعرفة أولية للتاريخ يجب أن يكون قادراً على رؤية مدى ما تصنعه أجهزة الدعاية. بل إنها تعتبر إشارة مروعة لمستوى التلقين الاعلامي بالنسبة للأشخاص ومدى تأثيره عليهم.

■ سؤال : إن هذا يثير التساؤل : من هو الذي يسيطر على تاريخ مجتمعنا ؟

جواب : لن التاريخ مرهون وممتلك من قبل الفئات المتعلمة. فهؤلاء هم الأناس المؤمنون أو القيمون على التاريخ. انهم الأناس الذين يتواجدون في الجامعات والذين يقومون بصياغة وكتابة وتقديم الماضي لنا كما يريدون ويشاعون. وهؤلاء هم الجماعات القريبة جداً من سلطة الحكم. فهم أنفسهم لديهم درجة عالية من الامتياز والوصول للسلطة والحكم. ويتشاركون في المصالح مع أولئك الذين يسيطرون، أو في الواقع يمتلكون النظام أو الجهاز الاقتصادي. وانهم المفوضون الثقافيون لنظام الهيمنة والسيطرة السائد تماماً. وإنني اتجنب الفوارق الضئيلة. فهناك استثناءات مهمة. حيث يوجد هناك أناس أو أشخاص كتبوا التاريخ بشرف وصدق. إلا أن النقطة التي اضعها هنا هي الشيء الغالب أو المهيمن، إلى درجة أن الاختصاصيين هم لوحدهم فقط يمكنهم أن يعرفوا الأمور والأشياء التي تحدث وتقع خارج ذلك. فبالنسبة للمواطنين العامين، فإن المرء لا يوجد لديه مناصر أو وقت أو تجربة أو تدريب أو تعليم لأن يبحث حقيقة في الأمور بعمق. فالوضع الذي يمثلوه هو الذي وصفته سابقاً. فعلى سبيل المثال، فإن شهادة القبر تدعم ضمناً فكرة أن الإيالة الجماعية لفئة أو شعب ما هي الا ظاهرة من ظواهر القرن العشرين، مخففة لتترك وتعتزف من أن ما يحدث أو حدث ليس ببعيد جداً عن ماضينا.

■ سؤال : هل بإمكانك التحدث عما يدعى بالإيالة الجماعية الأولى للقرن العشرين، والتي حدثت في عام ١٩١٥ للأرمن من قبل تركيا العثمانية، ولم هي حادثة غير معروفة فعلياً؟ ولم هي بعيدة عن محيط إيراكنا؟

جواب : بصورة رئيسة لأن الناس كان لديهم اهتمام قليل جداً في تلك الوقت. فما حدث هو أن مئات الآلاف وربما أكثر من مليون شخص، قد نبخوا في فترة قصيرة جداً. فقد حدث ذلك في تركيا، وهي بلد بعيد، ولم يكن له مصالح مباشرة مع الغربيين.

واعتقد بأن الأمر الأكثر دراماتيكية واثارة هو في نوعية القمع وأعمال الإبادة الجماعية للشباب والقريب جداً من معرفتنا له، والذي في الحقيقة انخرطنا فيه مباشرة. فعلى سبيل المثال، فانتني أراهن بأن العديد من الناس هم مدركون أو يعرفون أخبار المذابح الأرمنية التي حدثت خلال الحرب العالمية الأولى، أكثر من معرفتهم للإبادة الجماعية الأندونيسية التي حدثت في عام ١٩٦٥، عندما نبع (٧٠٠) ألف شخص خلال شهرين، وبدعم من الولايات المتحدة. فقد رحب بذلك من قبل الولايات المتحدة لأنه «أعاد أندونيسيا إلى العالم الحر»، كما وصفنا الأمر في تلك الوقت. فقد استغلت الإبادة الجماعية، وحتى من قبل الأميركيين الأحرار، كما يجب علي القول، كتبرير لحربنا في الهند الصينية. ووصفت على أنها مزودة «كحجاب أو درع» يمكن أن تختفي وراءه تلك الأحداث المفرحة. إنها حقيقة عاصفة أكثر بكثير من موقفنا الغير مبال تجاه الإبادة الجماعية للأرمن قبل سبعين سنة مضت.

■ سؤال : هل ذلك مرتبط مباشرة بالكتابين اللذين تشاركت في تأليفهما مع انوار هيرمان، وهما «فاشية العالم الثالث وارتباط واشنطن به» و«بعد الطوفان» والذي تحدثت فيهما بإسهاب عن انقلاب عام ١٩٦٥ في اندونيسيا، ومن ثم الأحداث التي جرت في عام ١٩٧٥، في جنوب القلم تيمور ؟

جواب : والتي ما زالت جارية، بشكل عرضي. فهناك حالة من الإيالة الجماعية لا تزال ماضية ومستمرة تماماً لأن الولايات المتحدة تدعمها. وهذا مما يعيق أي احتمال لانهاء تلك الهجوم الإيادي. فهناك شيء واضح أمام أعيننا والذي نحن مسؤولون عنه مباشرة، وليس هناك أي انراك فعلاً له. فإنتني أشك اذا ما كان هناك شخص من بين مائة شخص في الولايات قد سمع عن منطقة تيمور (تيمور الشرقية التي كانت مستعمرة برتغالية سابقة).

■ سؤال : ولمَ تلك ؟ فهل هذا يخدم بعض المصالح الأيدولوجية بأنه لا يوجد هناك معلومات بهذا الصدد ؟

جواب : بالتأكيد. فانه من غير الملائم لشعب الولايات المتحدة لأن يعلم من أن حكومته متورطة في منجحة إبادة والتي هي معاملة لمنجحة بول بوت (في كمبوديا). لذلك فمن

الأفضل أن لا يعلم الشعب عن ذلك. وهذا ملفت للنظر بشكل خاص لأنها بدأت، كما تقول، في عام ١٩٧٥، في الوقت ذاته التي بدأت فيه منبحة بول بوت. والمنبختان متشابهتان نوعاً ما في عدة نواحي، ما عدا أن منبحة تيمور قد نفذت من قبل جيش محتل بدلاً من كونها ثورة فلاحية أخذت طابع الانتقام ومسيطر عليها من قبل عصابات متطرفة والتي كانت تنفذ مذابح ضخمة في مجتمعهما. فهاتان المنبختان هما متشابهتان نوعاً ما في حجمهما. أما بالنسبة لعدد السكان، في الواقع، فإن منبحة تيمور ربما تكون أكبر مرتين أو ثلاثة مرات في ضخامتها. حيث أن كافة وسائل الاعلام أهملت ذلك، ونحن نتطلع الى الحقائق الفعلية. وكانت معالجتهم مختلفة تماماً. فمذابح بول بوت أوليت اهتماماً بالغاً، واحتجاجات ضخمة، كما انها قورنت بمذابح النازيين. إلا أن منبحة تيمور، والتي كنا نحن مسؤولون عنها، قد أهملت وكتمت أخبارها. فالناس الذين نهبوا في محاولة للبحث عن اللاجئين الكمبوديين على الحدود الكمبودية - التايلاندية يمكنهم أن يروا القصص المفزعة عن المجزرة التي ارتكبت هناك. كما يمكن للمرء أن يتحدث الى اللاجئين من تيمور الذين سيبلغوه من كانت الولايات المتحدة تدعم هناك.

لقد أخفي ذلك الأمر تماماً لمدة أربعة سنوات. وحتى انه من النادر أن يبحث هذا في الوقت الحاضر، وعندما يبحث ذلك، فإنه لا يشار الى الدور الاميركي فيه. فعلى سبيل المثال، بدأت صحيفة نيويورك تايمز التحدث عن ذلك أخيراً وتعرض له في افتتاحياتها. فأحدى المقالات وصفت ذلك بقولها «العار لاندونيسيا». فبالأكيد انه عار لاندونيسيا، إلا انه أيضاً عار على الولايات المتحدة. فنحن الذين أعقنا كل جهد دبلوماسي أو سياسي لوقف تلك المنبحة. فادارة الرئيس كارتر، والتي كان من المفترض بها أن تحافظ على حقوق الانسان، قد عملت على ارسال وتنفق السلاح الى اندونيسيا مع معلومات مؤكدة من انها سترسل لتستخدم في توسيع المجزرة في تيمور الشرقية. ولم يكن هناك شيء آخر من انها يمكن ان تستخدم من اجل ذلك. ولم توصف الولايات المتحدة بالعار، ولا أيضاً صحيفة «نيويورك تايمز»، من انه عار عليها أن تتعرض لذلك بعد أربعة سنوات.

وهناك أيضاً وسائل لحماية انفسنا من فهم العالم. فالناس عليهم أن يتحصنوا من أي فهم لذلك. وهذا واحد من الاهداف الرئيسية لجهاز التلقين، وذلك لمنع الناس من فهم ما يتشاركون به بطريقة غير مباشرة من خلال المؤسسات التي يدعمونها.

■ سؤال : ويرى المرء، على سبيل المثال، في قضية المنبحة وعمليات القتل المستمرة في تيمور الشرقية، شعوراً معيناً مزيجاً. فقد بدا الأمر في عهد ادارة الرئيس فورد في عام ١٩٧٥، واستمر ذلك خلال سنوات ادارة كارتر...

جواب : وتفاقت خلال سنوات ادارة كارتر، وكانت أسوأ فترة جرت خلالها، وما تزال مستمرة لغاية الآن. وفي العام الماضي كان هناك هجوم اندونيسي رئيس آخر. حيث سحب من هناك مرة ثانية الصليب الأحمر، ذلك حتى لا تكون هناك مراقبة دولية فعلية. فالمعلومات الوحيدة التي حصلنا عليها وكانت من اللاجئين ومن الكنيسة الكاثوليكية. فالكنيسة كانت ترسل عن هذه الأعمال الوحشية، إلا أن ذلك لم يصل الى مسامع الأميركيين. فعلينا أن نسال أنفسنا، لماذا تقوم مؤسساتنا بمنعنا عن معرفة ماذا يجري: فإنني اعتقد بأن أولئك الناس الذين هم في السلطة هم ببساطة يخشون الشعب. لأنه اذا ما أصبح غالبية الشعب على علم وادراك بما تقوم به الدولة، فإنهم سيحتجون وسيوقفون ذلك. وهذا السبب لماذا لدينا مثل هذه الأجهزة المتقنة تماماً والفعالة في السيطرة على الفكر. فلماذا لا يبلغوننا بالحقيقة؟ إنهم لا يبلغوننا بالحقيقة لأنهم يخشوننا. فهم يخشون بأنه اذا ما عرفنا ذلك فإننا سنعمل على إيقافهم. وهنا تكمن الأكانيب، ويكمن الجهاز التلقيني، والاعلامي، وهلم جراً.

■ بيغيد بارساميان : دعنا نتحدث عما اطلق عليه على مضض «بالرقابة». فربما يمكنك ان تجد كلمة أفضل من ذلك هنا في الولايات المتحدة. وقد ذكرت سابقاً الكتابان اللذان الفتها مع انوارد هيرمان. وصححتني اذا ما كنت مخطئاً، بيد أنني اعتقد انه ولا واحد منهما لقي اي تغطية اعلامية بارزة او استعراض له، ولديك الآن كتاب جديد بعنوان «المثلث المشؤوم» والذي لقي فقط استعراضين. فيمكن للمرء ان يخلص الى استنتاجين: فإما ان تكون الكتب مزعجة في الحقيقة وليست جديرة بالتعليق أو الكتابة عنها، أو تكون هناك وجهة نظر سلبية بحيث تكون هناك نوعاً من الرقابة تمارس هناك؟

نعوم تشومسكي : أما فيما اذا ما كانت جديرة بالكتابة عنها . فمن الواضح أنني أعتقد ذلك، وإلا لما كنت قد كتبتها . فبوسعنا عمل نوع من الاختبار الموضوعي لذلك . فعلى سبيل المثال، يمكننا أن نسأل كم من الكتب موجودة في المجتمعات الأخرى مشابهة لكتبنا . ولنأخذ كندا، مثلاً . فكندا بلد مشابه جداً للولايات المتحدة، ولديها بصورة أساسية نفس القيم، المؤسسات، المنظمات الاجتماعية، الخ . ولكن ما إن يجتاز المرء الحدود إليها، حتى نجد أن معالجة ومعاملة هذه الكتب وموافيقها مختلفة تماماً عما يجري هنا .

فعل سبيل المثال، فإن كتاب «الثالث المشؤوم»، والذي صُدر للخارج قبل سنة، هو معنى بشكل رئيس بالسياسة الأميركية . وهو يعتبر سطحي بالنسبة لاهتمامات الكنديين، بيد أنه عنصر مركزي لاهتمامات الأميركيين . ومع ذلك فإنه نادراً ما نكرهنا في الصحافة . كما أنه من الصعب أن تجد تعليقاً أو استعراضاً له في أي مكان آخر . ولكن في كندا، فقد استعرض وعلق عليه في الصحف والمجلات الرئيسة وفي معظم الصحف الثانوية، وحتى أنه استعرض في صحيفة «الفيننشال بوست» والتي تعتبر موازية لصحيفة «ول ستريت جورنال» الأميركية . كما استعرض في المجلات الأسبوعية، الموازية لمجلتي «تايم» و«نيوزويك» . وفي أي وقت انهب فيه لكندا فإنه تجري مقابلات فورية معي من قبل التلفزيون والاذاعة . وقد كنت هناك الأسبوع الماضي لمدة يوم واحد، فأجريت ثلاثة مقابلات مع شبكة سي بي سي الوطنية . أما في الولايات المتحدة، فإن الناس المشابهين، وليس وحدي فقط هم مهمشون، ومستثنون من المقابلات واللقاءات . ومن النادر أن تجد مثل هذه الكتب في المكتبات العامة؛ كما أن وسائل الاعلام مغلقة تماماً أمامها .

وإذا ما نظرنا إلى دول أخرى مشابهة للولايات المتحدة، فإن الأمر يختلف . ففي بريطانيا وأستراليا، وهي دول مشابهة كثيراً لنا، فإن هذه الكتب تستعرض، وتناقش، الخ . ولا يحدث هذا في الولايات المتحدة، مع ذلك . فإذا ما كان التقييم أو الحكم واحد هنا، فإنه من المدهش أن التقييم مختلف كثيراً عبر الحدود . وبشكل عرضي، فإن العديد من الاستعراضات تكون انتقادية تماماً، إلا أنها عادلة تماماً . فالفاس يقولون بما يفكرون به .

■ سؤال : هل يمكنك ان تتصور المثلث، على سبيل المثال، لا تكون من حين لآخر شخصية تقابل على شبكة سي.بي.اس في اخبار النساء او من خلال الاذاعة العامة؟ فهل نعوم نشومسكي قد همش، ولنستخدم هذه العبارة التي صنعتها بنفسك ؟

جواب : هذا ما يحدث يوماً. فعلى سبيل المثال، فخلال حرب فيتنام، عندما كنت اظهر كثيراً في صف معارضة الحرب على المسرح الدولي وهنا أيضاً، فقد كنت اعيش في بوسطن، وكنت اظهر على شاشات التلفاز واقابل في الاذاعة أيضاً، إلا انه في البرامج للخارجية فقط وأظن بأنني قد قوبلت لمرة واحدة فقط في اذاعة بوسطن المحلية خلال حرب فيتنام. وكنت قد عنت للتو من زيارة قمت بها لاندونيسيا، واستمرت المقابلة لمدة اربعة دقائق فقط.

إلا أنني كنت أقابل باستمرار من قبل شبكات التلفزيون والاذاعات الاسترالية، والكندية، البريطانية والأوروبية العالمية. وكان هذا هو الأمر باستمرار. فقبل بضعة اسابيع فقط ظهرت على شاشة التلفزيون الايطالي، والكندي، وأجرت معي الاذاعة الايرلندية مقابلة. وبعد اسبوعين فإبني سلقهب الى انجلترا لمدة يوم واحد من اجل الظهور في برنامج كبير يناقش السياسة العامة. أما في الولايات المتحدة فأنني لا اعرف متى يتم ذلك.

ومن المدهش حقاً بأنني حالياً أقابل من قبل محطة اذاعة كولورادو. فعندما تخرج من نطاق المراكز الرئيسية في الولايات المتحدة، الى خارج نيويورك، وبوسطن، وواشنطن، فإن القيديدات تخف عنئذ. وإذا ما نهبت الى لينفر أو بولدر أو سان دياغون فانه عنئذ ليس من المحتمل ان لا أسأل عن مواضيع سياسية من خلال الاذاعة واحياناً عبر شاشة التلفزيون. ومرة ثانية، فان هذا لا ينطبق علي لوحيد فقط وانما ايضا على اناس اخرين من الذين يعتبرون نقاداً منشقون بصورة رئيسية. وهذا بالتالي يعكس مدى تقدم جهازنا الايدولوجي!

فما يحدث في مناطق أو نطاقات هي هامشية نظراً لممارسات السلطة، فإن الأمر لا يهم كثيراً. أما ما يحدث في مراكز السلطة فله شأن كبير جداً. لذلك فإن القيديدات تشدد أكثر فأكثر عندما تصبح اقرب للمركز، مركز السلطة. وحالما تجتاز الحدود الى

كندا فإنه لا أحد يهتم كثيراً عما يحدث في الحقيقة، لذلك يكون الأمر أكثر حرية.

■ سؤال : هناك سؤال أخير، حول جورج أورويل. فإنني أشعر من خلال كتاباتك ومن بعض التعليقات التي أبيتها هنا بأنك تشعر بالقرب من أورويل. فهل أنت متأثر به تماماً؟

جواب: إنه أمر معقد بعض الشيء. فأعتقد بأن أورويل قد ألف في الحقيقة كتاباً عظيماً أثر في نفسي كثيراً. وكان ذلك كتاب «ثاء لكاتالونيا»، وهو الكتاب الذي كتبه عن تجربته خلال الحرب الأهلية الإسبانية في أواخر الثلاثينات. فتاريخ هذا الكتاب مثير وملهم في حد ذاته. فقد ظهر في عام ١٩٣٧، إلا أنه لم ينشر في الولايات المتحدة. فقد نشر في إنجلترا، وبيع منه مائتي نسخة فقط والسبب في ذلك أن الكتاب قد قمع، لأنه كان خطيراً بالنسبة للشيوعيين. وكان ذلك العصر هو عصر سيطرة المفكرين الموالين للشيوعيين على المؤسسة الفكرية البريطانية. وهو ما يشابه اليوم نوع من السيطرة التي يدعوها أناس عديمين «بموالة إسرائيل»، مع أنني أعتقد بأنه مصطلح سيء، إلا أن الناس المنافون «بموالة إسرائيل»، فإنهم يسيطرون على أجهزة الاعلام والتعبير اليوم. فهم متشابهون في عدة نواحي. وقد نجحوا في منع كتاب أورويل من الظهور.

وقد ظهر الكتاب بعد عشرة سنوات، ظهر كناية للحرب الباردة لأنه كان معادياً للروس وقد تغيرت الأنماط أنه كان كتاباً مهماً حقيقة. واعتقد أنه كانت هناك أمور خاطئة معه، بيد أنه كان كتاباً ذو أهمية ودلالة حقيقتين. ومن المحتمل على الأقل أنه اشتهر كأعظم كتاب لأورويل من كتبه السياسية.

فأفضل كتبه من وجهة نظري هي ليست مهمة جداً. فعلى سبيل المثال، في عام ١٩٨٤، فقد كان ذلك الكتاب، في الواقع، من أفضل الكتب مبيعاً هنا، لأنه يمكن أن يفسر على أنه يشكل دعاية مناوئة لروسيا. بيد أنه، مع ذلك، يعتبر كتاباً سطحياً جداً بشكل رئيس. فأورويل قدم فيه تحليلات هجائية مركزة على المجتمع السوفيياتي المتواجد آنذاك. فالمجتمع السوفيياتي المتواجد وإرهابه قد وصف بشكل جيد من خلال التحليلات الواقعية التي ليست معروفة لدينا هنا، إلا أنها كانت موجودة بالفعل. وهناك أشخاص مثل ماكسيموف، المؤرخ الفوضوي، على سبيل المثال، قد قدم تحليلات مفصلة ممتازة

عن حقبةي الارهاب اللينينية والستالينية والتي تعود الى ايام الثورة البلشفية. لذلك، فلا حاجة لترجع الى (كتاب) أرويل لتكتشف ذلك. فقيمة أرويل الروائية هي من وجهة نظري لم يكن لها مساهمة كبيرة ولم تتقن جيداً ايضاً. كما ان الكتاب يتحدث عن انجلترا، وليس روسيا فحسب. فقد تحدث عما يمكن ان يتوقع ويحدث في الديمقراطيات (الدول الديمقراطية) الصناعية، وهو امر سيء جداً كتحقق، لم يحدث مع ذلك.

كما انني اعتقد بأنه قد نسي (التقنيات) الأساليب الرئيسة لتوجيه الفكرة ومبدأ التلقين أو التعليم في الديمقراطيات (الدول الديمقراطية). فعلى سبيل المثال، ففي انجلترا والولايات المتحدة فاننا لا نستخدم أدوات من أجل التوجيه أو ضبط الرواية الذي وصفه: كاستخدام بسيط لقوة مرئية بشكل عالٍ. فإنها ليست الطريقة المتبعة هنا لأعمال توجيه أو ضبط الفكرة في الرواية. فهي تعمل بطريقة أكثر حنقاً ونكاً، وبوسائل وأدوات أكثر فعالية، وهي الأنواع أو الأنماط التي كنا تحدثنا عنها. وقد نسي أو أهمل أرويل هذا تماماً.

ومن جهة أخرى، فإنه رجل مخلص وشريف. فقد حاول ان يفعل هذا، وغالباً ما نجح بذلك، في تحرير نفسه من أنظمة ضبط وتوجيه الفكرة، وفي هذه الناحية فإنه كان غير عابياً جداً وجدير بالثناء والتقدير جداً.

■ **ديفيد بارساميان :** يبدو أن برنارد كريك، كاتب السيرة الذاتية لأرويل، قد أيد وعزز ما تقوله بهذا الشأن. فقد أوحى بأن ذلك توفّر في مقالات أرويل الأفضل مثل «العمل القذر للامبريالية هو مشهور، و «السياسة واللغة الانجليزية».

نعوم تشومسكي: أوافقك على ذلك. فالأعمال المشهورة هي الأقل شأناً.

اسرائيل : مصدر قوة استراتيجية

جيفيد بارساميان : إن من اعظم المظاهر المثيرة للاهتمام للعلاقة ما بين الولايات المتحدة واسرائيل هي انه في هذا البلد يوجد اجماع فعلي للدعم الأميركي للسياسات الاسرائيلية. ولذكر مثال واحد على ذلك، فانه في شهر اذار ١٩٨٥ صرح السناتور دانييل انوي في صحيفة «نيويورك تايمز» بانه «لا يفهم لماذا الادارات الأميركية الواحدة تلو الأخرى، سواء كانت جمهورية أم ديمقراطية، تضع ثقلنا على اسرائيل. فإنني مقتنع بانه من مصلحتنا الوطنية التاكيد من استمرار اسرائيل قوية وقابلة للنمو والتقدم، وذلك لتمارس تأثيرها في تلك الجزء من العالم». وأضاف يقول، وهو يطلب المزيد من المساعدة لاسرائيل، «بأننا نلتقي أو نجني أكثر من المال الذي ندفعه». فاود ان تبحث بعض الافتراضات الواقعية الأخلاقية المتضمنة في تعليقات انوي حول اسرائيل ومن انها تمثل «أفضل مصلحة وطنية» بالنسبة لنا ؟

نعوم تشومسكي : أود أيضاً أن أعلق على كيفية «وضع ثقلنا على اسرائيل». فمذ عام ١٩٧٨ فإنهم حصلوا (في اسرائيل) على يتراوح ما بين الثلث الى نصف المساعدات العسكرية والاقتصادية الأميركية الاجمالية المقدمة للعالم الثالث. فذلك البلد ذو الأربعة ملايين نسمة، يكون من المدهش بأنه قد حاز على «ثقلنا».

فأعتقد بانه من الواضح ما كان يعنيه انوي، وهناك بعض المنطق في ذلك. فإسرائيل قد قدمت أنواع معينة من المصالح الأميركية، وإن المساعدة الأميركية لاسرائيل مرتبطة بشكل وثيق بالمفهوم الأميركي حول كيفية خدمة المصالح الأميركية. وما تريده الولايات المتحدة من اسرائيل هو أن تصبح متقدمة من الناحية الفنية، ودولة معسكرة دون أية استقلالية أو اقتصاد قابل للنمو، وتكون دولة يعتمد عليها. فنحن نبقى عليها في وضع بما يلائم نظام سياستنا المعتمدة على العنف، ذلك حتى يمكننا أن نستخدمها بما نطلق عليه اسم «مصدر القوة الاستراتيجية»، والذي يعني نوعاً من الهجوم المتعقب أو المطارد.

وهذا ما كان يطلق عليه حسب مبدأ نيكسون «بحارس الخليج». وأعني بذلك، كقوة

يمكن ان تستخدم إما كقاعدة لادارة عمليات القوات الاميركية او استخدام قواتها الذاتية في حالة حدوث أي خطر أو تهديد يهدد المصالح الاميركية في المنطقة. وان المصلحة الرئيسية تكمن في ضمان أن لا يكون هناك نمو وتطور لما نطلق عليه اسم «الوطنية الرأبكالبة أو المتطرفة». فالوطنبة الرأبكالبة هب مصطلح فني بعني القوب الوطنبة الالب لا طبعب الاوامر الامركبة.

وفي مقابل ذلك فإنه توجد «الوطنية المعتدلة»، والتي يقصد بها تلك التي تتبع الأوامر الأميركية. فالمصلحة الأميركية الرئيسية في المنطقة هي ليست إسرائيل بالطبع، وإنما مصادر الطاقة والتي تعود إلى ما قبل أربعين أو خمسين عاماً، وهي من أكبر وأرخص مصادر الطاقة في العالم. ونريد التأكيد بأنه لا يوجد هناك خطر محلي لهيمنتنا على تلك النظام.

وقد افترضنا في السنوات المبكرة من ان مصلحتنا الذاتية يمكن ان تحقق تلك النتيجة . ولكن على مر السنوات وازدياد، وبعد ان اصبحت العالم اكثر تعقيداً وتقلصت القدرة الاميركية على التدخل المباشر، فان الولايات المتحدة تحولت لايجاد بدائل اخرى. واصبح ذلك متبلوراً تقريباً في مبدأ نيكسون - كيسنجر، والذي يفسر ضمناً تماماً من ان الولايات المتحدة ستكون ملتزمة بالحفاظ على ما اطلق عليه كيسنجر بـ «الاطار الشامل للنظام»، بحيث ستتبع القوى الاقليمية اهدافها الخاصة ضمن هذا النظام. وعني ذلك النظام بأن تعارض القوى المحلية «دور الشرطي»، في حين يظل «مركز قيامة الشرطة» في واشنطن. فهذا هو مبدأ نيكسون - كيسنجر.

ومع اعتبار منطقة الشرق الأوسط على أنها منطقة حساسة الى حد كبير، وبشكل رئيس منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية، حيث توجد معظم ابار النفط فان المبدأ كان بأن تتولي كل من اسرائيل وايران تحت حكم الشاه بما كان يدعى حينئذ «بحراس الخليج». فتلك هي الأسس الرئيسية لهذا الدعم العسكري الأميركي الكثيف، والذي أصبح كنتيجة متتبا بها لتحول اسرائيل الى نوع من «اسبارطة»، وبشكل رئيس ازالة وضع مجتمعا القابل للنمو، وليصبح كقوة عسكرية ممخّرة لخدمة المصالح الأميركية في المنطقة. وبشكل متطابق، فانه من المتوقع أيضا أن تقوم اسرائيل بتقديم خدمات إضافية. ويعتبر هذا جزء من المقابل، أو ما يدفع لها.

لقد بدأ هذا في عقد الستينيات عندما بدأت اسرائيل توضع ضمن المفهوم السياسي الجغرافي الاميركي كمصدر قوة استراتيجية. ففي الستينيات، وبمساعدة ضخمة من وكالة للمخابرات المركزية، فقد تغلغل اسرائيل في القارة السوداء، افريقيا، ولصحة القوة الاميركية. فكانت، على سبيل المثال، القوة الرئيسة التي نجحت في اقامة النظام الديكتاتوري لحكم موبوتو في زائير. كما أنها ساندت عيدي امين في اوغندا في اوائل حكمه، وهيلاسيلاسي في اثيوبيا، والامبراطور بوكاسا في جمهورية افريقيا الوسطى، وآخرين غيرهم من الذين كانت تحاول الولايات المتحدة ان تركزهم وتستخدمهم من اجل جعل افريقيا كأميركا اللاتينية. فانشاء أنظمة عميلة يعتمد عليها، ويشكل عام لتكون كقواعد عسكرية، سيكون ذلك مضموناً بالسيطرة على المجتمعات المحلية.

وعلى نحو مزداد، فإن هذه الخدمات الثانوية تحركت في كافة الاتجاهات، وبشكل رئيس في اميركا اللاتينية. فخلال السبعينيات وتحت ضغط شعبي، فإن الكونغرس أقر قانوناً يتعلق بتقييدات حقوق الانسان مما قيد من محاولات الادارة الاميركية في دعم الأنظمة الديكتاتورية في اميركا اللاتينية. لذلك فقد كان عليها أن تتحرك، وعليه فقد استخدمت البدائل والتدخل الغير مباشر، وخاصة في ظل ادارتي كارتر وريغان. وكانت اسرائيل قادرة على انشاء علاقات وثيقة مع كل من النظامين الشبه نازيين في الجزء المخروطي الجنوبي من اميركا اللاتينية، وهما الأرجنتين وتشيلي. وكان ذلك ينصب في المصلحة الاميركية. إذ أنه كان على الولايات المتحدة تجنب الدعم المباشر لهما. فقد اعتمدت الولايات المتحدة في اميركا الوسطى على الأرجنتين بشكل رئيس، ولكن وعلى نحو مزداد، ومؤخراً بشكل رئيس، فقد اعتمدت على القوى الاسرائيلية لمساندة الهجومات التصفية للسكان الهنود في غواتيمالا، او لإرسال السلاح الى السلفادور وهندوراس لدعم ثوار الكونترا، وهذان مثالان حيان على ذلك.

فهذه هي قصة طويلة ويشعة، وانها مظهر ثانوي للخدمات التي من المتوقع ان تقدمها اسرائيل لنا. فكل هذا مثبت في السجل العام. وإذا ما تصورنا عما هو موجود في السجل السري، فإن للولايات المتحدة قوات عسكرية تقليدية مخصصة لمنطقة الخليج. انها تدعى بقوات القيادة المركزية. وعرفت باسم قوة الانتشار السريع. فإذا ما

حدثت أية تطورات أو تحركات وطنية في المنطقة، فإننا نتدخل سريعاً. بيد أننا بحاجة لنظام تمرکز من أجل ذلك، لذلك فلدینا الآن نظام تمرکز قوات متین جداً یمتد من ترکیا و یحیط بكافة المنطقة وحتى المحيط الهندي. ومع أنه لا توجد هناك وثيقة أو سجل رسمي لذلك. فإنه من التضمن، وشبه المؤكد، من أن اسرانیل تعتبر كجزء مركزي لنظام التمرکز هذا.

وان الكثير مما قلته للتو ليس واضحاً فحسب من طريقة التاريخ المستنبط وانما ما عبر عنه في السجلات الغير رسمية. فعلى سبیل المثال، فانك ترى كيف أن العلاقات الاميركية مع اسرانیل قد تغيرت على مدى السنوات. ففي اوائل الخمسينات فانها كانت فاترة نوعاً ما ومتنازعة. فقد امرنا اسرانیل في عام ١٩٥٦ بالانسحاب من سیناء بعد الهجوم على مصر، و يعود السبب في ذلك لانها هاجمت مصر بالاشتراك مع فرنسا وانجلترا. فقد كنا حينذاك نشير الى كل من فرنسا وبريطانيا على انهما عدوتان رئيسيتان لنا بشكل رئيس. فقد كانتا تحاولان استعادة الموقع أو المركز الذي كنا قد طریناهما منه، لاننا اربنا السيطرة على المنطقة بأنفسنا. واسرانیل، في هجومها على مصر بالاشتراك معهما، فانها كانت تتأمر بصورة رئيسة مع العدو، لذلك فقد طریناهم من هناك. وفي مطلع الخمسينات، فإنه لم يكن واضحاً على الأقل، من كانت ستستخدم الولايات المتحدة كقواعد لقوتها الاقليمية.

وكان هناك بعض الدعم من أجل استخدام الرئيس المصري انذاك، جمال عبد الناصر، لهذا الغرض. فقد كان هناك بعض الدعم لناصر من قبل وكالة المخابرات المركزية وقتذاك. إلا أنه في منتصف الخمسينات، أصبح واضحاً تماماً من أن ناصر كان يسير في الطريق الوطني الراييكالي (الثوري). وبذلك، فإنه لم يكن لیتبع الاوامر الاميركية، وبدأ النفوذ الناصري يتشتر في كافة أنحاء المنطقة. وبحلول عام ١٩٥٨ خلصت مذكرة لمجلس الامن القومي تتعلق بمنطقة الشرق الاوسط الى أنه «كفتيجة طبيعية منطقية» من أجل مواجهتنا للحركة القومية العربية الراييكالية فلا بد من دعم اسرانیل كقوة مساندة للغرب وموثوق بها في المنطقة.

وازداد ذلك خلال عقد الستينات. فقد اعتبرت الاستخبارات الاميركية اسرانیل على انها عائق امام «الضغط الوطني» - الضغط الناصري - في شبه الجزيرة العربية، وكان

يوجد هناك نوع من الحرب التوكيلية في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ما بين مصر والسعودية. واعتبرت اسرائيل كعرق واقٍ لحماية المنطقة التي تسيطر على منابع النفط ومساعد للولايات المتحدة. كما ان انتصار اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧، والتي اظهرت في الحقيقة بانها كانت قوة عسكرية مهيمنة بشكل غامر في المنطقة، ومؤكدة قيمتها كمصدر قوة استراتيجية. فالولايات المتحدة قد ساندت اسرائيل بالتأكيد في تلك الحرب وقد تكون اشتركت فيها فعلياً. فهناك دليل على ذلك. وقد ساندت اسرائيل بالتأكيد.

وعند ذلك الحد، فإن المساعدة الأميركية لاسرائيل قد ازدادت بشكل واسع، وبيت كما تحقق من تلك السناثور أنوي وغيره بأن هذا يمكن ان يشكل قوة عسكرية ذات قيمة. وقد قامت اسرائيل باداء انوار ناجحة كنا بحاجة ماسة ويائسة لأدائها. وقد صيغ في تلك الوقت، في حقبة السبعينات، مبدأ نيكسون ضمنيّاً، وكان دور اسرائيل فيه متعلق بالخليج تقريباً. عندما سقط الشاه في عام ١٩٧٩، فقد فقدت معه ايران دورها، وتركت اسرائيل كقاعدة عسكرية وحيدة موثوق بها في المنطقة من قبل الولايات المتحدة. وانهمرت المساعدات الأميركية على اسرائيل ثانية.

وقد رعيانا في تلك الوقت بما يدعى هنا «بعملية السلام»، والتي هي نوعاً من مصطلح اريول، والتي تشير الى حقيقة اننا اسمنا نظاماً خرجت بموجبه مصر تماماً من النزاع، وذلك من خلال اتفاقات كامب ديفيد. وكان اللقصد والنتائج لتلك السياسة هي ترك اسرائيل لتوسع وتكثف احتلالها للأراضي المحتلة، وايضاً لتهاجم جارتها الشمالية دون اي قلق من وجود قوة رابعة. وذلك بالضبط ما حدث ابتداء من عام ١٩٧٨. فقد حدث الغزو الاسرائيلي الاول للبنان في عام ١٩٧٨. وازداد توسع الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة بصورة مضطربة. وواصلت اسرائيل للهجوم على لبنان، ففي عام ١٩٨٢ غزتها مباشرة، ونحن نعلم ما كانت نتائج ذلك في حينه. فكل هذا كان متوقعاً ومباشراً تماماً نتيجة «لعملية السلام»، في كامب ديفيد. وهو ايضا يعتبر جزءاً من النظام ككل لتحويل اسرائيل الى دولة عسكرية.

ومن المحتمل، فهي تعتبر لغاية الآن كأكبر مجتمع عسكري في العالم. ومن المحتمل ايضاً انها من اكبر الدول المدينة في العالم. فوضعها الاقتصادي، على سبيل المثال،

ينعكس في بيوتها الموزعة مع البنوك الدولية، وحتى مع وجود مساعدات أميركية ضخمة. مع انها تجتاز نوعاً من التحولات الداخلية بازدياد، تغييرات ثقافية وحضارية وغيرها، والتي تنحرف عن هذا الكم من الدين. وهذا متعلق بالسبب الذي من أجله قد اعاققت الولايات المتحدة بإحكام أي إمكانية لتصوية سياسية. فقد كانت هناك عدة إمكانيات، على الأقل منذ عام ١٩٧١، من أجل التوصل إلى تصوية سياسية سلمية. إلا أن الولايات قد اعاققتها جميعاً باصرار، لأن ذلك سيتطلب أن تكون إسرائيل عنصراً مسالماً في المنطقة وتعالج مسائلها دبلوماسية وليس بواسطة العنف، ونحن لم نقبل بذلك. فهذا لم يكن بالدور الذي أريتنا أن تلعبه إسرائيل.

وكل هذا قد وثق بشكل سهل جداً علمياً. فقد كتبت بشأنه، وهناك عدد وافر من المقالات بهذا الخصوص، إلا انها قد كُتبت وشوهت تماماً في الروايات الرسمية. فنحن نتحدث عن «عملية السلام» و«بحث إسرائيل عن السلام»، الخ. فهذه هي القصة الحقيقية. فكم يفهم السناتور أنوى عملياً عما يتحدث بشأنه، لا أعرف ذلك. إلا أن الأشخاص الذين يخططون فعلياً فانهم يفهمون هذا بالتأكيد، وهذا يتضمن فهم الدور الاستراتيجي لإسرائيل في المنطقة، والذي يعتمد على نوع المساعدة الوافرة بل الخاصة التي نقدمها لها، والتي تكفل الحفاظ عليها كقوة عسكرية وأن تبقى على وضع مواجهة عسكرية في المنطقة، والذي يعتبر جزءاً من هذا الأمر ككل.

■ سؤال : في الحقيقة، فإن عملية كامب ديفيد قد دخلت مجال الاسطورة الشعبية. فقد نالت جائزة نوبل للسلام واحتفلنا بها كنموذج، كعربة حقيقية لتسوية النزاع العربي - الإسرائيلي. وقد قال السناتور جون كيري، في يناير في ١٦ آذار ١٩٨٦، بأنه كان يفضل دعوة إلى عملية كامب ديفيد. فلماذا وضعت كامب ديفيد كنموذج ثابت ؟

جواب : إن هذا مؤشر للفعالية المدهشة لنظام التلقين الأميركي. فدعنا نستذكر بأن كامب ديفيد كانت عبارة عن اتفاق أو معاهدة انسحبت إسرائيل بموجبها من سيناء، وأحلت محلها قوات أجنبية، ومن ضمنها قوات أميركية، وذلك لضمان بأن لا تكون منطقة مواجهة عسكرية. وهذا، في الواقع، أخرج مصر من النزاع. وهذا الأمر الذي

انجز في كامب ديفيد، هو إخراج للقوة العسكرية العربية الرئيسية من محور النزاع. فهذا الإخراج، الذي أراوه، يعني بأنه لا توجد هناك قوة رابعة لإسرائيل من أن تفعل ما تريده. وما جرى بعد ذلك فقد كان واضحاً: التحرك باتجاه الاستيلاء وضم الأراضي العربية المحتلة والتحرش بالحدود الشمالية لإسرائيل، والتوسع باتجاه الشمال. وقد استمر القيام بذلك لغاية ما عانت إسرائيل من هزيمتها العسكرية الأولى في الآونة الأخيرة وعلى أيدي المقاومة اللبنانية. فلغاية تلك النقطة فإن الأمر كان عبارة عن توسع منتظم باتجاه الشمال. وأضمان ذلك، فإنهم قاموا بذلك بفعالية، وقمنا بدورنا بزيادة للمساعدة العسكرية بشكل مكثف لإسرائيل في نفس الوقت، في عامي ١٩٧٨ - ١٩٧٩. وكما نكرت للتو، فإن سقوط شاه إيران كان يشكل عنصراً جانبياً، مما ترك إسرائيل كحارس وحيد موثوق به لأمن الخليج. واستلزمت عملية السلام مساعدة أميركية بنسب وافرة. ففي عام ١٩٧٩ وصلت المساعدة الأميركية لإسرائيل إلى حد خمسين بالمائة من إجمالي المساعدات الأميركية الخارجية. فما كان يجول في فكر إدارة الرئيس كارتر، فإنه لا توجد لدي أي فكرة حول ذلك، إلا أنه من الواضح لأي شخص عقلائي، بأنه إذا ما حررت إسرائيل من أية قوة رابعة وذلك بإزالة القوة العسكرية العربية الرئيسية في المنطقة، وإذا ما وفرت لها مساعدة عسكرية وافرة، فعندئذ ستهاجم بفعالية.

فالمساعدات الأميركية لإسرائيل، بالمناسبة، هي غير معينة أو مخصصة. ففي حالة أي مساعدة أخرى حسب برنامج المساعدات فإنه يتطلب وجود مؤشرات معينة لما يمكن أن تستخدم من أجل تلك المساعدة. وغالباً ما تستخدم من أجل شراء منتجات أميركية أو ما شابه ذلك. وفي أية حال، فإنها أيضاً تراقب ويشرف عليها مباشرة. فبالنسبة لحصر، على سبيل المثال، والتي تعتبر ثاني أكبر دولة تتلقى المساعدات الأميركية، فإنه يرسل إليها فنيون ليشرفون على كيفية إنفاق المساعدة وللتأكد من أنها تستخدم في المشروع المطلوب الاستفادة منه وحسب رغبتنا. أما بالنسبة لإسرائيل، فإن وضعها فريد من نوعه، فمع أن المساعدة تكون مرتفعة جداً وغير قابلة للتصديق، فإنه لا يشرف عليها أحد. وإنما تكون على شكل نقد مدفوع. ونقول لهم، افعلوا بها ما يحلو لكم. فاستخدموها من أجل استيطان المناطق المحتلة، واستخدموها من أجل الهجوم على لبنان، الخ. فهذا ما كان قابلاً للتوقع تماماً، وعلاوة على ذلك فإنه ما يحدث بالضبط.

فحتى الناس الذين لا يمكنهم ان يروا ذلك في حينه فإن يوسعهم ان ينظروا للوراء ويرى بان ذلك قد حدث. فالتوسع في الاراضي المحتلة، والذي استمر لمدة عشر سنوات في تلك الناحية، فانه لزداد حينئذ بصورة مضطربة جداً. كما ان عملية القمع قد ازدادت في الاراضي المحتلة. والاحتلال العسكري، والذي كان قاسياً نوعاً، قد أصبح وحشياً اكثر فالكثير وخصوصاً في عامي ١٩٨١، ١٩٨٢. كما هاجمت اسرائيل لبنان. وغزته في عام ١٩٧٨. وكان هناك قصف كثيف خلال عام ١٩٧٩ ضد لبنان، وأحدث مئات وربما الاف القتلى من الناس. وخرقت اسرائيل وعلى نحو متكرر وقف إطلاق النار، لتباشر بالهجوم على لبنان. ففي شهر تموز ١٩٨١، وفي حالة هامة، فان الطائرات الاسرائيلية خرقت وقف إطلاق النار، وهاجمت لبنان. وكان الرد في ذلك الوقت عبارة عن هجوم بالصواريخ الخفيفة، ومن ثم تنتقم اسرائيل بالهجوم وتصف بيروت، لتقتل عدة مئات من الأشخاص. ويكون بعد ذلك رداً أكثر كثافة بالصواريخ ضد الجليل الشمالي، ومن ثم يحدث قصف اسرائيلي أكثر كثافة وأشد. وأوقف ذلك أخيراً من قبل وساطة أميركية في أواخر شهر تموز من ذلك العام. وعند وقف إطلاق النار، فإن النتيجة كانت مقتل (٤٥٠) عربي وستة اسرائيليين فقط، والتي هي تعتبر نسب عادة تعكس توازن القوة. فالشيء الوحيد الذي ينكر من كل هذا هو ان الصواريخ قد أطلقت على شمال الجليل. فهذه ما كانت تفيد به التقارير، وهي يوماً توضع كمبرر لاسرائيل من اجل الهجوم على لبنان. نعم، فالصواريخ تطلق على شمال الجليل رداً على القصف الاسرائيلي الكثيف والذي يتسبب في قتل مئات المدنيين. وبعد ذلك التزمت منظمة التحرير بوقف إطلاق النار بشكل دقيق؛ فلم يحدث أي هجوم عبر الحدود اللبنانية لمدة إحدى عشرة شهراً أو نحو ذلك. أما اسرائيل، من جهة أخرى، فقد حاولت على مدى تلك الفترة، ١٩٨١-١٩٨٢، بان تثير بعض العمل من قبل المنظمة، والذي يمكن ان يستغل كاستفزاز مزعوم، أو كترية من اجل شن هجوم أوسع على لبنان، والذي بدأوا التخطيط له في تموز ١٩٨١.

ومرة ثانية، فقد أصبح هذا الأمر متباً له تماماً. فالصحافة الأميركية لم تستطع او تظاهرت بعدم قهرتها على رؤية ذلك، إلا انه كان أمراً واضحاً في ذلك الوقت. فخلال عامي ١٩٨١، ١٩٨٢، فانه كانت هناك استفزازات اسرائيلية متكررة، بما فيها قصف المدن اللبنانية، ذلك لإثارة نوع من العمل ضدها، ربما قصف الشمال أو شيء من هذا

القبيل، مما يمكن معه عنئذ من استخدامه كنزعة من أجل غزو لبنان والذي خططوا له من قبل. وعندما لم يمكن إيجاد أية نزعة، فإنهم ببساطة اخترعوا واحدة من عندهم، وغزوا لبنان في حزيران ١٩٨٢. وقد حصلوا على دعم اميركي كامل بهذا الشئ. هذا ما كان بالنسبة لحرب لبنان.

وبعد ذلك، حاولوا ترسيخ وضعهم في جنوب لبنان، مما أوجد معه وجود مقاومة في الجنوب اللبناني. وهي ما دعوها وأطلقوا عليها اسم «الارهاب». كل ذلك كان نتيجة لعملية السلام في «كامب ديفيد». ومن المدهش أن هذه الحقائق الأساسية لم يمكن فهمها من قبل جهازنا الاعلامي. وهذا مماثل للاتحاد السوفياتي، كما اعتقد، ففي ذلك يتظاهر جهاز اعلامه او حتى لا يمكنه أن يرى أن الاتحاد السوفياتي متورط في عملية قمع شديدة في أوروبا الشرقية ومحتل لأفغانستان. فهم لا يمكنهم رؤية ذلك، او حتى على الأقل لا يمكنهم قول ذلك. وعلى نحو مقارن، فنحن لا نرى او لا يمكننا القول بأن هذه الأمور موجودة هنا. ويجب أن أنكر بأن المرء يمكنه أن يصل، أو أي مراسل صحفي يمكنه أن يصل، ما هو موقف السكان المحليين في الأراضي المحتلة؟ فنحن نعلم، على سبيل المثال، بأن هناك استفتاءات تتعلق بعملية سلام كامب ديفيد تقوم بها اسرائيل. وقد تبين أن غالبية السكان، أكثر من تسعين بالمائة منهم، اعتبروا عملية سلام كامب ديفيد على أنها ضارة بمصالحهم. وهذا واضح من الأسباب التي نوقشت او طرحت سابقاً.

وتعليق أخير على كامب ديفيد هو أن ذلك الشئ الذي يتعلق بعملية السلام، من أنها محاولة متماسكة، والتي قد أعاققتها الولايات المتحدة، من جانب الدول العربية والأوروبية لاستهلال عملية سلام حقيقية. وبدأ هذا بوضوح في شباط ١٩٧١، عندما قدم الرئيس المصري آنذاك، أنور السادات، لاسرائيل تسوية سلمية كاملة. ولكن لم يكن هناك شيء في عرضه يخص الفلسطينيين تماماً، فقد تجوهموا ببساطة. وكانت التسوية السلمية الكاملة تلك، هي الاعتراف بحدود ما قبل عام ١٩٦٧ بولياً، وتكون هناك ضمانات أمنية مع الحدود المعترف بها، الخ. ورفضت اسرائيل هذا الاقتراح لأنها أرادت الاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة وكانت تتولى الحكم في اسرائيل وقتذاك حكومة عمالية حمائية. وساننتها الولايات المتحدة في رفضها ذلك. وظل هذا ثابتاً لغاية

اليوم. فعلى سبيل المثال، فقبل حوالي سنة تقريباً قدم ياسر عرفات لاسرائيل عرضاً باجراء مفاوضات تؤدي الى اعتراف مشترك. وبالطبع، فقد رفضت اسرائيل ذلك على الفور. وحتى ان الولايات المتحدة لم تزج نفسها بالرد. وقد كبت هذا الامر في وسائل الاعلام الاميركية فعلياً. وكأنه لم يكن موجوداً اليوم. وفي خلال ذلك كانت هناك حالات عديدة حيث عملت الولايات المتحدة على سد وإعاقة عروض السلام في الأمم المتحدة، والتي قدمتها كل من سوريا، الأردن، مصر، ومنظمة التحرير الفلسطينية، التي دعت الى سلام مبني على وجود دولتين، فلسطينية واسرائيلية. فكل واحد يدرك بأن هذه هي التسوية السلمية الوحيدة، والتي تضمن حدوداً معترف بها، الخ. وعلى نحو متكرر، وعلى مدى السنوات، فإن الولايات المتحدة قد رفضت قبول أي عرض أو اقتراح حقيقي للسلام. لذا، فإن هناك شيئاً ما من الممكن أن نطلق عليه «عملية السلام»، باستثناء أنها أجهضت من قبل الولايات المتحدة، ورفضت بالطبع من قبل اسرائيل على نحو مستمر. فإنه أمر خارج عن نطاق التاريخ، فهو غير موجود. فعلى سبيل المثال، عندما أوردت صحيفة «نيويورك تايمز» انباء عن تاريخ جهود السلام، كما فعل ذلك توماس فريدمان، مراسل الصحيفة في القدس، قبل بضعة أيام، فإنه لم ينكر هذا بتاتاً، انما بقي شيئاً في الذاكرة. فالشيء الوحيد الموجود على الأجندة الاميركية هي معاهدة كامب ديفيد، والتي ندعوها بعملية السلام، والتي هي في الحقيقة عبارة عن عملية حرب.

■ سؤال : لقد قلت بأن الولايات المتحدة واسرائيل قد وقفنا واعاقنا طريق السلام او اجراء تسوية بولية، وعلى اسس عنصرية بشكل اساسي. فمع انهما يعترفان بحق اسرائيل لكون بولة قومية، ولليهود بشكل رئيسي، فإنهما لا تقبلان او تعترفان بحق متوازن للسكان المحليين. لماذا ؟

جواب : اعتقد بأن الموقف الاميركي هو عنصري بشكل متشدد، فلا مجال للتساؤل حول ذلك. فهناك مجموعتان وطنيان موجودتان الآن، وتدعي كل منهما بحق تقرير المصير الوطني فيما كان يدعى بفلسطين سابقاً: فهناك السكان المحليون، الفلسطينيون، وهناك المستوطنون الذين يحلون محلهم بشكل جزئي، وهم بشكل رئيس من المهاجرين اليهود. فنحن قبلنا واعترفنا بأن أي تساؤل بحق المهاجرين اليهود في تقرير المصير

الوطني في فلسطين، ولذلك فقد دعمنا اسرائيل بشكل جلي كتعبير عن تلك الحق الوطني. ومع ذلك، فقد انكرنا حقاً موازياً للسكان المحليين، الفلسطينيين. فموقفنا الراهن، على سبيل المثال، هو أننا وافقنا فقط على التحدث او مناقشة الفلسطينيين، السكان المحليين، إذا لم يكونوا مرتبطين بمنظمة التحرير الفلسطينية. فممنظمة التحرير هي بوضوح المنظمة التي يعترفون على أنها تعبر عن حقوقهم الوطنية. فلا يوجد هناك شك بهذا. وبالرجوع الى تلك الاستفتاءات الاسرائيلية التي تجرى، فإن حوالي (٩٨) بالمائة من السكان في الأراضي المحتلة يدعون الى اقامة دولة فلسطينية مستقلة، فهذا ما يريدونه. وفي اخر استفتاء أجرته اسرائيل، فإن (٨٦) بالمائة منهم رغبوا بأن تتولى امورهم منظمة التحرير فقط، أما الآخرين منهم فقد رغبوا بأن تدير المنظمة الامور بشكل كبير. وكان هذا الشيء ذاته بالنسبة لفلسطينيي المهجر. وكان ذلك دعماً أقوى من الدعم الذي تلقتة المنظمة الصهيونية من اليهود في عقد الأربعينات.

وفيما لو ان حكومة الولايات المتحدة قد قالت نعم في الأربعينات، فإننا كنا سنكون راغبين بالتحدث مع اليهود حول فلسطين، ولكن فقط اذا لم يكونوا مرتبطين بالمنظمة الصهيونية، وبالطبع عدم السماح لانشاء اية دولة يهودية، والتي ستعتبر كدولة عنصرية. ويجب علي القول بأن العالم اليهودي كان منقسماً بشأن هذه المسألة. فبرفض التحدث مع منظمة التحرير اليوم هو كاتخاذ نفس الموقف. ومرة ثانية، فمن اللافت للنظر ان التفسير الأميركي لا يمكنه فهم العنصرية الغير عادية لهذا الموقف.

فهذه العنصرية ظاهرة وجلية في أي مكان اخر ايضاً. فلنأخذ الطريقة التي نتصرف بها بالنسبة لما يحدث اليوم في جنوب لبنان. فالتفسير الأميركي يعتبره شريعياً تماماً بالنسبة لجيش الاحتلال لاسرائيلي لأن يستخدم العنف لقمع المقاومة. ففي الواقع، فإنه حتى ان تلك يدعى أحياناً «بالارهاب مقابل الارهاب»، الأمر الذي يجعله تعبيراً مثبطاً. فهذا انطبق على المنظمة التي انشئت من قبل الجستابو لمهاجمة المقاومة الأوروبية. فقد استخدمناه نون أي وخز ضمير للإشارة الى ما يجري في جنوب لبنان، بل أننا ندعاه. وحتى عندما وصل الأمر الى حد قتل مراسلي شبكة سي.بي.إس من قبل الاسرائيليين، فإن الرئيس (الأميركي) ظهر على شاشة التلفزيون وقال: «انه شيء رائع تماماً، فهم يقومون بذلك دفاعاً عن النفس». ولم يكن هناك أي تعليق على ذلك في الصحافة.

ولنأخذ التفسير أو الظاهرة التي أجبرت اسرائيل على الانسحاب من جنوب لبنان: والذي فرض من قبل المقاومة المحلية. فقد كانت هناك قصصاً مزعجة في وسائل الاعلام حول النتائج السيئة لسكان الجليل الشمالي، الذين تعرضوا ثانية للقصف الصاروخي من الاراضي اللبنانية. فالحدود كانت هائلة تماماً لمدة سنة قبل الهجوم الاسرائيلي، وكان القصف الصاروخي، كما نكرت، انتقاماً على الغارات الاسرائيلية. فقتل العرب يعتبر امراً شرعياً تماماً، في نظر اسرائيل. فاسرائيل قتلت العشرات، وربما المئات من السكان المحليين اللبنانيين، بما تدعيه وتطلق عليه اسم عمليات «القبضة الحديدية». وشمل هذا القيام بأعمال ارهابية حقيقية مثل قصف المستشفيات، وإبعاد الأشخاص الذين كانوا يحاولون التبرع بالدم للجرحى من جراء الغارات الاسرائيلية، والاعتداء على مدير المستشفى، انها بريرة حقيقية. وهذا ما يعتبر شرعياً، بنظر اسرائيل. فانه من حقهم استخدام القوة العسكرية في بلد آخر لقمع السكان المحليين.

ومظهر آخر لنفس العنصرية يظهر تماماً وبصورة دراماتيكية في موقفنا الدبلوماسي، ورفضنا الاعتراف بأن للسكان المحليين (الفلسطينيين) حقوقاً قد وافقنا عليها واعترفنا بها للمستوطنين اليهود الذين هاجروا لاسرائيل. حتى انه وصل الامر الى حد ان هناك في الولايات المتحدة تظاهراً من انه لا يوجد سكان محليين. فضلاً عن ان هناك حادثة مضحكة حدثت قبل مدة تتعلق بكتاب مخادع تماماً بعنوان (منذ الوقت السحيق) لمؤلفه جوان بيترز، والذي أصبح اكثر مبيعاً في الولايات المتحدة. وقد مدح على نطاق واسع هنا، في الولايات المتحدة. فالكتاب يدعى انه لا وجود للفلسطينيين.. إنه كتاب تلفيقي يحتوي على اكايب وتشويهات للحقائق. وما ان سمع ناشروه بنشره في بريطانيا حتى ارتكبوا خطأ تكتيكياً، حيث ان رجال الفكر هناك هم على اطلاع ببواطن الامور، فأحدث ضجة على الفور وبينت عمليات استعراضه وتحليله مدى الأخطاء والتلفيقات للسخيفة التي احتوى عليها الكتاب. إلا ان الكتاب قد قبل واقي استحساناً هنا في الولايات المتحدة، وأخذ على أنه حقيقة انجيلية، لانه يقول ما نريده ونرغب به. فاذا لم يكن الفلسطينيون موجهون، فان هذا يبرر مراقبتنا العنصرية تجاههم.

■ سؤال : يصانف في حزيران من كل عام نكرى عملية «سلامة

الجليل» غزو اسرائيل للبنان، فماذا انجزته اسرائيل في لبنان ؟

جواب : إنها انجزت الشيء الضئيل تماماً. فالهدف الرئيس لاسرائيل في لبنان قد كشف عنه من خلال بياناتها. فعلى سبيل المثال، فقد أشار رئيس وزرائها بأن اسرائيل تواجه أو كانت تواجه خطراً حقيقياً في لبنان قبل عام ١٩٨٢. ومن ثم مضى يفسر ذلك على أنه لم يكن خطراً عسكرياً ولكنه خطراً سياسياً، ذلك أن منظمة التحرير كانت تلتزم تماماً بوقف إطلاق النار، وكانت تزيد من محاولاتها لوضع الأسس من أجل إيجاد تسوية سياسية للمشكلة الفلسطينية. وكان ذلك يشكل خطراً، لأنه إذا ما كان هناك حلاً أو تسوية سياسية، وإن يعترف بالفلسطينيين كشركاء في القضية، فإن اسرائيل عندئذ لن تكون قادرة على الإبقاء على سيطرتها على الأراضي المحتلة، وإن عليها أن تنخرط في تسوية سلمية في المنطقة، وهو الأمر الذي لا تريده. لذلك فقد كان هناك خطراً سياسياً على اسرائيل، كما أشار شامير الى ذلك. وكان لأحد الهجائين الاسرائيليين المشهورين، وهو ب. ميشيل، مقالاً صحيحاً كتبه بعد بيان شامير الذي أورد فيه: «شكراً لله لأنه لا يوجد هناك أحد يتحدث اليه». فقد نجح الاسرائيليون في إزالة التهديد أو الخطر السياسي. فالهجوم على الفلسطينيين، الذي قصد منه تدمير المجتمع الفلسطيني المنظم، كان هذا هو الهدف من حرب لبنان أو عملية «سلامة الجليل»، وقد نجح. فقد دمر المجتمع الفلسطيني المنظم، وهمشت منظمة التحرير الفلسطينية بعض الشيء، وقلص خطر التسوية السياسية.

لقد كان لاسرائيل أهدافاً أخرى أيضاً، وبشكل رئيس من أجل الهيمنة على لبنان ولقائمة هناك بما يدعى «بالنظام الجديد»، والذي يقصد منه وجود نظام عميل مركّز على الجناح اليميني هناك وهذا ما كان يدعى في يوم ما بخطة شارون، أما الآن فقد شجبه الاسرائيليون لأن شارون كان فظلياً جداً. بيد أنه يجب التنكر من أن الخطة كانت تسيّر بنجاح، في أواخر شهر آب ١٩٨٢، وبعد القصف الوحشي للعنف لبيروت وتدمير جنوب لبنان، لأن الدعم الشعبي له في اسرائيل كان واسعاً. فمسانده الليكود، وبالأخص بيغن وشارون وصلوا الى نسبة (٨٠) بالمائة، وكانت هذه سابقة لا مثيل لها تماماً من قبل في اسرائيل. وكان فقط عندما بدأت الخطة بالسقوط جانباً عندما نشأت المعارضة لها. فلقد كانت خطة كبيرة، وتهدف بشكل رئيس لانشاء دولة عميلة مبنية على العناصر اليمينية المسيحية والمسلمة في لبنان. إلا أن ذلك قد فشل. فقد كان

الاسرائيليون غير قاضين على القيام بذلك. ولعدة أسباب، من إحداها هي المقاومة الكثيفة في الجنوب اللبناني. وفي الحقيقة، ففي الجنوب، عانت اسرائيل من هزيمتها العسكرية الاولى. فقد اجبرت بواسطة المقاومة المحلية من الانسحاب جزئياً من جنوب لبنان. فلا اعتقد بلته كان في نيتها حقاً الانسحاب من هناك. فما كان ينبغيهم ان يفعلوه هو الاحتفاظ بجنوب لبنان قدر الإمكان، إلا أنه لم يكن بوسعهم ذلك، بسبب مقاومة السكان المحليين. ولكن سيفعلون ذلك ثانية. فمن الممكن أن تكون هناك تحركات باتجاه تفريغ الجنوب اللبناني من السكان إذا ما دعت الضرورة، كما فعلوا ذلك على طول وادي الأردن في أواخر الستينات. فسيبقوا على موطنهم هناك، كما اتخيل ذلك، على الأقل، إذا ما دعمتهم الولايات المتحدة.

■ سؤال : هل يمكنك التحدث عن المشاكل التي تبحث في السياسات الاسرائيلية في الولايات المتحدة دون أن توصف «باللاسامية»؟ فانت، على سبيل المثال، غالباً ما تتحدث عن ذلك، والفت عدة كتب في هذا المجال. وهل واجهت شخصياً أية صعوبات في هذا الصدد؟

جواب : لا يمكن أن أوصف «باللاسامية»، لأنني يهودي، لذلك فانه يوجد هناك وصف آخر يستخدم. وهذا يستخدم من قبل أناس يدعون أنفسهم «بمؤيدي اسرائيل». وهم فعلياً أعداء حقيقيين لاسرائيل. فهم يساندون تطوير ما أصفه، بنمو المجتمع العسكري الغير قابل للنمو والحياة، والمنجرف باتجاه الحرب المحقة للمصالح الأميركية. وهذا ليس دعماً لاسرائيل في أي معنى مفيد. والناس الذين يدعون أنفسهم «بداعمي اسرائيل»، يتكونون من فئتين. فئة «معادية للسامية»، والأخرى فئة «البغض الذاتي اليهودي». وهذا يثير اهتمام أي واحد. فإما أن تكون معادياً للسامية، أو أن تكون يهودي ذا بغض ذاتي، إذا لم تتبع خط الفريق بشكل ثابت.

وانطلقت هذه التكتيكات بشكل واسع، لذلك فانه لم تتبن الدوائر الاسرائيلية اليمينية المتطرفة، أو الذين يؤيدون اسرائيل هنا ذلك الموقف، وانما أيضاً، هناك أناس مثل أبا اييان وهو من حمانم حزب العمل، والذي بين ضمناً من أن مهمة الدعاية اليسارية الاسرائيلية هي لتوضيح أو لجعل الأمر واضحاً من أن أي انتقاد لاسرائيل هو إما أن يكون معادياً للسامية أو موقف يهودي البغض الذاتي. وفي الولايات المتحدة هناك جهاز

فعال من التخويف والترهيب قد طور لإسكات النقد. فدعني أقدم لك مثلاً واحداً فقط : فلنأخذ عصابة مكافحة التشويه والافتراء التابعة لمنظمة بني بيرث، والتي اشتهرت كمنظمة للمحافظة على الحقوق المدنية (اليهودية).

إنه أمر مضحك. فهي فعلياً منظمة مكرسة لمحاولة تشويه وتخويف وإسكات الناس الذين يتقنون السياسات الاسرائيلية الراهنة، مهما يكونون. فعلى سبيل المثال، فقد تلقيت انا بنفسى، ومن خلال تسريته في مكتب انجلترا الجديدة لرابطة مكافحة الافتراء والتشويه، نسخة من ملفي هناك. وكانت محتوياته التي شملت على مائة وخمسين صفحة، وهو مثل الملف الموجود لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي، ومذكرات مكتبية تحذر من أنني أنهب الى هنا وهناك، ومراقبة الأحاديث التي ألي بها، والتعليقات ونسخ مزعومة من الأحاديث. وهي على الأغلب مزيفة لأن الناس لم يسمعوا بها أو لا يمكنهم فهمها. وكانت هذه المادة تعمم وتوزع. فإذا ما نهبت لأبلي بحديث في مكان ما، فإن هذه المادة ترسل الى مجموعة محلية والتي تقوم باستخدامها من أجل استخراج مادة تشويهية أو افتراضية، والتي عنئذ توزع وتعمم، وغالباً ما تكون على شكل نشرات غير موقعة، توزع خارج المكان الذي تحدث فيه.

وحدث مرة أن حصلت على إحدى هذه المواد أو النشرات، عندما أرسلت الى استاذ القانون في جامعة هارفارد آلن بيرشويتز، الذي كنت أحضر وياها من أجل تقديم مداولة أو مناقشة بعد بضعة أيام، وذلك حتى يمكنه أن يستنبط من هذه النشرات مادة تشويهية ملفقة من قبل جهاز مراقبة رابطة مكافحة التشويه والافتراء. وهذا بالضبط ما فعله بالحقيقة. فهذا هو نموذج الطريقة التي يتبعونها. وإذا ما كان هنالك أي تعليق في الصحافة، والذي يعتبرونه على أنه عنصر غير فعال ومساعد لخط الفريق، وبالتالي ستكون هناك فيضاً من الرسائل، والوفود، والاحتجاجات، والتهديدات من أجل سحب المادة الدعائية أو الصحفية، الخ. والسياسيون بالطبع هم خاضعون مباشرة لهذا، وهناك أيضاً عقوبات مالية كبيرة إذا لم يعضوا أو يسيروا حسب الخط. والصحافة الاسرائيلية تجهر بذلك تماماً.

فعلى سبيل المثال، بعد الانتخابات الأخيرة، فإنه كانت هناك مقالة في إحدى الصحف الاسرائيلية المشهورة لكاتب اسرائيلي مشهور هو يواف كارني، وكان عنوان

للقالة عبارة عن تورية بالفعل. فهو يعني بالعبرية «اليهودي يشتري الاصوات». ولكن يمكن ان يفسر أيضاً على ان «المال اليهودي يشتري كل شيء». وذلك كان العنوان. ومن ثم جاء التقرير الذي تقدم به توماس داين، رئيس مجموعة اللوبي الاسرائيلي (اليهودي) في واشنطن، وهي ما تعرف باسم (لجنة للشؤون العامة اليهودية الاميركية)، والذي تحدث فيه بإعجاب عن النجاحات التي حققتها اللوبي السياسي اليهودي، اللوبي الاسرائيلي المتواجد هنا، في السيطرة على انتخابات الكونغرس الاميركي. وقال بلن انجازهم الرئيسي كان في ازالة السناتور شارلز بيرسي وإبعاده عن المسرح السياسي، بسبب انتقاداته الشديدة لاسرائيل. ومضى يقول بانهم يشعرون بلته من خلال الانتصارات الانتخابية، فانه سيكون لديهم كونغرس مؤمن في جيوبهم لغاية عام الفين. فإذا ما ظهر هذا في أي مكان آخر في الولايات المتحدة، فانه كان سيعتبر على انه نوعاً من التطرف، ونشرة معادية للسامية، ونوعاً ما يشابه «بروتوكولات حكماء صهيون»، ولكنها بالفعل مقالة يهودية ويصحيفة يهودية. وعلي ان انكر بلن الصحفي (الاسرائيلي) قد روع تماماً بذلك. فقد قال بلن هذا يعتبر تهديداً حقيقياً للديمقراطية الاميركية. ولكن مجموعات اللوبي للصهيوني هنا اعتبرته كنجاح كبير، كانوا فخوريين به تماماً، ومع هذا، بالطبع، فإنهم لا يقولون الأشياء في العلن كما يقولونها في مجالسهم الخاصة. فهذا نظام فعال جداً، وبشكل خاص فانه لا يوجد هناك ثقل موازٍ له. ولا يوجد هناك ضغط من الجانب الآخر. فهناك اجماع دولي واسع جداً، وهو موجود منذ عدة سنوات، من اجل تسوية سياسية للفراع. تسوية تتكون بشكل رئيس من وجود دولتين، يعترف بها بالحقوق الوطنية لكل من اليهود والفلسطينيين على حد سواء. ونال هذا تأييد معظم دول العالم. إلا انه أعيق من قبل الولايات المتحدة، التي قامت وتقوم معسكر الرافضين لهذا الاقتراح. بيد ان النقطة هي انه لا يوجد صوت معارض هنا عبر عن أي شيء مثل الاجماع الدولي. لا يوجد صوت واضح وجلي هنا يعرض الكبت والتشويبات التي تعارض بحرية تماماً من قبل اسرائيل، والتي تشجعهم في الماضي قنماً والعمل كثيراً من اجله. وهذا واحد من الأسباب لماذا هم قادرين على مثل هذه الأعمال البربرية فعلاً في جنوب لبنان. فهم لم ينتقدوا أبداً في الماضي، ولما يجب ان يبدأ الآن؟ ويكون هناك نقد تصانفي عندما تصوء الأمور وتخرج عن نطاقها فعلاً، مثل مذابح صبرا وشاتيلا، إلا انه سرعان ما يكتب نك وتعود الأمور الى مجالها. وهذا ضغط من جهة

واحدة تماماً وجهاز للنم والكنب والتشويه، واستخدام متميز للأموال في الجهاز السياسي، مما خلق معه اتجاهات منحرفاً بشكل عالٍ للمسألة برمتها، وهذا هو لماذا يمكن للولايات المتحدة أن تواصل إعاقته للتصوية السلمية أو السياسية. فنظام المواجهة العسكرية، وهي خطرة جداً وتهدد باستمرار حدوث حرب عالمية، هي مستمرة بحصانة تامة. فلا يوجد هنا انتقاد محلي.

■ سؤال : وماذا بشأن المخاوف الإسرائيلية الحقيقية؟ فانت على اطلاع تماماً بمستوى العنف اللفظي الصادر من العرب وغيرهم والذي يتحدث عن إسرائيل بأنها مثل «سرطان في الشرق الأوسط بحلجة لأن يستأصل ويزال» ؟

جواب : أول كل شيء، فإنني لست على اطلاع بمثل هذه التعبير، لأنه مفبرك في الغالب. فهي كانت موجودة، وبشكل رئيسي في الستينيات، بيد أنه منذ أوائل السبعينيات، فإن معظم العام العربي يرغب تماماً بالتوصل الى تسوية مع إسرائيل. وكان هذا متضمناً في موقف مصر في عام ١٩٧١، وموقف الأردن أيضاً. فلا أريد الخوض هنا في استعراض السجل الدبلوماسي كاملاً بهذا الصدد، والذي استعرضته في كتابي «الملك المحتوم»، الصادر منذ وقت ليس ببعيد جداً. فخلال السبعينيات كانت هناك عروض عربية مستمرة من قبل كل من مصر، سوريا، ومنظمة التحرير والسعودية وغيرها، من أجل ترتيب تسوية سياسية تنسجم مع الإجماع الدولي. وهناك حديث عن «السرطان»، وما شابه ذلك، ولكن ذلك يأتي بصورة نمونجية من قبل مصادر إسرائيلية. فإسرائيل تشير الى منظمة التحرير على أنها «سرطان ينمو وينتشر ومرض يجب اجتثاثه».

■ سؤال : هل جدمون هوسنر قال ذلك؟

جواب : نعم ، وهو الذي كان مدعياً عاماً إبان محاكمة ايخمان، والشخص الذي استخدم هذا الاصطلاح أو التعبير هو في الواقع ينكر بإيخمان نفسه. ومع ذلك، فإنني لا أستهن بالخطر الذي يحيق بإسرائيل، فأعتقد بأنه حقيقي. فما دامت المواجهات العسكرية مستمرة، فإن إسرائيل هي في خطر حقيقي للدمار، فلا يوجد هناك شك بذلك. وإحساسي هو أنها تتجه للدمار وحدث بأنها أصبحت قوة عسكرية مهيمنة في

المنطقة الآن، إلا أنه لا توجد ضمانات بأن ذلك سيمتد. مع استمرار المواجهة العسكرية المستمرة والغير منتهية، فإنها ستضمر عاجلاً أم آجلاً. فالاستخبارات العسكرية هي منخفضة المصداقية. فهي ناسراً ما تعرف عما يتحدث عنه. وقد أظهر التاريخ الحديث ذلك تماماً. فهي يمكن أن تظن بأنها في وضع عسكري مهيم، وربما تجد بأنها على خطأ. فقد تحدث أمور غير متوقعة في حالة الحرب. فهي (إسرائيل) كانت على وشك الانهيار في عام ١٩٧٣، بعد سنتين من عروض السادات السلمية. ومع ذلك، فإنها لم تتعلم درساً من ذلك. والدرس الكبير هو أنه إذا ما أرادت إسرائيل الحفاظ على السيطرة على الأراضي المحتلة، وأرادت استمرار تحركاتها الحربية مع لبنان، فإنها عندها ستستمر في المواجهة العسكرية. وهذا سيعني وجود فرصة متكررة للحرب والدمار عاجلاً أم لاحقاً. لذلك، فإن التهديدات والأخطار حقيقية جداً، ما عدا بلاني اعتقد وإغاثة الآن فإن هذه الأخطار هي من فعل ذاتي.

■ سؤال : إن للنظرية المركزية لكتابك «الملتصق المحكوم» هي: مع أن الولايات المتحدة تدعي بأنها صديق لإسرائيل، فإن سياستها ستدمرها تماماً. فما هو تعليقك ؟

جواب : اعتقد ذلك، وحتى أنني اعتقد بشكل أكثر دراماتيكي بأن هذا صحيح للناس الذين يدعون أنفسهم بمساندي أو داعمي إسرائيل. ويجب علي القول بأن وجهة النظر هذه يضطرني فيها إلى حد كبير مجموعة صغيرة من الحماة الإسرائيليين. فقد وصفوا الأمور في قوالب أكثر تطرفاً وقسوة من التعابير التي يمكن أن استخدمها. فعلى سبيل المثال، فلنأخذ منير بيل، الذي يعتبر عضواً حقيقياً في المؤسسة الإسرائيلية. فإنه ضابط متقاعد برتبة عقيد، وله سجل عسكري معروف، وكان سابقاً استراتيجي عسكري قيادي في الجيش الإسرائيلي. وكان رئيساً لمدرسة التدريب العسكري في الجيش الإسرائيلي، فخرج من المؤسسة الإسرائيلية مباشرة. وبعد ذلك كتب مقالاً هاجم فيه الجالية اليهودية الأميركية. وكان عنوان المقال «الصهيونية وخطر السرطان». حيث قال بأن الخطر يأتي من الجالية اليهودية الأميركية، فهي تريد من إسرائيل أن تكون «إله حرب مشابه لما رس (إله للحرب في الأساطير القديمة)». فهم يريدون أن يروا إسرائيل كسوبرمان، يبرز فجأة أمام الناس. ومضى يقول بأن موقف الجالية اليهودية الأميركية

ويعمها القلوب لإسرائيل ومن أجل هذه النزعات وتشجيعها في إسرائيل هي ماضية لتخلق وتجعل إسرائيل لتكون تطوراً جديداً في التاريخ السياسي، مرتبط بمظاهر وسمات سيطرة كمثل جنوب أفريقيا وإيرلندا الشمالية. كما ناشد فعلياً الجالية اليهودية الأميركية بأن توقف ما تسميه بالدعم لإسرائيل، والذي هو في الواقع، جرفها في هذا الاتجاه أو ذاك.

وكما قلت، فإنها عبارات أكثر شدة بكثير عما يمكن أن أقوله، وأنها تأتي من شخصية اسرائيلية رئيسة، ويعتبر من الحمام. وأعتقد بأنه كان مركزاً بشكل دقيق جداً عندما تحدث عن الجالية اليهودية الأميركية. فذلك ما عناه به وقصدوا. ففي الواقع، فإن الدعم لهذا النوع من السياسة في الولايات المتحدة هو مرتبط بشكل معين فقط على الجالية اليهودية الأميركية. وهو أوسع بكثير من ذلك.

ييفيد بارساميان : يبدو أنه يوجد هناك تعديدية وتنوع سياسي كثير جداً في إسرائيل أكثر مما يوجد في الولايات المتحدة نفسها.

نعوم تشومسكي : لا شك بذلك. فبالنسبة للسكان اليهود في إسرائيل، ونحن نضع المواطنين العرب جانباً، فقد انجزوا مستوى من الديمقراطية فاق ما هو موجود في الولايات المتحدة. فهذه المسائل هي متداولة بشكل عام في إسرائيل. أما في الولايات المتحدة فقد همشت كثيراً إلى حد لتكون فيه غير موجودة. ومرة ثانية، ولنأخذ مثال شخصي، فإنه لا يمكنني فعلياً أن أنشر مثل هذه المواضيع في الولايات المتحدة، بيد أنه طلب مني من قبل صحف اسرائيلية رئيسية بأن أقوم بكتابة المقالات فيها بشكل منتظم.

■ سؤال : انتك تقر اللغة العبرية وتتابع الصحافة والسياسة الاسرائيلية عن قرب. فهل ترى أية اشعارات في إسرائيل اليوم تتجه نحو تسوية سلمية تشتمل على وجود دولتين اسرائيلية و فلسطينية ؟

جواب : لا يمكن أن تكون هناك مثل هذه الإشارات في إسرائيل، والسبب بسيط تماماً. فإسرائيل تعتمد تماماً على الولايات المتحدة في هذه المسألة، ذلك أنه لا يمكن لأية جماعة أن تحصل على أية درجة من المصداقية في إسرائيل ما لم تحصل على دعم أميركي أساسي. وهذا واحد من الأسباب بأن أناس مثل منير بيل وآخرين مثله هم

منزعجون جداً بالنزعات الهستيرية الشوفينية في الولايات المتحدة بهذا الصدد. فهم يعرفون بأنه ما لم يحدث هناك بعض الدعم الأميركي من أجل تسوية سياسية، فإن أولئك الجماعات داخل إسرائيل عندئذ، وهم بالتأكيد متواجدون هناك، سيعتبرون التطورات الراهنة خطرة ولا تحتمل، وإن يكون لها دعم أو تأييد داخلي. وهذا صحيح. في الواقع. فدعنا نلقي نظرة على الكنيست الحالي، وهو البرلمان الاسرائيلي. فيمكن على سبيل الافتراض أن يصوت عشرة بالمئة فقط من أعضائه لتأييد مثل هذا النوع من التسوية السياسية المطروحة على الساحة الدولية والحائزة على إجماع دولي. وهذا مجرد تخمين متفائل. ويمكن أن تكون النسبة أقل من ذلك بكثير. وستكون هناك جماعة ضئيلة جداً تلتزم بذلك. ومع ذلك، فإذا ما تطور الدعم الأميركي من أجل تسوية سياسية، فإن مثل هذه النزعات ستطور عندئذ في إسرائيل بهذا الاتجاه أيضاً.

■ سؤال : هل يمكنك أن تضع بعض الإيحاءات حول أي من الأشخاص يمكنهم أن يصبحوا مدركين لهذه المسألة لتؤثر في بعض التحركات السياسية الخارجية الأميركية في مواجهة إسرائيل؟

جواب : هذا واحد من أسهل الأسئلة. فلتفسير السياسة الأميركية فيما يتعلق بـ، وانتقل، بأميركا الوسطى، فإنه سيكون من الصعب جداً حدوث ذلك، لأن الولايات المتحدة لها مصلحة تاريخية طويلة في العنف والقمع في أميركا الوسطى، ونحن لا ننوي أن نتخلى عن هذا بسهولة. إلا أنه في حالة الشرق الأوسط، فأنني أعتقد بأنه سيكون من السهل القيام بمثل هذا الشيء. وحتى مع هذا، فإنه لا يوجد عملياً صوت واضح في الولايات المتحدة يدعم أو يؤيد الإجماع الدولي للتسوية السياسية، ومع ذلك فإن الاستفتاءات التي أجريت بهذا الصدد بينت إلى وجود ثلثين أو ثلاثة أرباع من المقتربين، كانوا يؤيدون وجود دولة فلسطينية. ذلك هو، فهم يعتقدون بأن السكان المحليين (الفلسطينيين) يجب أن يكون لهم الحق في تقرير المصير الوطني جنباً إلى جنب مع إسرائيل. وهذا يعني بأن هناك دعم شعبي محتمل لذلك. فبين نخبة الجماعات المخططة، يوجد هناك انقسام حاد حول هذا الموضوع.

فهناك أناس يشعرون بأنه يجب علينا إبقاء إسرائيل كمصدر استراتيجي وقاعدة لمرض القوة الأميركية، وكمصدر للعنف والتهديد لتخريف المنطقة. وهناك العديد من

الناس الآخرين، ومن ضمنهم أولئك الذين يمثلون القطاعات الاقتصادية والسياسية القوية في الولايات المتحدة. يعتقدون عكس ذلك، بأنه يجب علينا المضي مع الإجماع الدولي ومحاولة الوصول إلى تسوية سياسية حقيقية. وجورج بول هو مثال جيد ليكون متحدثاً عن وجهة النظر هذه. فكتابه الأخير، «الخطأ والخداع في لبنان» والذي متأكد بأنه لم يستعرض هنا، يعتبر كتاباً جيداً، وواضحاً، وصافياً، واعتقد بأنه عرض مقنع لوجهة النظر هذه. وهذه ليست مسألة سياسية مفتوحة في الولايات المتحدة، واعتقد بأن هذه حالة من الحالات النادرة حيث توجد الهيمنة العملية، والهيمنة الكاملة للتعبير الواضح لوسائل الإعلام، والكتب، والمدارس، والنظام الأيديولوجي برمته، هيمنة موقف متطرف واحد، وقد حول في الواقع التوازن السياسي بشكل دراماتيكي تماماً.

والانتشاق المحتمل بين النخب الأميركية المهيمنة لم يبرز بعد على السطح السياسي، لأن أولئك الذين يساندون سياسة التطرف والعنف والتشدد لديهم تقريباً دعم كامل. وهذا يمكن أن يتغير إذا ما كان الناس راغبين بمواجهة أجهزة التخويف الأمر الذي لن يكون ساراً. أنه لن يكون ساراً لأن يقذف الطين عليك ومن ثم يشجب هذا العمل، الخ. ولكن إذا ما كنت راغباً لمواجهة ذلك وإن تقوم ببعض التثقيف الذاتي، وإن الحقائق متوفرة، ومن ثم تقديم بعض التثقيف الحقيقي للآخرين، والتنظيم وما شابه ذلك، فانتني اعتقد بأن الضغوطات السياسية يمكن أن تطور لتجعل ذلك ممكناً بالنسبة لنواب أو معلمي الكونغرس وبالنسبة للصحافة أيضاً، وهذا يعني ممارسة ضغط على الصحافة أيضاً، وذلك من أجل اتخاذ موقف والذي يعترف بالحقيقة على الأقل. وللتأثير على القرارات السياسية أيضاً، ولتحريك الولايات المتحدة باتجاه الانضمام إلى ما هو حاصل على الإجماع الدولي لهذه المسألة. فهذا يمكن أن يحدث. وضمن مداه بسهولة، فإنه سيحصل حتى على دعم بمقياس كبير بين القطاعات الأميركية المتفنة. وإن هذا مختلف تماماً من هذه الناحية، وإنها مهمة أسهل من التي تواجه الناس الذين يحاولون تغيير سياسة العنف الأميركي المنظم في أميركا الوسطى.

الإرهاب ولغة السياسة

يفيد بارساميان : إلى أي مدى يقوم التحكم باللغة بصقل وصياغة فهمنا وإدراكنا للحقيقة ؟

نعوم تشومسكي : توجد هناك أمثلة واضحة على ذلك. فهناك حقيقة مهمة توضع نصب أعيننا، عندما يستمع المرء أو يكون ملزماً بسماع محاضرة تكون معظم المصطلحات المستخدمة فيها تحتوي على معانٍ فنية، بحيث تكون بعيدة جداً عن معانيها الحقيقية، وحتى أحياناً معارضة لها. فعلى سبيل المثال، فلنأخذ مثلاً مصطلح «المصلحة الوطنية»، فهي تستخدم عادة على أنها شيئاً جيداً أو نافعاً بالنسبة لنا، ويفترض أن يكون الناس يفهمون ذلك. لهذا، إذا ما قال زعيم سياسي «إنني أقوم بهذا من أجل للمصلحة الوطنية»، فإنه من المفترض أن تشعر بالخير والسرور لأن هذا من أجلك. ومع ذلك، فإذا ما نظرت إلى ذلك بإمعان، فإن ذلك يتحول إلى أن المصلحة الوطنية لا تعرف على أنها عائدة لمصلحة السكان أو الشعب ككل، فما يعني بها أنها من ضمن مصالح جماعة صغيرة من النخب المهيمنة، التي تكون قادرة على السيطرة على المصائر التي تمكنها من السيطرة على الدولة ، ويشكل رئيس، تلك النخب المتعاونة والمتمركزة في الحكم.

وعلى نحو متماثل أو متطابق، فإن تعبير أو مصطلح «المصالح الخاصة» يستخدم بطريقة متصلة، ليشير إلى عامة الشعب. فالشعب يطلق عليها تعبير «المصالح الخاصة»، في حين أن النخبة المشتركة تطلق عليها تعبير «المصلحة الوطنية». فمن المفترض أن تكون في صف المصلحة للوطنية ضد المصالح الخاصة.

وأصبح هذا واضحاً تماماً في الحملات الانتخابية الرئاسية مؤخراً. فادارة ريفان كانت تعتمد بشكل واسع على صناعة العلاقات العامة. فمظاهر العلاقات العامة بالنسبة لها، ومن ضمنها التحكم باللغة، هو أمر مثير ومدهش جداً . إنها كانت مؤسسة علاقات عامة محترفة.

فقد كان من المدهش رؤية كيف كانوا يستخدمون العبارات والمصطلحات ويختارونها بطريقة محترفة ومحترسة. ففي حملتي انتخابات ١٩٨٠، ١٩٨٤، فقد قاموا بتعريف الديمقراطيين (الحزب الديمقراطي) على أنه «حزب المصالح الخاصة». وهذا يفترض على أنه أمر سيء، لأننا كلنا ضد المصالح الخاصة. ولكن إذا ما فكرت بذلك بامعان، وتساطت ممن تتكون المصالح الخاصة، فإنها تعني: النساء، الفقراء، العمال، للشباب، الشيوخ، الأقليات العرقية - وفي الواقع، فإنه الشعب برمته. وهناك مجموعة واحدة لم توضع في هذه القائمة، ولم تكن من ضمن المصالح الخاصة، أنها المؤسسات. فإذا ما لاحظت أو تعمقت بلغة أو بلاغة خطابات الحملة الانتخابية، فإنها لم تكن تعني مطلقاً على أنها مصالح خاصة، وهذا صحيح، لأنه في تعبيراتهم تعني المصالح الوطنية. لذلك إذا ما فكرت من خلال ذلك، فإن الشعب هو المصالح الخاصة، وإن المؤسسات هي المصالح الوطنية، وحيث إن كل واحد يقف إلى جانب المصلحة الوطنية وضد المصالح الخاصة، فإنك ستصوت وتؤيد الشخص الذي يقف ضد الشعب ويعمل من أجل المؤسسات.

إنها حالة أو قضية نموذجية للطريقة التي عولج أو أوثر فيها على إطار الفكر بشكل مدرك وباختيار مؤثر، وبإعادة صياغة علم المصطلحات، وذلك لكي تجعل الأمر صعباً لفهم واستيعاب ما يحدث في العالم. إنها وظيفة ومهمة هامة جداً للمؤسسات الأيديولوجية - كوسائل الاعلام، المدارس، وما شابه ذلك - وذلك لمنع الشعب من فهم الحقيقة، لأن الناس إذا ما فهموها فإنه من الممكن أن لا يستسيغونها أو يحبونها، ومن الممكن أن يعملوا على تفسيرها. وهذا بالتالي سيؤدي أو يؤثر على الناس المتنفذين الذين يسيطرون على هذه الأمور.

■ سؤال : ربما يكون الأمر كما كتب جورج أرويل في مقالته «اللغة الانجليزية والسياسة» من أنه «في عصرنا، فإن الخطابة السياسية والكتابة هما بشكل واسع يعنيان الدفاع عن المتعذر الدفاع عنه؟

جواب : نعم، فهو قدم أمثلة مدمشة والتي تعتبر الآن على أنها كلاسيكية وتقليدية، مثل تعبير «التهينة». فإنه استخدم للقتل الجماعي، لذلك فقد نفذنا القتل الجماعي في فيتنام. فإذا ما نظرت إلى ما كانت عليه برامج التهينة، فإنها كانت برامج القتل الجماعي لمحاولة قمع وتدمير الشعب المقاوم. فقد كتب أرويل ذلك منذ وقت طويل وقبل

حرب فيتنام، ولكن لقد لوحظ للتو كيف استخدم مصطلح التهدة بتلك الطريقة؛ إنها صناعة التعبير والمصطلحات الآن.

وانه نفس الشيء يحدث مع كل تعبير أو مصطلح يمكن أن تفكر فيه. فلنأخذ مصطلح «محافظة». فالمحافظة يفترض أن يكون شيئاً جيداً، وهذا من المفترض أن تكون إدارة محافظة. فالمحافظ الحقيقي يشبه، كما يقول روبرت تافت، كمن يقف ضد التقدم. وهو الذي يقف إلى جانب امتداد سلطة الدولة وازدياد تدخل الدولة في الاقتصاد. فسلطة الدولة ازدادت بسرعة أكثر في ظل هذه الإدارة (الإدارة المحافظة) أكثر من أية إدارة أخرى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. كما أنها أيضاً اهتمت في حماية الدولة من مواطنيها، وأبعدت أو قطعت الوصول والنيل من الدولة، وسيطرت على الفكر والتعبير، وهاجمت الحريات المدنية والحقوق القروية. إنها أكثر إدارة غير قانونية جنتها من قبل. فكل هذه الأشياء هي من لعنات المحافظين. فالمحافظون يريدون للعكس في كل مظهر من المظاهر، لذلك فإنهم طبعاً يدعون ذلك بالإدارة المحافظة، وإذا ما أحببتها، فإنه من المفروض أن تكون محافظاً.

فهذه كلها طرق ووسائل لتقويض إمكانية وجود فكر مستقل، وذلك حتى بإزالة وإبادة الآراء والوسائل التي يمكنك أن تستخدمها وتخطر فيها.

■ سؤال : يبدو أن قوة التسمية تكون حاسمة في هذه العملية برمتها؟

جواب : هذه هي كافة الأمثلة عليها. فاللغة هي، بعد كل ذلك، أداة للفكر. فإذا ما خفضت من قيمة اللغة، فإنك تحط وتخضع من قيمة الفكر. فلا أريد أن أبالغ في هذا العنصر، وإنما هو فقط عنصر واحد، واحد مؤثر بالتأكيد وبشكل واضح؛ لكي يخرج ويقوم التشويش وينقص أو يعدم الإبراك أو الفهم.

■ سؤال : في السنوات الأخيرة، وبدءاً من السبعينيات واستمراراً

في الثمانينيات وحتى المستقبل المنظور، فإن مصطلح «الارهاب» على أنه مسألة مهيمنة، وفكرة متركزة وسائدة في وسائل الإعلام وبين السياسيين. فأتساءل فيما إذا كان بوسعك التحدث عن هذه الكلمة ذاتها. فيبدو أنها اجتازت منحى خطير في العقدين الأخيرين ؟

جواب : انها بالتأكيد كذلك، وهي قضية مثيرة للاهتمام تماماً . وكلمة «الارهاب» جاءت للاستخدام العام في نهاية القرن الثامن عشر، واستخدمت حينئذ لتشير الى أعمال عنف الدول التي تجمع شعوبها بواسطة العنف. فالارهاب كان عملاً تقوم به الدولة ضد مواطنيها . وذلك للفهوم لم يستخدم بأي حال من الأحوال ليطلق على الشعب أو الناس . لذلك، وعلى نحو متوقع، فإن هذا المصطلح قد تغير فيما بعد . اما اليوم فانه يطلق على أعمال المواطنين ضد الدول، وفي الواقع، فإن مصطلح «الارهاب» هو يستخدم تماماً بما يمكن أن يطلق عليه بـ «الارهاب الجزئي»: ارهاب الجماعات الصغيرة، والجماعات المهمشة، وليس ارهاب الدولة القوية.

والدينا استثناء واحد على هذا: فإذا ما انخرط أعداؤنا في الارهاب، فعندئذ يمكنك أن تتحدث عن «ارهاب الدولة». لذلك فانه يوجد هناك في الحقيقة أمران يعرفان الارهاب. الاول، انه يفعل ضد الدول، وليس من الدول ضد مواطنيها . هذا، وعلى سبيل، فإن هذا ينطبق على ليبيا . ففي آخر نشرة اصدرتها لجنة العفو الدولية بعنوان «عمليات القتل السياسي للحكومات»، بينت فيها بأن ليبيا قتلت (١٤) شخصاً من المواطنين الليبيين في عقد الثمانينات. ويمكن أن يكون هناك أعداد أخرى من القتلى، يقدر بالعشرات، أو أقل. فذلك هو الارهاب الذي تمارسه الدولة.

وبعنا نقارن هذا مع ثورة السلفادور. ففي نفس السنة التي قتلت فيها ليبيا (١٤)، وربما (٢٠) من مواطنيها، فإن حكومة السلفادور قتلت حوالي (٥٠) الفاً من مواطنيها . فذلك الآن لم يكن إرهاباً فحسب، انه ارهاب دولي، لانه فعل من جانبنا . فنحن الذين اسسنا ودعمنا هذه الحكومة في السلفادور، تماماً كما اوجد ودعم الروس حكومة افغانستان سابقاً . فنحن الذين انشأنا جيش السلفادور، وجعلناه جيش ارهاب، وجهزناه، ونظمناه، وأشرفنا عليه.

واسوأ الاعمال الوحشية نفنت من قبل وحدات التتريب الاميركية. كما شاركت طائرات سلاح الجو الاميركي مباشرة في تنسيق القصف الجوي . فهذا الارهاب لم يكن مجرد عمليات قتل عادية. فالارهاب الليبي سيء تماماً، بيد أن ارهابنا مارسوا اعمالاً أكثر وحشية في القتل والتعذيب والتشويه والاغتصاب وتقطيع الناس الى اجزاء . بواسطة التعذيب الشنيع . وعلى نمط اسلوب بول بوت في كمبيرويا . ولم يطلق على

نلك ارهاباً. ولم يطلق على السلفاتور لقب دولة ارهاب. والرئيس السلفاتوري جوسيه نابليون بوارت قد قاد كل تلك منذ البداية، بل انه اطلق عليه بعد كل تلك لقب البطل الليرالي الكبير، واعتبر هذا انتصاراً عظيماً للديمقراطية في السلفاتور. فهذا هو بعد ذاته ارهاب دولة كبير. اما حالة ليبيا، فانها تعتبر ارهاباً ثانوياً جداً. إلا اننا نراه بطريقة أخرى. «فالارهاب» استخدم من قبلهم وليس من قبلنا. اما في حالة السلفاتور، فانه فعل بشكل رئيس من قبل الدولة ضد مواطنيها - وفي الحقيقة، من قبل دولة قمنا بانقضائها، دولة عميلة للولايات المتحدة. لذلك فلا يمكن أن يكون ذلك ارهاباً، بالتعريف، حسب رأيهم.

وهذا صحيح في حالة اثر حالة. فكتابي حول ذلك، «القرصنة والاباطرة»، يأخذ عنوانه من قصة طريفة للقديس أوغسطين في كتابه «مدينة الله». فالقديس أوغسطين يصف مواجهة جرت ما بين الملك الكسندر الكبير وبين قرصان كان القي القبض عليه. فسأل الكسندر الكبير القرصان بقوله، «كيف تجرؤ على المضايقة في البحر؟» والتفت القرصان الى الكسندر وقال له: «وانت كيف تجرؤ على مضايقة العالم بأسره؟ فان لدي قارب صغير، وبناء على ذلك فقد اطلق علي لقب لص. اما انت فليك أسطول، وهكذا فقد اطلق عليك لقب امبراطور». وخلص أوغسطين الى أن جواب القرصان كان ممتازاً. فتلك هي القصة بصورة أساسية. فالارهاب الجزئي أو الهامشي الموجه ضد مصالحنا يعتبر ارهابنا، في حين أن الارهاب الكلي أو الشامل، والذي ينفذ من أجل مصالحنا لا يعتبر ارهاباً.

وهذا امر صحيح في منطقة الشرق الاوسط ففي حالة اثر حالة، فهذه هي الطريقة الذي استخدم فيها هذا المصطلح، وبشكل أكثر فعالية. وفي الواقع، فانه وعلى نحو متنبأ به، فإن ادارة ريفان اتخذت الارهاب الدولي ليكون جوهرأ لسياستها الخارجية، وصرحت بذلك علناً.

وكان للسبب في ذلك أن الادارة اوضحت تماماً بأنها كانت ماضية لتتخرط في الارهاب الدولي وعلى مستوى كثيف. ومنذ أن مضت في الارهاب الدولي، فانه كان طبيعياً، وفي عالم موجه بعلاقات عامة جيدة، أن تبدأ بالحديث بانك تعارض الارهاب الدولي. فنلك يحول الانتباه جانباً عن المسألة الحاسمة: وبذلك يمكنك أن تفسر الارهاب الدولي بشكل واسع.

■ سؤال : ولم هذا الاهتمام الضخم والاستحواذ بالارهاب . سواء في تقدم البرامج التلفزيونية الخاصة، المقالات الصحفية، البرامج الوثائقية، للنشرات المؤتمرات وغيرها وغيرها . فهل يوجد هناك شيء ما اعمق يلمس من هذا ؟

جواب : نعم، عميق جداً . وهو وثيق جداً بالسياسات الداخلية لادارة ريفان . ومن المهم التذكر بان سياسات ادارة ريفان هي غير شعبية الى حد كبير، ولعدة اسباب واضحة . فقد اظهرت الاستطلاعات ذلك بشكل واضح جداً، وحول كل مسألة رئيسية، فإن الرأي العام كان يعارض بقوة برامج الرئيس ريفان . فلنأخذ، مثلاً، الاتفاق الاجتماعي في مقابل الاتفاق العسكري . فعندما طرح ذلك للاستفتاء والاستطلاع تحت شعار: هل تفضل انقاص الاتفاق في المجال الاجتماعي أم في مجال الاتفاق العسكري؟ فإن الغالبية العظمى من الشعب ساندت زيادة الاتفاق الاجتماعي وعارضت زيادة الاتفاق العسكري . وفي الواقع، فإن الكثير من السكان كانوا راغبين تماماً ليروا زيادة في الضرائب وذلك لتحسين الاتفاق الاجتماعي . والشئ ذاته حدث حول كل مسألة طرحت . ففي حالة التدخل الخارجي (وبمعنى آخر، في مجال الارهاب الدولي، إذا ما كنا صابقين)، فإن المواطنين عارضوا ذلك بقوة، وبغالبية كبيرة . وفي مجال تجميد التجارب النووية، فإن الرأي العام كان الى جانب ذلك بشكل غامر، وبغالبية ساحقة . وكانت الادارة الاميركية ضد هذا الرأي . وهكذا الأمر، فكلما نهبت على طول الخط، فإن كل مسألة أو برنامج رئيسي للحكومة فانه لم يحصل على شعبية . انها مشكلة، فعليك بالطبع أن تسيطر على الجمهور أو الرأي العام . فهناك جواب تقليدي لهذه المشكلة، وهي: عليك أن تخيفهم أو ترعبهم .

وبعني أرجع الى خطوة أخرى لبرنامج ريفان الذي هو حتى أكثر وضوحاً: الجزء الرئيس لبرنامج ريفان كان محاولة تحويل المصادر من الفقير الى الغني . والآن، فانه في طريقه ليعارض شعبياً، وان الهجوم على الاتفاق الاجتماعي يعتبر جزءاً منه . فمعظم برنامج ريفان هدف الى تحويل مخصصات مزدانة الى خدمة اجتماعية من اجل الاغنياء . فالبرنامج العسكري هو مسخر بشكل كبير من اجل تلك الغرض . واعتبر ذلك مساعدة شعبية مجبرة من اجل صناعة متقدمة، وهو لم يلق دعماً شعبياً، ولا يمكنك أن تقدم ذلك بهذه التعابير . فماذا عليك أن تفعل؟ عليك أن تستطلع الرأي العام . وهم

بالتالي يعارضون سياساتك. وهناك طريقة واحدة فقط للتعامل مع هذا؛ فكل زعيم على مر التاريخ قد فهم ذلك. فعليك أن تخيفهم وترعبهم، وتجعل الناس يفكرون بحياتهم ومعيشتهم باستحواذ، ذلك أن عليهم أن يدافعوا ويحموا أنفسهم، ومن ثم فإنهم سيقبلون هذه البرامج التي يزنونها أو يرفضونها كضرورة مكرمة.

وكيف يمكن أن ترهب الناس؟ ومرة ثانية، يوجد هناك جواب تقليدي على ذلك: عليك أن تجد بعض ما يدعى بـ «امبراطورية الشر»، وذلك بتخويفهم من التدمير. فقد استخدم الاتحاد السوفياتي سابقاً، من أجل هذا الغرض، ومن قبل استخدم الألمان (في ألمانيا النازية)، وقبل ذلك استخدم الإنجليز، وهلم جراً. بيد أنه منذ قيام الثورة البلشفية في روسيا، فإن الاتحاد السوفياتي استخدم كتهديد لتخويفنا من التدمير. وذلك ما يدعى بامبراطورية الشر. ولكن هنا تكمن المشكلة. فالمواجهات مع امبراطورية الشر هي خطرة. لأنها بولة كبيرة وقوية؛ فيمكن أن ترد الهجوم عليها بقسوة، ولا نريد أو نرغب في الاشتباك معها لأنه من الممكن أن يصيبك أذى من جراء ذلك. لذلك فعما عليك أن تفعله هو إحداث المواجهات، ولكن ليس مع امبراطورية الشر - فنلك خطر جداً. والوسيلة الأفضل هي قيامك بمواجهات ضد أطراف تعينها أو تخصصها على أنها «وكلاء أو مفوضين» لامبراطورية الشر. وما تحاول أن تفعله هو أن تجد بول ضعيفة بشكل أساسي أو جماعات يمكن أن تهاجمها متى شئت. وإن تعينها أو تخصصها لتكون ممثلة أو وكيلة عن امبراطورية الشر، ومن ثم يمكنك أن تدافع عن نفسك ضدها وذلك بالهجوم عليها. وإيبيا، على سبيل المثال، اعتبرت مثال كامل من أجل تنفيذ هذا للفرض. فهي لديها ارتباطات أو علاقات غير ثابتة مع الاتحاد السوفياتي (سابقاً). وأنها تعتبر ممثل أو لاعب ثانوي في عالم الارهاب الدولي.

وعلاوة على ذلك، فإذا ما كان بوسعك أن تدبر استتباط أو استخراج الارهاب، حيث فعلنا ذلك مراراً، فإن هذا سيرعب شعبنا في الحقيقة، وفي عقر دارهم. وفي الواقع، فإن الارهاب الفعلي هو ضئيل جداً؛ فمن الممكن ومن المحتمل أن نعاني أكثر بكثير من جراء البرق والرعد. إلا أنه بالإمكان أن يفزع الناس. وبالتالي فإن المواجهة مع ليبيا رخيصة التكاليف أو لا تكلف شيئاً أبداً. فبإمكانك أن تقتل ليبين متى شئت؛ فليس باستطاعتهم أن يرموا عليك أو يقاتلوك، لأن ليبيا بلد ضئيل وضعيف، فبإمكاننا

أن نضربهم في أي وقت نشاء. فذلك سيجعل الناس هنا يشعرون بأن زعيم الكاويوي الشجاع يدافع عنا من هؤلاء الوحوش الذين ينوون تدميرنا، ومعظم تلك مشتق من تلفيقات. وفي الحقيقة، فإنه على مر تاريخ إدارة ريفان، فإنه كانت هناك سلسلة من التلفيقات المرتبة بعناية، وافتعال الأحداث التي تتيح لنا فرصة لمهاجمة وقتل الليبيين. وكان غالباً ما يعود ذلك إلى غرض سياسي معين محلي، مثل الاستعداد لدعم قوة الانتشار السريع، وقوة التدخل في الشرق الأوسط، أو تقديم الدعم لثوار الكونترا، أو هذا الشيء أو ذاك. وأنها توقعت بشكل متقن وبعناية، وكما قلت؛ فهناك إدارة العلاقات العامة. فنكاؤها يعتبر مناورة عامة وتلاعب؛ وهذا شيء اتقنوه. فربيع عام ١٩٨٦، كان على سبيل المثال، تمرين أو مناورة متعلقة في مجال العلاقات العامة.

■ سؤال : هل تعني قصف ليبيا ؟

جواب : بل وتأثيرها، فذريعة تلك كانت مبركة. فقد غطي الأمر من قبل وسائل الاعلام، والتي كانت تعرف القصة الحقيقية، بل إنها لم تنشر أو تنيع ذلك. فقد قامت هذه الأجهزة بترعيب السكان المحليين (الأميركيين) - حتى أنهم لم يجروا على الذهاب إلى أوروبا، فقد كانوا مرعوبين جداً. إنه لأمر سخيف ومضحك. فإنك ستكون أمن مائة مرة في أي بلد أو مدينة أوروبية أكثر من وجوبك في أية مدينة أميركية - إلا أن الأميركيين أربوا كثيراً، لذلك فقد مكثوا في وطنهم. فإذا ما خوفت أو (أرعبت) السكان المحليين فإنه يكون بمقتورك عندئذ أن تدعم الأمور وتفرض حماقة وتجعلها كاعتقاد راسخ من أنك تدافع عن نفسك. فعلى نحو حاسم، فإنه ليس باستطاعتك أن تحدث مواجهات مع الروس، لأن بإمكانهم رد الهجوم. لذا فإن عليك أن تجد جهة أخرى تستطيع أن تضربها متى شئت، فهناك: غرينادا، ليبيا، نيكاراغوا، أو أية بلد أو دولة لا يمكنها أن ترد عليك. فهذا ما تحتاجه.

فهذا، بالمناسبة، مفهوم جداً في الخارج، فعندما تقرا الصحافة الأجنبية، فإنها غالباً ما تعلق بانتظام على حب سفك الدماء وجبن هذه الإدارة (الأميركية). لذلك فإنه من السهل أن تجد مبرراً ضئيلاً لتضرب جهة ما، وترسل أسراب الطائرات من أجل التدمير. فإن هذا هو أسلوبهم بشكل أساسي. إلا أنه يوجد هنا بعض الناس الذين لا يفهمون أو يستوعبون ذلك.

■ سؤال : هذا الارهاب الجزئي الذي تحدثت عنه - فعندما يقدم في وسائل الاعلام فانه يذكر من الناحية التاريخية : على انه ليس له مثيل، وهو غير عقلاني تماماً، لذلك فانه يبدو ان الرد المنطقي عليه سيكون الاشمئزاز والخوف، وهذا شيء مؤثر جداً ؟

جواب : هذا صحيح. فمعظم الارهاب الجزئي - وما يدعى «بالارهاب» في الولايات المتحدة - فانه يأتي من لبنان، وبدأ ذلك منذ عام ١٩٨٢. وانها كانت ظاهرة هامشية جداً قبل تلك الوقت، اما الظاهرة الرئيسية فقد كانت في أوروبا بشكل رئيس، إلا انه بعد عام ١٩٨٢، فلا بد ان شيئاً ما قد حدث ليسبب ابتداء خروج الارهاب من لبنان. فخلال تلك السنة، ومع دعم اميركي متحمس، فقد هاجمت اسرائيل لبنان. وكان الفرض الرئيس من الهجوم الاسرائيلي هو تدمير السكان المدنيين الفلسطينيين وذلك لضمان السيطرة الاسرائيلية على الضفة الغربية. ومن خلال تلك العملية فان البنية الأساسية الفلسطينية قد دمرت هناك، وبالتالي فإن لبنان قد تضرر كثيراً من جراء ذلك.

وسأنتد، الولايات المتحدة ذلك بكل الوسائل. لقد وضعت الفيتو أمام قرارات مجلس الأمن الدولي من اجل وقف العدوان، وقامت بتزويد اسرائيل بالسلاح، وبالدعم الدبلوماسي، وهذا بشكل طبيعي كان متوقفاً تماماً من ان يثير ارباباً دولياً. فقد قامت بسد كل خيار سياسي أمام الناس، لذلك فقد اتجهوا نحو الارهاب. ويجب علي القول ان هذا كان مفهوماً تماماً في اسرائيل. ولا يمكنك التحدث عن ذلك هنا، لأننا نعيش في دولة ملقنة جداً، ولكن في اسرائيل، والتي تعتبر دولة أكثر ديمقراطية - بالنسبة للغالبية اليهودية على الأقل - فهذا يناقش بشكل مفتوح. فرئيس وزراء اسرائيل آنذاك، اسحق رابين، على سبيل المثال، قد أشار الى أنه يوجد هناك تهديد لاسرائيل من الفلسطينيين، بيد انه قال بلغة كان سياسياً، وليس تهديداً عسكرياً. وكان التهديد انهم، أي الفلسطينيون، سيجبرون اسرائيل على الدخول في تسوية سياسية لا تريدها هي، وان عليها ان توقف ذلك.

وكتب يهوشوع بوراث، وهو أستاذ في الجامعة العبرية، ويعتبر من اكبر الاختصاصيين في الشؤون الفلسطينية في العالم، كتب تحليلاً مفصلاً بعد وقت قصير من الغزو الاسرائيلي للبنان، في صحيفة «هآرتس»، وهي صحيفة رئيسية تشبه الى حد

كبير صحيفة «نيويورك تايمز» عندما، حيث شرح فيه ما يعتقد، وبشكل معقول، جداً، حول الغزو الاسرائيلي للبنان. فقد قال، وأنا أعيد سرد النص هنا: انظر، فهذا هو الوضع. ففي السنة الماضية، فان منظمة التحرير الفلسطينية لم تتورط في أية عملية ارهابية عبر الحدود. وقد حاولت اسرائيل أن تدفعها لذلك، فقمنا بقصفها على نحو متواصل وقتلنا العديد من أعضائها، وكل ذلك لمحاولة إثارة بعض الرد عبر الحدود، إلا أنهم لم يفعلوا ذلك. فقد حافظوا على ضبط أنفسهم بالرغم من حقيقة أننا أغرنا عليهم، وقتلنا العشرات من الناس وهلم جرا. وهذه هي كارثة حقيقية للقيادة الاسرائيلية، حيث أنه لو استمرت منظمة التحرير في الحفاظ على هذا الوضع في عدم القيام بأعمال ارهابية عبر الحدود، وتطالب بإجراء تصوية دبلوماسية، فمن الممكن أن تدفع اسرائيل نحو تصوية سياسية، الأمر الذي لا تريده أو ترغب فيه. ففي مثل هذه التصوية للسياسية فإنه من الممكن أن تتخلى عن الأراضي المحتلة. فما تريده القيادة الاسرائيلية هو العودة بمنظمة التحرير إلى الأيام الأولى المبكرة، عندما كانت تمارس وتنخرط بالأعمال الارهابية العشوائية، من خطف الطائرات، وقتل العديد من اليهود وأن تكون مصدر اشمزاز وخوف ورعب في جميع انحاء العالم. فاسرائيل لا تريد أن تكون هناك منظمة تحرير مسالمة ترفض الرد على الهجمات الارهابية الاسرائيلية وتصر على اجراء مفاوضات سياسية. وهذا ما هدف اليه الغزو الاسرائيلي للبنان. وعلق آخرون أيضاً على ذلك بنفس الطريقة. وأنا افترض بأن هذا ما يريده ايضا المخططون في الادارة الامريكية. فمن وجهة نظرهم، فإن الارهاب الآتي من لبنان نافع جداً. فإنه يروع للمواطنين الاميركيين. فالأعمال الارهابية هي بغيضة في الحقيقة، وإذا ما أبعدت الناس عن كل خيار ممكن، فإنه يكون باستطاعتك أن تتوقع وتتنبأ جيداً بما يمكن أن يفعلوه. لذلك، فدعنا نأخذ، على سبيل المثال، عملية اختطاف الطائرة في كراتشي. فقد بدا كما لو أن المختطفين كانوا من اقارب ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا. فكل واحد يعرف ماذا حدث بهذا الشأن. فهذا ما يحدث بالضبط. فإنك ترسل القنلة إلى مدينين عزل من اجل نحبهم وتعذيبهم، أما أولئك الذين ينجون من الموت فإنهم من المحتمل أن يتحولوا إلى الارهاب، وهذا ما حدث بالضبط. فالناس يتظاهرون بأنهم لا يفهمون ذلك، بيد أن أي واحد يمكنه أن ينظر إلى التواريخ فإنه يحسب ويخمن ذلك. فالارهاب اللبناني المتمركز، وبشكل رئيس في أوروبا، هو مباشر منذ عام ١٩٨٢، وهو قابل للتنبؤ ومن المحتمل

مرغوب فيه من قبل الولايات المتحدة المساندة للعنوان الاسرائيلي في لبنان، والذي ازال الامل في اجراءات صوية سياسية، وحر البنية المدنية لمنظمة التحرير الفلسطينية بشكل وحشي، ويجب علي القول بانه قطع اوصال ما خلف في لبنان. وفي كل وقت ننظر اليه للارهاب، فانه تكون هناك ذريعة لذلك، مع انه لا يورد هنا فعلياً.

وتوجد ردة فعل مثيرة للاهتمام هنا عندما يبرز ما يلي: «إنك تبرر الارهاب». فإنني لا أبرر الارهاب. فالتبرير والتفسير أو التوضيح هما أمران مختلفان. فما أنت تشير اليه هو انه يوجد هناك تفسير للارهاب. وإذا ما أردت إيقاقه فانك تنظر الى التفسير. وعندما تنظر الى التفسير فإنك غالباً ما تجد ان النول القوية العنيفة تحاول لثارة الارهاب لأنه من مصلحتها القيام بذلك. فهذا ليس بتبرير، انه تفسير. فالاعمال الارهابية هي بغيضة في الحقيقة. انها بغيضة بالطبع عندما قامت اسرائيل بقصف مقر منظمة التحرير في تونس وقتلت حوالي (٧٥) شخصاً، مستخدمة في ذلك قنابل «سمارت» التي زودتها بها الولايات المتحدة. فهذا أمر بغيض تماماً. فنحن نعتبر عنفنا ليس ارهاباً. وانما عنف الآخرين نعتبره ارهاباً.

■ سؤال : تلك للهجوم المعين، قصف مقر المنظمة في تونس، هو، بالطبع، يوضع يوماً ضمن مفهوم الانتقام، فهو رد انتقامي، وليس مبادرة بالهجوم ؟

جواب : ان كل عمل ارهابي يدعى يوماً بالانتقام. والتسلسل يسير كما يلي: فلولا يتي هجوم منظمة التحرير في لارنكا، قبرص، حيث قتل فيه ثلاثة اسرائيليين. وألقي القبض على القتلة فوراً وقدموا للمحاكمة، وهم الآن في السجن. وبعد حوالي اسبوع جاء القصف الاسرائيلي لمقر المنظمة في تونس. والذي كان نتيجته حسب المصادر الاسرائيلية مقتل حوالي (٧٥) شخصاً، (٢٠) من التونسيين، و (٥٥) من الفلسطينيين معظمهم من المدنيين. ومن ثم، وبعد اسبوع جاءت حادثة خطف السفينة «اكيلي لورو» مع اغتيال كلينغفوير. فكل هذه الأمور دعيت بعمليات انتقام من قبل الجهات التي قامت بها. فعملية لارنكا وقبرص أطلق عليها عملية انتقام. وفي الحقيقة فان هذا كتم أمره هنا، في الولايات المتحدة. وأعني هنا بأن البحرية الاسرائيلية، استخدمت على ما يبدو عملاء متمرزين في قبرص، كانوا يختطفون القوارب لأكثر من عشرة سنوات - وهذا يطلق عليه ارهاب عندما يقوم به الطرف الآخر - يختطفون القوارب المتنقلة ما بين قبرص

وأجزاء مختلفة في جنوب لبنان، وفي الواقع، فإنهم غالباً ما كانوا يستولون على تلك القوارب ويلتفون الفلسطينيين المتواجدين فيها ومن ثم يسلمونهم لحلفائهم الكتائب في لبنان، الذين يقومون بقتلهم بعدئذ. وعندما قامت منظمة التحرير بالانتقام. فأننا لم ندعوا تلك إرهاباً، بل دعونا إرهاباً.

ومن ثم جاء القصف الاسرائيلي لتونس، والذي دعوه انتقاماً، باستثناء أمر بسيط واحد وهو: انه لم يكن موجه ضد أولئك الأشخاص الذين نفذوا الهجوم الارهابي. ففي الحقيقة، فقد اعترفت اسرائيل بأن الأشخاص الذين قصفوا في تونس لا يبدو بأن لهم أية علاقة بالهجوم الذي حدث في لارنكا. ولكنه كان هجوماً رخيصاً أو هيناً. فمن المحتمل ان الأشخاص الذين نفذوا الهجوم قدموا من سوريا، إلا أن ذلك كان هدفاً ليس بسيطاً لضرره، فمن الممكن أن يربوا على الهجوم بالمقابل. فتونس، من جهة أخرى، تعتبر هدفاً سهلاً، لذلك يمكن مهاجمته. وهذا ما تم عمله، وبشكل انتقامي، بالاشتراك مع الولايات المتحدة. فالأسطول الأميركي الساس في البحر الأبيض قد أشرف بالتاكيد على القاذفات الاسرائيلية. وهم يدعون بأنهم لم يمكنهم رؤية الطائرات الاسرائيلية، وهذا أمر سخيف بحد ذاته. فالطائرات الاسرائيلية كان عليها التحليق فوق البحر المتوسط نهائياً وإياباً، وقد جرى تزويدها بالوقود أثناء التحليق، كما أنها اجتازت الأجواء عبر أنظمة رادار متقدمة ونحن ندعى بأنها لم تكن مرئية بالجو. فهذا هراء، فنحن عرفنا بوضوح بأن الطائرات الاسرائيلية كانت قائمة، ولم نقم بتحذير تونس. فتونس تعتبر حليفاً مخلصاً للولايات المتحدة، إلا أننا لم نقم بتحذيرها من أن الطائرات القاتلة كانت في طريقها اليها. وعلى أية حال فقد دعوا ذلك انتقاماً، إلا أنه لم يكن كذلك بالطبع. ولم يكن بالإمكان فعل أي شيء تجاه ذلك الهجوم الاسرائيلي. ومن ثم جاءت حادثة السفينة «أخيلي لورو». فدعوا ذلك بعملية انتقام، وأعني بها انتقاماً للهجوم على تونس، ويمكنك أن تعود للوراء وتجد أن كل عملية إرهابية أطلق عليها انتقاماً، وهي كذلك بالفعل بمعنى معين. فذلك هي الدائرة: القمع، العنف، الانتقام، المزيد من الانتقام، والهجوم الوقائي، الخ.

ففي نظام أيولوجيتنا، فنحن لدينا وسيلة بسيطة جداً لمعالجتها. فعندما يقوم أناس بعمل لا نحبه أو نستسيغه، فإنه يعتبر إرهاباً. وعندما يقوم أشخاص أو جهات نحبها بعمل إرهابي، فأننا نعتبره انتقاماً.

نظام الدعاية والاعلام

بيفيد بارساميان : لقد تحدثت بشكل كثيف عن لغة السياسة وعلم دلالات الألفاظ وتطورها، وقد قلت «علينا ان نزيل أحجبة التشويه الواحد تلو الآخر لغاية ما نرى الحقيقة». فسؤالي هو، فلو كنا في عصر أرويل، ومنحنا النظام التعليمي الأميركي، فما هي الأنوات الفكرية التي سيقوم تلك النظام بتوفيرها للطلاب لتفسير وترجمة وحل تلك المصطلحات والتعابير الأوروبية، أي (العائدة لأرويل) ؟

نعوم تشومسكي :

دعني أولاً أعلق، بأنه مع أننا يوماً، وأنا أيضاً أطلق على هذا بأنه عصر أرويل، فإن الحقيقة أن أرويل كان قائماً متأخراً على المسرح العام. فصناعة العلاقات العامة الأميركية، والتي تعتبر متقدمة جداً، كانت في مطلع العشرينات عبارة عن أنوات متطورة آنئذ، تكتب حولها، وهكذا. وفي الواقع، وحتى في وقت مبكر أكثر، خلال الحرب العالمية الأولى، فإن المؤرخين الأميركيين عرضوا على الرئيس وودرو ويلسون أنذاك بأن يقوموا بمهمة أطلقوا عليها اسم «الهندسة التاريخية»، وتعني تصميم الحقائق التاريخية، وذلك لكي يخدموا سياسة الدولة. فذلك هو فكر أرويل. وقبل وقت طويل من كتابة أرويل له. وبعد مرور وقت قصير على ذلك، فقد قال الصحفيون الأميركيون مثل والتر ليبمان، الصحفي الأميركي المشهور، في عام ١٩٢١، بأن فن الديمقراطية يتطلب بما نطلق عليه «بصناعة الرضا أو القبول»، وهو ما يعني بلغة أرويل «السيطرة على الفكر». وكانت الفكرة من ذلك أن الدولة التي لا تسيطر فيها الحكومة على الشعب بالقوة، فإنه من الأفضل السيطرة على ما يفكر به الشعب. لذلك، فإن هذا كان مفهوماً جداً قبل أرويل، فقد صممت الأساليب حينئذ وأنجزت بكثافة ورغم أن المدارس الفكرية تعلم الناس الدفاع ضد هذا، فإن الجواب هو بسيط: إنها صفر. فالمدارس الفكرية تقف في الجانب المضاد: فهي تعتبر جزءاً من جهاز عدم المعلومات. وفي الواقع، فإن هذا أمر مفهوم جيداً، أيضاً. أنه حتى مفهوم جيداً من قبل المفكرين الليبراليين، والمنظرين الديمقراطيين،

وما شابه ذلك. وقد بحثنا في وجهة نظر أخرى مثل دراسة مهمة تدعى «أزمة الديمقراطية» وهي معنى آخر لنظرية أورويل «بدايات الديمقراطية» نشرت من قبل اللجنة الثلاثية، وهي مجموعة نولية من النخب الليبرالية الرئيسية. انهم اناس اعتمد عليهم الرئيس كارتير في ادارته. وهم يشيرون الى المدارس الفكرية على انها مؤسسات مسؤولة عن تلقين الشباب». وبالطبع، فانهم يتحدثون الواحد منهم مع الآخر بشكل مختلف عما يتحدثون به في العلن، بل ان هذه هي الطريقة التي يفهمونها. فانهم يعتبرون مؤسسات التلقين، ورفض الطاعة، واعاقة وسد امكانية استقلالية الفكر او وجود فكر مستقل، وانهم يلعبون دوراً مؤسسياً ضمن نظام السيطرة والإكراه. اما المدارس الفكرية الحقيقية فانها ترمي لتزويد الناس بأساليب الدفاع الذاتي. بل ان ذلك يعني تعليم او تلقين الحقيقة عن العالم وعن المجتمع، وهذه المدارس لم يمكنها ان تبقى وتستمر وقتاً طويلاً اذا ما فعلت ذلك.

■ سؤال : إن الكاتب اوتيرو، الذي حرر مجموعة من مقالاتك تحت عنوان «الاضطرابات الرأبىكالية، قد كتب في مقدمة الكتاب، «إن النظام الديكتاتوري لسيطرة الفكر هو ابعد تاليراً من النظام الديمقراطي، حيث ان المبدأ الرسمي ردد من قبل المفكرين الذين يخضعون في الدولة، وهو امر قابل للتطابق او التماثل بسهولة كاستلوب دعاية صافى وهذا يساعد على حرية الفكر. وفي المقابل، فقد كتب يقول، «إن للنظام الديمقراطي يسعى ليقرر ويحدد النطاق الكامل للفكر وذلك بتركه للافتراضات الغير معبرة. فهي مفترضة مسبقاً وانما ليست مؤكدة . فما هو رايك ؟

جواب : هذا موضوع دقيق جداً. فقد كتب عنه ايضاً عدة مرات. ففكر حول ذلك فقط. ولناخذ، مثلاً، بلداً يقع بعيداً عن نظامنا، انه الاتحاد السوفياتي (سابقاً).

فذلك بلد كان يدار بالهراوة (بالقوة)، وبشكل رئيس. انه كان بلد الاوامر والسيطرة، فكل واحد فيه كان يتبع الاوامر بشكل اساسي. فهناك كان يمكن بسهولة التقرير او فهم ما هي وسائل الدعاية التي كانت فيه: وما تخرجه الدولة وتصرح به فانه يعتبر دعاية. وهذا نوع من وصفه أورويل في عام ١٩٨٤. ففي بلد مثل ذلك، فان وسائل

الدعاية قابلة للتطبيق والتماثل بسهولة. وكل واحد يعرف ما هي هذه الوسائل، ويمكنك ان تختار تكرار تلك اذا ما اريدت، ولكن بشكل رئيس فانه ليس في الحقيقة محاولة للسيطرة على فكرك بشكل كبير، اذ انه يمنحك او يقدم لك فقط سياسة الحزب فيه. فدعايتهم كانت تقول لك «هنا العقيدة الرسمية، وما نمت لا تطيع او تقبل تلك فانك لن تقع في متاعب. فما تعتقده او تفكر فيه ليس على جانب كبير من الامة لاي واحد. ولكن اذا ما خرجت عن الخط فاننا سنفعل شيئاً لك لأن لدينا القوة والسلطة».

ان المجتمعات الديمقراطية لا يمكنها في الحقيقة العمل مثل تلك، لأن الدولة فيها لا يمكنها السيطرة على السلوك والتصرفات بالقوة. لذلك، فان عليها ان تضبط بما تفكر به. مرة ثانية، فان المنظرين الديمقراطيين قد فهموا ذلك منذ خمسين او ستين عاماً وكانت واضحة تماماً. واذا ما كان صوت الشعب مسموعاً، فانه من الافضل ضبط ما يقوله تلك الصوت، وذلك يعني ان عليك ضبط ما يفكرون به. ان نهج او أسلوب اوتيرو الذي ينكر هنا هو واحد من الأساليب الرئيسية. ومن إحدى الوسائل التي يمكن ان تضبط او تسيطر على ما يفكر به الناس هو بواسطة ابتكار الوهم من انه توجد مناقشة او مناظرة تجري حول ذلك، ولكن نتأكد من ان تلك المناظرة تبقى ضمن هوامش ضيقة جداً. واعني بذلك، ان عليك للتأكد من ان كلا الطرفين في المناظرة او المناقشة تسلم بافتراضات معينة، ومن تحول تلك الافتراضات لتكون نظام دعاية او إعلام. وما دام ان كل واحد يسلم بنظام الدعاية هذا، فإنه يمكنك عندئذ ان تستمر في المناظرة.

إن حرب فيتنام تعتبر مثلاً تقليدياً على ذلك. ففي وسائل الاعلام الرئيسية، مثل صحيفة «نيويورك تايمز» او شبكة سي.بي.اس او أية جهة أخرى - ففي الحقيقة، ان جميعها اجتازت الخط او النطاق باستثناء بعض الحدودات - وكانت تجري المناظرات والمناقشات الحية في وسائل الإعلام الرئيسية بين معظم فئات الشعب. وكان يحدث ذلك بين ما أطلق عليهم «بالحمائم» و«الصقور». «الصقور» كانوا يقولون، «إذا ما أبقينا على تلك فاننا سنكسب (الحرب). أما «الحمائم» فقد كانوا يقولون، «وحتى اذا ما أبقينا على ذلك فانه من المحتمل ان لا نستطيع الفوز، اضافة، فانه من المحتمل ان يكون ذلك مكلفاً جداً بالنسة لنا. لارة على انه يمكن ان يقتل العديد من الناس». او ما شابه ذلك. إلا ان كلا الطرفين، انم والصقور، اتفقوا على شيء واحد: وهو ان لنا الحق

في تنفيذ العدوان ضد فيتنام الشمالية. وفي الواقع، أنهم حتى لم يعترفوا بلتها كانت موجوبة ككولة، ودعوا ذلك بلته «دفاعاً» عن فيتنام الجنوبية، مستخدمين عبارة «دفاع» بدلاً من «العدوان»، وعلى نمط أسلوب أرويل. فقد كنا في الحقيقة نهاجم فيتنام الجنوبية، تماماً كما كان الروس يهاجمون أفغانستان. وفعلنا مثلهم تماماً، فقد أنشأنا هناك أولاً حكومة موالية لنا بعثنا لتفخل، وبعد ذلك كان علينا استبدال حكومة تلو أخرى. وأخيراً تنخلنا هناك بناء على طلبها، وأثناء وجودنا هناك لسنوات عديدة، فقد قمنا بالهجوم والاعتداء على السكان والمثمن والقرى. ذلك العدوان، الذي لم يفكر أي واحد منا على أنه كان خطأ، أو حتى، أن أي واحد قد فكر بأنه كان خطأ لم يكن ليسمح له بلن يناقش ذلك. فإذا ما كنت من الحمائم، فانك الى جانب العدوان، وإذا ما كنت من الصقور فانك الى جانب العدوان ايضاً، على حد سواء. فالمناظرة ما بين الحمائم والصقور، عنفد، هي تكتيكية تماماً.

إن النقطة الحقيقية هي أن العدوان كان خطأ. فعنما غزا الروس تشيكوسلوفاكيا، فقد أطلق عليهم ذلك، مع أنهم لم يقتلوا أناساً كثيرين، بيد أن ذلك كان خطأ لأن العدوان هو خطأ. ونحن جميعاً نفهم ذلك. بيد أنه لا يمكننا ن نسمح بلن يعبر عن هذا الفهم عنما يتعلق الأمر بأعمال العنف التي تمارسها دولتنا. فإذا ما كان هذا في دولة ديكتاتورية، فإن «وزارة الحقيقة» ستقول ببساطة، «أنه من حقنا الذهاب الى فيتنام، فلا تناقشوا ذلك». فالناس سيعرفون بلن وسائل الاعلام تتحدث عن ذلك وأنه لا يمكنهم للتفكير بما يريدون قوله. فمن الممكن أن يروا بلتنا كنا نهاجم فيتنام تماماً مثلما يمكننا رؤية الروس وهم يهاجمون أفغانستان.

فلم يكن بوسعنا السماح بمثل ذلك الفهم للحقيقة في بلاتنا، أنه أمر خطير جداً. فالناس هم أحرار جداً هنا، حيث يمكنهم التعبير عن أنفسهم بحرية، ويمكنهم القيام بأشياء. لذلك، فأنه من الضروري محاولة السيطرة على الفكر، وذلك لمحاولة أن يبدو الأمر وكأن المسألة كانت تكتيكية: فهل يمكننا أن نفهم ذلك؟ فلا توجد هناك مسألة صم أو خطأ. فذلك سار بشكل جزئي، وليس بشكل كلي. أما بين الفئة المتعلمة أو المثقفة من الشعب فإنه سار كلياً تقريباً.

وتوجد هناك دراسات جيدة تظهر ذلك، مع وجود خطأ احصائي تكتيكي، ذلك أنه

بين الفئات المتعلمة من الشعب، فإن وسائل الاعلام والدعاية الحكومية قبلت او اخذت بشكل كامل. ومن ناحية أخرى، وبعد فترة طويلة من المعارضة الشعبية العفوية، والانشقاق والتنظيم، فإنه فقدت السيطرة على الشعب. فوفقاً لآخر الاستطلاعات التي جرت في عام ١٩٨٢، فقد أظهرت بأن أكثر من سبعين بالمائة من الشعب كانوا ما يزالون يقولون بأن حرب فيتنام كانت «على نحو خاطيء تماماً وغير أخلاقية»، وليس «غلطة فحسب». ذلك أن الغالبية العظمى من الشعب هم ليسوا صقوراً ولا حمام، وإنما كانوا يعارضون العدوان. ومن ناحية أخرى، فإن الفئة للمتلمة من الشعب، فإنهم كانوا ملتزمين بالخط الرسمي. فبالنسبة لهم، فإنها كانت مسألة تكتيكية فحسب فيما يتعلق بالصقور بمواجهة الحمام.

وهذا، وبشكل تصانفي، ليس غير نمونجياً. فوسائل الدعاية والاعلام غالباً ما تعمل بشكل أفضل بالنسبة للمتطمين والمتقفين أكثر مما تفعله بالنسبة للغير مثقفين. وهذا صحيح لعدة اسباب. فهناك اسباب عديدة لهذا، أولاً، لأن المتعلمين يتلقون وسائل الدعاية والاعلان بشكل أكثر لأنهم يقرأون أكثر. وشيء آخر هو أنهم يعتبرون عملاء لوسائل الدعاية والاعلام. علاوة على أن عملهم يشبه الى حد كبير عمل الوكلاء، فمن المفترض أن يكونوا عملاء لأجهزة الدعاية والاعلام، لذلك فهم يصدقونها. والاسباب الأخرى هي أنهم، وعلى نطاق واسع، فإنهم يعتبرون جزءاً من النخبة المختارة، ذلك أنهم يقاسمونهم ويشاركونهم مصالحهم ومفاهيمهم، في حين أن عامة الشعب مهمشة أكثر. اذ أنهم، وبشكل واسع، لا يشاركون في النظام الديمقراطي، الذي هو لعبة النخبة بشكل غامر. فقد تعلم الناس من خلال حياتهم الخاصة أن يكونوا متشككين، وهم في الحقيقة معظمهم كذلك. فهناك الكثير من الشك والريبة والانشقاق والانعزال وهم جراً.

وهنا حالة مثيرة للاهتمام، فبينما أسلوب السيطرة على الفكر سار بشكل فعال جداً، وبفعالية بلغت مائة بالمائة عملياً بين الفئة المتلمة من الشعب، وبعد سنوات عديدة من اعمال العنف والوحشية والمجازر، وقتل مئات الآلاف من الناس وهم جراً، فإن التاكل بدأ يسري بين عامة الناس. حتى أنه ظهر هناك اسماً لذلك: دعي «بأعراض حرب فيتنام» أنه مرض خطير: فهمه الناس جيداً. بيد أنه من المدهش، أن نرى كيف سرى مفعوله بين الفئة المتلمة. فإذا ما اخذت او انتقيت كتاباً عن التاريخ الأميركي،

ويحدث عن حرب فيتنام، فأنك لن تجد فيه عبارة مهاجمة أو الهجوم أو الاعتداء على فيتنام الجنوبية. وكأن الأمر، فلنقل، لو كان في الاتحاد السوفياتي، بلته لا يوجد أية اشارة الى عبارة الغزو الروسي لأفغانستان. فكل واحد يقول انه يدافع روسي عن أفغانستان - وفي الحقيقة، فإن الشعب بدأ للتو بالحديث عن الغزو الروسي لأفغانستان - ربما انهم يدافعون عنه، وقد لا يدافعون عنه - بيد انهم يقرون ويعترفون بلته كان موجوداً. إلا انه في الولايات المتحدة، حيث جهاز أو نظام التلقين فعال الى حد كبير جداً، فإن الفئة المتعلمة من الشعب لا يمكنها رؤية أن تلك موجودة. فنحن لا يمكننا أن نرى أو نعتبر بلته كان هناك غزو أميركي لفيتنام الجنوبية. إن تلك لا يفكر في التاريخ الأميركي، وعلى مبدأ نظرية أرويل.

■ سؤال : ومن يوجه ويدير هذا، ومن ينجز هذا، ومن هم اشخاصه،

أو الذين يستخدمون مصطلح غرامسكي، «خبراء في الشرع» ؟

جواب : الخبراء في الشرع، وهم الأشخاص الذين يعملون لجعل الناس الذين يتولون السلطة يبدون شرعيين، وهم بشكل رئيس من النخب المتعلمة الثرية. فالصحفيون والاكاديميون، والمعلمون، واختصاصيو العلاقات العامة، فهذه الفئات من الناس ككل لها نوع من المهمات المؤسساتية، وذلك لخلق نظام من الاعتقاد بحيث يضمن التوجيه الفعال للقبول. ومرة ثانية، فإن الأكثر تقدماً منهم يقول ذلك. وفي العلوم الاجتماعية الاكاديمية، على سبيل المثال، فهناك تقليد تام لتوضيح الضرورة لادارة الرضا أو القبول الديمقراطي. وهناك نقاد قليلون جداً لهذا الوضع. ومن بينهم عالم اجتماعي مشهور يدعى روبرت داهل الذي بين - وهو صحيح بشكل واضح - انه اذا كان لديك نظام سياسي تعمل فيه باستمرار في خيارات من موقع متميز، فهذه هي الديمقراطية أنها غير قابلة للتمييز عن الديكتاتورية. ومن النادر جداً أن يشير الناس الى ذلك.

وفي مجال صناعة العلاقات العامة، التي هي صناعة رئيسة في الولايات المتحدة ومنذ وقت طويل، فمنذ ستين عاماً أو أكثر، فهي مفهومة جداً. وفي الحقيقة، فإن ذلك هو غرضهم. وهذا واحد من الأسباب لوجود مجتمع مستفتي أو مقترح، ذلك أن العمل يمكن أن يبقى يده على العاطفة أو النزعة الشعبية وأن يتحقق من ذلك، اذا ما غيرت المراقف، وقد كان علينا أن نعمل وفق تلك بشكل افضل. وذلك ما اوجدت من اجله

للعلاقات العامة، فهو أمر مدرك ومفهوم جداً. وعندما تدرك ما يطلق عليه هؤلاء الأشخاص المؤسسات والمعاهد المسؤولة عن «تلقين الشباب»، وهي المدارس والجامعات، وقد أصبحت عند تلك النقطة أكثر فطنة ونكاه. وبشكل واسع، فإن طلاب المدارس والجامعات يعتقدون بأنهم يقولون الحقيقة. وهي تعمل بتلك الطريقة، مع استثناءات نادرة، هو أنه لا يمكنك أن تجعل ذلك يسير من خلال هذه المؤسسات لغاية ما تقبل مبدأ التلقين. والتفكير المستقل مشجع في العلوم إلا أنه غير مشجع في هذه المجالات. وإذا ما قام به الناس فأنهم يوصفون بأنهم راديكاليون أو أن هناك خطأ ما بهم. وليس عليه (النظام) أن يتفاعل مائة بالمائة، في الواقع، فإنه حتى أفضل بالنسبة للنظام إذا ما كان يوجد هناك بضعة استثناءات هنا وهناك. فهو يمنع وهما من المناظرة أو الحرية. بيد أنه يتفاعل بشكل غامر.

وفي مجال الاعلام، فإنه ما زال أكثر وضوحاً. فوسائل الاعلام، مع ذلك، هي مؤسسات مندمجة مع بعض المؤسسات الرئيسية في البلاد. والأشخاص الذين يملكون ويميزون هذه المؤسسات ينتمون الى نفس النخبة المحبوبة من المالكين والمديرين الذين يسيطرون على الاقتصاد الخاص، والذين بالتالي يسيطرون على الدولة، لذلك فإنها رابطة أو فئة محدودة جداً من وسائل الاعلام المشتركة أو المتحدة والمثراء والمالكين. فهم يتشاركون بنفس الفهم والانراك، وهم جراً. فنتلك نقطة رئيسية. لذلك، فمن الطبيعي، انهم يفهمون المسائل والمشاكل، القمع، السيطرة وصياغة مصالح الجماعات أو الفئات التي يمثلونها: وبشكل مطلق مصالح الملكية الخاصة للاقتصاد - وأين تتركز في الحقيقة. علاوة على ذلك، فإن لوسائل الاعلام سوقاً قوامها: المعلنون، وليس عامة الناس. فعلى الجمهور أن يشتري الصحف، بيد أن الصحف مصممة لتجعل الجمهور يشتريها، وبذلك يمكنها أن ترفع أجور ومعدلات أجورها. فالصحف تباع بشكل أساسي للمعلنين عن طريق الجمهور. وحيث أن المؤسسة تباعها وإن سوقها يعتبر مجالاً للأعمال، فنتلك ناحية أخرى يكون فيها النظام المشترك أو نظام العمل قابراً بشكل عام على ضبط وسيطرة رضاءات وسائل الاعلام. وبمعنى آخر، فإذا ما خرجت عن الخط بشكل لا يدعو للتخيل أو للتصور، فإن المانة الدعائية ستسقط وذلك هو الإرباك.

وسلطة الدولة لها نفس التأثير. فوسائل الاعلام تريد إبقاء علاقتها الحميمة مع سلطة الدولة. فهي تريد أن تحصل على التسهيلات منها، وهي تريد دعوتها الى المؤتمرات الصحفية الرسمية. وهي تريد أن تحتك مع وزير الخارجية، وكل انواع المهمات. ولفعل ذلك، فان عليها أن تمارس نفس اللعبة، وان لعب للعبة يعني قول الاكاذيب، ويؤدي دوره كجهاز عدم معلومات. ويعيداً تماماً عن الواقع ذلك أنهم يعضون ليفعلوا ذلك بآلية طريقة خارجة عن مصالحهم الخاصة وعن وضعهم الخاص في المجتمع، فهناك تلك الأنواع من الضغوطات التي تجبرهم على ذلك. انه نظام ضيق جداً للسيطرة، بشكل مطلق.

ومن ثم تأتي مسألة الصحفي المستقل أو الفردي، فانت تعرف، بأن الصحفي الشاب يصمم على أن يصبح صحفياً شريفاً. حسناً، فحاول ذلك. فبعد وقت قصير، فانك ستعلم من قبل رئيسك بانك عاطفي جداً، ومنخرط في القصة أو الرواية كثيراً. وعليك أن تكون موضوعياً أكثر. فهناك كم كبير من الكلمات المخصصة لذلك، وما تعنيه تلك الكلمات هو: اتبع الخط، يا زميل، أو انك ستكون خارجاً. واتباع الخط تعني اتباع خط الفريق أو الجماعة. ويحدث شيء واحد عندئذ هو ان الناس يستبعدون. بيد أن أولئك الذين يقررون التأكيد فغالباً ما يبدأون تصديق ما يقولونه. ولكي تحرز تقدماً فان عليك قول أمور معينة، وأن تقوم بما يريده منك رئيسك، وما يريده مديرك أيضاً. وبإمكانك محاولة قول ذلك وأن لا تصدقه، ولكن ذلك لا يسير تماماً، وأن الناس لا يفضلون ذلك الشخص الغير شريف أو صابق، فلا يمكنك أن تعيش مع ذلك، فانه من النادر أن يستطيع شخص فعل ذلك. لذلك فابدأ بقوله وسرعان ما تصدق ذلك لأنك تقوله، وسرعان ما ستصبح داخل النظام. علاوة على ذلك، فان هناك كمّاً من الجوائز ستكون بانتظارك اذا ما لبثت في داخله. فبالنسبة للأشخاص الذين يلعبون اللعبة بقواعدها في مجتمع ثري مثل هذا، فانه تنتظرهم هناك جوائز وافرة. وستكون حمناً جداً، وستكون متميزاً أو منتفعاً، وثرياً، ولديك مكانة ومهابة، وستشارك في السلطة اذا ما أريت ذلك، فإذا ما أحببت مثل هذا النوع من العمل، فبوسعك الذهاب لتصبح ناطقاً باسم وزارة الخارجية أو ما شابه ذلك، وستكون قريباً من مركز السلطة والامتياز على الأقل، وفي أغنى بلد وأعظم قوة في العالم. وبوسعك ان تذهب الى أبعد من ذلك، ما

دعت ستكون مطيعاً ومنضبطاً وملائماً. لذلك فإن هناك العديد من العوامل، وأن الأشخاص الذين يكونون مستقلين أكثر فإنهم سيسقطون من الحسابات أو أنهم سي طرحون جانباً. وفي هذه الحالة فإنه توجد هناك بضعة استثناءات.

فدعني أقدم لك مثلاً واحداً. ففي آذار ١٩٨٦، جرى تصويت رئيس بخصوص المساعدة المقدمة لثوار الكونترا. وليلة ثلاثة أشهر، سبقت اجراء التصويت، فإن الادارة (الأميركية) قامت بنشاط محموم لمحاولة ازالة القيود في الكونغرس المفروضة على المساعدات الممنوحة للجيش الارهابي الذي يهاجم نيكاراغوا، وما يدعى داخلياً «بجيش موكل أو مفوض»، جيش ارهابي موكل لمهاجمة نيكاراغوا، والذي هو بالطبع يقوم بذلك.

■ سؤال : إن ثوار الكونترا يدعون أيضاً باسم «مقاتلو الحرية» ؟

جواب : انهم يدعونهم امام الشعب بمقاتلي الحرية. ولكن اذا ما نظرت الى الوثائق المحلية فإنهم يشكلون جيشاً موكلاً منخرط ومتورط في الارهاب، بيد ان ذلك داخلياً، لذلك فأنني ادعهم بعبارات داخلية دقيقة وهي: الجيش الارهابي الموكل.

والسؤال هو: هل يمكننا ازالة قيود الكونغرس؟ فإن ذلك هي مشكلة الحكومة. فالثلاثة شهور الاولى من تلك السنة كانت مدمشة في تلك الناحية هي: كيف كانت وسائل الاعلام ماضية للاستجابة للحملة الحكومية لمحاولة رفع قيود الكونغرس عن مساعدة الكونترا. فلقد كنت مهتماً بذلك، لذلك فقد اخذت صحيفتين هما واشنطن بوست ونيويورك تايمز، ومضيت احلل مقالاتهما ومواقفهما المتعلقة بهذا الموضوع لأشهر كانون الاول، شباط واذار، واقوم بقصها وجمعها. وتجمع لدي ٨٥ مقالاً، وكانت جميعها ضد السانننيين. لذلك فإنها جميعها (تلك المقالات والمواد) كانت تتبع الخط السياسي الرسمي، بلن السانننيين هم سينون.

ومع ذلك فإنه لم تجر اية مناقشة أو مناظرة حول هذا الموضوع. فكافة الآراء الصحفية كانت ضد السانننيين. فهل نحن حقاً ضد السانننيين؟ وتأتي الآن النقطة التالية. فهناك حقيقتان مدمشتان جداً بشأن الحكومة السانننية مقارنة مع حلفائنا في اميركا الوسطى: هنسراس، غواتيمالا، والسلفادور. فهذه الحقائق غير قابلة للإنكار، مهما فكرت بشأنها. الحقيقة الاولى هي ان الحكومة السانننية، من بين حكومات دول

اميركا الوسطى، الحكومة الفريدة التي لم تقم بنبج شعبها. وهذه هي حقيقة، ليست موضع نقاش. ثانياً، انها الحكومة الوحيدة من تلك الحكومات التي حاولت تقديم خدمات مباشرة للفقراء من شعبها، وقد حوت مصابرها في الحقيقة من اجل الاصلاح الاجتماعي. وهذا ليس محل نقاش ثانية. وبإمكان قراة تلك في تقارير بنك الائماء الأميركي او الاستعلام عن ذلك من أية جهة أخرى تريدها. لذلك فان هاتين الحقيقتين المدهشتين تعيز وتفرق نيكاراغوا عن غواتيمالا، السلفادور وحتى عن هندوراس، التي نصف شعبها يموت من الجوع. وهذه الدول الثلاث، وخصوصاً غواتيمالا والسلفادور، هي من بين أسوأ الدول ارباباً في العالم. ففي الثمانينات، فقد قامت ربما بقتل مائة الف شخص من مواطنيها بمساعدة واسعة وتأييد كبير من الولايات المتحدة. فهي تعتبر بولاً اربابية وعنيفة تماماً. ولا تفعل أي شيء من اجل شعبها باستثناء قتله. وحكومة هندوراس تقوم بمساعدة الفني على سرقة الفقير، وربما ان نصف شعبها يعتبر جائعاً.

وعلى العكس، فان الحكومة الساندينية، مهما تظن بها، لم تقم بقتل شعبها، وانما حوت كافة مصابرها لهم. فهذا فرق كبير. لذلك فان الشيء التالي الذي نظرت اليه كان: كم من المرات ذكرت هاتين الحقيقتين في المقالات الرئيسية للصحف؟ فالحقيقة ان الساندينين هم مختلفون تماماً عن حلفاؤنا في انهم لم يقوموا بقتل شعبهم، ولم ينكر هذا أبداً في صحافتنا. ولا يشار الى هذه الحقيقة. كما لم يشار الى خدماتها واصلاحاتها الاجتماعية ومساعدتها للفقراء من شعبها. وانما اشير بطريقة غير مباشرة الى ان حرب الكونترا تمنع ذكر ذلك. بل ظهر هناك هجوماً ضد الحكومة الساندينية ووصفها بالديكتاتورية والوحشية، وهلم جرا، واتهمت بعدم تحويل مصابرها للفقراء. إلا أنها، في الواقع تختلف عن حلفاؤنا في اميركا الوسطى، فانها لم تقم بقتل مائة الف شخص من شعبها. فهذا أمر، مرة ثانية، بارز جداً في حد ذاته.

وبعد ذلك، فقد مررت على كافة المقالات الافتتاحية الواردة في صحيفة نيويورك تايمز، من عام ١٩٨٠، لغاية الوقت الحاضر. وأعني المقالات الافتتاحية فقط. التي تتعلق بالسلفادور ونيكاراغوا، ونفس القصة بشكل رئيس. فعلى سبيل المثال، ففي نيكاراغوا، في ١٥ تشرين اول ١٩٨٥، فرضت الحكومة حالة من الحصار على البلاد.

فهي بلد كانت تقع تحت هجوم إقليمي من قبل دولة عظمى، وقامت بما قمنا به خلال الحرب العالمية الثانية في هاواي: عندما فرضنا حالة من الحصار عليها. وهذا لا يدعو للدهشة كثيراً. وحدث من جراء ذلك ضجيج واحتجاج هائلين: فكبت الافتتاحيات حول ذلك، وكثر الشجب، لتظهر بأن الحكومة الساندينية هي نيكتاتورية وستالينية متوحشة، وهل جراً. وبعد ذلك بيومين، في ١٧ تشرين الأول، قامت السلفادور بتجديد حالة الحصار في البلاد، والتي كانت مفروضة منذ شهر آذار ١٩٨٠، وتجدد شهرياً، وكانت أقصى بكثير مما فرضته نيكاراغوا. فهي أعاققت حرية التعبير، وحرية الحركة، وأعاققت كافة الحقوق المدنية عملياً. وارتكبت السلفادور ضمن تلك الإطار عمليات القتل والنهب والتعذيب الجماعي، والذي ما زالت تقوم به في الواقع. وكل ما عليك أن تفعله هو النظر إلى آخر نشرة لتقرير لجنة العفو الدولية (الأمستري).

هذا، وفي خلال يومين، فرضت نيكاراغوا حالة من الحصار على البلاد، وجندت السلفادور حالة الحصار، وارتكبت بموجبه مجازر جماعية كبيرة وحملات تعذيب. واعتبرت حالة نيكاراغوا بفرض الحصار على أنها وحشية عظيمة، في حين أن حالة السلفادور للحصار، ومع أنها كانت أكثر قسوة في إجراءاتها وتطبيقها، فإنها لم تنكر في صحفنا. علاوة على ذلك، فإنها لم تنكر أبداً. ولم تنكر عنها كلمة واحدة من خلال (١٨٠) مقالاً افتتاحياً، لأنهم أتباعنا ومحاسبينا، لذلك فلا يمكننا أن نتحدث عنها. وانما، في الحقيقة، فإن التعليقات والأخبار الصحفية الواردة عن السلفادور هي أنها دولة معتلة تتعرض لهجوم إرهابي من اليساريين واليمينيين على حد سواء. أنه هراء تماماً. فكل تحقيقات حقوق الإنسان، والكنيسة في السلفادور، وحتى الحكومة ذاتها ومن خلال وثائقها السرية، تظهر أن الإرهاب ينبثق من قبل هذه الحكومة المعتلة، فإنها إرهابية في الحقيقة. ففرق الأمن ما هي إلا فرقاً للموت، بيد أنه ليس بوسعك أن تقول ذلك علناً، لأنه يعطي صورة خاطئة. فبإمكانك الخوض بذلك أكثر فأكثر، إلا أن هذه عبارة عن أمثلة دراماتيكية للاستسلام والخنوع التام لوسائل الإعلام التابعة للسلطة. فإنها لن تسمع حتى بإبداء الآراء المستقلة، وليس فقط المقالات والافتتاحيات الصحفية، فحتى الآراء المستقلة لم يسمع بها لأنها تخرج عن خط الحزب أو الدولة، وبالتالي فإنها خطيرة جداً.

وعلى نحو مشابه، فطيلة حرب فيتنام، لم يكن هناك أبداً آراء متفرقة في صحيفة نيويورك تايمز أو أية صحيفة أخرى أعرفها قالت بلن الولايات المتحدة كانت على خطأ في مهاجمة فيتنام الجنوبية. فهنا يكمن مشروع للبحث لأي واحد يشاء: إذا ما كان بإمكانك إيجاد كلمة واحدة لأي آراء مستقلة ظهرت في أية صحيفة أميركية أو في وسائل الاعلام الأخرى، فأنني ساكون ممتناً لذلك. فإنتي لم أقرأ كافة المواد الصحفية، بالطبع، بيد أنني تابعتها تماماً لعدة سنوات، ولم أعثر على أي شيء بهذا الصدد.

■ سؤال : هل السيطرة على مصدر رأس المال، هو أساس السلطة في الدولة الأميركية ؟

جواب : لا يوجد هناك شك على ذلك، بالتأكيد. ف رئيس المحكمة العليا ورئيس الميثاق الدستوري، جون جاي، عبر عن ذلك بشكل دقيق، فقد قال: إن الأشخاص الذين يملكون البلاد يسعون لحكمها. ويتلك الطريقة تسيير الأمور. فهناك كافة أنواع الآليات. ولأمر واحد، فلهيهم مصابر الاشتراك في السياسة. وبإمكانهم الحصول على المعلومات، وبإمكانهم ممارسة الضغط وبإمكانهم تشكيل لوبي ضغط، ويوسعهم عمل البرامج. فهم، في الواقع، السوق الحقيقي للأحزاب السياسية، وهم يسمحون للأحزاب بأن تبقى. وهم يؤثرون على السلطة التنفيذية، وعلى نطاق واسع. كما أنهم حتى يؤثرون على الكونغرس. علاوة على ذلك، فإذا ما حاولت أية حكومة أن تخرج عن الخط وحتى بلعني طريقة، فإن باستطاعتهم إيقاف تلك ببساطة، وذلك بوقف الاستثمارات، وبوقف دفع رؤوس الأموال، وهلم جراً.

ولكن لا تكمن المشكلة هنا فحسب، لأن المؤسسات تمتلك الحكومة بشكل تام بحيث لا تخرج عن الخط مطلقاً. ولكن في الدول الأخرى، وخصوصاً في دول العالم الثالث، فإن المشكلة تنشأ أحياناً، وبشكل سريع جداً، إذا ما حاولت الحكومة تنفيذ إصلاحاً اجتماعياً، فإنه يوقف. لماذا؟ لأن مقدار بسيط من رأس المال هو كاف لانجاز ذلك، وهذا يعني طعن أو دفع البلد أو الدولة للتوقف. لذلك فإن السيطرة الفعالة على اتخاذ القرارات الأساسية في المجتمع أو الدولة هي في أيدي القطاع الخاص، ومحصورة فيه ومركزة، وهذا بالتالي يمضي للسيطرة على الدولة.

الهنسة التاريخية

ييفيد بارساميان : إن مكافآت اللعب بالكرة مع النظام في هذا المجتمع (الولايات المتحدة) وهذه الثقافة هي واضحة جداً. فالمكافآت المادية واضحة. وقد تحدثنا عن الامتياز والاعتبار وعن طبقة المكافآت ايضاً. فماذا عن الجانب الآخر من العملة؟ ماذا عن العقوبات ؟

نعم تشومسكي :

إن تلك مختلف في المجتمعات (البلدان). ففي الاتحاد السوفياتي (سابقاً)، مثلاً، بالنسبة لعقوبات الانشقاق الشريف، فلما أن ينتهي بك الأمر في السجن أو في النفي وتحت ظروف وأوضاع بشعة. أما إذا ما كنت منشقاً، فحسب النموذج الاميركي الجنوبي، مثل السلفادور، فانه من المحتمل ان تجد نفسك معرضاً ومعذباً بعد عملية بتر بشعة. أما في الولايات المتحدة فان هذه ليست عقوبات. وهنا علينا ان نعمل تفريقات مرة ثانية. فاذا ما كنت منظماً اسوداً في الغيتو الزنجي، فانه من الممكن اغتيالك بواسطة الشرطة السياسية الوطنية، او على الأقل بواسطة حلفتهم، كما حدث بالنسبة لفريد هامبتون في شيكاغو عام ١٩٦٩، وعلى طريقة وأسلوب الجستابو في الاغتيال، حيث اغتيل وهو نائم، ومن المحتمل انه كان مخدراً، في الساعة الرابعة صباحاً، ومن قبل رجال الشرطة المتعاونين مع مكتب التحقيقات الفيدرالية. وفي الواقع، ان الحركة السوداء (حركة الزنوج)، قد لوحقت بارهاب الحكومة. فاذا ما كنت ضعيفاً واعزلاً بشكل خاص. فانك ستكون معرضاً للعنف. وبالطبع، فانه لا شيء يشبه الوضع في السلفادور، إلا ان الأمر ليس تافهاً جداً ولا يستهان به ابداً.

■ سؤال : أم ان هناك مثلاً من بلدتك في ولاية فيلادلفيا، والتي

شهدت اول غارة جوية محلية في التاريخ الاميركي؟

جواب : نعم، تلك أمر آخر. يمكن ان يحدث، الا انه ليس على مقياس دولة التي يمكن ان ترهب مواطنيها في الحقيقة. فاذا ما انتميت للطبقات الاكثر امتيازاً، اي اذا ما كنت

أيضاً ومن الطبقة الوسطى، فعندئذ تكون الفرص لأن تتعرض لارهاب العولة ضئيلة جداً. ومن الممكن أن يحدث ذلك، بيد أنه يظل ضئيلاً. وإذا ما حدث، فإنه سيحدث بلك مستهمش، وتبعد. وبدلاً من أن تصبح جزءاً أو عضواً في النخبة صاحبة الامتياز والصيرة، فإنك ستكون سائقاً لسيارة أجرة. أنه ليس تعنياً بحد ذاته، إلا أن بضعة ضئيلة من الناس تختار ذلك بمحض لختيارها، إذا ما كان الخيار لهم. وأن الأشخاص الذين يختارون ذلك لن يسمع عنهم ثانية أبداً. لذلك فإنهم ليسوا جزءاً من نظام التلقين. وأنهم ليسوا بصانعيه. ومن الممكن أن يكون الأمر أسوأ من ذلك، بيد أنه سيكون كافياً للناس المنضبطين.

■ سؤال : بشكل عام فإن كتبك قد أهملت. فهي لا تستعرض. وانت لم تدع لى برنامج «واجه الأمة» أو في نشرات الاخبار المسائية مع دان راي، ولم تقابل مع «الرايو الوطني العام». والمرات القليلة التي استعرضت فيها كتبك لم تكن سواء محببة أو بقيقة. ونضرب مثالاً هنا، مقابلة اجرتها صحيفة نيويورك تايمز مع الن تونيلسون، وهو زميل محرر في مجلة «السياسة الدولية». فقد بدا مقابله بوصفك «باليساري الشجاع» ومن ثم يقول «بان الليل الذي تقمه في كتابك «تحول المد» هو مستقى من مصادر ثانوية، ومصادر تاريخية، ومن مواد إخبارية وتقارير يسارية وليبرالية النزعة لجماعات أو منظمات حقوق الانسان في اميركا اللاتينية». فهل ذلك يعتبر نمونجاً؟

جواب : أنه من المدهش بلن الكتاب قد استعرض أخيراً، بيد أن ذلك نوع نمونجي من الضعف أو الوهن. فكل ما عليك أن تفعله هو النظر الى هوامش الكتاب لترى كم ذلك هو زائف. فأول كل شيء، فإن جماعات حقوق الانسان «اليسارية النزعة»، هي جماعات مقياسية، أي مثالية. فلا يوجد هناك «نزعة يسارية»، لأنها تنتقد وحشيات الغرب كما تنتقد وحشيات الشرق (الأعمال الوحشية). وهذا، بالطبع، بنظره، «نزعة يسارية». وبالنسبة لمصادر الكتاب، فإنه مثل أي عمل بحثي، فقد تعاطيت مع المصادر الأصلية، والتي هي تقارير للأحداث الجارية. وهذا نفس الشيء بالضبط هو صحيح في معظم الأعمال الثقافية المشرفة.

علاوة على ذلك، فهناك استخدام وافر لمصادر رئيسية غير مستخدمة، تكبت المصادر الرئيسية. فعلى سبيل المثال، فإن الوثائق الحكومية التي لم تستخدم ابداً في هذا المضمار لأنها لا تروي حقيقة القصة. وهذا ليس لأنه عمل لي. فلي انتقاد لخط الفريق أو للحزب يجب أن يواجه مقاييس عالية جداً. وإذا ما اتبعت خط الفريق فانك لن تكون بحاجة لتوثيق أي شيء: فبإمكانك أن تقول أي شيء تريد أو ترغبه. وهناك كتب رئيسية، استعرضت بشكل جيد، واعتبرت بشكل عالٍ، وكانت عبارة عن تعبير للرأي. فلا شيء هناك فيها يمكنك حتى من تتبع مصارها، بيد أن هذا لا يهم ما نعت تتبع خط للحزب أو الفريق. ويعتبر هذا من إحدى الامتيازات التي تحصل عليها جراء الطاعة والإنعان.

ومن ناحية أخرى، فإذا ما كنت معنياً بتقبل الآراء، فإن عليك أن توثق كل عبارة. وهو (الن تونيلسون) وصف أسلوب كتابي فيما بعد، خلال استعراض الكتاب، بأنه أسلوب «طنان». وهذا صحيح، فجزء من سبب ذلك لأنه بعد كل ثلاث كلمات كان عليّ أن اضع هامشاً مع توثيق كبير يفسر ويوضح ذلك. فمن ناحية ثانية، فإذا ما كنت في الجانب الآخر، فإن بإمكانك فقط أن تولي العناية إلى الأسلوب، لأنه لا يهم ما تقوله.

ويجب عليّ القول، وبشكل تصادفي، فأنني قد استفدت من ذلك الامتياز أيضاً. لذلك فأنني عندما كنت اكتب عن الاتحاد السوفيياتي بشكل انتقادي، فأنني لم أكن بحاجة لتوثيق أي شيء، ولا أحد كان يهتم بذلك. فهم اعتقوا بأن ذلك أمر جيد. إذ أنك إذا ما كنت تهاجم عدواً، فلما يجب عليك أن توثق ذلك؟ وإذا ما كنت يوماً ضمن الخط العام أو خط الفريق، فإنه لا ينبغي عليك أن توثق أي شيء. بيد أن النقطة الرئيسية للاهتمام حول ذلك الاستعراض (استعراض الكتاب) هو الضعف أو عدم التمهيل لفهم الكلمات. ففي الواقع، فإذا ما اطلعت على عملية استعراض الكتاب، فانك لن تأخذ المسألة بأي شيء. أقوله، فهذه النظرة صحيحة، وهكذا. ولكنه قال بلأنني فقدت الهدف لأنني لا أوضح كيف يجب على الولايات المتحدة أن تدافع عن المصلحة الوطنية. فهو قال شيئاً مثل، «حيث أنه لا يقدم بديلاً للدفاع عن المصلحة الوطنية، فإن هناك شيئاً ما مفقود، أو فاقداً الهدف».

ففي الحقيقة، فقد ناقشت تلك المسألة بشكل واسع. وبينت بأن عبارة «المصلحة الوطنية» هي عبارة أوروبية (عائدة إلى جورج أورويل) مستخدمة لتشير إلى المصالح المشتركة للنخب. فإذا ما كان لدى المزيد من المساحة هناك، فقد كان علي أن أقدم مزيداً أو فائضاً من التوثيق لذلك، وقد قلت ذلك بالطبع في تلك المعنى للمصلحة الوطنية من أن المواطنين لا يجب أن يدافعوا عنها. فهي غالباً ما تتعارض مع مصالحهم. إلا أنه لم يفهم ذلك. فالشخص الملقن بعمق، يعتبر إشارة أو علامة حقيقية للتلقين العميق، تلك بأنك لا يمكنك حتى فهم الأفكار الأولية أو الأساسية، التي يمكن لطفل يبلغ عشرة سنوات من العمر فهمها. فتلك عملية تلقين حقيقية. لذلك فبالنسبة لها فإنها نوع من الحقيقة اللاهوتية، حقيقة الدين المؤمن أو المعتقد به، من أن للمصلحة الوطنية هي ما يجب أن ندافع عنها. فافتراض أن أقول «أن كل واحد مثلك يستخدم عبارة المصلحة الوطنية بطريقة مخادعة جداً، فإنها ليست في مصلحة الأمة. إنها مصلحة الجماعة المتنفذة القوية، وربما تكون هذه الطريقة الصحيحة للدفاع عن مصالحها، بيد أنني لست مهتماً في الدفاع عن مصالحهم. أنني مهتم في الدفاع عن مصالح شعب الولايات المتحدة، وعن شعوب العالم في الحقيقة، لذلك فإنه لا لزوم علي أن أجيب عن سؤالك. فليس علي أن أوفر أو أقدم وسيلة أفضل لخدمة المصالح المشتركة للنخبة. فأنني لست مهتماً في تلك المسألة». أنه لا يستطيع فهم هذه النقطة أنها طريقة بعيدة جداً عن التفكير.

وفي هذه الناحية، فإنه يوجد هناك هبوط أو عجز حاد جداً منذ العصور الوسطى. ففي العصور الوسطى، عندما تقرا لثوماس اغيوناكس، فإنك تشعر بأنه كان يتعامل مع الهرطقة أو البدعة. فهو أراد الدفاع عن عقائد الإيمان ضد الهرطقة، إلا أنه شعر بأنه كان عليه فهم تلك أولاً. فلاموت العصور الوسطى كان له بعض النواحي الجور الفكري المخلص: فإذا ما كان للناس حجج أو نرائع هرطقية فإنه كان عليك أن تولي اهتمام نحوها، وتفكر بها، وتجد الأجوبة لها.

واقدر قمنا بالخط من شأن ذلك في الثقافة العصرية. وهنا فلا لزوم عليك فهم الهرطقة، وإنما أن تشير إليها فقط، وأن تقول فقط «انظر، فهذا الشخص منخرط أو متورط في الهرطقة»، وأن ذلك هو نهاية النقاش. والآن نحن نمضي بذلك. فهذا لن يكون

متسامحاً معه في المجتمعات المتقدمة الأكثر فكراً وإخلاصاً كممثل هرطقة العصور الوسطى. وهذه هي علامة أخرى للانحطاط الدراماتيكي المثير لرجال الفكر، إذ اضحوا عبارة عن وكلاء للقوة أو السلطة الخارجية، سواء كانت رسمية أم خاصة. وهذا الاستعراض (استعراض الكتاب) هو مثال جيد على ذلك.

■ سؤال : ومثال آخر هو ميشيل ماغندليوم، في استعراضه عام ١٩٨٢ لكتابك «نحو حرب باردة» في صحيفة «نيويورك تايمز». فهذا الكتاب هو واحد من الكتب الأكثر توثيقاً وعناية من أي كتاب آخر ظهر لك من قبل، فماغندليوم لم يعالج في الحقيقة أية مسألة من المسائل الجوهرية المطروحة في الكتاب، وإنما اتهمك بقوله «إذا ما كان الكتاب يحتوي على أية فكرة متماسكة بمجملة، فإنه يحتوي على الغضب فقط». لذا فانك شخص غاضب، ونحن نعرف كيف نتعامل مع الأشخاص الغاضبين، فنحن نطريهم أو نبعدهم لحسب.

جواب : هذا صحيح بشكل تصانفي. فإنتي لا انتظاري بأنني لست غاضباً. فعندما أتحدث عن التعذيب، والقتل الجماعي والنبح وهلم جرا، فأنني أكون غضباناً. وإذا ما كان عليّ أن أعبر عن ذلك، فأنتي لا أحاول أن أخدع أي واحد بشأن ذلك. بيد أن النقطة التي تطرحها هي حقيقة تماماً: فعليهم أن يطرحوا الهراء بطريقة ما. فليس بإمكانك أن تتعامل مع الحجج، فذلك واضح وجلي، فمن أجل أمر واحد عليك أن تعرف شيئاً ما، وإن معظم هؤلاء الناس لا يعرفون أي شيء. ثانياً، فانك لن تكون قادراً على الإجابة على البراهين والحجج لأنها تكون صحيحة. لذلك فما عليك أن تفعله هو أن تطرحه بطريقة ما. لذا فهذا أسلوب واحد، «أنه عاطفي فقط وغير مسؤول، وغاضب». وفي الواقع، فإنها حقيقة معهشة من أن الكتب هي عاطفية في الحقيقة، ذلك أن لا تحاول توثيقها، بل أن تجعلها أنيقة فحسب. وهناك كتب مخصصة ومهمة. فإذا ما توصل أحد ما إلى نتيجة ما ويقول «إنتي أكره الحرب في السلفادور، فهي تؤثر في كثير، فلا أريد أن أرى المزيد من الناس المعذبين» فذلك الكتاب سيلقى قبولاً جيداً، لأنه لا يمثل أي تهديد ما.

■ سؤال : هل ان كتاب «السلفادور» لخوان بيبينون يشبه ذلك بشكل دقيق ؟

جواب : نعم، فهذا لقي قبولاً كبيراً بسبب عدم احتوائه على أي تهديد. فانه لا يلفت الانتباه مباشرة الى حقيقة ما كان يحدث. الا ان هناك شيئاً ما يفوق ذلك، فانه كما تعلم، ان هناك اعمال وحشية تمارس هناك. انه امر فظيع، انه يجعلني أشعر بالروع والاشمئزاز. بل ان هذه الاعمال الوحشية والعنف لا تمارس هناك فحسب، انها تمارس هنا ايضاً في واشنطن، في نيويورك وشيكاغو، تماماً كما كانت تمارس الوحشيات واعمال العنف في افغانستان، من خلال ممارسة العنف في موسكو. وما دمت لا تستطيع جعل الناس ان يفهموا ذلك، فانه ستكون ملانماً جداً، واذا ما اشرت الى تلك الوحشيات على انها امر منتظم، فهي تحدث مرة إثر الأخرى، وتحدث بنفس الطرق والوسائل، فنحن لدينا الكثير من عملية التوثيق لتوضيح لماذا يريد المخططون الاميركيون ان تستمر اعمال العنف والوحشية هذه وبتلك الطريقة. وما ان تضعها في اطار من التاريخ المنتظم المتناسك والتركيب المؤسسي فان ذلك يؤدي اليها، خصوصاً عندما تمنحها التوثيق من اجل اثباتها، فعندئذ ستلقى سداً منيعاً، لأنه من الممكن ان تجعل الناس يفهمون شيئاً ما.

من جهة أخرى، فانه من المثير للدهشة، انهم يفعلون هذا بشكل خاص مع النساء، مثل جوان بيبينون. فاذا ما الفت امرأة كتاباً يتضمن شخصية عاطفية، فهذا امر مروع، كان تقول «اه حسناً، انظر الى هذا، فنحن نفهم النساء، بلتهن عاطفيات جداً، لذلك فهن ينزعجن من هذه الأمور، بل لانهن لا يفهمن الحقائق المؤلمة، وهلم جرا، فذلك امر جيد».

■ سؤال : دعنا نتحدث عن السلام والحركات الطلابية في الستينيات. فقد ابلت بعدد من البيانات حولها واود ان توضح ذلك بشكل اكثر. فانت تقول ان للسلام والحركات الطلابية في حقبة الستينيات «بانها متغيرة للوعي ورفعت المستوى الثقافي والاخلاقي للبلاد. وانها غيرت شخصية البلاد، وبشكل دائم من المحتمل». فما هو قولك ؟

جواب : أصبح يوجد هناك تحسن مدهش في المناخ الفكري، الثقافي والأخلاقي للبلاد. ويمكنك أن ترى هذا في كافة أنواع الوسائل والطرق. ولم يكن ذلك مقتصرأ على الحركة الطلابية. وكان هناك أيضا كافة الحركات الشعبية التي تطورت في تلك الحقبة - مثل الحركة النسائية، والحركة البيئية، وجميعها احتوت على عناصر شابة من الطلاب والشباب. ونحن الآن قائلين على مواجهة، على الأقل، نماذج وأشكال معينة من الاضطهاد والإكراه والأعمال الوحشية التي لم يكن بإمكاننا مواجهتها من قبل. والحركة النسائية تعتبر مثالا كاملاً على ذلك. والاضطهاد العرقي كان موجود قبل عام ١٩٧٠، الا انها لم تكن مسألة وصلت الى المدى الذي وصلت اليه الآن. انها الآن مسألة كبيرة نون شك.

ولنأخذ شيئاً أكثر بعداً، وهو معاملة الأميركيين الأصليين (الهنود الحمر). فهنا تكمن حقيقة مدهشة اذا ما فكرت بها. فالولايات المتحدة قد أوجبت وأسست على مدار السكان الأصليين للبلاد. فقبل ان يكتشف كولومبس أميركا، فقد قدر السكان الذين كانوا يعيشون شمال ريو جراند من ١٢ - ١٥ مليون نسمة. إلا أنهم تقلصوا مع بداية هذا القرن الى (٢٠٠) الف نسمة فقط. فمجل تاريخ غزو القارة الأميركية منذ الوقت الذي ولدت فيه أقدام المهاجرين الأوائل هو القتل والتدمير للسكان الأصليين وبكافة الوسائل المختلفة، وارتكاب المجازر أحياناً، مثل مجزرة «بيجويت» التي ارتكبتها البيوريتانيون (المتطهرون) أو تدمير جورج واشنطن الحقوق المدنية للاركواز في منتصف حرب الاستقلال، والأحداث التي جرت فيما بعد ومن خلال عملية غزو الأراضي الأميركية.

ومرست أحياناً جرائم الإبعاد مثل إبعاد جاكسون لأبناء الشروكينز، وكان خطأ متشدداً في الحقيقة. وعلى أية حال، فإن هذا مجرد تاريخ. وكان من الصعب أن يوضع في مجال نقاش، ومن الصعب تذكره الآن، بيد انه نوقش في سياق أفلام الكابوي والهنود الحمر. إذ يظهر فيها الهنود الحمر على أنهم أبناء سينون، وإن رعاة البقر هم الجيدون. وكان ذلك قبل مائتي عام، أو ثلاثمائة عام في الحقيقة، وهذا لم نصل الى تحديد معين بالنسبة له، وحتى من قبل الباحثين.

ويشكل تصانفي، فقد تغير هذا في السبعينات. فلأول مرة فقد أصبح ممكناً اعطاء تقييم مخلص وشريف نسبياً للتفاعل بين الغزاة الأوروبيين والسكان الأصليين الذين دعروا. فما زالت هناك طريقة طويلة للنهاب فيها، بل إنها البداية. فبينما يمكنك ان تجد امثلة مناسبة على مدى القرون القليلة الماضية، وكتاب هنا أو هناك، والأساطير كانت سليمة في عالم البحث والدراسة والوعي الشعبي أيضاً ولغاية النشوء على المستوى الثقافي. وهذا صحيح أحياناً في أسلوب مدهش. فعلى سبيل المثال، فإن اعلان الاستقلال، الذي زرعناه وطبعناه في الذاكرة في الرابع من تموز من كل عام، فإن كل واحد قرأ عنه في المدارس الابتدائية وما شابه ذلك. فقد نهبنا الى مدى مائتي سنة، كما أعلم، قبل ان أجد أي واحد، على الأقل، قد لاحظ حقيقة مذهلة بشأن تلك الوثيقة (وثيقة اعلان الاستقلال). ففي وثيقة الاتهام ضد الملك جورج، ملك انجلترا، فقد اتهم «باطلاق العنان لوحشية الهنود الحمر ضدها بواسطة أساليبهم الحربية المعروفة»، والتي تعني الابادة وهلم جرا. ويعتبر هذا بيان منهل وجبان ومخادع مثير. بل إن كل شخص بسيط يعرف مدى الوحشيات الأوروبية العقيمة الرحمة، ومدى أفعال أسلافهم وابائهم، وأساليبهم الحربية - من تدمير وقتل للرجال والنساء والأطفال - والتي أطلق لها العنان ضد السكان الأصليين للبلاد. فهذا التحول مضى بون ملاحظته أو حتى تسجيله. فلا أعرف أي شيء في المكتبة الأميركية أو حتى في العرف التاريخي الأميركي قد علق على ذلك. وربما يكون هناك شيء ما في مكان ما، إلا أنني لم استطع ايجابه.

ففي السبعينات، أخيراً، لاحظنا انه على مدى مائتي عام، فقد كنا نعيش في القيام بالعنف، والكنب الجبان، ولم تكن مهمشين. فليس امراً مهماً من ان يباد السكان الأصليين في سياق الغزو للأراضي الأميركية.

ان نفس اترك الاكاذيب قد حدث على مستوى المسائل الاخرى. فقد أصبح من الممكن ان تلقي نظرة صائقة نحو حرب الفلبين، حرب القتل والابادة، قتل الآلاف من السكان، انه ليس انتصاراً عظيماً. وقد أصبح من الممكن، ولأول مرة، ان نبدا الالتفات الى حرب وودرو ويلسون في هايتي وجمهورية الدومينيكان، انها كانت حرباً لعمليات قتل وحشية. وحرب الابادة التي حدثت في اليونان في عقد الأربعينات، حيث قتل فيها

الآلاف السكان وأرسل نحو مئتين ألفاً إلى ما أطلق عليه اسم معسكرات إعادة التربية، حيث عذبوا هناك أو أعدموا، ودمر النظام السياسي للبلاد، ودمرت الاتحادات العمالية. وكانت تلك قصة مخفية للغاية لآخر السبعينات. وبإمكاننا أن نسوق حالة أثر حالة. وأصبح هناك يقظة، ورغبة لمواجهة بعض حقائق العالم.

وانني أعزو ذلك إلى الارتقاء في المستوى الثقافي للحركة الطلابية وغيرها من الحركات الأخرى. وأنها كسرت أو حطمت الكثير من العوائق وجعلت من الممكن للناس التفكير بها.

■ سؤال : ألم تحاول الثورة الأميركية إعادة بناء الماضي وإتلاف تلك الذكرى ؟

جواب : بالتأكيد جداً. فقد كانت هناك حملة رئيسة لكل مسألة من أجل محاولة إعادة النظام والطاعة. فقد سرى ذلك بين النخب المتطمة، إلا أنها بالطبع لم تعرف كثيراً جداً، لذلك فإنه لم يكن هناك مجالاً بعيداً لانتخب إليه. وأنه سرى بشكل جزئي بين السكان، وليس إلى حد كبير. فعلى سبيل المثال، فقد نجحوا أخيراً في إعادة تشكيل أو تكوين نوعاً من الإجماع الشوفيني (المغالاة في الوطنية)، وخلق جواً من الخوف والاضطهاد. ويمتلق يقول فيه الناس «دعونا نذهب ونقتل الأوغاد». فقد نجحوا في تكوين ذلك.

بيد أنهم لم يتفهموا أو حتى يتعاطفوا مع الناس المضطهدين، أو حتى مواجهة العنف والوحشية. ويمكنني أن أرى ذلك بنفسني من خلال الحديث الذي أدليت به. فقد قمت بذلك لوقت طويل. فخلال الستينات، وأوائل السبعينات، وفي قمة وزخم نشاط حركة السلام، إذا ما كنت أتحدث عن جمهور حركة السلام المختار، الرابيكالي، ولا يمكنني القول بأن الأمور التي أقولها للجمهور العام حالياً، هي نفس الأمور التي أقولها الآن. فعلى سبيل المثال، فإنه لا يمكنني أبداً الحديث أمام الجمهور العام أو حتى أن أتحدث بالنسبة لتلك المسألة المتعلقة بجمهور حركة السلام وحتى في أوجها. وما حدث أنه كان هناك تغيير عام، فيمكنك أن تقترب من الناس أكثر فأكثر بشكل مخلص، خصوصاً أولئك الذين ليسوا جزءاً من الطبقة المتعلمة الضئيلة، والنخبة المتنفة المحصنة. فلا يمكنك التحدث معهم. ولكن بعيداً عن ذلك، فإن الكثير من المواطنين قد تغيروا بشكل هام، واعتقد وأمل بأن يكون ذلك أمراً دائماً.

■ سؤال : بعد انتهاء حرب فيتنام فقد كتبت عدد من المقالات تنبأت فيها بمحاولات الدولة الاميركية لاعادة بناء وترميم ما حدث في الهند الصينية. فهل تلك المحاولات كانت ناجحة؟

جواب : اعتقد بانها كانت ناجحة بين النخبة المتعلمة. اما بين طبقة العامة، فاعتقد بانها كان اقل من ذلك بكثير، بل انهم لم يهتموا بذلك كثيراً. ولكن من المهم الأخذ بعين الاعتبار ان معظم أبناء الشعب هم مهمشون، انهم ليسوا جزءاً من النظام، انهم يشاهدون الأمور فقط فالفئات النشطة سياسياً من الشعب هم الخطرون في الحقيقة. وطالما ان عامة الشعب غير منظمين، ولا مباليين، ومهمشين، فانهم لا يفعلون اي شيء. فلا احد في الحقيقة يهتم بما يفكرون. انهم فحسب ليسوا جزءاً من النظام. فمن الواضح، ان النخب المتعلمة والجماعات النشطة سياسياً، هي التي يمكنها ان تقوم بالتغيير والاختلاف. انها تلك الأشياء التي تشاهدها. ومن بينها، اعادة بناء التاريخ الذي كان ناجحاً جداً، ولكن بعنث، فانه لم يذهب الى مدى بعيد.

■ سؤال : في مقالة كتبها جورج ماجوفرن بصحيفة نيويورك تايمز، وهو اشتهر بمعارضته لحرب فيتنام، قال فيها «انني متالم جداً من تورطنا الكارثي في فيتنام. فالتاريخ والعناية الالهية سيعرفان في نهاية المطاف من كان على حق او خطأ في تلك المسائل التراجيدية او المساوية». فما قولك بذلك ؟

جواب : إنها مقالة متماسكة وشاملة نوعاً ما. فماجوفرن لم يكن من المعارضين الاوائل لحرب فيتنام. وفي السنوات الصعبة المبكرة للمعارضة، قبل ان تصبح مسألة شعبية، وحتى قبل وقت طويل من تحول القطاع المهني ضد الحرب على اساس للخسائر التي كانت تسببها، فان ماجوفرن لم يظهر على الساحة بشكل خاص. فقد كان هامشياً في الواقع خلال السنوات الصعبة. وقد جاء متأخراً، وانني متأكد ويشكل مخلص، بل انني اعتقد بأن موقفه يعبر عن إحساسه تماماً ويشكل دقيق. وبالنسبة له فإنها كانت مسألة «من كان على حق» .

■ سؤال : ولذا ما ترك ذلك للتاريخ، مقدماً ما كنا نتحدث عنه، وهو هزيمة التاريخ ... ؟

جواب : انهم سيولون العناية بذلك.

■ **سؤال :** الا تجده امراً شاذاً من انه يوجد هناك تعبير ضئيل عن الكرب او الظلم الذي لحق بشعوب فيتنام، لاوس وكمبوييا، والتي تحولت بلدانها الى مناطق حرة لإطلاق النار؟

جواب : ذلك امر صحيح لمناقشته كليا. فهناك احتجاج كبير، ويجب ان يكون الامر كذلك، بشأن المحاربين القدماء الاميركيين الذين عانوا كثيراً. ومع ذلك، فان هناك مراقبة ضئيلة يمكن ان تجري، ولكن اولئك هم شعب فيتنام الذين عانوا الالف المرات من ذلك، واننا بالتأكيد لم نحاول مساعدتهم، وانما في الواقع، اربنا زيادة معاناتهم.

■ **سؤال :** وما قولك بالبرامج التلفزيونية او المسلسلات التي بثت حول فيتنام ؟

جواب : اعتقد بلنها كانت عبارة عن دعاية رخيصة وهراء مبتذل. ففي السنوات الاولى من الحرب، او فترة الحرب الفرنسية، فإنها كانت دقيقة جداً. فقد كانت وسائل الاعلام قادرة على معالجة حرب فرنسا في فيتنام.

■ **سؤال :** وهل كان ذلك امر موثوق او جدير بالثقة؟

جواب : نعم، كان امراً موثقاً. بيد انه سرعان ما تحول الأمر خلال حرب اميركا في فيتنام، فيما يتطرق بأجهزة الدعاية والاعلام. فالبعض قد تحدث عن ممارسة العنف والوحشية، والوحشيات الفربية، التي لم تكن مهمة بشكل مزعج. فالجنود الافراد في ساحة الحرب، الذين كانوا يحاربون تحت ظروف مرعبة هم بالتأكيد قد يمارسون الأعمال الوحشية في كل حرب. فمن السهل لومهم على ذلك، فنحن نجلس براحة هنا والخنازير في الميدان يقتلون الآخرين، ويتملكنا الانزعاج من جراء ذلك.

إن الوحشيات الحقيقية هي التي مورست في واشنطن، وكانت على نوعين بشكل رئيس: الاول، كان جرائم الحرب، الجرائم التي اعدم من اجلها مجرمو الحرب في نورمبيرغ، وأعني بذلك مسألة القمع. الثاني، هي الجرائم ضد الانسانية وهي العمليات المنظمة والتي يخطط لها في واشنطن، بهدف عمليات القتل الجماعي. وهي الجرائم التي من اجلها اعدم الأشخاص في محاكمات نورمبيرغ (محاكمات النازيين). فتلك المسائل

لم تناقش، ولم يكن هناك فحوى سياسي لها. وبالفعل، فقد كتبت استعراضاً مطولاً لكتاب متعلق بذلك، من تأليف ستانلي كارنو. ففي وجهة نظره، كان يوجد هناك قضية نبيلة، وجهد مخفق، وأن التاريخ سيروي ذلك، الخ. والأمر برمته يعتبر مزيفاً. ففي الواقع، فإن جميع أحداثه تعتبر مزيفة بشكل خاص. فالحقيقة ليس لها اعتبار فيه، كما أنه لا يحتوي على توثيق، ولا مصادر داعمة، ولا أي شيء من هذا القبيل. فالحجج والبراهين سخيفة فيه.

فإذا ما أُلِفَ كتاب انتقادي أو لاذع يشمل الولايات المتحدة، فإنه سيتلاشى ويحارب على أساس أنه يحتوي على دعاية شيوعية سخيفة النوع. إلا أنه هنا فقد اعتبر هذا الكتاب على أنه رزين، ومطللاً بعناية، وعلى الخط الليبرالي. وفي الواقع فإنه قد هوجم من قبل اليمين لأنه كان ليبرالياً جداً في توجهه. فمن المنهش جداً أن المسلسل والكتاب كانا يتعرضان لهجومين : الأول من جهة اليمين والآخر من قبل اليسار. فالذي من قبل اليمين كان عبارة عن هراء حقيقي، وحتى أنه أسوأ من المسلسل الأصلي.

■ سؤال : هل يعني ذلك بأنه عائد للذقة المتظمة في وسائل الاعلام ؟

جواب : انها صيبانية، في الحقيقة، وكانت مريكة. فقد استعرضت النسخة الأصلية (للكتاب)، وسأكتب عنها يوماً ما. بيد أنه كان في الحقيقة صيبانياً ومريكاً. ومع ذلك فقد كان عليه أن يكون فارغاً في فحواه. أما النقد الذي تعرض له من الجهة الأخرى، والتي تدعى «اليسار»، مع أنني لا أحبذ هذه الكلمة، فقد جاء فيه: «انظروا، فهذا الشيء منحرف باتجاه الدعاية الحكومية». وذلك الشيء كان مخلصاً وشريفاً، نقيماً، وموثقاً بعناية، بل أنه لا يقارن. فهناك سبب لذلك. إذ أن السلطة تكتب على اليمين. تلك الجهة المسيطرة على رؤوس الأموال. لذا فعلى الحجة أن تكون مبنية على ذلك. أما الحجة في الجانب المقابل، فلا توجد قوة أو سلطة تقف خلفها، وحيث أن الحقيقة والاخلاص هما امران لا يمتنان للموضوع بصفة بتاتا، ويوسعك أن تتساه.

■ سؤال : لقد ذكرت اليسار، وكونك لا تترتاح لاستخدام مثل هذه

العبارة، إذ أنه في محاضرة لك أقيمتها عام ١٩٦٩، فقد نقلت عن أرويل قوله، «إن الفكر السياسي، وخصوصاً من جانب اليسار، هو

نوع من الخيال الاستثنائي يهتم به العالم بصعوبة. واضلت قائلاً:
«هذا صحيح، ولسوء الحظ فإن مجتمعنا يفتقر الى حركة يسارية
حقيقية». فهل ما زلت تتخذ مثل هذا الموقف؟

جواب : لا احبذ العبارات مثل «اليمن» او «اليسار»، وخصوصاً في الولايات المتحدة.
فانني لا اعتقد بانها تعني الكثير. ولكن اذا ما عني باليسار ما يعنى به من الناحية
التاريخية، من انه الاتجاه السياسي المعني بالدفاع عن حقوق انسان، وزيادة عملية
الديمقراطية، وازدياد سيطرة الشعب على القرارات الرئيسية في الدولة، بما فيه عملية
تلميم الاقتصاد الخاص، ووضعه تحت المراقبة الشعبية والديمقراطية، وتحت مراقبة
واشراف العمال، وعملية مراقبة الانتاج، واشراف المجتمع او الشعب على شؤونه. فاذا
ما تحدثنا عن اليسار بهذا المعنى او المفهوم، فان ذلك هو امتداد الحركة تجاه
الديمقراطية الشعبية والسيطرة الشعبية على المجالات المختلفة، والتغلب على السلطة
والقمع والتركيبات البيروقراطية وهلم جرا، فاذا ما عنيانا ذلك «باليسار»، فانه لا يوجد
الكثير منه في الولايات المتحدة. كما لا يوجد تقليد فكري محكم له ولا مؤسسات تنطق
باسمه. ولكن يوجد هنا سبب جيد للدلالة على ذلك، ليس لها قوة او سلطة. فهي ليست
لها سيطرة او اشراف على مصائر البلاد. وليس لها ثروة بشكل أساسي، ولذلك فهي
لا يمكنها تطوير مؤسساتها وإطالتها. ولا يمكنها تطوير أدب أو ثقافة، الخ.

فكل شيء يبدأ من البداية في جميع الأوقات. فنلك هو المجتمع الحقيقي الذي
تقصر فيه السلطة في أيدي أصحاب الاقتصاد الخاص (القطاع الخاص) وكافة
المؤسسات، بما فيها الأحزاب السياسية، التي هي خاضعة لهم. والأمر الذي جعل
أرويل يظل مثلاً حقيقياً الى مدى معين، وربما لا يكون بمثل القوة التي تبينها تلك
الكلمات، وأنه مرة ثانية يعتبر انعكاساً لطبيعة السلطة. فبإمكانك أن تنتج اعمالاً برفاعة
من جانب اليسار، إلا أنه من الصعب ترسيخ ذلك. فهي لا يمكنها الوصول الى الشعب،
ولا يمكن للشعب من فهمها. فهي بعيدة جداً عن الموقع العقائدي المستقبل او المتلقي،
والذي هو مرتبط ومتلازم مع السلطة الحقيقية.

اسرائيل . المحرقة والاسامية

بيفيد بارساميان : في إحدى كتبك وهو كتاب المثلث المحتوم، تركّز فيه بصورة معينة على الشرق الأوسط، وإنني اتساءل فيما إذا ما كان بوسعك التحدث عن موقفك فيما يتعلق بحل يتضمن وجود دولتين بالنسبة للمسألة الفلسطينية ؟

نعم تشومسكي :

لا اعتقد بأن ذلك يمثل الحل الأفضل أو الأمثل لذلك، بيد أنه كان حلاً سياسياً واقعياً لبعض الوقت. وعلينا أن نبدأ ببعض الاساسيات من أجل ذلك هنا. فالوضع الحقيقي هو: أنه توجد هناك فئتان وطنيتان تطالبان بحق تقرير المصير فيما عرف بفلسطين، وهي المنطقة التي تحتلها اسرائيل الآن إضافة الى مرتفعات الجولان، التي هي جزء من سوريا. فأحدى هاتين الفئتين هم السكان المحليون، أو ما تبقى منهم - إذ أنه تم إبعاد أو طرد العيبين منهم. أما الفئة الأخرى فهي من المستوطنين اليهود، الذين أتوا بصورة أساسية من أوروبا، ومن أجزاء أخرى من دول الشرق الأوسط فيما بعد ومن بعض الدول الأخرى. فكلتا هاتين الفئتين تطالبان بحق تقرير المصير الوطني.

وعلينا هنا أن نتخذ موقفاً حاسماً بشأن ذلك: فهل نحن عنصريون أو السنا كذلك؟ فإذا لم نكن عنصريين، فإن للسكان المحليين عندئذ نفس الحقوق لتقرير المصير للسكان المحليين كما الأمر للمستوطنين الذين حلوا مكانهم. ويمكن أن يدعى البعض أكثر من ذلك، لكن دعنا نقول على الأقل من له الحق أكثر. فإذا ما كنا غير عنصريين، فسنحاول أن نضغط من أجل حل يوافقهم - فسنقول بأنهم بشر فلهم نفس الحقوق، لذلك فإنهم يستحقون كلاهما المطالبة بحق تقرير المصير. وإنني أقر وأسلم بأن للمستوطنين الحق بنفس الحقوق كما هو الأمر بالنسبة للسكان المحليين، ولا يجد العديد من الناس بأن ذلك واضح ولكن دعنا نسلم به.

ومن ثم فهناك عدد من الاحتمالات. ومن إحداها نشوء مجتمع علماني ديمقراطي. وعملياً، لا أحد يفضل ذلك. فالبعض يقولون بأنهم مع ذلك، ولكن إذا ما نظرت الى ذلك

بإمعان فانهم ليسوا كذلك. فهناك نماذج مختلفة لوجود مجتمعات عرقية متعددة، وسويسرا، تعتبر مثلاً على ذلك. ومن الممكن ان تكون هذه أفضل فكرة على المدى الطويل، بيد انها غير واقعية. فالحل السياسي الواقعي الوحيد، في الوقت الراهن، ولعدة سنوات مضت، والذي سيرضي مبدأ حق تقرير المصير لكلا الطرفين هي حل وجود دولتين. وكل واحد يعرف ماذا سيكون عليه الأمر: وجود دولة اسرائيل بحُدُودها ما قبل حزيران ١٩٦٧ تقريباً، وإنشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، مع إعادة مرتفعات الجولان الى سوريا، او ربما يكون هناك ترتيب آخر بهذا الشأن. ومن الممكن ان يترافق هذا مع وجود مناطق منزوعة السلاح وضمانات تولية من نوع ما، بيد ان ذلك ما هو إلا اطار لتسوية سياسية محتملة.

وكما قلت، فلا اظن بأن ذلك هو أفضل حل، إلا انه حل واقعي، واقعياً جداً. وهو مؤيد من قبل معظم دول العالم. مؤيد من قبل دول أوروبا، ومن قبل دول الاتحاد السوفياتي سابقاً، ومن معظم دول عدم الانحياز. كما انه حائز على موافقة الدول العربية الرئيسية، ومؤيد منذ وقت طويل من قبل منظمة التحرير الفلسطينية. حتى انه قد أُيد من قبل الجمهور أو الشعب الأميركي، بنسبة اثنين الى واحد حسب ما أظهرته الاستطلاعات بهذا الشأن.

بيد ان هناك أيضاً فئات من الناس يعارضونه. فانه مرفوض من قبل جبهة الرفض في العالم العربي، والعناصر الثائوية في منظمة التحرير، ومن قبل ليبيا، وبضعة عناصر رافضة ثائوية. إلا انه معارض وبصورة حاسمة من قبل زعماء جبهة الرفض، وبشكل رئيس من قبل زعماء الولايات المتحدة واسرائيل. فالولايات المتحدة لن تلخذه بعين الاعتبار. كما ان كل من الحزبين الرئيسيين في اسرائيل قد رفضاه تماماً. فهما يرفضان وجود أية حقوق وطنية لتقرير المصير للسكان المحليين في فلسطين السابقة. فبإمكان هؤلاء ان يذهبوا ويستقروا في أية دولة عربية، في نظر اسرائيل، ولكن ليس لهم الحق ان ينتقلوا الى الضفة الغربية وقطاع غزة.

وفي الواقع، فانهم واضحون بهذا الشأن. وهناك احياءات منتشرة هنا من ان حزب العمل مهتم بإيجاد حل للمسألة. ولكن اذا ما نظرت بإمعان، فانه ليس بالحل المجدي. فموقف حزب العمل يظل بما كان يعبر عنه الرئيس الاسرائيلي السابق، حاييم

هيرتزوغ، الذي قال، «لا أحد يمكنه أن يكون شريكاً لنا في الأرض التي تعتبر مقدسة بالنسبة لشعبنا منذ ألفي عام». فنلك هو موقفهم. انهم راغبون في اجراء تصويات ثانوية. وهم لا يريدون الاعتراف بمكان الضفة الغربية، لأن غالبيتهم من العرب. فهم لا يريدون ان يكون هناك عرباً حولهم. لذلك فما يريدونه هو الاستيلاء على الضفة الغربية ومصارها الطبيعية، وترك السكان دون أن يكون لديهم دولة. وهذا ما أطلق عليه اسم «الحل الوسط». لانه اقتراح أو حل سلمي، وحتى انه أسوأ من الضم في عدة نواحي.

بيد انه يطلق عليه هنا بالحل الوسط ويسبب اننا نعتبر من الفئات المتطرفة في الولايات المتحدة، فان النقاش حول نلك يأخذ منحى عنصري بشكل متزمت. فالفلسطينيون لا يعتبرون بشراً هنا. فهم لا يستحقون الحقوق التي وافقنا عليها اوتوماتيكياً بالنسبة للمستوطنين أو المهاجرين اليهود (في فلسطين) الذين حلوا محلهم. فتلك هي الأساسيات الواضحة للموقف الأميركي، الخالص في عنصريته. ومرة ثانية، فان هذا لا يشكل موقف الشعب الأميركي، كالعادة، وانما هو الموقف الرسمي الواضح للإدارة الأميركية. فما دامت الولايات المتحدة واسرائيل ترفضان الحل السياسي، فلا يمكن ان يكون هناك حلاً.

وكان هناك بالتأكيد فرص مقبولة ومعقولة لحل سلمي سياسي على مدى السنوات السابقة. ومنذكر بعض منها، من التي اختفت من ذاكرة التاريخ، وذلك بسبب عدم ملاحظتها تماماً:

١ - في شهر شباط ١٩٧١، عرض الرئيس المصري الراحل، أنور السادات، معاهدة سلام كاملة على اسرائيل، تقص على الانسحاب الى حدود ما قبل حزيران عام ١٩٦٧. ووفقاً وانسجاماً مع السياسة الأميركية الرسمية، وعلى نحو متصاف، فان الخطة أو المعاهدة لم تطرح أي شيء بخصوص انشاء دولة فلسطينية، أو حتى تمنح أي شيء بالنسبة للفلسطينيين، لا شيء. ومع نلك فان اسرائيل رفضت هذا الاقتراح، وسانقتها الولايات المتحدة في هذا الرفض.

٢ - وفي شهر كانون الثاني ١٩٧٦، عرضت كل من سوريا، مصر والاردن، وما أطلق عليه «بدول جبهة الرفض»، اقتراحاً على مجلس الأمن الدولي، بأن يكون هناك حل مستند على وجود دولتين (اسرائيلية وفلسطينية) بضمانات دولية، وحقوق اقليمية

مؤمنة، وهلم جرا. وقد أيد هذا الاقتراح من قبل المنظمة، ومن الاتحاد السوفياتي سابقاً ومعظم دول العالم. إلا أنه رفض تماماً من قبل إسرائيل، التي حتى أنها قاطعت جلسة مجلس الأمن. بل أنها، في الواقع، قامت بالإغارة على لبنان في عملية انتقامية، وقتلت حوالي خمسين شخصاً، دون أي سبب أو مبرر لذلك، وقد أيدت الولايات المتحدة ذلك.

وكانت هناك سلسلة من هذه العروض والاقتراحات منذ تلك الحين وكانت الولايات المتحدة تعيقها يوماً أو تسد الطريق أمامها، كما ترفضها إسرائيل على النوام. وهذا يعني بلغة لن يكون هناك حلاً سلمياً. وبدلاً من ذلك فقد سادت هناك حالة دائمة من المواجهة العسكرية. ويعيداً عما يعنيه هذا بالنسبة للفلسطينيين، الذي يبدو واضحاً ومفزعاً، فإنه أمر سيء جداً بالنسبة لإسرائيل. وأنه سيؤدي إلى تدميرها، من وجهة نظري، وبالتأكيد إلى انهيارها الاقتصادي وانحلالها الأخلاقي، ومن المحتمل إلى تدميرها المادي عاجلاً أم آجلاً. فلا يمكنها الإبقاء على حالة المواجهة العسكرية دون هزيمتها عاجلاً أم آجلاً. وسيؤدي ذلك بالعالم إلى الاقتراب أكثر من خطر نشوب حرب نووية، وبشكل متكرر. والأمثلة على ذلك كثيرة في الماضي، في حالات التلعب النووي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي سابقاً، واحتمال حدوث مواجهة نووية بينهما. ومع أن منطقة الشرق الأوسط بعيدة جداً عنا، إلا أنها تعتبر منطقة استراتيجية بالنسبة لنا، بسبب آبار النفط المتواجدة فيها. لذلك فأننا معنيون بذلك. وقد اقترحت الأساطيل الأميركية من حالة المواجهة العسكرية إلى حد كبير جداً. ففي عام ١٩٦٧، اقترحت إلى حد المواجهة النووية، وتكرر هذا الأمر مراراً. لذلك فأنها منطقة خطيرة جداً، وأننا نعمل على إشغالها أكثر، بسبب عدم رغبتنا في إيجاد حل سياسي ناجح. فالولايات المتحدة تمنع في الإبقاء على المواجهة العسكرية.

■ سؤال : لقد ذكرت مبدأ العنصرية في مواجهة الفلسطينيين. فإلى أي مدى إذا ما كان هناك قد مارس الاسرائيليون (اليهود) الاشكنازيم، الذين تعرضوا للأوضاع للعنصرية الألمانية، تجاه الفئات الغير عربية بل حتى تجاه اليهود الشرقيين، السفارديم؟

جواب: إنني لم ادعُ ذلك بالعنصرية الألمانية بشكل خاص.

■ سؤال : اعني بها الأوروبية ؟

جواب : نعم ، نعم انها جزء من الثقافة أو الحضارة الأوروبية بلن تكون هناك مواقف عنصرية تجاه العالم الثالث. نحن نعتبر جزءاً من أوروبا في هذا المصمار. وبشكل طبيعي، فان المجتمع اليهودي الأوروبي قد شارك في مثل هذه المواقف للعنصرية الأوروبية. وهذا لا يدعو للاستغراب. وهناك بالتأكيد مثل هذه الأمور تحدث داخل اسرائيل. ولحاساسي هو انه يمكن التغلب عليها عند او في وضع إحلال السلام. فاعتقد بأنها حقيقية، بيد انني لا اظن بلنها خطرة جداً. فمن خلال الانتماج فانهم من الممكن ان يتغلبوا على ذلك.

اما الأمر الذي من المحتمل ان لا يمكن التغلب عليه هو العنصرية أو التمييز العنصري ضد العرب، لأن ذلك يتطلب إخضاع شعب مهزوم ومحتل مما يؤدي ذلك الى حدوث العنصرية أو التمييز العنصري. فاذا ما بسيت بحدائك أو جزمك على عنق أحد ما، فانك تكون مبغضاً له، لأنها الطريقة الوحيدة التي يمكن ان تبرر فيها ما تفعله، لذلك فان الاخضاع يؤدي الى العنصرية تلقائياً، ولا يمكنك التغلب على ذلك. علاوة على ذلك، فان العنصرية ضد العرب امر متفشي او منتشر في الولايات المتحدة وإلى حد كبير اكثر في الغرب. ولا توجد مشكلة حول ذلك. والنوع الوحيد للعنصرية والتي يعبر عنها بشكل علني وغاضب هي العنصرية أو التمييز العنصري ضد العرب. فانه لا يمكنك ان تنشر صوراً كاريكاتورية للزنج في الصحف الاسرائيلية او الاميركية مثلاً، إلا انه بإمكانك ان تفعل ذلك بالنسبة للعرب.

■ سؤال : ولكن اليس هم الذين يستخدمون صورة او نموذج اليهودي القديم، وشغوفه بالمال، ونقنه الطويلة، وانفه الطويل المعقوف؟

جواب : انني غالباً ما لاحظ بلن هذه الرسومات والصور الكاريكاتورية مشابهة جداً للتي وجبتها في الصحافة النازية فيما يتعلق باليهود، انها مشابهة جداً.

■ سؤال : ما هو الحجم الذي تلعبه المحرقة او حرب الإبادة النازية ضد اليهود بهذا الصدد؟ فهل هذه مناورة او لعبة تقوم بها اسرائيل من اجل تعزيز او تحقيق مصالحها؟

جواب : انه امر ملعوب جداً بشكل مدرك. اعني، إنها حقيقية تماماً بالتأكيد، فلا يوجد هناك شك بذلك، بل انه بدون شك أنهم يناورون ويتلاعبون بذلك، وهم يقولون ذلك بالحقيقة. فعلى سبيل المثال، ففي صحيفة الجيرودايم بوست، ولا أنكر بالضبط تاريخ ذلك العدد، ولكن حدث ذلك في إحدى مناسبات أو إحياء نكرى «الكارثة» في واشنطن، كتب مراسل الصحيفة في واشنطن، وولف بليتز، مقالاً قال فيه بأنه قد حقق نجاحاً كبيراً، في الاجتماعات والنشوات التي جرت هناك، اذ انه لم ينكر احدى صفقات الأسلحة للعرب بيد ان كافة اعضاء الكونغرس قد فهموا بأن هناك رسالة مخفية بخصوص ذلك. وتحدث احد الزعماء الصهاينة التقليديين والمخلصين، وهو ناحوم غولدمان، حول هذه المناورة والتلاعب السياسي بهذا الشأن. فلقد كان رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، وقد مُتَّ وبُغِض في آخر أيام حياته، لانه كان مخلصاً جداً - حتى انهم رفضوا ارسال وفد للمشاركة في تشييع جنازته، كما اظن، او حتى لم يرسلوا برقية تعزية. وهو واحد من مؤسسي الدولة اليهودية والحركة الصهيونية، وواحد من رجال الدولة القدامى. فقبل مماته في عام ١٩٨٢، او نحو ذلك، فقد اُلهى ببيان او تصريح بليغ وغير عادي، قال فيه بأنه قد اعتاد ان يستخدم كلمة «تنيس» بالعبرية - تنيس نكرى الكارثة او حرب الايالة النازية ضد اليهود كتبرير لقمع واضطهاد الآخرين. فقد كان يشير الى شيء ما حقيقي جداً، واستغلال هذا الشيء الأعظم وحشية في العالم وذلك لكي يتم تبرير قمعهم (الاسرائيليين) للآخرين. فهذا النوع من المناورة أو التلاعب السياسي لهو امر يدعو للاشمئزاز حقيقة.

■ سؤال : وذلك مما أزعجك ... ؟

جواب : انه امر يثير الاستياء في الحقيقة. فالعديد من الناس وجدوا ذلك عملاً غير اخلاقي بشكل عميق، بيد ان معظم الناس خشوا ان يقولوا أي شيء بهذا الشأن. وناحوم جولدمان هو واحد من القلائل الذين كانوا قارين على قول أي شيء بهذا الخصوص، وكان هذا واحداً من الأسباب التي كُره او بُغِض من أجلها. فإني واحد يحاول ان يقول أي شيء حول ذلك فانه سيقعُض الى حملة تشهير ضخمة ومروعة. فبالناس لا يجرون على التحدث بهذا الشأن.

■ سؤال : انني اسالك هذا السؤال لانني اعرف بانك لو حققت وتعقبت في ارجاء الولايات المتحدة، وبشكل معين حول مسألة الكارثة او حرب الإبادة لليهود. وقد قيل بان نعوم تشومسكي مشكك بمسألة إبادة اليهود من قبل النازي ، وفيما لو ان الكارثة قد حدثت ام لا ؟

جواب : لقد وصفت الكارثة اليهودية منذ سنوات مضت على انها اعظم عمل أخرق في التاريخ البشري، فحتى لو اتنا وافقنا أن نبحث هذا الأمر فانتا سنحط من قدر أنفسنا. فتلك التصريحات وغيرها العديد هي تحت الطباعة الآن، إلا انها لا صلة لها بالموضوع لان عليك أن تفهم بأن هذا جزء من الأسلوب الستاليني لإسكات نقاد الدولة المقدسة، لذلك فان الحقيقة لا صلة لها بالموضوع تماماً، فعليك فقط ان تقول العديد من الاكاثيب ما بوسعك، وان تأمل بأن يلصق بعض الطين، أي أن تصيب بعضها. انه أسلوب قياسي استخدم من قبل الأحزاب الستالينية، ومن قبل النازيين وايضاً من قبل هؤلاء الاناس (اليهود).

■ سؤال : هنالك دعم وافر لاسرائيل في الولايات المتحدة، وعلى الأقل من قبل جماعات للنخبة. وهناك ايضاً مستوى او مجال آخر وهي موجة اللاسامية المحمومة التي تمضي باضطراد. فهل يمكنك التحدث حول ذلك ؟

جواب : لقد تغير مفهوم اللاسامية، خلال سنوات حياتي على الأقل. وحيث نشأت فقد كنا فعلياً العائلة اليهودية الوحيدة، واعتقد بأنه كانت هناك عائلة أخرى. وكونها كانت بالطبع العائلة اليهودية الوحيدة في مجتمع غالبيتها تابع للكنيستين الكاثوليكية الايرلندية والالمانية.

■ سؤال : هل هذا كان في فيلادلفيا ؟

جواب : نعم في فيلادلفيا. وكان العداء للسامية حقيقياً تماماً. فقد كانت هناك طرق او معرات معينة كان يجب علي أن أسلكها حتى أمن الوصول الى المتجر دون أن أتعرض للضرب. فقد كان ذلك في اواخر الثلاثينات وكانت المنطقة موالية للنازية برمتها. واتذكر

مجموعات الشبان عندما سقطت باريس وأمور مثل ذلك. ولم يكن الأمر كالعيش تحت حكم هتلر، إلا أنه كان وضعاً غير سار تماماً. فقد كانت هناك موجة شعواء معادية للسامية في ذلك الجوار الذي ترعرعت ونشأت فيه. وعندما التحقت بجامعة هارفارد في أوائل الخمسينات، فقد كانت لا تزال هناك نزعة مضادة للنازية. إلا أنها لم تكن بمستوى أن تتعرض للضرب، وانت في طريقك للمدرسة أو شيئاً من هذا القبيل، ولكنها بطرق أخرى مختلفة. فقد كان هناك بضعة أساتذة فقط من اليهود يدرسون في الجامعة في تلك الوقت. وكانت هناك موجة من اللاسامية في المعاهد العلمية. بيد أنه على مدى الثلاثين سنة الماضية فإن ذلك قد تغير كلياً.

ولا شك بأن اللاسامية ما زالت موجودة، بيد أنها الآن بمعدل وسط من وجهة نظري، مع أنواع أخرى من الأذى أو الضرر. فلا أعتقد بأن ذلك يتعدى كونه كمثل معاداة الإيطالية أو الأيرلندية، وبذلك يكون هناك تغير مهم قد طرأ على الجيل الأخير، الجيل الذي خبرته أو شهدته بنفسه وعشت من خلاله، وهذا أمر مرئي وملحوس في كافة أنحاء المجتمع.

■ سؤال : كيف يمكن تقييم ذلك ؟

جواب : كيف يمكنني أن أقيم ذلك؟ فاعتقد جزئياً بأن الكارثة أو المحرقة النازية لليهود كان لها تأثيراً. فقد جلبت معها نتائج مرعبة ومفرزة لنزعة اللاسامية بطريقة مدهشة بالتأكيد. وأفترض، ولا يمكنني أن أثبت هذا، إلا أنه لا بد أن هناك، على الأقل، نوعاً من الشعور بالذنب المشترك، بسبب دور الولايات المتحدة خلال فترة الكارثة أو حرب الإيالة النازية لليهود، الذي كان بغيضاً أو كريهاً، قبل وخلال الكارثة. فهي لم تقم بأي شيء لانقاذ اليهود، وكان بإمكانها أن تفعل ذلك في عدة نواحي. كما أن دور المنظمة اليهودية لم يكن مناسباً أيضاً. وفي أواخر الأربعينات، كانت هناك عملية تفريغ كبيرة في معسكرات الاعتقال لليهود، لبعض الناجين. وظل الأمر بغيضاً. فقد لبثوا في معسكرات الاعتقال. وكانوا يموتون لمدة من الزمن وينفس النسبة تقريباً عندما كانت تحت إدارة النازيين.

فالعديد من أولئك اليهود، فيما لو أعطوا الفرصة، أرادوا بالتأكيد أن يلتحقوا للولايات

المتحدة. وكانت هناك مداولات بهذا الشأن حول العدد الذي يريد ذلك، بيد ان ذلك لا يمكن تصويره أو تخمينه حسبما أُدعي، من انه فيما لو لنهم منحوا فرصة فانهم لم يريدوا القدوم الى هنا. انهم لم يريدوا ذلك حسب ذلك التخمين، بل انهم أرادوا القدوم. وعدد قليل فقط قدم الى هنا. وكان هناك قانوناً للهجرة، قانون ستراتون، الذي اعتقد بأنه منح الهجرة لحوالي أربعمئة ألف شخص، وأتفكر، بأنه كان يوجد هناك بضعة يهود فقط كانوا يرغبون بالهجرة للولايات المتحدة من بينهم. وقبل عدد كبير من النازيين، وعلى نحو متصانف، بعد أن تخلصوا من لباس الجستابو. والسبب الذي من أجله أصدر ذلك القانون، فأعتقد انه في عام ١٩٤٧، كان يشكل بداية الحرب الباردة، فمُنحت الأولوية للنازيين، لأنهم كانوا يريدون بعثرتهم في كافة أنحاء العالم. لذلك فقد أحضر الكثير منهم الى هنا (الولايات المتحدة)، العديد من مجرمي الحرب النازيين أحضروا الى هنا، وغيرهم، بيد انه لم يكن هناك سوى عدد ضئيل من اليهود. فذلك ليست بالرؤيا المناسبة تماماً. فبوسعك أن تقول، انه خلال فترة الحرب يمكنك أن تقدم نريعة أو حجة ما، ليست بالحجة المقبولة، ولكن يمكنك أن تقترح بأنه كان عليك أن تحارب وان لا تقلق بشأن الناس الذين أرسلوا الى غرف الغاز. إلا انه بعد الحرب فلا يمكنك أن تقدم أية حجة. انها كانت مسألة انقاذ الناجين من المحرقة، بيد أننا لم نقم بذلك.

ويجب عليّ القول ان المنظمة الصهيونية لم تدعم أو تساند في هذا المجال. فهي حتى لم تقم بالحشد للاستفادة من قانون الهجرة الاميركي. والمنظمات اليهودية الوحيدة التي حشدت من أجل قبول اللاجئين اليهود الى الولايات المتحدة لم تكن بالمنظمات الصهيونية أو حتى المنظمات المناوئة للصهيونية. وكان السبب في ذلك ان المنظمة الصهيونية أرادت إرسالهم الى فلسطين بدلاً من ذلك.

وسواء أرادوا الذهاب الى هناك أو لم يريدوا ذلك فانها قصة أخرى، فنفس الامر هو متكرر اليوم، وبشكل مصانف، بالنسبة للمهاجرين الروس الى اسرائيل. فالمنظمة الصهيونية أرادت أن تجبرهم بالذهاب الى اسرائيل. ومعظمهم، وخصوصاً أولئك الذين كانوا ينتمون الى الأجزاء أو الدول الأوروبية للاتحاد السوفياتي سابقاً، فقد أرادوا يرغبوا بالمجيء الى الولايات المتحدة، فمورست ضدهم كافة انواع الضغوطات ومنعوا من القيام بذلك. انه نوع من اعادة تكرار ذلك ولكن بشكل أو بمستوى أقل سرية. فالظن

ان هنالك بعض الشعور بالذنب، بالتأكيد حول مسألة الكارثة اليهودية وربما حول مسألة حقبة ما بعد الحرب. اضافة لذلك، فان الجالية او المجتمع اليهودي قد تغير من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية. وقد أصبحت هذه الجالية أساسية الآن، ليست ضخمة في عددها، وانما تمنح اعضاها جزءاً أساسياً للنخب المختارة المهيمنة في كل منحى من النواحي الاجتماعية، المهنية، الاقتصادية، والسياسية، الخ. انه لا يشبه النموذج المناويء للسامية، فهم لا يملكون المؤسسات، بيد انهم متنفنون تماماً وبشكل خاص في النظام الايدولوجي، كالعديد من الكتاب والصحفيين والحررين، الخ. وذلك هو العامل المؤثر.

علاوة على ذلك، فأعتقد بأن ذلك قد تغير بسبب ما حدث منذ عام ١٩٦٧. ففي عام ١٩٦٧ حققت اسرائيل انتصاراً عسكرياً مثيراً، وظهرت قوتها العسكرية، ففي الحقيقة فقد تغلبت على العالم العربي برمته، وهذا اكسبها سمعة عظيمة. فمعظم الاميركيين، وخاصة الفئات المتنفذة منهم، يحبون العنف ويرغبون بأن يكونوا في الجانب الذي يحمل السلاح. وهناك توجد دولة العنف والقوة التي سحقته اعداها، وظهرت بانها القوة العسكرية المهيمنة في الشرق الاوسط، واضعة تلك الدول التي تنتمي للعالم الثالث في مكانها او حجمها الطبيعي. وكان ذلك مثيراً بشكل خاص لان عام ١٩٦٧، كان الزمن او العام الذي حققت فيه الولايات المتحدة نجاحاً ضئيلاً في غزوها انذاك للهند الصينية، فمن الجدير ان يذكر بأن وجهة نظر النخب، بما فيها وجهة النظر الليبرالية، كانت تساند بشكل غامر الحرب في فيتنام وكانت منزعة تماماً من عدم مقدرة الولايات المتحدة لكسبها او الانتصار بها، وعلى الاقل بالمستوى الذي اراسته. فبرزت اسرائيل وظهرت لهم كيف يتم ذلك، وكان لذلك مؤثر رمزي. فمنذ ذلك الحين فقد قدمت وظهرت نفسها كنوع من حصان طروادة في الشرق الاوسط كقوة عسكرية متقدمة، وكقوة من الناحية التكنولوجية، كمجتمع قوي. فهذا هو المثال الذي اريناه.

كما ان اسرائيل أصبحت كحليف استراتيجي للولايات المتحدة. ومن أحد الأسباب التي لم تبقى فيها الولايات المتحدة على استمرار المواجهة العسكرية (ما بين اسرائيل والدول العربية) هو لتأكيد من انها ما زالت حليفاً يعتمد عليه ويوثق به ويقوم بما نرغب ونريده ان يقوم به، كممثل، علينا القول، حالة غواتيمالا او غيرها، وهذا أيضاً زاد من

للتقدير لاسرائيل حول غرضها لتقويض المعادة السامية. واظن بان ذلك كان عاملاً بهذا الصدد.

■ سؤال : بيد انك اشرت الى انه ما دامت مصالح الولايات المتحدة تخدم ويحافظ عليها، فان اسرائيل ستظل الدولة المفضلة لديها، ولكن في اللحظة التي تتعرض فيها تلك المصالح الى ... ؟

جواب : هذا صحيح، فسينتهي ذلك، ففي الواقع، فان موجة اللاسامية ستهمل. وبعيداً عن المستوى الاخلاقي، فانه تحالف هش جداً مبنياً على اسس وقواعد تكتيكية.

يلفيد بارساميان : هذا وماذا سيحدث بالنسبة للالتزام الاخلاقي بينهما (بين اسرائيل والولايات المتحدة)، والاهتمام بمبدأ العدالة في الدولة اليهودية وما الى ذلك؟

نعوم تشومسكي : من جانب من ؟

يلفيد بارساميان : من جانب الولايات المتحدة.

نعوم تشومسكي : لا يوجد هناك قلق بالنسبة لمبدأ العدل، ولم يكن هناك مثل هذا الشيء أبداً. فالولايات المتحدة لا تهتم أو تقلق بمبدأ العدل. ولا تتصرف الولايات المتحدة على اسس أخلاقية.

يلفيد بارساميان : ما عدا على المستوى البلاغي أو الكلامي؟

نعوم تشومسكي : انهم جميعهم يفعلون ذلك على المستوى البلاغي أو الكلامي، وحتى المانيا النازية ذاتها، في السابق، أما على الصعيد العملي فانها لا تقوم بذلك مطلقاً. فانها ابوات للقوة والعنف، هذا هو واقع الولايات الاميركية. انها تتصرف وفقاً لمصالح الجماعات المهيمنة عليها. فهي تتبع خطأ بلاغياً لطيفاً، إلا ان ذلك من متطلبات النظام الدولي.

■ سؤال : لقد كنت منتقداً جداً للمجتمع الليبرالي الاميركي، وقد

قلت في الحقيقة بانه يساهم في تدمير اسرائيل ؟

جواب : ان المجتمع الاميركي الليبرالي قد عبى منذ عام ١٩٦٧ وعلى مستوى متطرف

كان مؤيداً لتعظيم قوة اسرائيل العسكرية. واعتاد أن يستخدم مركزه للتأثير البارز في وسائل الاعلام والنظام السياسي لهزم والتغلب على أي تحدي لنظام المواجهة العسكرية مستخدماً كافة الوسائل القياسية للذم والتشويه، وفارضاً إشرافاً على وسائل التعبير، الخ. وبالتأكيد فقد كان لذلك تأثيراً بارزاً. ولا اعرف فيما اذا كان ذلك تأثيراً حاسماً، وانما فقد كان له تأثيراً ملحوظاً لنفع الادارة الاميركية لدعم ومساندة المواجهة العسكرية المستمرة، ومعارضة الادارة الاميركية للحل السلمي لو السياسي. فهذا امر مدمر بالنسبة لاسرائيل. وفي الحقيقة، فان الحمانم في اسرائيل يستفكرون ذلك باستمرار. فهم يشيرون الى ذلك باستمرار على انه نهج للسقاليينية. فهم يشيرون الى الشخصية السقاليينية للدعم الذي يقدم لاسرائيل من جانب ما يطلقون عليه اسم «الجالية اليهودية الاميركية»، بيد ان ذلك بسبب انهم لا يفهمون ما يتعلق بالولايات المتحدة بشكل كافٍ. فانه ليس بالجالية او المجتمع اليهودي، الذي ينظرون اليه، انه بشكل اساسي المجتمع او الفئة الفكرية ككل.

■ سؤال : لقد اشار اوارد سعيد، على سبيل المثال، الى انه يوجد هناك الكثير من التعديدية (الاحزاب) في اسرائيل، اكثر مما يوجد بكثير في الولايات المتحدة، والتي تمارس النقاشات والمداولات ، فما هو رأيك بذلك ؟

جواب : لا شك بذلك. فعلى سبيل المثال، فان رئيس تحرير صحيفة حزب العمل، قد طلب مني ان اقوم بالكتابة بشكل منتظم في الصحيفة المذكورة. فلم ارد ان اقوم بذلك لأنني مرتبط بامور هنا. ولكن ان يطلب مني ذلك فانه امر غير ملائم او مناسب تماماً في الولايات المتحدة. انه امر نموذجي تماماً. فالسمعة او الشهرة التي اتمتع بها، وخاصة على الصعيد العالمي، لا تحتل موقعاً كبيراً في اسرائيل، بيد انهم يعتبرون ذلك جزءاً من المجال السياسي وهذا امر محترم بالنسبة لهم. اما هنا، في الولايات المتحدة، فانهم يعتبرون ذلك امراً غريباً.

■ سؤال : باية وسائل او مجالات ، اذا ما كانت هناك ، لمجالك في علم اللغة ، والقواعد ، وهل لذلك صلة في مجال تحليلاتك وتوقعاتك السياسية ؟

جواب : ربما أشك بهذا قليلاً، لا أعلم، انني من المحتمل ان اكون شخصاً لا أسأل، إلا انني اعتقد بأن العمل في مجال العلم هو امر مفيد لأنك تتعلم بطريقة ما، كما تفهم وتستوعب ما هو البليل والحجة من الناحية العقلانية، وتصل لتكون قادراً على تطبيق ذلك على المجالات والميادين الأخرى التي ينقصها الكثير، لذلك فانه من المحتمل ان يكون هناك بعض العون والمساعدة في تلك الناحية.

ومن المحتمل ان يكون هناك بمستوى عميق ومطلق بعض الجوهر المشترك لاستيعاب وفهم الطبيعة والحافز الانسانيين للحرية والحقوق لتكون حرة للسيطرة والإكراه الخارجيين، فذلك النوع من الصورة ينشط ويقوي اهتماماتي السياسية والاجتماعية. كما ان اهتماماتي ومصالحني الفوضوية، والتي تعود الى ايام طفولتي المبكرة، تدخل هنا بطريقة واضحة وبقية نسبياً الى مجال عملي في اللغة والفكر وهلم جرا، بيد انه ارتباط متحرر بشكل مناسب، وليس كنوع من الارتباط بحيث يمكنك ان تستنتج ارتباط واحد عن آخر أو أي شيء، مثل ذلك.

سؤال : ان لديك شهرة عالمية بالنسبة لعملك في فلسفة وفقه اللغة

ومن الواضح انك لم تكن راضياً بذلك اذ انك اربت ان تدخل مجال او

الحقل السياسي الاجتماعي ؟

جواب : انه العكس تماماً. انه واحد من عدة امثلة تظهر بأن الناس غالباً ما يقومون او يفعلون أشياء لا يريدون ان يقوموا بها او يفعلونها لأن عليهم ان يقوموا بها. واقد اتخذت قراراً واعياً جداً بهذا الشأن. فمن الناحية العملية، ان وجهات نظري السياسية لم تتغير كثيراً منذ ان كنت في الثانية عشرة او الثالثة عشرة من عمري. فقد تعلمت الكثير، واعتقد بأنها كانت في مجالات أكثر تقدماً، ولكن لم تتغير بصورة أساسية. ومع ذلك، فابنتي لم أكن نشطاً. فقد كنت، ولغاية اوائل الستينات، أعمل في حديقة منزلي، وبشكل أساسي، أمارس نوعاً من العمل احببته. انه مثير وممتع من الناحية الفكرية، مجدياً، ومرضياً، وتحفز تقدماً فيه. وكنت مسروراً جداً بأن انخرط فيه. ومن الممكن ان يكون ذلك من وجهة نظر شخصية ضيقة، أفضل بكثير بالنسبة لي في كل ناحية يمكن تصورها.

تصورها.

وأنكر منذ أن انخرطت في النشاط السياسي بأنه لن تكون هناك نهاية لذلك، فمن الممكن أن تزداد المتطلبات إلى ما لا نهاية. وإن تكون هناك نتائج شخصية غير سارة، وهي غير سارة. واعني بأن هناك أموراً غير سارة قليلاً، فريماً، على سبيل المثال، أن تقضي يوماً في زنزانة سجن واشنطن، أو أن يحكم عليك لمدة خمسة سنوات بالسجن أو أن تكون معرضاً للاكاذيب الغير منتهية لمنظمة مكافحة التشهير والقذف وأصدقائها، الخ. ولم أعرف ذلك بالتفصيل، بيد أنني عرفت بأن الأمر كان ماضياً ليكون أقل مسرة من العمل في المجالات التي كنت أشعر بلثني سأكون جيداً فيها وبإمكانني أن أحرز تقدماً فيها وهكذا. وعرفت بأنه كان عليّ أن أعود إلى أمور أردت أن أقوم بها حقيقة، وأنني تمتعت بالقيام بها، كثير من الأمور في الحياة الشخصية، وقد عرفت أن الحياة الشخصية ماضية لتفمرني. وعليك أن تقدم شيئاً ما، وفي عدة وسائل فقد عرفت بأنه ستكون هناك نتائج سلبية. وقد فكرت بذلك طويلاً في الحقيقة، وتوصلت أخيراً للحل، ولكن ينبغي عليّ القول، بأنه لم يكن بالأمر السار جداً.

بيفيد بارساميان :

أعتقد بأن الكثير من الناس معتنون بأنك فعلت ذلك.

نعوم تشومسكي :

شكراً لذلك.

سلطة الدولة والعدو الداخلي

كانون ثاني، ١٩٨٨

يفيد بارساميان : في كتابك «حقوق الانسان والسياسة الخارجية الأميركية» الذي صدر عام ١٩٧٨، كتبت تقول، «إذا ما املنا ان نفهم اي شيء عن السياسة الخارجية لاية دولة، إنها فكرة جيدة لان نبدأ بالتحقيق في البناء الاجتماعي الداخلي». فهل لك ان تتحدث عن ذلك ؟

نعم تشومسكي :

إن السياسة الخارجية، مثلها مثل كافة سياسة الدولة، تنبثق من المؤسسات الداخلية. ويعكس هذا مصالح واهتمامات أولئك الذين لديهم مقرة على تنظيم المصالح سواء بالإشراف على الدولة بصورة مباشرة أو بالتأثير بسياسة الدولة. وفي حالة السياسة الخارجية، فإن تلك القطاعات في المجتمع الداخلي هي التي معنية بصورة خاصة بالمسائل الدولية والتي سيكون لها بصورة طبيعية الصوت الرئيس. لذلك فإذا ما اريدت فهم السياسة الخارجية، فعليك ان تبدأ بالنظر الى التركيبات الداخلية للدولة.

وفي حالة مجتمعنا، فإن الاجوبة على تلك الاسئلة هي مباشرة نوعاً ما. فالسلطة الداخلية متركزة بشكل كبير في نظام متحد ومشارك، وقطاعات تلك النظام المشترك المعني بشكل خاص بالشؤون الدولية تمارس بصورة نمونجية نفوذاً غامراً على تصميم (رسم) وتنفيذ السياسة الخارجية للدولة. وبإمكانك ان ترى ذلك تماماً من خلال الذين يقومون بتنفيذ السياسة في مواقع اتخاذ القرارات العليا. انها تصدر بشكل كبير من خلال المؤسسات الرئيسية ذات المصالح الدولية، وشركات الاستثمار، وعدد من الشركات أو المؤسسات القانونية التي تقوم بشكل رئيس بالتعاون في المصالح، ولذلك فإن لديها نوعاً من فهم متطلبات واحتياجات القطاع المشترك.

ومن فترة لأخرى، فإنه يسمح لك ان تشمل الى ذلك الحشد، اذا ما عتبرت

«خبيراً»، في المعنى الذي فسره هنري كيسنجر لهذا المفهوم. وبصراحة تامة، فقد بين بأن «الخبير» هو الشخص القادر على الحصول على إجماع الرجال الذين في السلطة، وإذا ما كان لديك القدرة على ذلك، والذي كان لديه ذلك بالفعل، فانه عندئذ يمكنك ان تلقي كخبير وان تكون مسؤولاً في المسائل الخارجية. فذلك هو الجوهر. اضافة الى انه يوجد هناك تأثيرات اخرى، فهناك مراكز قوى داخلية وهكذا، بيد انني اعتقد بأن ذلك جوهرأ اساسياً.

■ سؤال : هل هذا التحليل يتميز على انه « نقد رايبكالي » ؟

جواب : اعتقد بأنه نقد محافظ جداً. وفي الحقيقة، فانه شعور مشترك ولا يوجد هناك شيء، يمكن ان يكون مدهشاً حتى بالنسبة لتلك الشخصيات التي تعود للقرن الثامن عشر، التي أسست الدولة. انه امتداد فحسب للمبدأ أو العقيدة التقليدية للنوع الذي بني عليه مجتمعنا أو دولتنا. انه يدعى «بالرايبكالي»، بيد ان عليك ان تتذكر ان كلمة «رايبكالي» هي فحسب واحدة من عدة مصطلحات سيئة ليس فيها معنى، مثل كلمة «الماركسي». فهناك تشويش تام للمصطلحات أو التعابير السيئة والتي تستخدم لحماية انفسنا من فهم العالم الذي نعيش فيه.

■ سؤال : في كتابك «ثقافة الارهاب» فانك تناقش نزعتين هما، «دور

اليمين، و«ازمة الديمقراطية». فما هما، وهل لهما ارتباط بذلك ؟

جواب : انها مرتبطة بذلك بشكل وثيق. «فازمة الديمقراطية»، وهو تعبير ليس عائد لي فقط، وفقد حدث بأن كان عنواناً لكتاب مهم نشر في عام ١٩٧٥، من قبل الهيئة الثلاثية، وهو كتاب رئيسي كبير. وقد أسست الهيئة الثلاثية من قبل ديفيد روكفلر. وتحتوي تقريباً على عناصر نخبة ليبرالية من ثلاثة مراكز رئيسية للدول الصناعية: الولايات المتحدة، اليابان ودول اوربا الغربية. فهذه هي الهيئة الثلاثية.

ويعكس هذا الكتاب نتائج لدراسة مكثفة قاموا بها للظواهر التي اشاروا اليها على انها ازمة الديمقراطية. فالأزمة، كما أبرزوها، قد حدثت في الواقع خلال الستينات واولائل السبعينات، بالنسبة للقطاعات الأساسية للسكان التي غالباً ما تكون سلبية ولامبالية، والتي أصبحت فيما بعد منظمة وبدأت بالدخول الى الساحة السياسية، كما

بدأت بالضغط في سبيل تحقيق مصالحها واهتماماتها الذاتية. وهذا خلق أزمة لأن تلك لم تكن الطريق التي من المفترض أن تعمل أو تمارس بها الديمقراطية. وقد بين أستاذ أميركي كبير، وهو صموئيل هويتنتون، من جامعة هارفارد، بأن تلك يعود إلى أيام الرئيس ترومان، قبل أن تكون هناك أزمة ديمقراطية، فالسياسة يمكن أن تنفذ ببساطة بمساعدة رجال القانون والمال في «دول ستريت». وهذا فيه قليل من المبالغة، إلا أنه يعبر عن فهم الهيئة (الثلاثية) للطريقة التي تمارس بها الديمقراطية.

وقد تعرض تلك للتهديد في عقد الستينات، عندما بدأت أقطيات من الشبان، والنساء، والمسنين، ومجموعات من كافة الأنواع بتنظيم نفسها لدخول معترك النظام السياسي. فتللك الأزمة ذات المستوى العالمي، كما اتفق المشاركون على ذلك، كان يجب أن يتغلب عليها، وأنه كان على السكان أو الشعب أن يعودوا إلى وضعهم الحقيقي بعدم المبالاة والجهل. وبشكل رئيس، أن تتخذ القرارات من قبل النخب في الدولة.

واقترحت عدة حركات أو محفزات من أجل القيام بذلك. ومن إحدى هذه للحركات، في الواقع، يتشكل أو يتألف من «دور اليمين»، الذي هو بشكل ظاهرة بين النخب. ولم يلخذ له مكاناً بين عامة الشعب أو السكان. ولكن بين النخب، فقد كان هناك دور بارز لليمين، أو قوى اليمين، يعني دوراً باتجاه نوع الشوفينية الرجعية، التي غالباً ما توصف بالقوى المحافظة. ولا شيء يمكن فعله مع هذه القوى وهذا يعكس الاعتراف من أنه يجب أن يفعل شيء ما من أجل إعادة مراكز الامتياز والتغلب على التهديدات التي قد تتعرض لها. فتللك هو مظهر محلي أو داخلي ومظهر دولي أيضاً. أما المظهر الدولية، فإنه يكمن في مبدأ ريفان، وهي عبارة فحسب تشير إلى الإرهاب الدولي، وإلى استخدام العنف والتخريب، وغيرها من الأساليب للتغلب على أزمة الديمقراطية التي كانت تبدأ بالظهور في أي مكان آخر في العالم. فعلى سبيل المثال، فقد كان هناك تهديد خطر للديمقراطية في أميركا الوسطى، والمعني بها الديمقراطية الحقيقية وليست الاسمية، والاشتراك الفعلي للقطاعات العاملة للسكان أو الشعب.

وعلى المستوى المحلي، فإنه كان هناك تهديد ناشئ للإصلاح الاجتماعي الذي كان ينبغي أن يواجه، وإن مبدأ ريفان كان يعتبر جهداً لاحتواء تلك بواسطة الأساليب

للوقوف للعنف والكبت. ففي الوطن، فانه لا يمكنك ان تستدعي فرق الموت من اجل تنفيذ ذلك، وانما ان تتخذ اساليب واجراءات اخرى. اكثر نكاء اذا ما دعت الضرورة لذلك. لذلك فانه يكون هناك جهوداً رئيسية تقع على عاتق أجهزة التلفزيون او الاعلام. وفي اقصى مستوى، فقد تجد مثل هذه المؤسسات المهتمة كالمكتب الدبلوماسي العام بوزارة الخارجية، والذي هو مكرس للاشراف على ما يطلقون عليه علناً السكان المحليون، «بأرض العدو».

وحيث ان ذلك يمثل اجماع نخبة عامة، فانه يتضمن ايضاً الحمايم، والمؤسسة الليبرالية او الليبراليين. وقد تحقق الهدف من ذلك بشكل جزئي، وهو خلق اجماع يعني رجعي يمكن معه ان يدعم ويساند حق للسلطة او الادارة الاميركية لممارسة العنف في العالم، وذلك من اجل تحقيق مصالح داخلية، كما انه يمكن ايضاً من إضعاف الحركة العمالية، والتصدي وشل الحركات الشعبية المتنامية، واعادة السكان او الشعب الى موقف اللامبالاة، وبفهم لقبول سياسات التقشف الداخلية المطلوبة من قطاعات كبيرة للسكان، إذا ما اراد سوق الانتاج او العمل الاميركي ان يستعيد دوره المنافس في الاسواق العالمية، وهلم جراً. فكل ذلك يشكل دور نخبة اليمين في البلاد.

■ سؤال : لقد اكدت بان جماعات النخبة يعتبرون السكان المحليين

على انهم اعداء لهم، فما هو تعقيبك على ذلك ؟

جواب : من الناحية النموذجية، نعم. فهذا صحيح في كافة الولايات المتحدة. وغالباً ما يمكن تجاهل العدو لأنه سلبي ولا مبالٍ بشكل كبير. ولكن اذا ما بدا العدو الداخلي بالتذمر والتحمل، فعندئذ لا بد من فعل شيء ما. وكما قلت، فإن الأسلوب او النهج مختلف في الداخل والخارج. فمفهوم السكان او الشعب على انه عدو هو واضح جلي. فعلى سبيل المثال، فهو واضح بالنسبة للجناح اليميني. وقد وصف ذلك بلته من اعظم الانجازات التي حققتها ادارة الرئيس ريغان. وقد اشار اليه احد المسؤولين الكبار، على انه برنامج يمكن تنفيذه في «أرض العدو»، وهو امر صحيح بالضبط.

أما في الجانب الليبرالي، فليك وجهه نظر عبر عنها في دراسة الهيئة الثلاثية والتي اهتمت ضمناً باعادة وضع اللامبالاة، السلبية والطاعة تلك ان الديمقراطية في المعنى المفضل يمكن ان يبقى عليها، وهذا يعكس ثانية مفهوم السكان او الشعب على

انه العدو الذي يمكن ان يسيطر عليه ويقمع او حتى يهشم. ومن الممكن ان انكر في هذا السياق بلن نشوء العمليات السرية هو انعكاس لقوة العدو الداخلية واذا لم يمكن السيطرة على العدو، والشعب، بالقوة، ولا يمكن ان يلحق او يوجه، كما لا يمكن ان يهشم، فانها ستنتفع الى العمل السري في الحقيقة. فالحكومة ستنفذ اعمالها في سرية لان العدو الداخلي لن يتساهل معها. كما ان مدى وزن العمليات السرية هي غالباً ما تكون اجراء جيداً للانشقاق الداخلي.

■ سؤال : اود منك ان توضح وجهات نظرك بشأن جماعات النخبة، ودعني اعمل حجة حول ذلك هنا. فهل يمكنك حسم ضرورتهم هنا؟ فعلى سبيل المثال، فإن الميكانيكي الذي يصلح لك كوابح سيارتك - لا تريد منه ان يكون عضواً في نخبة ما، اليس كذلك؟

جواب : إنك تريد من الناس ان يملكو كفاءات متخصصة. فالمسألة هي فيما إذا كانت تلك الكفاءات المتخصصة يجب ان تمنح السلطة. فهل يجب ان تكون مقبرة الميكانيكي الذي يصلح لك سيارتك يمكن ان يتحكم في تقرير نوع السيارة التي يجب ان تشتريها؟ فالجواب هو لا. فعني اقول - بلأني متأكد بلن هذا صحيح - ولكن افترض بلن هناك كفاءات مطلوبة من اجل الادارة. فذلك افتراض مشكوك فيه، ولكن دعنا نفترض ذلك. فعندئذ يمكن ان اريد أناساً لديهم تلك الكفاءات المزعومة ليكونوا قاضين على ممارستها. وفي الوضع الديمقراطي الصحيح فانها سيمارسونها تحت اشراف الشعب، تماماً كما يمكن ان يفعل الطبيب أو الميكانيكي أو أي واحد آخر. فلا يوجد هناك انسان عاقل يريد مجتمعاً بدون كفاءات أو اشخاص اكفاء. والسؤال هو كم من السلطة يجب ان توزع. فهل السلطة تكمن أو تسكن بين السكان أو الشعب؟ أم انها تكمن بين عناصر النخبة في مجتمعنا، بين العناصر التي تملك صنع القرار بشكل مطلق بواسطة امتلاكها للأجزاء المركزية أو الرئيسية للمجتمع، وللاقتصاد الداخلي، على نحو نمونجي؟

■ سؤال : إنك غالباً ما تذكر حقيقة انه في عام ١٩٦٢، هاجمت ادارة الرئيس كينيدي فيتنام الجنوبية، وان هذه المعلومة هي غير معروفة، ولم تبحث او تناقش، فلم حدث ذلك ؟

جواب : انه ليس صحيح بأن هذه المعلومة لم تناقش أو تبحث. فقد كانت في الحقيقة، أو ظهرت على الصفحة الاولى لصحيفة نيويورك تايمز. إلا انه في هذا المجتمع الملحق بشكل جيد، فان المعلومات لا يكون لها أي معنى. لذلك فان صحيفة نيويورك تايمز يمكن ان تورد، كما فعلت، واعتقد بأن تلك كان في تشرين الاول ١٩٦٢، من ان ادارة الرئيس كينيدي قد أمرت الطائرات الاميركية أو الطيارين الاميركيين بشن غارات مباشرة، وليس مجرد الاشراف والمراقبة، في جنوب فيتنام، موجهة ضد غالبية السكان او الشعب هناك، الذين كان حوالي ثمانين بالمئة منهم، يعيشون في المناطق الريفية. فذلك هو العدوان، بيد انه لم يفهم على انه كذلك. وعندما سررت الحقائق عبر جهاز تلقيننا (اعلامنا) الفعال جداً، فقد أصبح الامر بأنه مجرد دفاع، أو عمليات دفاع عسكرية. لقد أصبح دفاعاً بنظر ادلاي ستيفنسون، مندوبنا في الأمم المتحدة آنذاك، والذي أشار اليه على انه «عدوان داخلي»، وقد كان عدواناً ضد الفيتناميين بالفعل، وبشكل خاص ضد الفلاحين الفيتناميين، الذين كانوا يقفون ضد الولايات المتحدة في فيتنام الجنوبية. فبغيلة يمكنها ان تستخدم عبارات مثل «العدوان الداخلي»، ويمكن ان تفهم قصف القرى الريفية على انه دفاعاً سواءً عنّا أم عن عملائنا، وقد امتد في طريق طويل تجاه نوع من الديكتاتورية الفعالة.

■ سؤال : باستخدامك للحرب في الهند الصينية كمثال، فهل بوسعك التحدث عن مدى ما قامت به الجماعات المنشقة (المعارضة) واثرت به في السياسة العامة الاميركية ؟

جواب : انها قد اثرت بالتأكيد. انه كان نوع غير مباشر من التأثير. ولم يكن ذلك من خلال أو عبر النظام الانتخابي بشكل واضح. ففي عام ١٩٦٤، فإن الشعب الاميركي صوت بنسبة اثنين الى واحد الى جانب ليندون جونسون، الذي وضع نفسه على انه «مرشح للسلام»، وكان ذلك على نطاق واسع لأن جونسون بين علناً ويتكرر من «اننا لا نريد التوسع بالحرب». فقد كان ذلك استفتاءً ضد التوسع بالحرب. وكما نعرف، انه في تلك اللحظة تماماً، فقد كان مستشارو ليندون جونسون، الرئيس الاميركي آنذاك، يخططون من اجل تصعيد الحرب، تصعيد الهجوم ضد فيتنام الشمالية، والتوسع في الحرب لتصل الى فيتنام الشمالية، والذي حدث ذلك بالفعل عندما نجحوا في الانتخابات. فبوضوح، فإن التأثير لم يكن من خلال أو عبر النظام الانتخابي.

ومع ذلك، وبعد وقت طويل، من فترة صعبة للتعليم، التنظيم، ومظاهرات الاحتجاج، فإن الشعب أصبح غير متأثر بشكل فاعل بحرب كانت ادارة جونسون غير قادرة على اعلان تعبئة وطنية. وعندما أصبحت الحرب واسعة في الحقيقة، نشأت من جراء ذلك مشاكل داخلية. فقد أصبح من الضروري القتال في حرب بتمويل عاجز، القتال في حرب المدافع والزينة، كما أطلقوا عليها ذلك. وكان السبب في ذلك ان الشعب كان غير متأثر تماماً في المضي قدماً بذلك. فإنها لم تكن حروباً كالحرب العالمية الثانية، عندما كان الشعب راغباً تماماً لقبول التقشف الداخلي بسبب الالتزام بالحرب. فإن ذلك لم ينطبق على حرب فيتنام، وكان ذلك نتيجة للأنشطة التي قامت بها حركة السلام. كما انه كانت هناك عوامل أخرى أيضاً، بيد ان الجزء الأكبر كان من جانب حركة السلام.

لن تأثيرات ذلك كانت مهمة تماماً. ففي الوقت الذي شن فيه الهجوم للرئيس في فيتنام، عام ١٩٦٨، عندما أصبح هناك دليل من انها كانت او أصبحت لتكون حروباً طويلة الأمد، فإن عناصر النخبة الحاكمة بدأت لتصبح غير متأثرة بذلك، وكان السبب، ضمناً تماماً، من ان الحرب قد أصبحت مكلفة كثيراً.

■ سؤال : هل هذا في المجالات الاقتصادية ؟

جواب : نعم، في مجالات العلاقات ما بين الولايات المتحدة ومنافسيها الرئيسيين، أوروبا واليابان. فتأثيرات القتال في حرب المدافع والزينة كانت مؤنية للاقتصاد الأميركي. فبينما كان يسود التضخم الاقتصادي هنا، فإن منافسينا كانوا يفنون أنفسهم ويجنون الثروة من خلال تدمير الهند الصينية. فعلى سبيل المثال، فإن كندا أصبحت أكبر مصدر لنا خلال حقبة تلك الحرب. فقد كان ذلك مساهمتها في تدمير الهند الصينية. وقد منحت تلك الحرب جرعة ضخمة لليابان. فاليابان لم تكن منافساً خطيراً للولايات المتحدة في أوائل الستينات. بيد انه في عام ١٩٦٥، فقد تحول الميزان التجاري لصالحها، وأصبحت اليابان بعد ذلك منافساً خطيراً للولايات المتحدة. كما زاد الامر سوءاً استخدام حوالي ثلاثمائة ألف من المرتزقة الكوريين للمحاربة الى جانبنا، ومدى الإتفاق الضخم عليهم. فكل هذا كان عاملاً مفيداً لمنافسينا، بل انه عامل مؤثر للولايات المتحدة. وحيث انه كان من الصعب او المستحيل خلق تعبئة وطنية هنا، فانه كان لا بد وان تستمر الحرب بطريقة ضارة تماماً للاقتصاد الأميركي.

وأصبح ذلك واضحاً بحلول عام ١٩٦٨، فقد أدى الأمر بجماعات النضبة الحاكمة لأن يبحثوا، وفي الحقيقة لأن يطلبوا ويلحوا، في سبيل اتخاذ تغيير مهم في السياسة الأميركية. فذلك كان تأثيراً مباشراً لحدوث الانشقاق الداخلي. وكان الوضع قوياً وإنما غير مباشر، بسبب الدور الكبير الذي قامت به حركة السلام بطريقة أو بآخرى، نتيجة لنشاط الفئات التي اشتركت وساهمت فيها.

فالتأثيرات كانت أكثر من ذلك فعلياً. والسجلات السرية تزودنا بكثير من ذلك. فهي تغيدنا بأنه في شهر أيار ١٩٦٧ تقريباً، أو قبل ذلك، فإن البنتاغون (وزارة الدفاع الأميركية) كانت بدأت تشعر بالقلق بشأن الانشقاق الداخلي. فقد حذر روبرت مكنمارا، وزير الدفاع الأميركي آنذاك، الرئيس (الأميركي) في مذكرة أرسلها إليه في شهر أيار ١٩٦٧، من أن الأمور يمكن أن تخرج عن نطاقها ويفقد السيطرة عليها. فبعد الهجوم الكبير في فيتنام، أصبحت رئاسة الأركان المشتركة قلقة بشأن الخطر من حدوث ثورة حقيقية في البلاد. وأرادوا أن يتأكدوا من أنه كانت لديهم قوات كافية من «حفظ النظام»، كما أشاروا إلى ذلك. فقد كانوا قلقين بصورة خاصة بخصوص العصيان المدني الذي شمل العديد من القطاعات الشعبية، بما فيها بشكل خاص، القطاعات النسائية، الشبابية والفكرية. وبدأت الأقليات العرقية تتفجر، كما بدأ الجيش بالانهيار، كانعكاس للثقافة الشبابية في البلاد. فقد أصبح هناك جيش من المدنيين، وليس جيش من المرتزقة، ليس بعيداً عن مجرى التطورات في البلاد. فكل هذه العوامل كانت تعتبر بداية لخلق أزمة سياسية داخلية خطيرة، وأثر كثيراً على المسؤولين، الذين كانوا يديرون تلك الحرب العدوانية، والذين أجبروا على مواجهة التكاليف الباهظة لها، فقرروا تماماً بأنه لم يعد بمقدورهم أن يستمروا في ذلك. وبكل هذه الوسائل الغير مباشرة، فقد لعب الانشقاق الداخلي دوراً مهماً للغاية، واعتقد بأنه كان دوراً حاسماً سار ببطء شديد، ومع هذا البطء المؤلم، فقد أجبر الإدارة الأميركية على التخلي عن فيتنام الجنوبية في نهاية المطاف.

■ سؤال : وبذلك نشأت « أزمة للديمقراطية » ؟

جواب : كانت تلك أزمة الديمقراطية التي كان لا بد من مواجهتها حينذاك. فقد كانت أزمة واسعة إلى حد ما. فأنها لم تكن أزمة ديمقراطية فحسب، فواقع أن القطاعات

الشعبية التي غالباً ما كانت غير مبالية، قد بدأت بالاشتراك والمساهمة في النظام السياسي او المطالبة بان تستجيب حكومات الولايات لمطالبهم ومصالحهم. كما كان هناك ايضا تهديد خطير للمصالح المهنية والتجارية الاميركية كنتيجة لتنازع الحرب والطريقة التي انيرت بها. واصبح التضخم ظاهرة رئيسية، وتطلب ذلك التعرض للنقابات، وتخفيض الاجور، وافلاس للنقابات المهنية، ويوجه عام تفكك التركيبات والمنشآت الشعبية في الولايات المتحدة، التي تمكن المواطنين العائدين في الكفاح من اجل حقوقهم في مواجهة اولئك اصحاب ارباب الاعمال في المجتمع الاميركي.

لقد راينا، بلنه، بشكل يدعو للدهشة، خلال ولاية الرئيس ريفان، من ان النخبة الحاكمة، كانت تقف وراء الهجوم على نظام الرفاه الاجتماعي، وعلى تحويل المصارف من الفقير الى الغني، والتي كانت ظاهرة بارزة في الثمانينات. فكل هذا كان جزءاً من نفس الجهد للجماعات الاجتماعية المهيمنة في الولايات المتحدة، من ارباب العمل والمديرين للنظام المشترك، وذلك لضمان مصالحهم وامتيازهم الخاص وللدفاع عن انفسهم ضد العدو الداخلي المتنامي والمتصاعد.

■ سؤال : لقد كنت نشطاً جداً في تلك السنوات في المقاومة ضد الحرب في الهند الصينية، وهذا ما اريد ان استعرضه معك، لانك تعتبر مصدراً تاريخياً وسجلاً ايضاً في هذا المضمار. وكان هناك كثيراً من «الهندسة التاريخية»، حدثت منذ تلك الحقبة. ويرد للخاطرة امران: واحد منه كان الادعاء من ان وسائل الاعلام هي التي قامت بالحملة الاعلامية والانشقاق الشعبي الذي حدث في الستينات ضد الحرب في فيتنام فما هو تعقيبك على ذلك ؟

جواب : هذا امر مزيف تماماً، فلية دراسة يمكن ان تجرى لوسائل الاعلام تفند هذا الامر تماماً، وتدحض وجهة النظر هذه. واقد فرغت من تأليف كتاب بالاشتراك مع انوراد هيرمان، وهو زميل لي، يتناول دور قطاع الاعلام في تغطية الحرب في الهند الصينية، منذ حوالي الخمسينات ولغاية اليوم. ولا يوجد هنالك شك من ان وسائل الاعلام كانت داعمة للحرب تماماً. ولغاية اواخر الستينات، فإنه لم يكن هناك حتى اية مداولة حول هذا الامر. فكل واحد يقر من كافة الجهات بلنه خلال عامي ١٩٦٦

و١٩٦٧، فقد كانت وسائل الاعلام مؤيدة جداً للحرب في فيتنام، وتعكس وجهة نظر الصقور تماماً. وقد اظهرت عدة دراسات أن تأثير التلفزيون بشكل خاص كان يهدف لجعل السكان أو الشعب أكثر صقورة.

ومن السهل الإظهار انه حتى في كل مسألة رئيسية، فإن وسائل الاعلام تسير تماماً مع سياسة الدولة. والناحية الوحيدة التي ليست صحيحة ان الصحفيين في وقت ما كان لهم مفهوم او موقف مختلف. فهم كانوا ينظرون بصورة رئيسية الى الحرب من وجهة نظر القيادة العسكرية الاميركية. وهم لم يوردوا ابداً أخبار الحرب من وجهة نظر المقاومة الفيتنامية. كما فعلوا بعد ذلك، بالنسبة لافغانستان. وبدلاً من ذلك، فالحرب اخذت من قبل المراسلين الصحفيين من وجهة نظر القادة العسكريين الاميركيين في الميدان، وغالباً الضباط الصغار، كما عكسوا الى حد ما مفهوم مختلف عن ساحة الحرب من ان الأمور كانت مختلفة عن الطريقة التي كانت تصور أو تعرض في واشنطن. لذلك فإن كل واحد كان بإمكانه ان يرى هذا الأسلوب في محاولة السيطرة على الشعب، بواسطة العنف، بأنه لم يكن مجدياً تماماً. أما واشنطن فقد كانت تدعي بذلك، والعسكريون عرفوا أفضل من ذلك بكثير، وان المراسلين الصحفيين، عكسوا وجهات نظر الضباط والجنود في بعض الأحيان الذين التقوا وكانوا معهم، كما عكسوا، الى حد ما، مواقفهم. وفقط في هذا المجال أو الناحية الضيقة والمحدودة اختلفت وسائل الاعلام عن سياسة الدولة. وبحلول شهر كانون الثاني ١٩٦٩، عندما حدث الهجوم الكبير في فيتنام، أصبح هناك تغير مهم في الوضع. فاول مرة أصبحنا قادرين على رؤية الحرب بعيداً عن الاشراف والمراقبة العسكرية الاميركية. وأصبحت هناك تقارير حية عن سير مجرى الحرب هناك، ولكن ضمن اطار جهاز الدعاية والاعلام الحكومي الاميركي، وعلى عكس ما كان يدعى.

فعلى سبيل المثال، فإن وسائل الاعلام وصفت تدمير المدن والقرى في بلتا الميكونغ الى الجنوب من سايفون بشكل حي وفعال، وقد عرفوا، كما عرف كل واحد، بما فيه القيادة العسكرية الاميركية، من ان تلك المدن تمرت من اجل «انقاذهم» كما خطط لذلك، من سكانها. فقد فهم بأنه لم يكن هناك فعلياً فيتناميين شماليين. فالأفراد الذين كانوا يقومون بالقتال هناك في جنوب فيتنام، هم ما كان يطلق عليهم بالفيتكونغ، قوات

جبهة التحرير الوطني. فالقوة الأجنبية الوحيدة التي كانت في الدلتا هي اميركية، وتايلاندية وكورية من المرتزقة الذين جلبتهم الولايات المتحدة لهنالك. ومع ذلك، فإن وسائل الاعلام وصفت كل ذلك على انه كان اجراءً دفاعياً. فقد كنا ننقذ «بن تري» عندما كنا نحملها من سكانها. وكانت العبارة المشهورة التي حملناها هي «تحرير البلدة من اجل انتقامها»، وكان ذلك هو مفهوم وسائل الاعلام: فالولايات المتحدة كانت منخرطة في الدفاع، عندما كانت تدمر وتقتل وتهاجم الفيتناميين الجنوبيين. ولم يكن هناك مفراً من ذلك.

وعلى الرغم من ادعاءات عديدة، فإن وسائل الاعلام صورت الهجوم الكبير على انه كان انتصاراً عسكرياً رئيسياً. واذا ما قارنت تصور وسائل الاعلام مع سجل الاستخبارات الاميركية الداخلي، فإن وسائل الاعلام كانت اكثر تفاؤلاً بشكل بارز بشأن النجاح الاميركي من الاستخبارات الاميركية ذاتها. والسبب في ذلك كان ان وسائل الاعلام كانت تعكس بصورة كبيرة البيانات الرسمية العامة. فلم تكن تعلم او تعري ما كانت تفيد به وكالة الاستخبارات المركزية. فاذا ما اجريت هذه المقارنة فإن الوضع سيكون مختلفاً بصورة دراماتيكية. وبعد ذلك، فإن وسائل الإعلام استمرت في تصوير الحرب كما كانت تفهم في واشنطن بصورة كبيرة.

لذلك فعما إن بدأت واشنطن بمحاولتها لايجاد حل سلمي باجراء مفاوضات، حتى تحول اهتمام وسائل الاعلام من تغطية أخبار الحرب في جنوب فيتنام الى مجال المفاوضات. وكان هذا امر أدهشاً بشكل خاص، لأنه كانت فترة من عمليات القتل الجماعي الضخمة تنفذها الالة العسكرية الاميركية في فيتنام الجنوبية، وما أطلق عليه بفترة أو حملة ما بعد الهجوم الكبير، والتي عبرت تماماً حركة المقاومة في فيتنام الجنوبية ومهدت الطريق للاستيلاء على فيتنام الشمالية تماماً. كما وصف ذلك. وكان هناك بعض المراسلين في جبهة القتال كتبوا حول ذلك، كما كانت هناك حتى بعض التحليلات الجيدة بهذا الصدد، وبشكل خاص للصحفي كيفن بوكلي في مجلة نيوزويك. فقد كتب تحقيقاً حول إحدى عمليات القتل الجماعي بصورة عميقة، ومع ذلك فقد أخر تقريره لعدة سنوات قبل ان يسمح بنشره. ولكن، وبشكل واسع، قامت وسائل الاعلام بتحويل الاهتمام العام بعيداً عن ذلك، وخاصة شبكات التلفزيون، وعولجت عمليات القتل الجماعي تلك باننى تغطية، فلم تفهم وتستوعب عملياً.

واستمر ذلك الوضع. فعند توقيع معاهدة باريس السلمية، على سبيل المثال، فإن وسائل الاعلام سارت تماماً جنباً الى جنب مع الجهود الاميركية ليظهروا الموقف الاميركي بأنه كان ناجحاً، وهذا معروف تماماً لغاية هذا اليوم. ولا توجد أية نقطة تدل على تحول وسائل الاعلام الاميركية عن هذا الاطار أو الخط ما عدا بعض الاستثناءات المحسوبة جداً.

■ سؤال : هنالك حكاية صغيرة تشترك مع تيب أونيل. ففي عام

١٩٨٧، كتب سيرته الذاتية (رجل البيت). وقد استعرض من قبل جون

كينيث جالبريث. فهل لك ان تتحدث عن ذلك ؟

جواب : لقد وصف تيب أونيل من قبل جالبريث، ووصف نفسه ايضاً، على انه من الزعماء الاوائل لحركة معارضة الحرب (حرب فيتنام) في الكونغرس. والحقائق مختلفة قليلاً. فالحكاية الشخصية التي في ذاكرتك، كما أظن، حدثت في ٨ أو ٩ نيسان عام ١٩٦٥، وبعد يوم واحد من خطاب الرئيس جونسون، عندما نهبت مجموعة من اساتذة جامعة «نيو انجلند»، وكنت واحداً منهم، وكان هوارد زن واحداً آخر، وبضعة اخرون، الى واشنطن ليحتشدوا هناك، وذلك من اجل التحدث مع تيب أونيل. وكا هو ممثلاً لجامعة كامبريدج، حيث درست وعشت وعملت هناك لفترة انا واخرين ممن كانوا معي. ونهبتنا لرؤية وفداً من جامعة ماساشوسيتس وللتحدث معهم فقط بشأن الحرب الدائرة وقتذاك في فيتنام. وكان الوضع الذي كنا نتحدث عنه ضيقاً ومحدوداً الى حد كبير.

فعليك ان تتذكر ان ذلك حدث في عام ١٩٦٥. فقد كان من المستحيل آنذاك ان نتحدث عن الحرب الاميركية في فيتنام الجنوبية، فلا احد كان يمكنه حتى ان يسمع كلمات عما يمكن ان نتحدث عنه بهذا الصدد. لذلك فقد قيئنا انفسنا كثيراً للحديث عن قصف فيتنام الشمالية فحسب. وكانت ردة الفعل مختلفة بين اناس مختلفين. فقد كانت ردة فعل أونيل متطرفة. فحتى انه لم يدعنا ندخل الى مكتبه. ولم يكن على استعداد حتى لسماع من كان يعارض قصف فيتنام الشمالية. وقد كان هناك اخرون يرغبون بدعوتنا الى مكاتبهم. كما كان هناك بعض الاعضاء الجمهوريين في الكونغرس

متعاطفين تقريباً بهذا الشأن. أما أونيل فقد كان أكثر تطرفاً. واستمر ذلك لغاية عام ١٩٦٧ تقريباً. فلم يكن هناك معارضة عملية في الكونغرس للحرب الدائرة في فيتنام.

وكمجموعات نخب، فقد بدأت تصبح غير مثيرة بالحرب، ومضت قطاعات من الكونغرس مع هذا المسار، وخصوصاً في أوائل عام ١٩٦٨، عندما أصبح هناك موقف غير مثقل في الحقيقة. فعقد اجتماع شهير لمجموعة من «الرجال الحكماء» كما أطلق عليهم وهم كل من - دين اشيسون، ماكجورج بوندي، وجون ماكلوي - وكما اعتقد، فقد كانوا شخصيات متفطنة مارسوا ومثلوا السلطة التنفيذية والعسكرية على حد سواء.

ونهبوا فعلياً إلى واشنطن ليقدموا تقييماً للحرب ويبلغوا الرئيس الاميركي بأن عليه ان يغير من النهج القائم آنذاك. وفي الواقع، فانه عندما استقال جونسون، عندما أطلق على العملية اسم «الفتنة»، وبدأت تحدث اثرها. وكانت عندئذ ان بدأت هناك بعض المعارضة في الكونغرس للحرب في فيتنام. وهي مشابهة جداً للمعارضة للحالية لمساعدة ثوار الكوترا. فالعنف لن يلقى نجاحاً، لذلك فقد كان من الأفضل بأن نتحول نحو طريق ما من اجل انجاز اهدافنا. وعند تلك النقطة، فقد كان بإمكانك ان تستميل اشخاصاً مشهورين من «معارضتي الحرب»، ومن ضمنهم، مثلاً، جين مكارثي. فقد كان غير ظاهراً في معارضته للحرب. فمعارضة الحرب لم تكن شيئاً مألوفاً في عامي ١٩٦٦، ١٩٦٧، وانلك فاننا لم نسمع شيئاً بخصوص أو من جين مكارثي. فمكارثي يعتبر مثلاً مثيراً بشكل خاص. وقد عرفه أو وصفه جالبريث «كبطل حقيقي» لحركة مناهضة الحرب.

وستحصل على فهم التفكير السياسي للنخبة الليبرالية من خلال ذلك. وكانت هناك معارضة مبكرة في الكونغرس للحرب: وكان كل من واين مورس، وارنست غروينغ الشخصيتين الوحيدتين اللذان صوتا ضد قرار خليج توتنكين، وكان هناك آخرون ساعدوا في ذلك وتحذروا بهذا الصدد، إلا ان جين مكارثي لم يكن من بينهم. فقد انضم لمعارضة الحرب في طريقة غامضة جداً. وإذا ما عدت لتدقيق خطباته واحاديثه، فانه سيبدو لك غير واضح تماماً عما كان يقوله. وإنما كان راغباً في ان يضع نفسه قديماً كزعيم في نقطة ما عندما يفكر ويظن أن بإمكانه استغلال الحركة

الشعبية، التي لم يساهم بأي شيء في تنظيمها. فقد ظن أن بإمكانه استغلال ذلك من أجل سلطته السياسية الشخصية. وعندما تبين له بأنه لم يكن بإمكانه تحقيق ذلك، انسحب من أمام الأنظار. وهذا واضح جداً في حالة مكارثي. فقد ظهر، لمدة قصيرة فقط، وأبضعة شهور وأخيراً انعقاد المؤتمر الديمقراطي في شهر آب ١٩٦٨، فقد أراد أن يظهر نفسه كزعيم معارض للحرب، لأنه احتاج لدعم من أجل ترشيحه. ولكن عندما لم يرشح، فقد اختفى وتلاشى عن الأنظار.

ويمكننا أن نروي تماماً كم كان حديثه بالنسبة لمسألة الحرب، وذلك بالنظر وتدقيق ما فعله بهذا الشأن. وقد نال الكثير مما لا يستحقه في هذا المجال، ولقد كان شخصية عامة بالفعل، وكان باستطاعته أن يستخدم ذلك فيما لو اهتم قليلاً بمسألة معارضة الحرب في الهند الصينية. فلو أنه اهتم ولو بشكل قليل بشأن ذلك، فقد كان بإمكانه أن ينال السمعة والشهرة المناسبين، ليكون ناطقاً شعبياً ضد الحرب. وكل ما علينا أن نفعله هو أن ندقق بذلك لنعرف ما فعله بالضبط والجواب بالفعل، هو لا شيء. وفقط انسحب واختفى عن الساحة. إذ أنه فقد مصداقيته السياسية، لذلك فقد اختفى، وهو الآن يعتبر من بين الشخصيات الليبرالية العظيمة التي عارضت حرب فيتنام. وهذا يعطيك شيئاً ما بشأن الثقافة السياسية.

■ سؤال : بحديثك عن الثقافة السياسية الأميركية، فأنت غالباً ما تشير إلى أن الولايات المتحدة تنقصها الأحزاب السياسية المتعددة، وهناك نقص في الصحافة المعارضة، أو صحف المعارضة، وتسييسها بشكل أساسي. فهل هذا يمكن أن يفسر حقيقة أن عشرات الملايين من الأميركيين لا يصوتون في الانتخابات، ولا يشاركون في العملية السياسية ؟

جواب : أعتقد بأن هناك شك ضئيل حول ذلك. فقد أجريت عدة دراسات حول مسألة الذين لا يصوتون. وكان والتر دين بورنهام، وهو عالم سياسي، واحد من الذين قاموا بذلك وعلى أفضل وجه، وكانت الحقائق واضحة تماماً. وإذا ما قمت بتحليل اجتماعي - اقتصادي، فإن الصورة الجانية تكون للأشخاص الذين لا يصوتون، وبذلك فإن الأمر يتحول ليشابه كثيراً لتلك المجموعات في بعض الدول الديمقراطية الصناعية الأوروبية.

والذين يصوتون لحزب واحد من الأحزاب العمالية. ففي هذه الدول يوجد تقريباً حزب سياسي له جنود في الطبقة العاملة، أو الفقيرة، وهكذا. ولهذا الحزب أسماء مختلفة. فيطلق عليه أحياناً حزب العمل أو الحزب الشيوعي أو الاجتماعي أو الاشتراكي وغير ذلك، بل إن مثل هذا التشكيل السياسي موجود منذ زمن. وقد بدأت هذه الأحزاب بالركود أو الأقل في أي مكان من العالم، ولكن كان لها وجود في الماضي في بعض الدول الديمقراطية الصناعية. وهناك استثناء رئيسي هي اليابان، وحتى هناك فإنه موجود في نطاق محدود. وبالطبع فنحن الذين أوجدنا النظام السياسي الياباني. وإنما الاستثناء الواضح جداً هو الولايات المتحدة، حيث يوجد هناك حزبان فقط مرتكزان على المهن والأعمال. فإذا ما نظرت إلى الغير مصوتين، فإنهم يكونون من الأشخاص الذين كانوا سيصوتون لأحزاب مثل، حزب العمل، الشيوعي، الاشتراكي، أي أحد تلك الأحزاب الموجودة في الدول الديمقراطية الصناعية. والتصويت في الولايات المتحدة مرتكز بشكل كثيف على عنصر الطبقة. فهو منحاز تجاه العمال الأكفاء بدلاً من الغير أكفاء، وتجاه الياقات الزرقاء بدلاً من الياقات البيضاء، وتجاه المستخدم بدلاً من غير المستخدم، وتجاه الغني بدلاً من الفقير، تجاه المحترفين بدلاً من المشربين، وهلم جرأً. فذلك يعكس نفس الواقع أو الحقيقة.

وقطاعات كبيرة من السكان، لا يشترك نصفها تماماً في انتخابات الرئاسة، وثلاثها تقريباً في انتخابات الكونغرس. وهناك عدد من الأسباب لذلك، بعضها أسباب فنية مثل وجود صعوبة في التسجيل، بيد أن السبب الرئيس يبدو ليكون بأنهم لا يشعرون بأن لهم دور في النظام السياسي. وهذا واضح أيضاً بطرق أخرى. فقد كانت هناك بعض الاستطلاعات المبهشة والتي أجريت بعد آخر انتخابات لرئاسة. فبعد انتخابات عام ١٩٨٤، سئل المنتخبون فيما إذا كانوا يملون بتطبيق برنامج ريفان التشريعي، وكانت نتيجة التصويت ٢ - ٢، أملوا بأن ذلك سيتحقق. أنهم أولئك المنتخبون الذين صوتوا لصالح ريفان، والذين لم يكونوا يملون بتطبيق البرنامج التشريعي لريفان. وهذا يعني بأنهم كانوا يصوتون ضد مصلحتهم الخاصة، وذلك يشير إلى سلبية تامة فيما يتعلق بالنظام السياسي. فهم كانوا يصوتون لسبب ما آخر، وليس لأنهم كانوا يعتقدون من أن لهم تأثير سياسي. وتساعد استطلاعات أخرى في تفسير ماذا كانت تلك الأسباب.

وفي نفس الوقت، فإن نصف عدد السكان تقريباً، عند سؤالهم، «من يدبر الحكومة؟» فقد أجابوا بكلمة «نعم»، عند سؤالهم، «هل الحكومة تدار من قبل مجموعة تسعى وراء مصالحها الخاصة؟» فقد كان ذلك هو رأي نصف السكان تقريباً حول هذا الموضوع. هذا على افتراض أنه لم يؤخذ رأي أولئك الذين لم يشتركوا بالانتخابات الرئاسية أو لم ينتخبوا. وهذا من وجهة نظري يعكس نوعاً من الفهم للنظام السياسي، أو لوضع ذلك في قالب أكثر حيائية، فانه نوع من السلبية بخصوص النظام السياسي، وهذا امر منتشر بشكل واسع، خاصة بين أولئك الذين هم أقل تعليماً، والذين ينزعون ليكونوا أكثر تقدماً واستيعاباً وفهماً لمثل هذه الأمور. والسبب لهذا التقدم هو أن التعليم منبثق من جهاز التلقين أو الاعلام، ومن هم أقل تعليماً هم الذين يكونون أقل تلقيناً.

علاوة على ذلك، فإن المتعلمين يميلون ليكونوا متفهمين وأن يكون لديهم دعماً في النظام التلقيني أو الدعائي الاعلامي، لذلك فانهم يميلون بصورة طبيعية لجعله امراً ذاتياً يؤمنون به. وكتيجة لذلك، فانه ليس بشكل غير مألوف وليس في الولايات المتحدة لوحدها فحسب، فانك ستجد مقداراً كبيراً من التقدم بين أناس قد قرأوا أو علموا حول العالم من خلال تجاربهم بدلا من أولئك الذين علموا عن العالم من خلال الإطار العقائدي أو المبدأي الذي تعرضوا له، وانهم توقعوا أن يكونوا جزءاً من التزامهم الحرفي لينشروه وينيعوه.

■ سؤال : في الثمانينات، كان المرء يسمع كثيراً من التحدث عن المستوى الاجتماعي «العلاقات الشبه تبعية»، فقد أوجيت بأنه كانت هناك مثل هذه العلاقات ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي (سابقاً) ، فما هو تعليقك على ذلك ؟

جواب : انها كانت علاقة مثيرة للاهتمام تطورت منذ الأربعينات. ودون الرجوع الى تفاصيل كيف نشأت الحرب الباردة، فإن الحقيقة أن تلك الحرب الباردة كان لها استخدام وظيفي لكلا القوتين العظميين. وانني مقتنع بأن ذلك كان من احد الأسباب التي دامت من أجله. فقد كانت من أجل مصالحهم، مصالح أولئك الجماعات النخبية التي كانت تدير القوتين العظميين. وهذا صحيح، رغم التكليف الباهظ والخطر الذي كان يحدث من فترة لأخرى، بما فيه الخطر من حدوث كارثة نهائية. فبإمكانك أن ترى ذلك

واضحاً تماماً، إذا ما نظرت الى الأحداث الفعلية للحرب الباردة. فمن الجانب الروسي، فما هي أحداث الحرب الباردة التي جرت من جانبه؟ فمثل تلك الأحداث هي ارسال الدبابات السوفييتية الى برلين الشرقية في عام ١٩٥٣، وغزو هنغاريا في عام ١٩٥٦، وتشيكوسلوفاكيا، وأفغانستان فيما بعد، وهكذا. فإنها تلك أحداث الحرب الباردة.

وفي كل حالة من تلك الحالات، فإن الاتحاد السوفياتي كان يهاجم واحدة من الدول السائرة في فلكه، وبشكل فعلي في المنطقة التي احتلت من قبل الجيش الأحمر، او في حالة افغانستان، في منطقة اكتسب ونال فيها نفوذاً أساسياً، ونفوذاً مهيمناً في الحقيقة. فقد هاجم بشكل فعال دولة عميلة له، مما جعل شعبها يعبأ. فعليك ان تفعل ذلك، فلية دولة، سواء كانت ديمقراطية أم بيكتاتورية أو مهما كانت، عليها ان تنظم وتعبئ شعبها من اجل القيام بأعمال مكلفة وعنيفة. وتفعل ذلك من اجل مواجهة تهديد الشيطان الاكبر. وكل هذه الأعمال هي دفاعية. فقد اتخذت دفاعاً عن التهديد الذي فرضته الولايات المتحدة، التي كانت تهدد لتسحق وتدمر الاتحاد السوفياتي، فتلك هي الطريقة لتعبئة الشعوب. وذلك بإقناعها ان عليها الدفاع عن اوطانها ضد عدو كبير ما. وبالنسبة للتعبئة الشعبية، فإن الحرب الباردة كانت توظيفية تماماً بالنسبة للنخبة الحاكمة السوفييتية. وبالضبط كان هذا نفس الشيء هنا. فمن جانبنا، فإن أحداث الحرب الباردة كان لها تدخلات منتظمة، والتخريب والعدوان. فعندما أطحنا بحكومة غواتيمالا الديمقراطية في عام ١٩٥٤، على سبيل المثال، فقد كنا ندافع عن أنفسنا من الاتحاد السوفياتي. وعندما غزونا جنوب فيتنام. فقد كنا ندافع عن أنفسنا من عميل (بولة عميلة) لروسيا أو الصين. وهكذا الأمر لغاية اليوم. وعندما هاجمنا نيكاراغوا، فقد كنا ندافع عن أنفسنا من التوسع السوفياتي. فتلك هي الطريقة التي تبعأ الشعب بواسطتها، ويجب ان تفعل. فلا يوجد هناك نهج أو طريقة أساسية أخرى.

ويمكن ان يفعل ذلك حتى على نحو سخيف. على سبيل المثال، فغزو غرينادا وصف فعلياً في الولايات المتحدة على انه دفاع عن الولايات المتحدة ضد تهديد ما. فهذا البلد بالكاد ان يلاحظ على الخارطة، وعدد سكانه مائة الف نسمة، كان يشكل تهديداً لوجود الولايات المتحدة. فهذا امر ان يقنع ابدأ شعب الولايات المتحدة ولكن إذا ما امكثك التظاهر أو الادعاء انها قد أصبحت موقعاً لصواريخ سوفييتية، مما يشكل

تهديداً خطيراً على الولايات المتحدة مستقبلاً، فعندئذ يصبح الأمر مقبولاً أكثر. لذلك علينا أن ندافع عن أنفسنا بفرو ولحتلال هذه البقعة الصغيرة الموجودة في البحر الكاريبي.

وهذا النوع من الاستخدام التوظيفي مطلوب من أجل فرض اشرافات ومراقبات داخلية. فذلك هو النهج أو الأسلوب الرئيسي. فمن الناحية النموذجية، فإن أي ولاية اميركية ستحاول أن تدافع عن نفسها ضد عدوها الداخلي بواسطة اثارها الخوف لتتال من عدوها الداخلي، السكان المحليين، وذلك ليقبلوا بالسياسات التي عارضوها سابقاً، السياسات التي يعانون من اجلها. وهناك طريقة واحدة فقط من أجل القيام بذلك، وذلك بإثارة الخوف. وبواسطة إثارة الخوف، فانك ستحتاج الى عدو، وإذا ما نظرت الى تاريخنا، فقد كان هناك عدد من الأعداء. ففي القرن التاسع عشر، فقد كنا ندافع عن أنفسنا من البريطانيين والإسبان. وخلال الحرب العالمية الأولى، أرسل الرئيس ويلسون قواته الى جزر هايتي وجمهورية الدومنيكان، حيث قامت بارتكاب عمليات قتل وحشية، وبعثت النظام الدستوري هناك، وأعادت الرق، وهلم جرا. ولم يكن هناك في ذلك الوقت الاتحاد السوفياتي موجوداً بعد، فقد كان ذلك قبل حدوث الثورة البلشفية. لذلك فقد كنا ندافع عن أنفسنا ضد شعوب الهانز (من الجنس المغولي). وبعد قيام الثورة البلشفية، فقد كان علينا الدفاع عن أنفسنا ضدها. فقد كنا بحاجة لعدو للدفاع عن أنفسنا ضده.

وكان هناك انحراف بسيط مثير للدهشة خلال عهد الرئيس ريغان. فقد كان الشعب يعارض بقوة انفاع كبير لبرنامج ريغان. وأظهرت الاستطلاعات ذلك بصورة مثيرة، لذلك فقد كان لدينا الكثير من «امبراطورية الشر». وكان علينا الدفاع عن أنفسنا ضد الروس، وهكذا. ومع ذلك، فإن المواجهة مع الروس كانت مسألة خطيرة جداً ولو كان الأمر بشكل ضئيل جداً، لذلك فقد كان من الضروري إيجاد عدو ضعيف تماماً، ذلك حتى يمكنك الهجوم عليه لتدميره وقتله دون أية تكلفة، ولكن مع ذلك لا بد أن يكون قوياً بما فيه الكفاية ذلك حتى يمكنك أن تستخدمه في إخافة السكان المحليين.

وسرعان ما وجدت أجهزة العلاقات العامة في إدارة ريغان الحل لهذه المعضلة: وهو الارهاب الدولي. لذلك فقد أوجدوا «شياطين صغيرة»: مثل: ليبيا، منظمة التحرير،

الساندونيين، غرينادا، وهلم جرا - لدول وحتى اشخاصاً يكونوا ضعيفين بشكل مناسب، ذلك حتى يمكننا مهاجمتهم دون حدوث أية خسائر بيننا. فيمكننا ان نقصف طرابلس وبنغازي ونقتل مئات الأشخاص دون أية خسائر تلحق بنا. ولكن مع ذلك فهم يهددوننا لأنهم معروفون على أنهم عملاء «امبراطورية الشر». فقد كان ذلك انقلاباً لامعاً للعلاقات العامة. وقد أصبحت صعوبة الآن بسبب التكاليف الضخمة للحماقات الريفانية، التي خربت بشكل خطير الاقتصاد الداخلي. وأصبح من الصعب جداً ممارسة هذه السياسة العدوانية الخارجية. وكنتيجة لذلك، فقد اكتشفنا ان الروس هم اقل خطورة وتهديد لنا، وان الارهاب الدولي قد تضائل. ولم يطرأ تغيير كبير في العالم، ولكن قد تغير شيء ما في البلاد. والنقطة العامة من خلال كل تلك الفترة هي ان الاتحاد السوفياتي وعملائه المزعومين كانوا ملائمين جداً لاثارة الخوف والرعب وتعبئة السكان المحليين. وكان هناك بعض الشيء صحيح من جانبهم. فنذلك هو الاستخدام الوظيفي او العملي للحرب الباردة.

■ سؤال : كيف ترى البريسترويكا وسياسات غورباتشوفه وهل يمكن ان لا يرحب بها في دوائر اميركية معينة ما زالت بحاجة لان تحافظ على خوفها كما قلت عنها ؟

جواب : اعتقد بان هذه السياسات ترعب كثيراً دوائر النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة. وذلك ما يوضح من انه لا زال هناك جهد متواصل للتقليل من شأنها والاستخفاف بها. فانها تضر وتؤدي بوضع ومركز الولايات المتحدة في أوروبا. وقد لقيت سياسات غورباتشوف الكثير من الترحيب في أوروبا، ليس من النخب الحاكمة هناك، وانما على المستوى الشعبي، فالنخب ما زالت تخشى منها كموقف النخب الحاكمة في الولايات المتحدة. بيد انه لا يوجد هناك شك ان الحركة الشعبية العامة التي تفضل ان ترى هناك تقليصاً في التوتر، وتقليصاً في مظهر البرج المحصن أو الستار الحديدي للاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية، لذلك فقد رحب بهذه السياسات على المستوى الشعبي. وغورباتشوف شخصية مشهورة جداً في أوروبا الغربية، كما هو في الحقيقة مشهور هنا في الولايات المتحدة. فبعد قمة «ريكجافيك»، قامت وكالة الاعلام الاميركية بعمل دراسة سرية عن ربة الفعل في أوروبا عن تلك القمة. وقد سرّيت هذه الدراسة ونشرت في أوروبا. وكما اعلم، فانها لم تنشر في أية صحيفة

اميركية. وقد نكرت في مقالات الاعمدة من فترة لآخرى، إلا انها لم تنتشر مطلقاً كخبر، على حد علمي. ونشرت في أوروبا على شكل اخبار، وكان ما اظهرته هو حصول غورباتشوف على شعبية غامرة اكثر مما حصل عليه ريفان وينسبة اربعة الى واحد، وهذا مفرع بالطبع. فعلى الولايات المتحدة ان تضمن السيطرة على عملاتها، وخاصة في أوروبا الغربية، فهذا امر مهم جداً، ويشكل تهيداً لسياسة الانفراج الدولي التي اخنت على نحو جاد تماماً.

وفي الوقت ذاته كان يوجد هنا نزاعاً. فقد كان من المهم الاعتراف كم اضرت السياسات الريغانية بالاقتصاد بشكل خطر. انه امر خطير الى حد كبير، ويمكن ان تكلف ثمناً حقيقياً يجب دفعه. ونتيجة لذلك، فان الولايات المتحدة ان تكون قادرة على رمي ثقلها في المسائل الدولية الى المدى الذي يريده الجناح اليميني فيها، وهكذا فانه من الضروري للولايات المتحدة ان تتحرك وفق موقف اقل مواجهة. وفي هذه الناحية فان هناك عوامل هنا تدفع البلاد تجاه اتخاذ نوع محدد من سياسة الانفراج. وفي نفس الوقت، فإن خسارة هذا النموذج من السيطرة والاشراف على السكان المحليين، والسيطرة على الدول العميلة والحلفاء، فذلك امر خطير. فسيكون من المدهش رؤية كم هذه المتطلبات المتنازعة تلعب بنفسها في السنوات القادمة.

■ سؤال : لقد دفعت قديماً بفكرة ان المديرين لسياسة الامن الاميركية

ليسوا في الحقيقة مهتمين في الامن الوطني، فما هو تعليقك على

ذلك ؟

جواب : اعتقد بأن ذلك ليس صحيحاً في الولايات المتحدة فحسب، بل انه بصورة عامة. وعليك ان تكون متنبها قليلاً هنا. فاذا ما نظرت الى ذلك بشكل عام، او بالنسبة لتلك المسألة التي حتى تحتوي على وثائق سرية لاية دولة كانت، فانهم يصفون ما يقومون به بلغة الامن، ولا اقول يوماً لأنه يوجد هناك في الغالب مناقشة صريحة في وثائق سرية، وحتى أحياناً بصورة علنية. ولكن بصورة عامة، فان المسؤولين يرون انفسهم كمدافعين عن الامن، هل الولايات المتحدة تدافع عن نفسها من هجوم ما؟ فبدعنا نقول، انه في عام ١٩٥٠، عندما قمنا بلول استعداد عسكري رئيسي، اربع مرات تقريباً

عما أقره نظام البنتاغون، فهل كنا ندافع عن أنفسنا ضد تهديد بالهجوم؟ إنه امر مضحك.

لقد كانت الولايات المتحدة في وضع أمني لم تكن في مثله أو اكتسبته أية دولة أخرى في التاريخ. ولم يكن لدينا أعداء بالقرب. وكنا نسيطر على محيطين. كما كنا نسيطر على الجهات المقابلة لكل المحيطين. ولم يكن هناك تهديد ممكن بصورة أو تخيله لهجوم محتمل. فقد كنا على نحو ساحق أقوى دولة في العالم، أقوى بكثير من الاتحاد السوفياتي. وفي الواقع، فإن أوروبا الغربية، كانت من الممكن أن تقارن اقتصادياً وعسكرياً مع الاتحاد السوفياتي، إلا أنها كانت أكثر تقدماً في تركيبتها المؤسساتية وتلاحمها السكاني. لذا فقد كان من الواضح أننا كنا ندافع عن أنفسنا ضد هجوم متوقف. وكان التفسير التقليدي لذلك هو ردة الفعل للحرب الكورية، والذي كان يفهم على أنه توسع سوفياتي. بيد أنه كانت هناك نقطتان هما: أنه لم يكن هناك أي دليل من أن الروس كان لديهم أي شيء ليفعلونه تجاه أي هجوم ضد كوريا الشمالية، ولا حتى يوجد مثل هذا الشيء اليوم. والأمر الأكثر أهمية، أننا نعلم تماماً وجيداً بأن قرار زيادة الموازنة العسكرية قد سبق نشوب الحرب الكورية.

وكانت وثيقة التخطيط الحاسمة هي مذكرة مجلس الأمن القومي ٦٨، وصنفت في عام ١٩٧٥. أنها وثيقة مهمة جداً. وكان ذلك قبل شهرين من اندلاع الحرب الكورية، عندما دعا للجلس إلى توسع ضخم في الموازنة العسكرية، وذلك بسبب الشعور بالتهديد بالدمار على أيدي الاتحاد السوفياتي. وإذا ما حققت بعناية في الوثيقة، فأنك ستكتشف بأن الولايات المتحدة كانت أقوى بكثير من الاتحاد السوفياتي، وحتى لو استثنينا أوروبا وكندا. ومع ذلك، فقد كنا نخشى من التدمير. حتى أنه كان لذلك تفسيراً. وتفسيره كان أن الاتحاد السوفياتي كان متخلفاً جداً ذلك أنه كان بإمكانه أن يفعل «الكثير بالقليل» لذلك فإن عنفه كان يكمن في ضعفه، ولذلك فقد كان علينا أن ندافع عن أنفسنا منه.

وكان هناك أيضاً شيئاً من الحقيقة فيه. فقد أشار تقرير مجلس الأمن القومي بأن الولايات المتحدة يمكن أن تتجه نحو الركود الاقتصادي. وأشار التقرير أيضاً بأن الاتفاق العسكري سينهك الاقتصاد، كما حدث خلال الحرب العالمية الثانية. علاوة على

نلك، فقد كانت هناك حاجة لحماية الأجزاء البعيدة جداً التابعة للولايات المتحدة، والتي تتطلب وضعاً رادعاً. فعلياً ردع أية مقاومة للتدخل الأميركي، وهي فكرة واضحة جداً في المسجل السري. وكنتيجة لذلك، فقد كانت تهيئة القوة العسكرية الأميركية، لأسباب محلية ودولية على حد سواء، إلا أن عنصر الدفاع لم يكن بين هذه الأسباب.

والشيء ذاته يعتبر صحيحاً إذا ما نظرت إلى الفترات الأخرى للاستعدادات العسكرية الكبيرة، وانقل إبان فترة حكم كنيدي. ففي أوائل سنوات حكم كنيدي كانت هناك تعبئة عسكرية كبيرة، وهي في الحقيقة كانت المرحلة الأولى من سياق التسليح وكان السبب في ذلك الوقت هو أزمة الصواريخ، إلا أننا نعلم أن أزمة الصواريخ ما هي إلا خدعة، وقد عرفت جماعة أو المحيطين بكنيدي أنها كانت عبارة عن خدعة. ومن المحتمل أنهم عرفوا ذلك حتى قبل مجيئهم للحكم، ولكن عندما جاورا للحكم فقد عرفوا ذلك بالتأكيد. فالوثائق الداخلية هي مهمة في هذا الصدد.

فعلى سبيل المثال، فقد أوصى مكجورج بوندي، بأن الإدارة الأميركية قد أبقت على عبارة «أزمة الصواريخ» وحتى مع أنها لم تكن هناك أزمة، لأنه، كما قال، «أنه مختصر مفيد للتعبير عن وضعنا العسكري الأساسي». ولنكون أكثر دقة، فإنه كانت هناك أزمة صواريخ في ذلك الوقت، ولصالحنا بشكل ضخم، أي حوالي واحد إلى عشرة، لصالحنا. فقد كان لدى الروس أربعة صواريخ عاملة نصبت على مهبط للطائرات في مكان ما. بيد أنه كان من الضروري تنفيذ برنامج اتفاق عسكري كبير ولأسباب ملقوفة: لتحفيز الاقتصاد الداخلي، ولتنفيذ سياسة التدخل الخارجي العدوانية. إذ أنه لم يكن هناك شيئاً بخصوص الأمن.

ونفس هذا الشيء صحيح بالضبط في عهد إدارة ريفان، عندما تستنكر، الحجة أو الذريعة للانفاق العسكري الكبير وذلك لمواجهة الثورات التي يثيرها الروس في كافة أنحاء العالم، أو ما دعيته «بالنافذة» القابلة للسقوط. ولا يجدر بنا أن نناقش هذا، لأن لجنة الرئيس الأميركي الخاصة أشارت بأنه لم تكن هناك أبداً «نافذة قابلة للسقوط أو الاختراق». وقد تلكد هاذ مؤخراً بأنه كان امراً مزيفاً وخدعة، في الواقع. ومهما تجد بأن الذريعة لم تكن للسبب، فإنك تعرف بأن شيئاً ما آخر كان مستمرا. فإذا ما نظرت

الى تفاصيل السياسة الامنية الاميركية، فإنك ستري أن الأمن في معناه الدفاعي عن البلاد أو الدفاع عن دول عميلة أو الدفاع عن آخرين، هو لم يكن مراً أو اهتماماً أبداً. فالاهتمامات الفعلية هي مختلفة تماماً.

فالاهتمامات هي استخدام قوة البلاد لتنظيم مساعدة شعبية من أجل تكنولوجيا متقدمة للنظام العسكري، أو خلق نظام دولي يمكن أن نخيف ونرعب بواسطته الدول الأخرى بفعالية، وذلك حتى يمكننا التدخل مباشرة بدون تهديد أو ببساطة معارضة التدخل المباشر. وجزء كبير من الموازنة العسكرية هي من أجل التدخل تماماً. ومع ذلك، فإن كل ذلك يفهم على أنه من أجل الضرورة الأمنية.

ولا أقول بأنهم يكذبون. فالأناس الأكثر نكاه هم يكذبون تماماً، بيد أن الأقل نكاه يصنعونه، ويصدقون ذلك بقلية نفسية مألوفة جداً. وكل واحد يعرف ذلك من حياتهم الشخصية. كما أنه يعمل في الحياة السياسية. ففي حياتك الشخصية، فإنك تريد أن تفعل شيئاً ما. وأنت تعلم بأنه ليس بالشئ الصحيح لأن تفعله، ولكنك ترغب به لأنه من مصلحتك أن تفعل ذلك، لذلك فإنك تفعله، وأنت تجد نظام تبرير ليفسر بالضبط لماذا كان ذلك شيئاً صحيحاً وحقيقياً لتفعله. وكل واحد مخلص يعرف تماماً بأنهم يفعلون هذا طيلة الوقت.

إنها ظاهرة نموذجية تماماً للحياة السياسية. فأنت تقرر بأنك ستمضي للإطاحة بحكومة غواتيمالا، لأننا لا يمكننا أن نتسامح في الإصلاح الاجتماعي والديمقراطية، بيد أنك لا تستطيع أن تقول ذلك، لذلك فإن عليك أن تبتدع أن هنالك تهديد ما. وإذا ما نظرت بعناية إلى الوثائق السرية، والتي كشف عنها الآن، فإنها مليئة بكل أنواع الاتهام ضد غواتيمالا، ففي الحقيقة أن السياسة الفعالة كانت في وثيقة لمجلس الأمن القومي تنطق بلحداث غواتيمالا. فقد كانت غواتيمالا تشكل تهديداً مثلها مثل غرينادا ونيكاراغوا. وكانوا يعززون، مثلاً، أن الإضرابات التي كانت تحدث في هندوراس سببها غواتيمالا. فهذا نوع من التهديد أو العدوان كانوا قلقين بشأنه. فنتظام غواتيمالا الديمقراطية والإصلاحي كان يعتبر تهديداً للمؤسسات الأميركية، وهذا بالطبع يعتبر عدواناً، لذلك فإن علينا أن ندافع عن أنفسنا ضده، وذلك بالعمل العسكري للإطاحة بنظام الحكم في غواتيمالا، وهذا يعتبر نموذجاً، لذا ما تمعنت فيه.

وفي هذا المعنى انه في حين ان المسؤولين الامنيين قد يعتقدون تماماً بانهم يدافعون عن امن البلاد، فان الحقائق تشير بوضوح بانهما يدافعون عن شيء ما مختلف تماماً. انهم يدافعون عن نفوذهم وسلطتهم الداخلية. وانكر مثال واحد آخر، حيث سيكون ذلك اكثر وضوحاً، فهناك دراسات على نحو متكرر لرجال اعمال سنل فيه المديرون المتحدون لشرح وتفسير ما يقومون به. وعلى نحو نمونجي، فما قالوه هو انهم ملتزمون بعمق باعمال الخير الانساني. وحقيقة الامر انهم يجنون من ذلك أقصى منفعة ومقاسمة السوق التجاري، وانهم يفعلون ذلك ليس بسبب الخير او الشر، وانما لان تلك هي طريقة عمل المؤسسات. فاذا لم يفعلوا ذلك، فانهم لن يكونوا مدراء او رؤساء مجالس ادارات بلية حال. وبما ان المنفعة القصوى ومشاركة السوق يمكن ان تكون متعلقة، ومبررة لاهداف متفطرة، فانهم سيؤمنون باهداف متفطرة. ولكن فيما اذا تصارعت هذه الاهداف المتفطرة مع المنفعة القصوى ومشاركة السوق، فانهم سيقومون بالعمل الأخير. فنحن جميعاً نعرف هذا، ولا احد يجب ان يكون مخدوعاً به. وهذا نفس الشيء تماماً بالنسبة للحياة السياسية، حيث ان الناس يخذعون احياناً، وحتى أولئك الناس الذين يجب عليهم ان يعرفوا بصورة افضل.

■ سؤال : يوجد تناقض هنا يحيرني. فانت تتحدث عن مديري الدولة، الذين عملهم او وظيفتهم هي الإبقاء على السلطة والنفوذ والامتياز. فإذا ما كان الحال كذلك فكيف يمكنهم خلق جهاز الانطفاء او الانقراض هذا ؟

جواب : السبب انه في هذا الجهاز التنافسي فانك تقوم بتخطيط قصير المدى فقط وهذا نفس الشيء بالضبط بالنسبة لعالم الاعمال. ولناخذ مثلاً هيئة المديرون المتحدون، حيث لا يكون هناك تشويش حقيقي بشأن ما يفعلونه. فانهم يتشاركون في المنفعة القصوى وفي السوق ايضاً في المدى القصير. وفي الحقيقة، فاذا لم يقوموا بذلك، فانهم لن يكونوا موجودين. ولكن اكثر موضوعية. ولنفترض مثلاً ان شركة سيارات، ولنقل مثلاً شركة جنرال موتورز، تقرر تكريس مصادرها للتخطيط لشيء ما سيكون قابل للمنفعة والفائدة لعشرة سنوات من الآن. وافترض انهم عندما يحاولوا مصادرها، ارادوا ان يفكروا في مفهوم ما طويل الامد للهيمنة على السوق. فان منافسيهم يتجهون

لجني أقصى المنفعة والسلطة بطريقة قصيرة الأمد، وانهم يتجهون ليسيظروا على الأسواق، فلا تكون شركة جنرال موتورز عندئذ لها أي وزن في السوق. وهذا أمر صحيح بالنسبة لأصحاب الأملاك والمديرين أيضاً. فالمديرون يريدون أن يبقوا مديرين. فانهم يمكن أن يقاتلوا من أجل الحفاظ على صفقاتهم، ومن أجل الحفاظ على مراكزهم. ما داموا يساهمون في المنفعة قصيرة الأمد. وكنتيجة لذلك، فإن الاعتبارات قصيرة الأمد هي نابراً ما تعتبر في الانظمة المتنافسة. وتسود نفس هذه المواقف بالضبط عندما ينتقل نفس المديرون الى نظام او جهاز تخطيط الدولة. والذي هو، الى حد ما، نظاما تنافسيا. وما تجده بصورة معينة هو الكسب الأقصى قصير الأمد وقليل من الاهتمام بالأمد الأطول. وهذا شيء واضح في كل مكان. ولنأخذ مثلاً آخر، مثلاً بعيداً عن الدمار النووي، ولنقل، استنزاف مصادر الطاقة الأميركية. ولنعُد الى الأربعينات وأوائل الخمسينات، فإنه كان معروفاً تماماً أين كان احتياطي الطاقة يوجد، ولم يكن هناك كثير من المفاجآت. فقد كان من المعروف أن الاحتياطيات الأميركية ستنضب اذا ما استخدمت بكثافة، وأن الاحتياطي الرئيس في العالم ما زال يوجد في الشرق الأوسط. فإذا ما كان أي واحد مهتم بالأمن الأميركي طويل المدى، فما كان عليهم أن يفعلوه سيكون حماية احتياطي المناطق الشمالية، منطقة خليج المكسيك وغيرها، لتوفير تلك واستغلال احتياطي الشرق الأوسط إلا أنهم فعلوا العكس بالضبط فقد استنزفوا الاحتياطي الأميركي، ولأسباب منفعية قصيرة الأمد. ونحن الآن في وضع بحث أبار لوزيانا وتكساس التي تنتج قليلاً جداً من النفط وعلينا أن نستورد النفط من الخارج لنملا للحفر الضخمة في الأرض (للخزانات) كاحتياطي استراتيجي. وكان كل هذا متنبأ به تماماً. ولكنه تماماً بأن لا أحد اهتم بذلك بصورة أساسية. لأنهم قاموا بعمل حسابات قابلة للمنفعة على المدى القصير. فإذا في المدى الطويل ذلك يعني بأنك ستدمر مؤسستك، أو تدمر العالم، فذلك شأن أحد ما آخر.

ولقد رأينا نفس وجهة نظر المدى القصير في إدارة الرئيس ريفان. وكان واضحاً أن التصرفات الريفانية ماضية لتؤدي الى تراكم دين كثيف وعجز شديد في الميزان التجاري، أنها كانت ماضية لتؤدي وتضر البلاد بشكل خطير جداً. بيد أنهم كانوا مهتمين في الكسب قصير الأمد من أجل الثراء والتمتع بالامتيازات. فذلك أمر نمونجي

تماماً للراسمالية المشتركة، رأسمالية الدولة، الى المدى التنافسي، والنموني تماماً لمديري الدولة.

■ سؤال : انك من فترة لآخرى تسمع في مقابلات تبث من الاذاعات في برامج معينة. فهل لديك اية ملاحظات حول مدى التقييدات التي تفرض عليك بشأن التعبير عن وجهات نظرك ؟

جواب : هذا يعتمد من اين تبث المقابلة. وبغني اجري مقارنة. ففي اوروبا، كندا، واميركا اللاتينية، وفي أي مكان اكون فيه خارج الولايات المتحدة، فان الوضع يكون مختلفاً بصورة براماتيكية عما هو عليه هنا بصورة اساسية لاعتبارين: فالامر الاول، انه من السهل الوصول هناك الى وسيلة اعلام من اجل التعبير عن وجهة نظر منشقة او مخالفة. بل وعندما اذهب الى كندا او اوربا او الى أي مكان اخر، فانني اقضي كثيراً من الوقت مع وسائل الاعلام الرئيسية، والتلفزيون الحكومي، والاذاعة الحكومية، وهكذا، في حين انه لا تجد هنا مجالاً مفتوحاً لذلك. فهذا وجه من الاختلاف.

والاختلاف الثاني هو بنيوي. فخارج الولايات المتحدة، فان بحث المسائل يمكن ان تكون طويلة ومتفرعة وممتدة. اما في الولايات المتحدة فهناك نظام مختلف. والبلد الوحيد الآخر الذي اعرفه يشبه هذا، هو اليابان. ففي الولايات المتحدة، اذا ما قولت باذاعة تجارية او تلفزيون، فانه يسمح لك ببقية او بقيقتين، فبإمكانك ان تتفوه ببضعة كلمات بين فاصلين دعائيين، وهذا ما يجري، أو تُسأل للتعبير عن رأي ما. وهذا ينطبق الى حد كبير على الصحافة الحرة، اما في الصحافة الحكومية فانه صعب او مستحيل. بيد انه في الصحافة المحلية فانه من الممكن للمنشقين ان يكتبوا بضعة مئات من الكلمات المعارضة. ومع ذلك، فمن اجل الوصول الى الصحف الرئيسية المعبرة عن الآراء، هو امر صعب جداً.

وهناك شيء منطقي في ذلك. ففي بقيقتين، ما بين فاصلين دعائيين، أو في بضعة مئات من الكلمات، يمكنك ان تقول بعض الأشياء التقليدية. فعلى سبيل المثال، فاذا ما أعطيت بقيقتين في بث اذاعي واريت ان أشجب الروس لغزورهم أفغانستان، فإن ذلك يكون سهلاً. فلا حاجة لي الى أي دليل لذلك، ولا حاجة لي لاية حقائق، فبإمكانني ان اقول أو انعي ما أريد، فلي شيء يمر ويمضي لأن ذلك عبارة عن فكر تقليدي، فذلك ما

يعتقد به أي واحد على أي حال، فلك أنه ليس كلاماً مدعشاً، وليس عليّ لأن ادعاه بقوالي.

ومن جهة أخرى، افترض أنني سلحاول خلال بفيقتين أن أشجب الغزو الاميركي لجنوب فيتنام، أو الهجوم الاميركي ضد نيكاراغوا. فذلك يبدو جنوناً. فالولايات المتحدة لا تهاجم الشعوب! لذلك فانه سيبدو مضحكاً أن أعبر عن ذلك خلال بفيقتين وما بين فاصلين دعائين والسبب انه اذا ما قلت اي شيء، بأقل وسيلة، غير تقليدي فانك بصورة طبيعية، وبحق، يتوقع منك بأن تعطي سبباً لذلك، لتقدم بينة أو دليلاً على ذلك، ولتقدم حجة، ولتقول لماذا تعتقد بأن ذلك شيئاً غير تقليدي. فإن بنية وتركيب أجهزة الاعلام في الولايات المتحدة تمنع ذلك، وتجعله مستحيلأ. والنتيجة هي انه ما يمكن التعبير عنه هي الأفكار التقليدية والمبدأ أو العقيدة التقليدية. فهذا أسلوب فعال جداً من أجل سد وإعاقة التفكير والنقد. وبالطبع، فإن الحياة تكون يوماً أسهل بكثير عندما تعبر عن مبدأ تقليدي فقط فلا يترتب عليك أن تبذل أي جهد. بل ان لا يسمح لك بأن تقوم بالعمل، وحتى أولئك الذين يرغبون القيام به. فهم لا يمنحون الفرصة لدعم افكارهم الغير تقليدية، وحتى في للناسبات النادرة، عندما يمكنهم الوصول لوسائل الاعلام. فذلك هو المظهر اللامع لجهاز «الاعلام الجماهيري الاميركي».

■ سؤال : اود منك ان تتحدث عن شيء ما ادعوه بـ «التفاح العفن» في مقابل البراميل العفنة، ويبدو هذا ليكون واحداً من اساليب مدراء الدولة ليركزوا عليه، ونقل، خلال فضيحة ووترغيت او فضيحة ايران - كونترا، وذلك ليجعلوا الشر شخصياً او قريباً، وليحولوا الانتباه عن المؤسسات . فما هو قولك ؟

جواب : انك على حق تماماً. فعندما يحدث اي شيء خطأ ولم يكن بإمكانك أن تكبت هذا لمدة أطول، وعندما تبرز فضيحة ما للعيان، فانه يكون من الضروري منع الناس من فهم ما يجري في الحقيقة. فعند سماع شهادات فضيحة ايران - كونترا، على سبيل المثال، فانه من المهم أن تنظر الى ما كان يجري التحقيق بشأنه. وما كان يحقق حول أعمال خاطئة مزعومة لأشخاص معينين. ولناخذ مسألة ارسال السلاح الى ايران. فذلك مفترض ان يكون امراً خاطئاً ليفعل، ويبدو ان هناك اتفاقاً حول ذلك. فماذا كان

التركيز حوله؟ لقد كان متركزاً حول ما دعي «بالصفقة»، مع أولي نورث ووليام كيسلي وهلم جرا، والذي حدثت من منتصف عام ١٩٨٥ ولغاية ما ووجهت (نشرت) في الصحف في خريف عام ١٩٨٦. وبرز تساؤل واضح هو: ماذا كانت تفعل الحكومة قبل عام ١٩٨٥ فيما يتعلق بارسال السلاح لايران؟ والجواب سهل جداً إذ أنها كانت ترسل للسلاح لايران عن طريق اسرائيل، وهذا بالضبط ما كان يجري خلال «الصفقة». وأصبح ذلك معروفاً بشكل عام منذ عام ١٩٨٠. وأول ملاحظة حول ذلك ظهرت في مجلة «الأعمال الأسبوعية»، واعتقد بأن ذلك كان في شهر كانون أول ١٩٨٠. وفي أوائل الثمانينات، فقد نشر الخبر على نطاق واسع.

وفي شهر شباط ١٩٨٢ أصبح خبراً عاماً تماماً. وفي شهر آذار أو نيسان ١٩٨٢ كتب ليسلي جيلب عن قصة تلك على الصفحة الأولى لصحيفة نيويورك تايمز، ووصفت فيها تنفق السلاح لايران. وقال أن حوالي خمسين بالمائة من السلاح جاء من اسرائيل والكثير مما تبقى عبر تجار السلاح الذين لهم ارتباطات مع اسرائيل. فالسلاح القادم من اسرائيل يعني سلاحاً من الولايات المتحدة. فاسرائيل هي دولة عميلة. فلا يمكنها أن ترسل سلاحاً لأية جهة ما لم نوافق على ذلك. ففي الحقيقة، فإنه سلاح اميركي بصورة رئيسية. واستمر ذلك، وبصورة علنية. علاوة على ذلك، وفي العلن تماماً، فإن المسؤولين الاسرائيليين المتورطين بذلك شرحوا وفسروا لماذا كانوا يفعلون ذلك.

وفي هيئة الاذاعة البريطانية، وعلى سبيل المثال، في شهر شباط ١٩٨٢، أجريت مقابلة مع نفس أولئك المسؤولين الاسرائيليين الذين استجوبوا في قضية ايران - كوتترا. وشرحوا بأنهم كانوا يبيعون السلاح لايران بنية أو بقصد ايجاد ضباط عسكريين يمكن ان يقوموا بتنفيذ انقلاب عسكري، في ايران. وكان هناك على نفس البرنامج مسؤولين اميركيين كبار، منهم ريتشارد هيلمز، الرئيس السابق لوكالة المخابرات المركزية، والذي كان ايضاً سفيراً سابقاً للولايات المتحدة لدى ايران، وروبرت كומר من وزارة الدفاع. حيث قالوا، «نعم، انها كانت فكرة جيدة»، فقد اعتقدوا انه من المحتمل ان ذلك ما هو جدير ان نفعله. وصرح السفير الاسرائيلي لدى الولايات المتحدة علناً في عام ١٩٨٢ بأن اسرائيل كانت تزود ايران بالسلاح بالتنسيق مع الحكومة الاميركية وعلى «مستويات عالية تقريباً»، فمن خلال تصريحه، يستشف بأن الغرض من

ذلك كان لمحاولة تنفيذ عسكري. ولم ينكر ذلك خلال الإدلاء بالشهادات. وبالتأكيد فإن الذي لم يبحث في تلك السياسة الأميركية النموذجية، السياسة التنظيمية النموذجية. فعلى سبيل المثال، عندما كنا نحاول الإطاحة بحكومة الليندي في تشيلي في أوائل السبعينات. فإنه ليس سرّاً أن الولايات المتحدة كانت تفعل كل ما بوسعها للإطاحة بتلك الحكومة، وكنا أيضاً نرسل السلاح لهذه الغاية، وقد كوفتُنا بذلك، وأعني بذلك انقلاب بينوشيت. إن الطريقة لاجاد عناصر داخلية من أجل الإطاحة بحكومة ما هي تكمن في تسليح الجيش. وقد قمنا بنفس هذا الشيء في اندونيسيا في أوائل الستينات. حيث كنا معادين جداً لحكومتها. وارسلنا السلاح للجيش هناك، فكوفتُنا بانقلاب وحدث مجزرة ضخمة راح ضحيتها ما بين سبعمئة الى ثمانمئة ألف شخص، وتعمير الحزب الحاكم هناك. وقد استقبل نبا الانقلاب بحرارة في الغرب. وهناك عدة أمثلة أخرى على ذلك.

وللنظر الى هذه المسائل فيمكن التركيز على حقائق مؤسسية. كما يمكنك ان تحدث عن «المجالس والزمرة العسكرية» وعناصر ثورية خارجة عن السيطرة» و«قنات متشعبة ومتطرفة جداً». أو شيء ما من هذا القبيل.

ويجب عليّ القول بأن المنشقين أيضاً يساهمون في ذلك. ويقود هذا للحديث عن «الفرق السرية» وكل أنواع الأعمال المضللة أو المخادعة. فالفرق السرية والعمليات السرية تعتبر سياسة حكومية عادية، عندما تجبر الدولة للعمل بصورة سرية من قبل شعبها. فعندما لا يتسامح السكان مع أعمال معينة، فإن الدولة تجبر وتدفع للعمل السري والقيام وتنفيذ العمليات السرية. فنذلك ما حدث في الثمانينات، وقد حدث ذلك من قبل أيضاً. وهناك مؤشر صغير جداً، من وجهة نظري، من أنه يوجد هناك أية «مدافع طليقة» أو «ضجيج» حولنا أو بالقرب. وربما من فترة لأخرى يفقد السيطرة على مجموعة ما لمدة قصيرة، بيد أنها تكون ظواهر هامشية. وما يحدث ما هو إلا تصرف تنظيمي، واضحاً جداً في مجالات المؤسسات الأساسية. إلا أنه لا يمكنك ان تنظر أو تنبه لذلك. وكانت سماع شهادات فضيحة ايران - كوفتُنا ما هي إلا تغطية. فلنأخذ حقيقة ان الولايات المتحدة كانت تزود ثوار الكونغرا بالسلاح بطريقة غير مشروعة. وكل ما قيل على أنه كان امراً سرياً فهو شيء مضحك.

وقد بحثت هذا الأمر في كتاب «تحول اللد» الذي صدر في عام ١٩٨٥. ولم أستخدم فيه أية معلومات أو سجلات سرية، فقد استخدمت سجلات عامة. وحتى أنني عرفت لولايفر نوتر على أنه شخص متورط في الفضيحة، لأن كل شيء كان معروفاً وعاماً. كما أنني كتبت حول ذلك مرة ثانية حول مبيعات السلاح لايران عبر اسرائيل في عام ١٩٨٢، وبحثته في كتاب المثلث المحتوم، الذي صدر في عام ١٩٨٢. فكل شيء كان عاماً بيد أنه للتعامل مع السجل العام ولإظهار ما يحدث باستمرار، فإن ذلك سيقولك الى انتقاد مؤسساتي، وذلك امر غير جيد. فما عليك ان تفعله هو ان تجطه شخصياً.

وكان الشيء ذاته صحيحاً إبان فضيحة ووترغيت. وكان امراً مثيراً جداً. خلال الإدلاء بالشهادات في فضيحة ووترغيت. وفي الحقيقة، فكر فقط ماذا كان يدور حول ووترغيت؟ وماذا كانت الجريمة الكبرى لووترغيت؟ فالجريمة كانت ان الحزب الجمهوري قد قام بنوع من التنصت على مركز قيادة الحزب الديمقراطي ولاسباب ما زالت غامضة لغاية اليوم. فتلك كانت هي الجريمة. كما كانت هناك بعض الأمور الإضافية أيضاً.

وعاماً ففي وقت سماع شهادات المتورطين بفضيحة ووترغيت، فقد عرضت القضايا أمام المحاكم، وعبر قانون حرية المعلومات، فقد قام مكتب التحقيقات الفيدرالي، بتنفيذ عمليات السطو وبشكل منظم لحزب العمال الاشتراكي، الذي يعتبر حزباً قانونياً وذلك من اجل تعطيل نشاطاته، وسرقة قوائم العضوية فيه، واستخدام هذه القوائم لتخويف الأشخاص المنضمين للحزب، وإخراجهم من وظائفهم وأعمالهم، الخ. فذلك امر أكثر خطورة بكثير من فضيحة ووترغيت. فهذا ليس بعملية تنصت او اختراق تافهة. انها الشرطة السياسية الوطنية التي قامت بذلك. ولم يكن ذلك قد حدث بواسطة بعض «المدافع الطليقة». فقد فعل بواسطة ادارة نظامية. وعطل ومزق بشكل خطير حزباً سياسياً قانونياً، في حين ان ووترغيت لم تفعل اي شيء للحزب الديمقراطي. وهل هذا الامر نكر خلال الإدلاء بشهادات ووترغيت ؟ انه لم ينكر ابداً.

وما هو الفرق في ذلك؟ ان الفرق هو ان الحزب الديمقراطي يمثل سلطة او قوة ديمقراطية، في حين ان حزب العمل لا يمثل ذلك. لذلك فما هو الذي أظهرته الأدلة او

سماع شهادات ووترغيت، فالمسؤول للكبير كان في حالة دفاع، فقد كان الأشخاص الكبار في حالة دفاع عن النفس. فذلك ما كان عليه الأمر. بيد انه لا يمكنك قول ذلك. فاذا ما كان عليك ان تقول ذلك، فذلك ستبدأ بفهم كيف يعمل الجهاز القانوني هناك وكيف يعمل جهاز كبت الدولة. فقد أطرت وصممت فضيحة ووترغيت وذلك لكي يمكن التركيز على جرم ريتشارد نيكسون، بشكل فردي وخاص. والذي قام بخطأ تكتيكي خطير في مهاجمة الناس ذوي السلطة. ولتأخذ مثلاً آخر، «قائمة اعداء نيكسون»، كانت تشكل فضيحة كبرى.

■ سؤال: هل تعني اناساً مثل توم واتسون ممن كانوا على القائمة

جواب : نعم. وبالفعل، فقد كنت على قائمة الاعداء، ايضاً. واعرف تماماً وجيداً من خلال تجاربي بانه لن يحدث اي شيء مطلقاً لأي واحد كان موجوداً على قائمة الاعداء. وحتى انهم لم يحسبوا عائدات ضرائبنا، وكان ذلك أمراً مدعشاً بالنسبة لحالتي لأنني قد نظمت علناً عملية مقاومة للضرائب. فلم يحدث اي شيء لأي واحد ممن كانوا على قائمة الاعداد. ومع ذلك فانها كانت فضيحة. لماذا؟ ليس لأنني كنت ضمن القائمة، ولكن لأن اناساً مثل توم واتسون كانوا ضمنها، وايضاً كان هناك كل من ماكجورج بوندي، وجيمس روستون. وبمعنى آخر فانها فضيحة لتطلق على السلطويين أو رجال السلطة اسماً سيئة في السر.

ولكن في الوقت الذي ظهرت فيه قائمة الاعداء، فقد تم كشف النقاب من سماع اقوال الشهود في المحكمة بأن مكتب التحقيقات الفيدرالي كان متورطاً في عملية الاغتيال السياسي لرئيس تنظيم النمر الأسود، فريد هامبتون. هل هذا ظهر عند سماع شهادات فضيحة ووترغيت ؟ لا، مع ان ذلك حدث إبان عهد ادارة نيكسون. ولماذا؟ لأنه اذا ما كانت الدولة متورطة في عملية اغتيال رئيس تنظيم النمر الأسود، وعلى غرار اغتيالات الجستابو، فذلك أمر جيد. فهو لم يكن له لا حول ولا قوة، وكان عدواً على أية حال. ومن ناحية أخرى، فإن إطلاق اسماء سيئة على رجال السلطة بالسر، فإن ذلك يهز ويضعف المؤسسات العامة. ومرة أخرى، فقد كان على رجال السلطة ان يدافعوا

إن الأمر برمته كان مركزاً على شخص أو فرد بوجه خاص، والذي تصادف بقله كان غير مشهوراً بين دوائر النخبة، والذي كان بعيداً تقريباً عن النظام الاقتصادي للعالمى خلال آخر سنتين من إدارة نيكسون، والذين نالوا فيهما منه. وبالطبع، فحينما ترمي تفاحة عفنة خارجاً عن الهيئة السياسية، فإننا نعود مباشرة الى نقائنا التقليدي. والجرائم المؤسساتية ستستمر. وحتى ان قصف كمبوديا لم يكن جزءاً من الاتهام.

لقد دخلت الى مجال سماع اقوال الشهود. فهذا لم يكن شيئاً صغيراً، انها عملية قصف بلد آخر ويقتل فيها عدة مئات الالاف من الناس. بلداً محايداً يفترض ان يكون صديقاً. انه عمل خطير تماماً. انها دخلت في عملية سماع الشهادات، ولكن من ناحية واحدة فقط فهم لم يطموا الكونغرس بذلك، ولذلك فقد اعتبر عديم الأهمية. وحتى انه لم يدخل مجال الاتهام. ومرة اخرى، فان ذلك يعني بأنه لا بأس من مهاجمة بلد آخر، فالعدوان هو امر جيد، ولكن عليك فقط ان تشعر رجال السلطة بذلك . فلا يجب ان تنتهك او تتجاوز امتيازاتهم. ولاظهار أي من هذه الأمور فانه سيلقى بعض الضوء على كيفية اعمال النظام. وهذا امر لا يطاق. ويوضح، فان أي نظام سلطوي سائر ليدافع عن نفسه ضد فهم الآخرين. وهذا ليس بالأمر الفامض.

سلطة النخبة ومسؤولية المفكرين

شباط ١٩٨٨

ديفيد بارساميان : إنك غالباً ما تستخدم عبارة «النخبة». فاعتقد بأنه سيكون من المفيد إعطاء تعريف عملي لهذا ؟

نعوم تشومسكي : هنالك قطاعات مختلفة من الجماعات التي من الممكن أن نطلق عليها اسم «النخب». ففي المقام الأول، فهناك أولئك الذين هم في موقع اتخاذ القرارات التي تؤثر بصورة حاسمة بما يحدث في المجتمع العام. وهذا يمكن أن يتضمن القرارات السياسية، قرارات تخص الاستثمار، الإنتاج، التوزيع، هلم جرا. ومن ثم فإن هناك جماعات في مواقع مديرية (مدراء) لمؤسسات سياسية واقتصادية، ومدراء دولة، ومدراء متحدين أو مشتركين، هلم جرا. وهناك أيضاً نخب لمؤسسات إيدولوجية، وفي مواقع صحفية عليا وغيرها من مواقع الإشراف في أجهزة الإعلام، الصحف الخ فهذه الجماعات، التي هي ليست مترابطة ومتشابكة بشكل وثيق فحسب، بل إنها أيضاً تشارك في مجموعة من القيم والترابطات، وتنتمي لطبقة متنفذة وذات امتياز عالٍ وهي ثرية تماماً بوجه عام. وهذه الطبقة تقرر الإطار الأساسي لما يحدث داخل المجتمع على أساس سلطتها، المتجذرة بشكل مطلق في القوة الاقتصادية، وفي الملكية البسيطة للمرافق الأساسية خارجاً عن نطاق ما يتشكل منه المجتمع.

■ سؤال : وماذا عن دور الإشراف على الإعلام وعمليات صنع القرار؟

جواب : ما دام الإشراف على الإعلام هو المعني، فإنه مسيطر عليه بصورة كبيرة من قبل مجموعة صغيرة تماماً بينما مصادر الإعلام. وهناك عدد من الدراسات حول هذا، بيد أنه بدون المضي بتفاصيل، فإن الأمر سيكون ضيقاً تماماً. وهذا بصورة أساسية يتألف من مجموعة من المؤسسات الرئيسية: مؤسسات أخبار ومعلومات، بما فيه الشبكات التلفزيونية، التي هي جزءاً أوسع لتكتلات مالية وصناعية، والصحف الرئيسية، وعدد من المؤسسات الأساسية أيضاً، والخدمات اللاسلكية التي هي مترابطة

معها، الخ. فهذه هي مؤسسات تبيع انتخابها لجهات وحقول أخرى.

وكما أشرنا في بحث آخر، فإن الانتاج الذي يبيعهونه هو المشاهدين والمستمعين. فالصحف والمجلات لا تمولهم بشكل نمونجي من خلال مبيعاتها. فهم غالباً ما يفتقون أموالاً من خلال الاشتراكات، وبشكل واضح، فانه اذا ما شاهدت برنامجاً تلفزيونياً فإنك لن تنفع لقاء مشاهديك لتلك القناة. ولكن الانتاج الذي يباع هو القراء، والاكثـر من ذلك، هو نخبة القراء. كما ان صورتك الدعائية ترتفع مع مقدار المشاهدين الذين يمكنك ان تقدمهم للدعائي أو رجل الدعاية. فإذا ما كان هناك مشاهد من الطراز العالي فإن مستويات دعائيتك ترتفع أكثر.

إن جهاز الاعلام، من وجهة النظر الاقتصادية على الأقل، هو نظام اساسي لمؤسسات رئيسية تحاول بيع انتاجها، أي مشاهدين من المتفنيين والمعتبرين نسبياً، الى مؤسسات أخرى. لذلك فانها جميعها مطوقة بإحكام ضمن نفس النظام من الهيمنة والسيطرة اللتان تنظمان الاقتصاد وتديران الدولة بشكل كبير.

■ سؤال: هل هناك تفاهم جماعي غير معلن لمصالح مشتركة؟ ام ان هناك اجتماعات في الغرف الخلفية مع الرجال الذي يدخنون للسيجار ويلبسون ما سيجري مستقبلاً؟

جواب : لقد حدث ذلك بالطبع. إلا أنه لا يوجد أي شيء تآمري بشكل خاص بهذا الشأن. ونفس الامر يحدث في عالم الأعمال، لذلك فانه ليس من المدهش رؤية رئيس مؤسسة يمارس الأعمال وفي نفس الوقت يتشارك مع نظرائه بالشراب ولعب الجواف وعقد الصفقات في الغرف الخلفية. وفي الحقيقة فأننا جميعاً نعلم بأنه لا يوجد هناك انفصام ما بين النشاطات الشخصية والتفاعلات الثقافية في الممارسات العملية. ولا يوجد هناك أعمال تآمرية على الأقل. فهذه مجموعات صغيرة جداً نسبة الى عدد السكان الذين لا يركزون سوى القليل جداً على الامتيازات العالية. وهناك قيم مشتركة، واضحة في الغالب، وغير مطلنة في الغالب، وتطبق التفاعلات على كل المستويات، ابتداء من حفلات العشاء في واشنطن الى عقد الاجتماعات لجالس العلاقات الخارجية الى ارسال الوفود من الشركات القانونية المشتركة الى المسؤولين

الرسميين أو ببساطة تزويد المراكز التنفيذية العليا في الحكومة بممثلين لشركات استثمار رئيسية، ومؤسسات تجارية، ومؤسسات اعلامية. وهناك تدفق كبير ما بين المستويات الاعلامية العليا وبين الحكومة. وهناك تفسير طبيعي عائد الى مصالح مشتركة، امتيازات مشتركة، وببساطة هناك الرغبة لاستخدام السلطة بفعالية.

■ سؤال : في هذه الديمقراطية الاجرائية، كما عبرت عنها في الماضي، فهل تعتبر النخبة نور الجمهور عنصر اساسي في إقرار الاستطلاعات.

جواب : هذا رأي راجع جداً. وهو يعتبر بشكل مترك ليكون واجباً للجماهير. واعتقد بلته كان ماكسويل تايلور، وهو تعريف كندي، هو الذي قال مرة بأن نور الجماهير هو المعرفة الكافية ليكونوا قادرين على القيام بواجبهم، والذي يعتبر تصديقاً أو إقراراً للقرارات في عمليات الاستطلاعات. ولا يترتب عليهم معرفة أكثر من ذلك. والموقف العام لأي نظام للسلطة تجاه الجماهير هو كاتجاه ضد عبء، لأنه يجب عليهم أن يبقوا تحت السيطرة. فإذا ما خرجت الجماهير عن نطاق السيطرة فمن الممكن أن تقوم بشئ أنواع الأمور الخطرة، كما تعتبر الدولة السكان المحليين كأعداء محتملين لها. وذلك كان صحيح على نحو سيء في الولايات المتحدة ولادة طويلة.

وبإمكانك أن تتبع هذه المسألة لنور الجماهير والنخبة الحاكمة على مر كافة المراحل التاريخية للجمهورية (الولايات المتحدة). ويحبذ جون جاي، وفقاً لما جاء في سيرته الذاتية، الحكمة القائلة بأن «الشعب الذي يمتلك البلد يجب أن يحكمها». فذلك هي في الواقع بالضبط الطريقة التي أنشئ عليها النظام الدستوري. انه كان نظاماً اعتبر فيه الرجال البيض مالكن وحاكمن للبلاد. وكانت لهم كافة الامتيازات.

وعندما تغيرت الأمور على مر السنين ومع نشوء السلطة المشتركة من جهة، التي قيدت إمكانيات الديمقراطية، وامتداد الامتيازات من جهة ثانية، والتي امتدت بصورة نظرية. فهذا النضال ما بين السلطة المركزة في نطاق ضيق والجماهير العنوة لها ما زال مستمر بالطبع.

■ سؤال: هل رؤيتك أو وجهة نظرك الاجتماعية تقع خارج نموذج أو مثال الدولة الحالية ؟

جواب : اعتقد بأن مثال أو نموذج الدولة هو أمر غير طبيعي جداً. فإذا ما نظرت الى التاريخ، فانه يمكنك أن ترى ذلك بسهولة. وكان من أجل انشاء نظام دولة في أوروبا أن تطلب الأمر مئات من سنوات القتل والحروب الوحشية، وإن السبب الوحيد لوقفها كان عندما وصلت لآخر مراحلها في أوائلها الأربعينات، وكان من الواضح أن المرحلة التالية ستكون لبادة الحضارة الانسانية. وعند تلك النقطة، فإن الصراعات الداخلية في أوروبا انتهت، ولبعض الوقت على الأقل. فقد كانت هناك عقود من الحروب الوحشية، عمليات القتل، التدمير، وإن ذلك يعكس عدم طبيعة النظام. وفي كل مكان أو بقعة وصلت اليها أوروبا في جميع أنحاء العالم، فقد وجدنا بما يمكن أن نطلق عليه، إذا ما كنا مخلصين، «دواء أو طاعون للحضارة الأوروبية». ففي كل مكان انتشرت فيه ووصلت اليه في شتى أنحاء العالم فقد قاد وادى الى نفس الشيء بالضبط ففي المناطق المستعمرة، حيث فرض الغزو (الاستعمار) الأوروبي رؤيا أو فكرة لنظام الدولة، كما انه ادى الى صراع وحشي لا مثناه.

وكانت المشاكل أن هذا النظام كان له اثرأ ضئيلاً ليتفاعل مع الناس أو الجماهير ومصالحها وحاجاتها المفهومة، ولذلك فانه كان عليه أن يفرض عليه بالقوة والعنف. وقد حدث ليكون نظاماً عالمياً حاكم منذ حين. وشكراً للغزو الأوروبي لمعظم أجزاء العالم. بيد انه على المدى الطويل فانتني يمكن أن اعتقد بأنه يجب أن يستبدل بالشكال وأنماط أكثر ترابطاً بالنسبة للاحتياجات والاهتمامات الانسانية الفعلية. ومع ذلك، فذلك مدى طويل.

■ **سؤال:** في الولايات المتحدة، ما هي انواع للقومات وما هي انواع للحالات التي يمكن أن تكون ضرورية بالنسبة لتطور بديل، أو بالنسبة للحاجة لتعبير افضل، وهو «الثقافة المتقدمة» ؟

جواب : إن التحدث عن تاكل نظام الدولة هو أمر بعيد جداً، ذلك انني لا اعتقد بأنه مفيد حتى للتفكير بشأن ما يمكن أن يحتاج اليه. فما هو مطلوب ومحتاج اليه في المدى القصير هو ما نخشاه جماعات النخبة بالضبط فأي شيء نخشاه من المحتمل أن يكون جيداً، وما يخشونه فهو ما يدعونه «بازمة الديمقراطية»، وهذا ببساطة هو انخراط للشعب في الساحة السياسية. والساحة أو المجال السياسي ليس كافياً، بل حتى أن انخراط الشعب في المجال السياسي سيكون تطوراً مفيداً تجاه الديمقراطية في

الولايات المتحدة. واعني بذلك ليس بمشاهدة المرشحين على التلفزيون والتصديق لهم، وإنما بالاشتراك الفعلي، الاشتراك الحقيقي في تشكيل وتنظيم البرامج، في عملية اختيار نواهد ومعدى وإعادة نظام الممثلين، الخ. وهذا، ليس موجود فعلياً في الولايات المتحدة، فستكون خطوة كبيرة تجاه تفعيل الديمقراطية. ولكن عندئذ، وحتى لو أنجز بطريقة ما، فإنه سيكون محدوداً فقط.

والحقيقة أنه ما يمكن أن يحدث في النظام السياسي تماماً، ومدى القرارات السياسية المعلنة في النظام السياسي، هو مقيد بصورة حادة بواسطة قوة أو سلطة خاصة. وهذه ليست مشكلة ظهرت وبرزت في الولايات المتحدة، لأن النظام السياسي هو ضيق جداً ويقع بشكل كبير تحت سيطرة مجال العمل بحيث لن يكون هناك أية خيارات سياسية رئيسية فعلية أبداً. بيد أنه في دول تمارس فيها ديمقراطية أكثر تفعيلاً، وحيث تكون هناك خيارات سياسية حقيقية، ولنقل في أميركا اللاتينية مثلاً، فإنك ترى ذلك طيلة الوقت.

وإذا ما جاء مرشح مصلح إلى السلطة أو الحكم ومع خيارات سياسية، فمن الممكن أن يكون هناك انقلاب عسكري، بل إذا لم تكن هناك اضطرابات أو غيرها من الضغوطات لماكي المجتمع وذلك لضمان أن لا تتواصل هذه السياسات. ومرة ثانية، فإن هذا لم يظهر حقيقة في الولايات المتحدة لأنه لا توجد هناك بصورة أساسية مسائل سياسية رئيسية في النطاق أو المجال العام أو الشعبي. ولكن يمكن أن يحدث ذلك إذا ما عُرِّي وتكشف النظام السياسي. وما يعكس ذلك فهو حقيقة أنه في نظام مؤسسة خاصة، مع وسائل إشراف خاصة على وسائل الإنتاج والتوزيع والقرارات حول الاستثمارات وهلم جرا، فإن مدى الخيارات السياسية تكون مقيدة. وأنها تتأثر بشكل كثيف بالمصادر المتوفرة لأولئك الذين يملكون مؤسسات أساسية في المجتمع أو البلاد، ولكنها مقيدة أيضاً وببساطة بطاقتها على التوجيه والإشراف فيما إذا كان المجتمع سيبقى، وكم سيبقى، وكم سيعيش فيه من الناس، الخ. فذلك يعني أن الديمقراطية ذات المعنى والأهمية ستشارك في صنع القرار الشعبي الفعلي في المؤسسات الأساسية، وهذا يشمل وبصورة حاسمة المؤسسات الاقتصادية. فهي التي تقدر وبصورة أساسية ماذا ستكون عليه حياتنا.

■ سؤال : ماذا تعني «الفاشية» ؟ فأفني وبصورة خاصة قد أثرت بتعليقك الذي ابلت به من ان: «الفاشية هي متجذرة وبشكل عميق في فكر كل واحد في الولايات المتحدة ؟

جواب : عندما نتحدث عن الفاشية، فإن أول كل شيء، فإننا نتحدث عن نظام سياسي، اقتصادي، اجتماعي، وتنظيم ثقافي. وإذا ما أرينا للتحدث عنها وبصورة متعقلة، فإن علينا ان نجربها من معسكرات الاعتقال وغرف الغاز. فقد كانت هناك فاشية قبل ان تكون هناك معسكرات الايابة، وكانت سيئة تماماً انئذ. وقد عنت الفاشية من وجهة نظر اجتماعية - ثقافية، انها كانت هجوماً على مثاليات عصر التنوير، وهجوماً على مفاهيم ما يطلق عليه في تلك الأيام بـ «أخوة الإنسان». واننا يمكن ان نضعه اليوم في قالب او شكل ربما اكثر مبنية. بيد ان هجوماً على الفكرة من ان الناس كانت لهم حقوقاً طبيعية، وانهم كانوا متساوين من الناحية الاساسية، وان ذلك كان خرقاً لحقوق الانسان الاساسية اذا ما تبعت أنظمة السلطة بعض الأنظمة الأخرى، والاصرار على انه كانت هنالك روابط الوحدة والتضامن بين الجماهير عبر الثقافات والحضارات، الخ. فكل ذلك كان يتعرض لهجوم. وافكار التضامن كانت تتعرض لهجوم تحت مبدأ او عقيدة «نقاء الجنس والدم»، وعلى نحو نمونجي من خلال النظام النازي المتفرع عن الفاشية. وكان النظام الاقتصادي متكوناً من طبقة متعاونة واحدة ما بين اصحاب العمل والعمال، فالجميع يعمل من اجل هدف او قضية مشتركة، قضية الأمة والدولة، وتحت اشراف دولة قوية، والتي يمكن ان تنسق وتتدخل وبصورة مؤثرة في الحياة الاقتصادية للإبقاء على السلطة، وتركيبات السلطة، الخ. وهذا مرتبط باشراف الدولة وهيمنتها على وسائل الدعاية والاعلام، وفرض رقابة اعلامية مكثفة، وإعطاء الحق للدولة في ان تقرر ما هو صحيح، او هي حقيقة تاريخية، وذلك لفرض تلك القرارات، الخ.

وكافة هذه الافكار او المبادئ، المترابطة بشكل متهلهل، كشفت عن نفسها في الحركات الفاشية والتي انتشرت في كثير من بقاع العالم الصناعي في العشرينات والثلاثينات. وقد اتخذت اشكال مختلفة في مجتمعات او بلدان مختلفة، بيد ان عناصرها يمكن ان تفهم بطريقة عملية في كل مكان. وكثير من هذه المبادئ متجذرة بشكل عميق لسوء الحظ فعلى سبيل المثال، هناك رغبة او ارادة قوة الدولة لفرض،

وبالتسويق مع قوة خاصة، سيطرتها على مظاهر الحياة الرئيسية. وهناك اعتراض بسيط على هذا، سواء من حياتها الثقافية، أو تدفق المعلومات، أو من المنظمات السياسية، الخ. وعلى مستوى جنود الأعصاب في الولايات المتحدة فهناك كثير من الاعتراض على ذلك. فتجد مقداراً كبيراً من الاستقلالية والفرية العنيفة الضارة بين السكان، بيد أنها لا تظهر الكثير في الثقافة المهيمنة، ذلك لأن، الثقافة تتخذ القرارات والتوجيهات فعلياً.

■ سؤال : لقد قلت بأن الطبقات الغير متعلمة في المجتمع الأميركي هي ليست ملتزمة بايديولوجية الدولة كما هو الحال بالنسبة للطبقات المتعلمة. اليس في ذلك قليل من الرومانطيقية . وما هو نوع الدليل الذي تثبت فيه ذلك ؟

جواب : انه ليس رومانطيقياً فحسب، وانما قريباً جداً من كلام الحشو (متكرر بغير معنى). والتعليم هو شكل من أشكال التلقين، لذلك فانتنا نجده على نحو نمونجي في أي مجتمع أو بلد تكون فيه الطبقات أو الفئات المتعلمة أكثر تلقيناً. وانهم يمثلون الفئات التي تخضع لتدفق مستمر لوسائل الاعلام والتي توجه مباشرة لهم لأنهم أكثر اهمية، لذلك عليهم ان يكونوا أكثر انضباطاً. علاوة على ذلك، فإن الفئات المتعلمة أصبحت أدوات لوسائل الاعلام. ووظيفتها في المجتمع هي لنشر وتطوير المبادئ الايديولوجية.. ونتيجة لذلك فقد غرسوها وطبعوها في انهمانهم، واذا لم يفعلوا ذلك، فانهم غالباً ما يغربلون أو ينتقون وما يلبثوا ان يصبحوا جزءاً من النخبة المتفنتة. وهي ليست على اية حال غير عادية لنكتشف المبادئ الأساسية للنظام الايديولوجية في أي مجتمع محصن بشكل عميق واقل قبولاً وبشكل خطير من قبل الفئات المتعلمة.

وسيكون رومانطيقياً الافتراض بأن المستوى الأقل من التلقين لجزء من السكان المتعلمين يؤدي الى نوع ما من الروح الثورية أو الحافز التقدمي او أي شيء آخر. انه لا يتفاعل على اية حال. ويمكن ان يؤدي الى أي شيء تقريباً. وعلى سبيل المثال، فهذا يمكن ان يساعد في خلق قاعدة شعبية لحركة فاشية. ومن عدة نواحي، فإن المبادئ الفاشية هي غير مترابطة مع متطلبات النخبة المثقفة ونظام السلطة والامتياز. وذلك هو لماذا تجد في الولايات المتحدة وبشكل نمونجي هجوماً على النزعات الفاشية تقويعها

لمصالح وطبقة رجال الأعمال. ويمثل اتحاد الحريات المدنية الأميركي، على سبيل المثال، منظمة محافظة جداً بشكل أساسي، في هذا المجال. إنها منظمة قيمة جداً، وإنني مسرور لأكون عضواً فيها، ولكن لا يجب أن نخدع أنفسنا حول ذلك. فإنها بصورة أساسية تدافع عن الحقوق المتطلبة من قبل الأثرياء والمتنفذين. فهم لا يريدون حالة تكون قادرة على خرق امتيازاتهم، وكنتيجة لذلك، فإن هذه الحقوق مدافع عنها.

وبإمكانك أن ترى ذلك في صيف عام ١٩٨٧، ومن خلال ظاهرة أولي نورث. فهناك نوع صغير وثافه من الفاشية هناك. فقد كشف النقاب عنها، وبإمكانك رؤية ذلك في المقالات الافتتاحية لصحيفة نيويورك تايمز. وحتى أن صحيفة وول ستريت جورنال نشرت مقالاً لمراسلها في واشنطن حول أخطار الفاشية. وكانت فئات رجال الأعمال سريعة الالتقاط عير أو نسيم الفاشية القاصم ولم يستسيغونها. ومن الممكن أن يتحولوا إليها في أوقات الأزمات، إلا أنهم من الناحية للنموذجية فهم يريدون من النولة لتكون قوية بما فيه الكفاية من أجل أن تعمل وفقاً لمصالحهم، ولكن ليس قوية تماماً، لتخرق أو تقتك امتيازاتهم. ولقد وجدنا ذلك حقاً عند جنود القوة أو السلطة بعضاً من الدفاعات عن الفاشية. بيد أنه بين الجماهير العامة، الأقل تعليماً، والجزء الأكثر انخفاضاً وكتباً بين السكان، فأنك تجد مناشدة في بعض الأوقات من قبل شخصيات ساحرة تعد بقيادة الجماهير للخروج من مشاكلهم، ولهاجمة سواء القوي أو ببيع ما آخر، مثل اليهود أو الشواذ، أو الشيوعيين، أو أي شيء آخر يُعرف بأنه مسؤولاً عن متاعبهم. فهذا النوع من المناشدة غالباً ما يكون نشطاً قوياً. ونحن نراه في كثير من الأوقات في العصر الحالي.

وفي الولايات المتحدة، التي تحتوي على مجتمع غير مسيّس بشكل كبير، فإن هنالك احتمالية خطيرة جداً. وبشكل خاص مع نشوء التطرف الديني، فقد أصبحت ظاهرة مهددة جداً. إلا أنه لحسن الحظ، فإن الشخصيات القيادية في هذه الحركة كانت فاسدة إلى حد كبير، وهو أمر جيد تماماً. ففي كل مرة أجد أن كل واحد منهم لا يريد شيئاً سوى سيارات الكابريك الذهبية والحرية الجنسية، الخ، وشفقت لذلك استحصاناً. فما داموا سينن إلى هذه الدرجة، فإنهم لن يكونوا خطيرين جداً. وإنهم سينشقون عن أنصارهم. ولكن إذا ما أراد واحد منهم السلطة، فإنهم من الممكن أن

يكونوا خطرين جداً. وإذا ذهب احد ما قديماً مع تلك الحركات النينية المتطرفة ولديه رغبة جامحة للسلطة، وليس للحصول على امتياز او مصدر فساد، فعندئذ يمكن ان يكون الامر خطيراً جداً في بلد مثل هذا، وبشكل خاص في فترة يمكن ان تكون فيها الجماهير مكرمة جداً على قبول درجة او حالة كبيرة من التقشف. فكما حدث في عهد ادارة ريغان من حماقات اقتصادية، بل انه اكثر عموماً، في الفترات التي تكون فيها الدولة في حالة ركود نسبي في القوة، ركود في مقدراتها او قدرتها للسيطرة على العالم، وتؤدي الى كافة انواع الارتياح والقلق من الطعن في الخلف، ومن الخوف من الأعداء في الخارج والداخل على حد سواء.

وذلك النوع من الربط جعل الامر ممكناً من اجل وجود اقل قطاعات ملقنة من السكان من ان تنحرف عن الأيدولوجية الرسمية وتبتعد عن التوجه للفاشية. وفي الوقت ذاته، فإن هذه الجماعات كانت وما زالت مستمرة لتكون أساساً لمقاومة فعالة ضد الدولة والسلطة المشتركة وعنقها. ولناخذ اميركا الوسطى مثلاً. وهي تشكل مصادر لمعارضات شعبية رئيسية للأعمال الوحشية الاميركية التي تمارس في اميركا الوسطى، وهي ليست من ضمن بوائر النخبة في تلك البلاد، بلية وسائل كانت. فهذه للجماعات تتألف من السكان العامة، من قطاعات سكانية لم تكن منخرطة كثيراً، وربما تكون حتى معادية للحركات التي نشأت في الستينات. لذلك فانها مسألة معقدة، فقليل من التلقين (الاعلامي) هو ليس بالضرورة عنصر مساعد لذلك. وربما يكون أساساً من اجل المزيد من التطورات المساعدة، بيد انها لم توفر ذلك.

■ سؤال : في مقالكم «مسؤولية المفكرين» فانك بحثت دور المفكرين والحاجة لقول الحقيقة. واتهمك ستيف واسرمان، بانك لم تتبع نصيحتك بالنسبة للعلاقات مع نيكاراغوا، فهل كنتم انتقاداتك للسانتينيين بهذا الخصوص ؟

جواب : هل كنتم انتقادي للسانتينيين ؟ لا ، لا اعتقد ذلك. فما الذي يدور بخلدك بالضبط؟ فلقد قرأت وجهة النظر تلك وما تم من استعراض للأمور، إلا انني لا انتكر ذلك التعليق.

■ سؤال : لقد أوحى (ستيف واسرمان) بأنك كنت معارضاً جداً

لانتقاد حركات التحرر الثورية في العالم الثالث . فما هو رأيك ؟

جواب: بالفعل، فإن ذلك كان واحداً من الأخطاء العديدة للاستشهادات والانتقاسات في تلك الاستعراضات. وكان هناك جزءاً استثناء، كما يفعل العديد من الناس، والذي أشرت إليه من أن المفكر، مثله مثل أي إنسان كان، له مسؤولية أخلاقية ليقوم ويضمن النتائج الإنسانية. فتلك هي حقيقة بديهية. فإذا كنت كاتباً أو كتبت شيئاً ما، فإنه يكون عليك مسؤولية أخلاقية لتضمن وتقيم نتائج ما تكتبه، وما هي النتائج التي يمكن أن تكون من أجل أو في مصلحة الإنسان، ومن ثم فأنني أقدم عدد من الأمثلة، التي استنتجتها لأنها لم تلتق مع أهدافه السياسية.

لذلك فقد قلت، وعلى سبيل المثال، تصوروا وضع المفكرين الروس الآن. فهل يجب أن يقوم أحد المفكرين الروس بكتابة نقد دقيق لأعمال الإرهاب والوحشية للمقاومة الأفغانية في الصحف الروسية، عارفاً بأن ذلك النقد الدقيق سيمكن الاتحاد السوفياتي من تعبئة جماهيره أو شعوبه من أجل القيام بالمزيد من الأعمال الوحشية والعدوانية؟ فهل سيكون ذلك أمراً أخلاقياً مسؤولاً؟ انني لم أجب عن ذلك السؤال، ولكن إذا ما أردت جوابي على ذلك، فأنني سأقول «لا»، أنه ليس أمراً أخلاقياً مسؤولاً ليفعل، فذلك المثال لم يذكر في استعراضه. بيد أنني أشرت أيضاً بأننا نواجه نفس المشكلة بالضبط وعلينا أن نتساءل فيما إذا أرينا أن نتصرف أو نقوم بمثل هذه الطريقة وذلك لكي نزيد من الأعمال الوحشية والعنف لدولتنا.

ولنأخذ مثلاً آخر، فلنفترض أنني كنت مواطناً ألمانيا في عام ١٩٣٨. فهل سيكون أمراً أخلاقياً بالنسبة لي لكتابة مقالة في الصحف النازية حول الأعمال الوحشية التي كانت تنفذ من قبل الإرهابيين اليهود في فلسطين، أو الكتابة حول جرائم رجال الأعمال لليهود. وحتى لو كان كل ذلك دقيقاً؟ فهل سيكون ذلك أمراً أخلاقياً بالنسبة لي لكتابة مثل تلك الحقائق في الصحافة النازية؟ حسناً، ومرة ثانية، فإنني لم أجب على ذلك السؤال هناك، بيد أن جوابي سيكون «لا»، فسيكون «لا». فهذه ما هي إلاحقائق بديهية. فإذا ما كنا قادرين على إدراك والتحقق من الحقائق البديهية التي تتعلق بالآخرين، فعندئذ أنه سيكون من الجبن وعدم الصواب إذا ما رفضنا تطبيق هذه الحقائق البديهية

على انفسنا. وهذا يؤدي الى مأزق. انه يؤدي الى مأزق اخلاقية في حالة المفكرين الروس وأفغانستان، كما يؤدي الى نفس المأزق الأخلاقية في حالة المفكرين الأميركيين في الولايات المتحدة. فالطريقة التي يحل فيها المأزق هي مشكلة بحد ذاتها يولجها الأشخاص.

■ سؤال : هناك في الولايات المتحدة اليوم مقداراً جيداً من الاعراك والمصلحة في اميركا الوسطى، حيث توجد هناك جماعات للقضاة، ومشايخ قاضي المدن، وتبادل الوفود. وهناك ايضاً المؤتمرات، الندوات، المحاضرات، والكثير من الكتب والمقالات. وقد اطلق الكسندر كوكبيرن على ذلك «بالحركة الناضجة المتقدمة جداً» ولكن يبدو ان مسألة التقدم والنضوج في العلاقات لم تمتد بعد الى الناحية الاسرائيلية / الفلسطينية . فما هو تعليقك على ذلك ؟

جواب : اول كل شيء، فإن هذا التقدم والنضوج يمتد الى لا شيء عملياً. والظاهرة النموذجية هي معاكسة بالضبط لما يذكر ويدعى يوماً. فما يظهر التاريخ هو انه حتى حركة السلام مسيطر عليها جداً بواسطة جدول اعمال رسمي. ولها أوامام محددة ومعرفة ونقاط اخلاقية، وأعني بذلك الأعمال الوحشية المسؤولة عنها الولايات المتحدة. فتلك هي الظاهرة النموذجية لذلك. وهذا لا تقراء اليوم وذلك لأن هدف ما تقراء هو لتقويض وتدمير عملية السلام، لذلك فإن هناك تدفق لوسائل الدعاية والاعلام، معظمها مفبرك وملفوق، حول كيف ان حركة السلام لها أوامام وبقع عمياء. بالنسبة لاعدائنا وبميكاتوريات العالم الثالث.

وبالضبط فإن العكس هو ممكن إثباته بسهولة. وتعتبر منطقة أو ولاية تيمور شاهداً على ذلك. فخلال الأعمال الوحشية في تيمور، والتي ما زالت مستمرة والتي يمكن مقارنتها بالمجازر التي قام بها بول بوت، وبالنسبة للسكان، فانه كان يوجد هناك حركة سلام ساكنة وشبه تامة تقريباً. والسبب في ذلك ان مذبحه تيمور لا تتطابق مع أجندة أو جدول أعمال الدولة، إذ ان الولايات المتحدة مسؤولة عن ذلك. وقد أزيلت هذه المسألة أو أبعثت عن الانتباه، كما ان حركة السلام لها بقع عمياء أيضاً.

وهناك أيضاً عدد آخر من الامثلة. وفيما يتعلق بأميركا الوسطى، فإن الأمور كانت

مختلفة، وهي مدهشة جداً. ولنأخذ مؤشراً أو مثالاً على ذلك، مثل زاوية «رسائل إلى المصور». فانتظر إلى شتى أرجاء البلاد، فالشيء المثير أن زاوية رسائل إلى المصور في الصحف هي أكثر تقدماً، وأكثر قابلية للعلم والمعرفة، وأكثر تركيزاً، أكثر توازناً وبقية من المواد الصحفية أو المقالات التي تظهر على أعمدة الصحف لإيذاء وجهات النظر المختلفة، ومن التحقيقات والتقارير الصحفية، الخ. وقد افترضت بأن الصحف لن تنتقي ويشكل معين الرسائل التي تقوض من مركزها. إلا أنه من الواضح أنها تعالجها. وهذا يعكس اختلاف في الشعور والإبراك. بيد أن ذلك حدث ليكون متركزاً على هذه المسألة، ولأسباب معينة. والصراع العربي - الإسرائيلي مثله مثل غالبية المسائل، خارج عن هذا النطاق تماماً. فهناك أسباب خاصة لذلك. عليهم أن يعملوا بصورة كبيرة مع ما حدث في عام ١٩٦٧، كما تحدثنا عن ذلك من قبل.

وفي نفس الوقت فقد كانت هناك ردة فعل مثيرة للانتصار الإسرائيلي بين النخب أو الفئات الفكرية التي تسيطر على أجهزة الإعلام، وهم ينتمون للجناح الليبرالي اليميني. وكان هناك شعوراً مفعماً بالنشاط بشأن الانتصار الإسرائيلي، وحببت إسرائيل نفسها حقيقة بالعناصر الليبرالية والمفكرين في ذلك الوقت، وذلك بسبب نجاحها في استخدام القبضة الحديدية. وكانت تلك ظاهرة لا بد وأن تفسر. وكان واضحاً لماذا انحازت إسرائيل القوى اليمينية المتطرفة، بل إن الأمر كان مثيراً بشكل خاص أيضاً بالنسبة للمفكرين الأميركيين الليبراليين. واعتقد بأن عليك أن تنظر إلى ما كان عليه المجتمع الأميركي لفهم هذه الظاهرة. وكان في تلك النقطة أن إسرائيل أصبحت مصدراً للخشية والحب. وستجد ذلك في ذلك الوقت، وحتى بين المفكرين اليهود في نيويورك، فإسرائيل والصهيونية هما ظاهرتان ثانويتان تماماً. ويمكنك أن تتفق ذلك بالعموم إلى صحف ومجلات مثل «الانشقاق» في السنوات المبكرة الماضية من عمر الصهيونية، فتجد أنه لا يوجد هناك شيئاً حول هذا الأمر (الصهيونية)، وإن المحررين الصحفيين لم يعتبروا أنفسهم صهيانية في ذلك الوقت. أما في عام ١٩٦٧ فقد اختلف الأمر كلياً.

واعتقد بأن السبب في ذلك كان في التغير بشكل كبير للأحداث الداخلية. فعليك أن تفهم ماذا كان يحدث في الولايات المتحدة في ذلك الوقت. وفي المقام الأول، ما حدث

في عام ١٩٦٧. فالولايات المتحدة لم تنجح في تدمير للمقاومة الداخلية في الهند الصينية. فقد كنا غير قادرين على الدفاع عن فيتنام الجنوبية، وكما رتب الأمر، أي الهجوم وتدمير فيتنام الجنوبية. ومن المهم تفكر ان الرأي أو وجهة النظر الليبرالية كانت قوية جداً وإلى جانب الحرب أيضاً. وكان هناك مقداراً كبيراً من القلق من ان الولايات المتحدة لم تكن لتريح الحرب.

انئذ برزت اسرائيل، وظهرت كيف يمكن استخدام العنف ضد دول العالم الثالث المفرودة، وكان ذلك أمراً مثيراً. علاوة على ذلك، فإن الفضل لكسب الحرب في فيتنام قد ربط بالتهديد المتنامي للامتيازات في البلاد. وجاء هذا من عدة قطاعات في المجتمع، وخاصة من قبل الحركة الطلابية - فالطلاب لم يكونوا يطيعون السلطات، وكانوا يسألون الأسئلة الخاطئة، وكانت هناك اشارات لاستقلالية فكرية، واحكم أو تقييم اخلاقي مستقل، الخ. كما انه كان بإمكانك ان ترى ان الحركة النسائية كانت قائمة، كما ان الاقليات العرقية كانت تمارس ضغطاً من اجل للحصول على حقوقها. وكان هناك نوعاً من شعور عام بتهديد طبقة الامتياز والسلطة من قبل الفيتكونغ، ومن منظمة النمرود السود، والحركة الطلابية، والثوريين الكوبيين للثخين، ومن قبل الماويين (نسبة الى ماوتسي تونغ)، ومن فئات أخرى، بيد انه لم يثر ذلك سوى اعترافاً جزئياً لحقيقة وجود احتياج وقلق شعبي يهدد السلطة والامتياز في البلاد. ومرة ثانية، فإن اسرائيل برزت وظهرت كيف يمكن استخدام للعنف وفعالية لإعانة الأمن والنظام، وكان ذلك إظهاراً مثيراً للدهشة. وكان ذلك أمراً مهماً وخصوصاً بالنسبة للعلماء الانسانيين الليبراليين، لان اسرائيل كانت قادرة على ذلك، وبكل وسائل اعلامها الفعال، لتصوير نفسها على انها كانت ضحية، في حين انها كانت تمارس وفعالية تماماً القوة والعنف لتحطيم أعدائها.

إن هذا الربط كان غير قابل للمقاومة بشكل مطلق. فالعالم الانساني الليبرالي يفترض ان يكون الى جانب الضحية، وفي هذه الحالة فانه يمكنه ان ينرف الدموع من اجل الضحية المزعومة، في حين انه وبصورة سرية يصفق ويهلل لنجاحات الضحية في استخداماها للعنف الفعال. فهذا ربط لا يمكن مقاومته وظل قائماً بهذه الطريقة. واثار ذلك موجة من النقاش داخل الولايات المتحدة الى درجة ان البحث السليم لهذه المسألة

قد أصبح صعباً الى حد كبير بين الفئات للتعلّمة، وفي داخل لجهزة الاتصالات والاعلام التي تشرف وتسيطر عليها. وكانت هناك عوامل اخرى ايضا. فطى مسيل المثال، كان هنالك اناساً، مثل ايرفنج هار (من صحيفة الاتشفاق) سيء الصيت، والذي استغل تماماً وعلى نحو سلبي الحماس العاطفي لاسرائيل، والذي طوره لكي يقوض ويهاجم العناصر النشطة لحركة السلام والحركة الطلابية. فقد كتب عدة مقالات شريرة ومغرضة في صحيفة نيويورك تايمز وفي صحف اخرى اى فيها بلن عناصر غير معروفة لحركة السلام لن تكون راضية لغاية ما تتمر اسرائيل من قبل الارهابيين للعرب المتعطشين للدماء، والذين ارادوا فرض الفاشية في اسرائيل، الخ. وكانت تلك اداة فعالة في ذلك الوقت. وانتي لن ادعو ذلك بالمكارثية، لانه يسير بعيداً جداً عن خط مكارثي، إلا ان ذلك النوع من الوسائل من اجل محاولة تقويض حركة السلام النشطة والمنظمة، والعناصر المنشقة التي كان لها موقع ومركز شعبي بين فئات النخب. وذلك هو السبب الذي أمكته (ايرفنج هار) من كتابة هذه الأمور في صحيفة نيويورك تايمز.

وكانت هذه فترة انصب فيها جهد النخبة العام لمحاولة استعادة السيطرة على الجماهير، ولحاولة تقويض للحركات الشعبية التي كانت بدأت بالتطور. وكان لاستخدام الأسلوب الاسرائيلي فعالية في هذا المضمار. وقرى مرة ثانية من الارتباط الطبيعي ما بين المفكرين الليبراليين، الذين كانوا يعتبرون كمفوضين من المفترض بهم ان ينفذوا ذلك، وبين اسرائيل. ولكل هذه الأسباب، والتي كان بعضها موضوعياً، أصبح دور اسرائيل كمساعد استراتيجي فعلي بالنسبة للولايات المتحدة، وكان بعضها الآخر أكثر تعقيداً، لا يتفاعل مع الثقافة والمجتمع المحلي الاميركيين، لذلك فان هذه المسائل اخرجت من نطاق البرنامج او جدول الأعمال.

وهنا يكمن الفرق ما بين الجماهير العامة او السكان وبين النخب بشكل مثير جداً. وكما اشرت من قبل، فان الاستطلاعات - والاستطلاعات اعتبرت بشكل حذر قليلاً، إلا انها تؤدي شيئاً ما - بينت بشكل منتظم انه حوالي ثلثين من الاميركيين كانوا الى جانب قيام دولة فلسطينية ومع ان ذلك لم يكن جزءاً من السياسات الامركية. وانك قد تجد سياسي اميركي يمكن ان يدعو الى ذلك. انه ليس جزءاً من البحث والمداولة. وما كان يدهش انه حتى بدون اي تمثيل واضح فعلياً، فانه ما زال الموقع او المركز محتل من قبل

غالبية الشعب الاميركي، مطابقاً ومماثلاً للاجماع الدولي الذي اعقب وسد من قبل الولايات المتحدة لمدة سبعة عشرة عاماً على الأقل.

■ سؤال: هناك سؤال حول اليسار الاميركي، وانني اعرف بانك لم تكن مرتاحاً جداً لاستخدام مثل هذا التعبير: فقد تحدثت سابقاً عن تهميته، وبعدم وجود مصابر له، وعدم الاستمرارية. فماذا عن هذه الظاهرة لحرب اليسار الضروس، وما اطلق عليه انا باليسار يسحق اليسار ؟ فهل ذلك من نتائج عملية التهميش هذه ؟

جواب : انه كذلك بشكل جزئي، الى الحد الذي لا نحب معه الاعتراف من ان القوة الخارجية والامتياز قد رتبا برنامجاً او جدول اعمال من اجل اليسار. فعلى سبيل المثال، لنأخذ مجلة «نيو انجلند بيس وورك»، وهي من المجلات الجيدة تماماً لحركة السلام المحلية. اما الآن فإنها تكرر صفحة اثر صفحة من صفحاتها لبحث ومدولة ما يقرره بصورة اساسية مكتب الدبلوماسية العام، وهي في الوقت نفسه لا تعترف به. فهناك مداولة او مناقشة تجري لكل مسألة، ونصف المسألة تكرر لذلك، حول فيما اذا ما كان يدعى باليسار، قد اتخذ بالضبط مركز او موقع اليمين فيما يتعلق بمسألة كمبوديا، في اواخر السبعينات. وحقيقة الامر هي ان اليسار، الذي بالكاد يكون موجوداً، قد اتخذ تقريباً موقعاً اتخذ من قبل كافة السلطات المؤهلة فعلياً، مثل استخبارات وزارة الخارجية، والبعثة التعليمية لكمبوديا، الخ. وفي الوقت ذاته، فإن اليسار وحركة السلام كانتا تتجنبان الاعمال الوحشية الكبيرة في أي مكان اخر. ومع ذلك، فلا يوجد هناك بحث او مناقشة تدور حول ذلك، ولنقل، بما يتعلق بفشلهما للاستجابة بما حدث في تيمور الشرقية، او بفشل اليسار في القيام بربة فعل ضد القصف الاميركي لكمبوديا، في اوائل السبعينات، والذي قتل من جرائه عشرات الآلاف من السكان الكمبوديين، او بفشل اليسار في القيام بربة فعل للالزامات العنيفة المتزايدة التي تحدثت او حدثت في اميركا الوسطى. فلم يوجد هناك بحث او نقاش حول ذلك. وكان هناك نقاش وبحث فقط حول الفشل المزعوم لحركة السلام في ربة فعلها لما قام به «بول بوت».

وما تجده من جهة واحدة فهو الاكاذيب، والتلفيق والخداع التي لا تتطلب أي دليل

لأنها مركزاً أو موقعاً للسلطة المؤسسة، وهناك من جهة ثانية الاعتذارات أو الاستجابات التي ما هي إلا مضيعة للوقت بشكل كبير. وفي الحقيقة، فإن أي جهد للاستجابة للاكاذيب هو تدمير للذات لأن الاستجابة للاكاذيب وكشف الاكاذيب تبرهن ببساطة بأنك معتذر عن الأعمال الوحشية، وضمن إطار العقيدة أو المبدأ الرسمي، الذي يتحكم أيضاً بالفكر المنشق إلى درجة كبيرة. انه وضع غير مريح، اذ ان البرنامج او جدول الاعمال يقرر من قبل السلطة المؤسسة.

لقد قدمت هذا المثال من اجل توضيح انه حتى اكثر العناصر تقدماً لحركة السلام هي مخدوعة بواسطة جهاز التلقين وتتبع املاياتها الى ابعد مدى، وان تلك عامل اخر يؤدي الى اتهام مضاد. وازضافة لذلك، يوجد هناك كافة انواع العاب السلطة، والالعاب الشخصية، والالعاب المجموعات، الخ. وكل واحد كان اشترك في الحركات الشعبية لعدة سنوات، فانه يعرف تماماً وبشكل جيد بأن كل فئة او جماعة لها أسلوبها أو طريقتها الخاصة من اجل محاولة السيطرة على أي تطور أو حركة شعبية تحدث أو تقوم. وتوجد هناك فئات طفيلية، تحاول جلب الناس اليها وتعبثهم وإخالهم في منظماتها الخاصة أو في مجموعاتنا أو فئاتنا الخاصة أو أي شيء كان. وكل ذلك يسير قديماً، ما دام لا يوجد هناك استقرار ومؤسسات شعبية صحية أو صحيحة يمكنك ان تعمل على استمرارها وتوصلها.

■ سؤال : هل تود ان تتحدث عن مسيرة السلام التي جرت في شهر حزيران ١٩٨٢ في نيويورك ، حيث كنت ستشارك فيها مبدئياً، ومن ثم اخترت بان لا تشترك فيها ؟

جواب : كانت تلك قصة مختلفة. انه صحيح، بلنتي لم اشترك في ذلك. وكانت تلك مسيرة ضمت مئات الآلاف، وربما ضمت مليون شخص، في وقت جرت فيه جلسات الأمم المتحدة فيما يتعلق بنزع السلاح. وحدث هذا بعد حوالي اسبوع من الغزو الاسرائيلي للبنان. فالغزو الاسرائيلي للبنان، اضافة الى انه مزق تلك البلد ودمره، الا انه كان من الممكن ان يؤدي بالعالم الى حافة حرب عالمية، وجرت هناك اتصالات محمومة بهذا الشأن. وهاجمت اسرائيل سوريا. ولم تكن سوريا تتوقع مثل ذلك الهجوم، وحتى بعد بدء الحرب، فان السوريين ظنوا بأن اسرائيل كانت تلاحق

الفلسطينيين. إلا ان اسرائيل هاجمت سوريا، التي كانت حليفاً للاتحاد السوفياتي. وقتل من جراء ذلك بعض الخبراء الروس، فتوجه الاسطول الروسي الى شرقي المتوسط وكان هناك تهديد حقيقي لنشوب حرب عالمية، إذ ان الولايات المتحدة كانت تدعم وتساند الهجوم الاسرائيلي. فلا يمكنك تصور مسألة حرجة وخطرة اكثر من ذلك.

وقد منظمو المسيرة بأن يستثنى ذلك من هدف المسيرة، أي ان لا يوجه أي نقد أو لوم لاسرائيل. فذلك هو جزء من الطريقة أو الوسيلة التي تحمى فيها حركات اليسار اسرائيل. فهي، كما رأيت ذلك، وكما عبروا عن موقفهم، من ان نشوب حرب نووية لهو امر اقل أهمية من تعرض اسرائيل لحملة نقد أو احتجاج. إنه كان امراً فاضحاً ومزعجاً قررت معه ان لا اظهر في تلك المسيرة شخصياً. ومرة ثانية، فان ذلك كان امراً خاصاً، انها حالة التي تقدر فيها مراكز القوى الداخلية الى أي مدى يمكن ان يكون عليه التفكير، وما يفعل حتى في حركات الانشقاق أو المعارضة.

■ سؤال : هذا سؤال مختلف حول طبيعة الشر. بما انك عالم تجريبي ، عالم عامل بالمادة الموضوعية، فقد بحثت في الأعمال الوحشية الاميركية في الهند الصينية في الستينات والسبعينات، والأعمال الوحشية الاميركية ايضاً في الثمانينات. فعلى سبيل المثال، فقد كتبت حول الجنود الذين كانوا يقتلون الاطفال الرضع في الهواء ثم يتلففونهم بحراب بنائهم. فالسؤال الذي يبرز هو : ان هؤلاء الجنود هم ابناء واشقاء يقومون بحمل اطفالهم بايديهم. فكيف انحسروا الى ذلك الوضع ؟ اضافة الى انك قد قلت بان الافراد هم ليسوا عناصر للشر وانما هي المؤسسات او الفولتر الرسمية. اليس ذلك تناقض ؟

جواب : اول كل شيء، فأنني ناصراً ما اتحدث عن اعمال وحشية مورست من قبل جنود. ولقد شرحت ذلك. فالسبب هو ان الجنود، في وضع النزاع أو القتال، يكونون في حالة فرع أو رعب. لذلك فالخيارات المتاحة امامهم تكون ضئيلة جداً. ومن الممكن ان يكونوا ساخطين أو ناقمين. وهذه اوضاع لا يمكن ان يستخدم فيها الناس أو الأشخاص غرائزهم الانسانية العابية. ويمكنك ان تجد بضعة جمل استشهدت فيها

بهذا النوع من الأمور من جماعات أو منظمات حقوق الإنسان، بيد أنني لم أعرف على ذلك الوتر، كما أنني لم أبحث ذلك أبداً.

ولأخذ حالة من الحالات، فقد طلبت مني صحيفة «نيويورك ريفيو» مرة بأن أكتب مقالاً عن عوامل الحوادث. وقمت فعلاً بكتابة المقال، إلا أنه كان عليّ أن أبين بالضبط ثلاثة أمور مهمة. وكان السؤال الأكثر خطورة، كما أعتقد، هو كيف أن الناس الذين لا يكونون معرضين لتهديد ما، والذين يكونون مرتاحين، ومتعلمين، وإذا لم يعرفوا ماذا يحدث حولهم فإن ذلك عائد إلى قرار واعٍ منهم بأن لا يعرفوا ماذا يجري، فكيف أن مثل هؤلاء الناس يمكنهم أن يتسامحوا ويساندوا ويؤيدوا، من خلال حياتهم الهائلة، الأعمال الوحشية، وأن يخططوا لها في مكاتبهم. فهذا شر حقيقي بحد ذاته، أسوأ بكثير مما يفعل بواسطة الجنود في ميدان المعركة. وكيف أنه يمكن للجنود أن يفعلوا أو يقوموا بذلك: فبمعزل عن أوضاع أو حالات القتال أو المعركة، والتي هي لن تكون أوضاع مريحة وجميلة مطلقاً وهي في الواقع تشكل تهديداً للحياة، وبمعزل عن ذلك، فإنك تتحدث عن شبان صفار، مراهقين، هم في الحقيقة ملقنين من قبل الأجهزة الحكومية ويمكن أن يحولوا إلى قتلة. وخذ هذا المثال حول جيش السلفادور. وهو جيش مكون من أفراد مكرهين على الخدمة، وليس جيشاً محترفاً. أنهم من العناصر المكرهة أو التي أكرهت على التجنيد وهم ينتمون للمناطق الفقيرة. فهم يلخنون الشبان من المناطق الفقيرة، ويعطونهم السلاح، ويدربونهم، ومن ثم يلقنونهم، ويمكنهم بعد ذلك أن يحولوا إلى قتلة محترفين. ولقد كانت القوى أو الدول الامبريالية تفعل ذلك على مر القرون الماضية، ونحن أيضاً (الولايات المتحدة) نقوم بذلك أيضاً. أما فيما يتعلق بالتساؤل حول الشر، فانتنا لن نذهب بعيداً. فيمكننا النظر إلى أنفسنا ونسال أنفسنا عن ذلك. وانت تسال أو تقول أنها مصلحة مؤسسات، وليس أفراد. فلا أعتقد ذلك. فالأفراد هم قاصرون بالتأكيد على فعل الشر. وليس علينا للتطلع بعيداً جداً لنرى ذلك. إلا أن الأفراد هم قاصرون على القيام بكافة أنواع الأمور. إذ أن الطبيعة الانسانية لديها الكثير من الوسائل لتحقيق ذاتها، والانسان لديه الكثير من الطاقات والخيارات والعناصر التي تكشف عن نفسها تعتمد إلى حد كبير على تركيبات المؤسسات. فإذا ما كان لدينا مؤسسات تسمح بوجود قتلة مصابين بمرض نفسي، فإنها ستوجههم

ليصلوا ويجولوا. والطريقة الوحيدة لبقائها ستكون في السماح لتلك العناصر بأن تظهر طبيعتها الخاصة.

وإذا ما كانت لدينا مؤسسات تقوم بتشجيع الجشع الانساني على حساب العواطف والالتزامات الانسانية الأخرى، فإننا سنكون عبارة عن مجتمع مركّز على الجشع، وما يتبع ذلك من أمور أخرى. ومجتمع مختلف يمكن أن يكون منظماً بطريقة تكون معها العواطف والمشاعر الانسانية وغيرها من العناصر، مثل التضامن، الدعم، التعاطف، كعناصر مهيمنة. وعندها فانه سيكون لديك مظاهر مختلفة من الطبيعة الانسانية والشخصية.

■ سؤال : ما الذي يلهمك ويؤثر فيك من الفاحية الفكرية ؟

جواب : هنالك العديد من الناس يمكن نكرهم. فيمكنني أن أنكر أمثلة على ذلك، بيد أن ذلك يعني بأن نعود الى الماضي الشخصي. والشئ الذي يلهمني أكثر هو بالضبط الذي كان يلهم جان جاك روسو، أي أن ما أعنيه هو حسب تعبيره «الهمجيات النصف متعزية»، والناس العائيون الآخرين، الذين يكافحون بشجاعة ووقار من أجل نيل حريتهم واستقلالهم. فهذا امر ملهم أكثر من كتابات الحكم.

■ سؤال : هل تعترف أو تقر بالحياة الروحية، وهل يعتبر ذلك عاملاً

يؤثر فيك ؟

جواب : هل تعني بالحياة الروحية حياة الفكر والادب والتفكير، أو الحياة الدينية؟ فانه سؤال مختلف.

■ سؤال : أعني به البعد الروحي بالتعابير الدينية. فهل ذلك يشكل

عاملاً على أية حال ؟

جواب : بالنسبة لي، فانه لا يشكل ذلك. فإني ابن عصر التنوير. فلنا اعتقد بأن للعقيدة اللاعقلانية هي ظاهرة خطيرة، لذلك فأنني أحاول تجنب الحياة اللاعقلانية بشكل واسع ومبرك. ومن جهة أخرى، فأنني أعترف بأنها بالتأكيد ظاهرة رئيسة بالنسبة للناس بوجه عام، ويمكنك أن تفهم لماذا من الممكن أن تكون كذلك. انها لكذلك، فعلى ما يبدو فأنها تمنع موازنة أو مساندة شخصية، بل تتيح أيضاً روابط الاتحاد والتضامن

ووسائل من أجل عناصر تعبير المرء عن شخصيته التي غالباً ما تكون عناصر قيمة. وتفعل ذلك للعديد من الناس. فمن وجهة نظري، فإنه لا يوجد هناك شيئاً خاطئاً مع ذلك. فمن الممكن أن تكون وجهة نظري خاطئة، بالطبع، إلا أن موقفي هو أننا لا يجب علينا الاستسلام للعقيدة الغير عقلانية.

■ سؤال : هل تستمد أي قوة من التقليد اليهودي ؟

جواب: إنني جزء منه تماماً وبوضوح. وقد نشأت وترعرت فيه بعمق وما زلت اشعر بذلك، بيد أنه من الصعب عليّ القول فيما إذا كان مصدر القوة مستمد منه. ولا يمكنني تعريف أية طريقة أو وسيلة يكون ذلك فيها صحيحاً.

■ سؤال : من هم بعض الاناس الذين تعجب بهم اليوم وتتعلم منهم

ايضا ؟

جواب : يوجد هناك الكثير من الناس. ولا يمكنني القول. ولناخذ، على سبيل المثال، صديقي روبين زامورا، الذي لديه الآن شجاعة فائقة للتعبير عن رغبته لكشف الدولة الارهابية التي انشأتها الولايات المتحدة في السلفادور، وهو في الوقت ذاته يواجه احتمالية قوية لاغتياله ومحاولة استغلال بعض الانفتاح السياسي لالتزامه بشكل مبدئي بالحزب الديمقراطي المسيحي اليساري. ولقد وجدت ذلك امراً ملهماً تماماً، ويوسعي ايضاً ايراد امثلة عديدة اخرى. واعرف بأنه ليس ذلك السؤال الذي سألته، وقد تجنبت ذلك عمداً، واعرف بأنه يوجد هناك اناس قالوا اشياء عنيفة او قاسية، فليس من الصعب قول مثل هذه الاشياء.

■ سؤال : إنك تعتبر شخصية متحدة كبيرة وعامة. ولقد تجولت

معك خلال الاسبوع الاخير من عام ١٩٨٨، في كل من كولورادو وكاليفورنيا، وفي كل مكان نهبت اليه، فأنك كنت تلقى ترحيباً واحتراماً من قبل المستمعين الذين كانوا يحتفون بك. فإلى أي شيء تعزو ذلك ؟

جواب : كما تعلم ومن خلال سماعي اتحدث، فأنني لست بمتحدث ساحر بشكل خاص، وإذا ما كان لدي طاقة على فعل ذلك فأنني لن استغلها. فأننا في الحقيقة لا اهتم

في إثارة وحث الناس. فلا أريد ذلك وأحاول أن تكون هذه النقطة واضحة بالنسبة للجميع. وما أود أن أقوم به هو مساعدة الناس لإقناع أنفسهم. فقول لهم ما اعتقد به، وأمل بشكل واضح بأنهم سيقنعون أنفسهم بأن ذلك هو صحيح، بل فضلاً على ذلك أجعلهم يقنعون أنفسهم بصحة ما يقتنعون. وأعتقد بأنه يوجد هناك مقداراً كبيراً من التوقعات التحليلية، ومن المعلومات الصحيحة، التي لم يتعد عليها الناس. إذ أن الشيء الوحيد الذي أود أن أكون قاضياً عليه للمساهمة به هو ذلك الأمر. وأعتقد بأن الكثير من المشاهدين يعترفون بذلك. وأعتقد أيضاً بأن السبب في أن الناس يحضرون لأنهم يريدون سماع ذلك. وهناك الكثير من الناس في أرجاء البلاد، ومن كافة الأنواع أو الفئات، الذين يشعرون بأنهم ببساطة لا يصلون إلى مقدار كبير من المعلومات، التحليلات، التفسيرات البغيضة أو السيئة، التي تتعلق بفهم العالم الخارجي، وأعتقد بأنها ردة فعل صحيحة لمحاولة كسب مثل هذا النجاح.

■ سؤال : لقد لاحظت أن نعوم تشومسكي مختلف جداً عندما تكون تتحدث عن علم وفقه اللغة والفلسفة. فتكون أكثر استرخاءً، ومتمتعاً بروح الدعابة. وبوضوح، فعندما تكون متحدثاً عن المسائل السياسية والاجتماعية، فإن المؤثرات تكون بادية عليك. فما هو تعليقك على ذلك ؟

جواب : لا يمكنك التحدث عن المعاناة الضخمة التي يعاني منها الناس دون أن يكون لديك مقداراً كبيراً من العاطفة، سواء المنضبطة منها أو المعبر عنها فعلياً. وأنتي أحاول أن أبقي ذلك تحت السيطرة.

■ سؤال : لديك موقعاً أو مركزاً فريداً في الحياة الفكرية للبلاد اليوم. سواء رغبت بذلك أم لا. وأنت تعتبر «مخزناً حياً» للعديد من الناس، والمنظمات والمكتبات ومحطات الإذاعة. والجماهير تعتمد عليك من أجل الحصول على المعلومات والتحليلات. فانت تعتبر نوعاً من «المحور الفكري». فهل هذا يشكل عبئاً عليك ؟

جواب : أول كل شيء، دعني أقول ذلك إلى المدى الذي يكون صحيحاً، لأنه ليس تعليقاً خاصاً يتعلق بي. وإنما هو تعليق يتعلق بطبقة أو فئة المفكرين بوجه عام. التي هجرت

وتخلت تماماً عن هذه المسؤولية للاستعلام أو للطومات الصائفة، وفقدت بعض درجات الخدمة العامة لصالح السلطة والامتياز، وأصبحت تابعة لقوى خارجية. وهذا صحيح الى مدى بعيد. ولوضع ذلك في نطاقه الصحيح، فإنه لا يتوفر هنالك متحدثين كافين. فإذا ما أرابت جماعة في مكان ما من البلاد متحدثاً حول موضوع كذا وكذا، فإن فئة قليلة جداً من المفكرين يمكنهم ان ينهبوا الى تلك المكان. والأشخاص القلائل الذين يجيئون تكون لديهم مطالب خارقة. فذلك هو التعليق بشأن الفئات الفكرية، بما فيها الفئات اليسارية، التي لا تتيح أو توفر مثل هذا النوع من الخدمات للجماهير العامة، أو اذا ما حدث ذلك فإنه يكون في نطاق محدود جداً. فكل جماعة أو منظمة في أي مكان بالبلاد تحاول الحصول على مفكرين متحدثين تترك هذه الحقيقة فهل هذا عيب؟ نعم انه عيب ونوع من الامتياز على حد سواء. انه عيب في المعنى انه يوجد هناك اربعة وعشرون ساعة في اليوم وبإمكانك ان تفعل الكثير من الأمور، لذلك فإنه يكون عيباً بشكل واضح، بيد انه أمر واحد بالتأكيد سوف اختاره وأختاره يوماً.

■ سؤال : لجاية على الأسئلة فيما يتعلق بنتائجك أو أعمالك الانتاجية الهائلة، ولنت تقول بانك شخص «متعصب». فهل تحب اطلاق ذلك على نفسك ؟

جواب : انتي لا أحب ذلك ولا أكرمه على حد سواء، بيد انني اعترف به. وهو يتطلب درجة من التعصب حتى تكون قادراً على خرق صوت الطبل المستمر للأيدولوجية وجهاز التلفزيون (الاعلام)، وحتى تحصل على المعلومات المتعلقة وذات الصلة وتنظمها. وحتى ذلك الالتزام للحود فإنه يتطلب درجة من التعصب، والسعي وراء ذلك، والسفر المستمر، والتحدث وإلقاء المحاضرات، الخ. وبالتأكيد، فذلك شكل آخر من التعصب.

■ سؤال : أين ترى أو تجد نفسك وعملك ؟

جواب : في هذه النطاقات، ويقرر ما أنا مدرك ذلك، فلنا اعرف ما أحاول ان أقوم به. ويمكن للآخرين ان يحكموا أو يقيموا كم هو عملي متقن، أو الى أي مدى هو متقن. وما أحاول أن أفعله هو ببساطة يتيح نوعاً من الخدمة للحركات أو المنظمات المنشقة الشعبية، وبالنسبة للأفراد المتفرقين أيضاً، ذلك ان أي شخص لديه المصائر، الامتياز، التريب، الخ. يجب ان يؤدي دوره، ولا شيء أكثر من ذلك.

التخطيط الاقتصادي للدولة

كانون أول، ١٩٨٩، مقابلة أجريت في الإذاعة.

ييفيد بارساميان : أود أن أسالك بضعة أسئلة ومن ثم افتح الخط مع مستمعينا، إن الاقتصاد الأميركي في فترة ما بعد الحرب بُني على ما أطلقت عليه وبشكل اختياري «بنظام البنتاغون» أو «بالنظام العسكري» وذلك يعني، مساعدة الدولة في نشوء صناعة تكنولوجية عالية. وفي ضوء التقارب الأميركي - الروسي، فما هي الخطوات، إذا ما كانت هناك خطوات، التي ترى أن على الدولة والمديرين المتحمسين للاقتصاد في الولايات المتحدة أن يتخذوها للحفاظ على سلطتهم وامتيازاتهم ؟

نعوم تشومسكي : أعتقد بأنهم معنيون ومهتمون بذلك. وبإمكانك أن تقرأ في صحيفة «رول ستريت جورنال»، على سبيل المثال، مقالات تحمل عناوين مثل «أوهام السلام، شبح مقلق للمحليين الأميركيين». وهذا صحيح فعلاً. وكان هذا أسلوب رئيس للإدارة الصناعية للدولة منذ عام ١٩٥٠، وهو الأسلوب الذي تجبر بواسطته السياسة الحكومية القطاع العام للمساهمة والمساعدة في أعمال البحث والتطوير من أجل قيام صناعة تكنولوجية عالية. بل وأيضاً، وعلاوة على ذلك، فإن ذلك شمل شركات الأبرية وغيرها. ولا يوجد هناك بديل واضح متوفر. ولفترة ما، فقد أصبح هناك نوعاً من الإتفاق العسكري المضطرب. وبصورة فعلية، فإن الموازنة العسكرية لهذا العام تعتبر من أكبر الموازنات حتى الآن. ومن المفترض أن يستمر ذلك باضطراب لفترة من الزمن. وبالنسبة للمستقبل المرئي. فهناك حديث حول حدوث تخفيضات، ولكن إذا ما تمتعت في ذلك، فإنها ليست تخفيضات في الحقيقة، إنها فحسب عدم التوسع في المشاريع. وحتى تلك التبعيلات التي أُجريت فإنها سارت بصورة عامة لتمس الإتفاقات، حيث أنها ستخفض مستوى القوة، على سبيل المثال، في حين تبقى على مستوى المشتروات بنفس الدرجة.

ولذلك ولفترة ما، على الأقل، فإن الخطط تجري للإبقاء على تلك الأجزاء من النظام أو الجهاز العسكري التي لها تأثير في تقنية صناعة عسكرية متقدمة. إلا أنه نشأت هناك مشاكل خطيرة جداً. فإدارة الرئيس ريغان، التي دفعت بهذا التدخل للدولة في الاقتصاد قديماً حتى إلى ما وراء المعدل. ومع ذلك فقد بدأ البنتاغون في السنة الماضية بتنظيم قواعد متناغمة.

وبالأمس جرى سماع شهادات أمام الكونغرس أدلى بها وزير الدفاع السابق مكنمارا وآخرون، ودعوا فيها إلى تخفيضات رئيسية في الانفاق العسكري. واقترح مكنمارا أن يكون ذلك بحدود خمسين بالمائة، حائثاً بشدة على القيام بذلك، وعلى أسس وقواعد عسكرية غير مشكوك فيها، وما أطلق عليه حتى بالأسلوب المحافظ العالي. ولكن بقدر ما بوسعي أن أتركه من أوراق العمل التي قدمها، فإنه لم يعالج هذه المشاكل، التي تعتبر مشاكل مركزية أو هامة.

■ سؤال: لقد قلت بأنه إذا ما كان هناك تحرك تجاه التحول، ذلك أنه، ليجري التحول عن نظام البنتاغون، فهناك سيسير باتجاه شيء ما يشبه الثورة الاجتماعية، فما هو تعليقك ؟

جواب : أنه لمن الصعب فهم كيف يمكن أن يُفعل أو ينجز ذلك. ومن الصحيح أن نول صناعة ديمقراطية (غربية) أخرى فعلت ذلك. فآلمانيا واليابان، على سبيل المثال، ليهما أقل نسبة أو نسبة منخفضة جداً للانفاقات العسكرية، واستنبطتا طرق ووسائل أخرى من أجل تنسيق ومساعدة أو مساهمة حكومية للنظام أو القطاع الصناعي.

■ سؤال : إن وزارة التجارة والصناعة الدولية، في اليابان، مثلاً، تعتبر الأداة أو جهاز الدولة الذي ينظم الاقتصاد . فما هو رأيك بذلك ؟

جواب : نعم. ففي اليابان، تقوم وزارة التجارة والصناعة بدور كوكالة منسقة. إذ أن الاقتصاد الياباني هو مختلف جداً في تركيبه حيث يوجد مؤسسات مالية وصناعية كبيرة مختلطة، ومن خلال التنسيق مع وزارة التجارة والصناعة الدولية، فإنها تقوم بوضع الخطط والتخطيط وتوزيع الاستثمارات، الخ. للفترات القادمة أو المستقبلية. وذلك يعطي أو يقدم مستوى عالٍ تماماً من التخطيط. فالثقافة مختلفة تماماً هناك

والسكان هم قابلون أو راغبون بالتعليم تماماً، وهم يؤمنون بشكل أساسي ما يطلب منهم تماماً. انها تعني الاستقامة بالنسبة للحكومة اليابانية وللصناعة. ومن البساطة ان نقول، انظروا، فهنا يكمن مستوى الاستهلاك للسنة القادمة وهنا تكمن الاسعار. ولا اعتقد بأنه من الممكن ان نشاهد هذا في الولايات المتحدة. فالسكان أو المواطنون هنا مستقلون أو بعيدين جداً عن ذلك.

■ سؤال : هل لاحظت اي عدااء أو اثار للعرقية أو التمييز تجاه اليابان ؟ فلقد لاحظت انا ذلك ولهذا ساسالك. ويمكنك ان ترى ذلك عبر افلام الكرتون والمقالات للصحفية وافلام هوليوود الجديد مثل فيلم «المطر الاسود». وهناك ايضاً تعليقات مثل: العمل الياباني قاس جداً، انهم يقتصدون ويوفرون كثيراً جداً، ولديهم ممارسات وتعاملات تجارية غير جيدة أو لطيفة، الخ. فما هو تعليقك ؟

جواب : بالطبع هناك الكثير من ذلك. وهناك الكثير من القلق تجاهه. وانه صحيح ان مستوى توفيرهم هو عال جداً. بل إن خاصية وجودة بضائعهم وانتاجهم اكثر جودة وبقة. وانهم يشتررون وبكثافة كثيرة الشركات في القطاعات الاقتصادية المركزية الاميركية في الوقت الحاضر. وهناك لأول مرة استثمارات يابانية كبيرة في الولايات المتحدة وخاصة في الصناعة والتكنولوجيا العالية، والتي هي اخر الاشياء التي لا تزال تتفاعل هنا، وبشكل رئيس من خلال تسهيلات البنتاغون. والأمر الأكثر أهمية هو شرائهم لشركة كولومبيا السينمائية وركز روكفلر، بل إن اختيارهم للقطاعات الرئيسية للصناعات التكنولوجية العالية لهو امر في غاية الأهمية على المدى الطويل. فعما قريب سيكون اليابانيون في وضع يقيد الانفاقات العسكرية الاميركية، إذ انهم سيمسيطرون على قطاع كبير متقدم من التكنولوجيا المتطلبة في الصناعات العسكرية العالية، وقد بدأ بعض اليابانيين بتهديد هذا القطاع أو اختراقه فعلاً.

■ سؤال : هل من وجهة نظرك ان وسائل الاعلام تلعب دورها التقليدي في حجب الحقيقة عن الجمهور الاميركي، وفي هذه الحالة فإنه في الواقع سيتاكل نظام البنتاغون الاقتصادي بشكل خطير في الولايات المتحدة وستتاكل مقبرة هذه البلاد على انتاج صناعات استهلاكية ؟

جواب : هذا بالتأكيد لم يكن موضوعاً كبيراً بحد ذاته. واشك بانك قد قرأت مقالاً ما حول ذلك. انها قصة مختلطة. فبينون نظام البنتاغون لكنا بحاجة الى نظام اخر لادارة الصناعات الحكومية. وحقيقة ان هناك مسألة الحديث الكثير حول الرأسمالية والمؤسسات والأسواق الحرة، فلا أحد من المنخرطين فعلياً في عالم العمل يؤمن بكلمة واحدة من ذلك. فلولا مساهمة الحكومة الفعالة في القطاع الاقتصادي الخاص ومساعدته لما نجحت هذه القطاعات الصناعية. ورجال الاعمال الذين يلقون الخطب العاطفية حول التجارة الحرة يتحتم عليهم الذهاب لواشنطن للتأكد وضمنان تففق المساعدات الحكومية لهم. فالسؤال هنا ما هو النظام البديل الذي يمكن ان ينشأ.

■ سؤال : هل لديك شيء ما بمخيلتك بهذا الصدد ؟

جواب : ان ما أفكر به هو انه يجب ان تكون هناك ثورة اجتماعية. ويبدو لي بان هذه القرارات يجب ان لا تتخذ من قبل رجال الاعمال الذين سيدعون الحكومة للمشاركة فيها. إذ يجب ان تكون هذه قرارات شعبية. كما يجب ان تبدأ من قاعدة المجتمع، وهذا سيعني قيام اشراف اجتماعي على الاستثمارات. فهذه هي الثورة الاجتماعية.

■ سؤال : وهذا يقود الى سؤالي التالي وهو: هل تعتقد بان نشوء الديمقراطية الشعبية في اوروبا الشرقية يمكن ان تعتبر مصدر خوف ونزع لبعض النخب الاميركية ؟ وماذا لو امتد ذلك الى هذه البلاد ؟

جواب : كما تلاحظ فانها قد امتدت في كافة الاتجاهات ولأسباب مختلفة في تلك البلدان. ولشيء واحد، فانه غالباً ما تكون الحركات الشعبية مخيفة يوماً، وخاصة عندما يطيحون ببعض الأعداء، بسبب انتشار وامتداد تأثيرها. وانه ليس بالشيء الذي يجب ان يحدث هنا. لانه سيؤدي الى تلك «الازمات الديمقراطية» التي تخشاها هذه النخب (نخب الحكم والسلطة) يوماً. وهناك تأثير معد محتمل لذلك. وايضاً، ففيما يتعلق بالتفسيرات التي حدثت في اوروبا، فإن النخب الاميركية كانت قلقة تماماً بشأنها. فقد تحركت اوروبا الغربية تجاه تنسيق وتكامل اكبر، كما اتجهت نحو استقلالية اكبر، وبدأت تتطلع نحو وضع هو شبيه في تأثيره بالعلاقات الامبريالية مع دول اوروبا الشرقية. ومن المحتمل ان اليابان لديها نفس الفكرة فيما يتعلق باستغلال سيبيريا.

فهذا النوع من التكامل الاقتصادي الأوروبي الأميوي، مع جزء واسع من دول الكتلة السوفييتية سابقاً، قد أصبح الأمر معه كنوع من دول العالم الثالث ليستغل من قبل كل من أوروبا واليابان. مما سيحول الولايات المتحدة للعب دور أقل شأناً على الساحة الدولية. ولا بد أن الولايات المتحدة قلقة جداً ومهتمة للتأكد من الإبقاء على نظام الأحلاف، حلف وارسو وحلف الأطلسي. فوظيفة حلف الأطلسي هو فرض النفوذ الأميركي على أوروبا مع درجة من السيطرة، وفي الحقيقة، فإن المواجهة تجعل أوروبا تعتمد إلى مدى ما على الولايات المتحدة. كما حاولت الولايات المتحدة أن تعيق تجارة أوروبا الشرقية لتعزلها بهذه الطريقة. وبوجه عام، فإنه يوجد هناك مقداراً كبيراً من النزاع يتكون ويتشكل، مع أوروبا.

■ سؤال : يبدو بأن هناك الكثير من التعزيز لنظام البنتاغون داخل الولايات المتحدة بسبب توقع ما من «امبراطورية الشر» أو من عدو ما : فالروس قاسمون ، والارهابيون قاسمون ، الليبيين ، النيكاراغويون، كما يوجد حالياً اسياد المخدرات. وأصبح كل ذلك عنصراً عدواً يوقد هذا النظام ؟

جواب : اعتقد بأن الأمر سيكون صعباً جداً مع التهديد الروسي الذي يتضائل شيئاً فشيئاً. وكان هناك يوماً مقداراً كبيراً من المبالغة والإيمان بشأن التهديد الروسي، بيد أنه يوجد هناك على الأقل بعض الأسباب التي تكمن وراء ذلك. فهناك، على أية حال، كانت توجد امبراطورية الشر. ولم يكن ذلك امراً مزيفاً. فقد كانت متوحشة واثبتها صواريخ، وقد قامت بأشياء فظيعة. وكان لذلك تأثيراً أو علاقة ضمنية لأي تهديدات مزعومة ضدها، بيد أن ذلك كان حقيقياً جداً.

وكانت هناك محاولة في الثمانينات لمحاولة ايجاد بدائل: ارباب دولي، وعناصر عربية تجوب العالم من أجل قتلنا. ولا تنسى بأنه كانت هناك درجة من النجاح في ذلك، بشكل كافٍ تقريباً لقتل صناعة السياحة في أوروبا عام ١٩٨٦، لأن الأميركيين كانوا يخشون الذهاب إلى أوروبا بسبب وجود ليبين هناك. وحتى مؤخراً، فإنه كان هناك جهداً لخلق نوع من الهستيريا من جراء حرب المخدرات التي افترض بأنها حلت محل امبراطورية الشر (الاتحاد السوفييتي سابقاً). إلا أن هذه الأمور تعتبر قصيرة المدى.

ويمكن ان تعمل وتنشط لفترة ما، بيد انه من الصعب ان تستمر او تبقى لمدة طويلة. ولا اعتقد بلئه سيكون من السهل جداً ايجاد عدو «موثوق». وربما سيكون اليابانيون ذلك العدو.

■ سؤال : كتب جويل برينكلي في صحيفة نيويورك تايمز، مقالاً مطولاً حول الانتفاضة الفلسطينية، وقد استعرض نشاطها على مدى اربعة وعشرين شهراً، وقال بان العديد من الفلسطينيين بدا نشاطهم يفتر ويتضاؤل. وسؤالي هو، ما هي انواع الاجراءات التي اتخذتها السلطات العسكرية والتي ساهمت في التقليل من النشاط الفلسطيني ؟

جواب : هناك، في المقام الاول، زيادة في العنف. والاسرائيليون يطلقون الرصاص بكثافة على السكان. وازدادت نسبة الاصابات. كما ازداد قتل الاطفال. والتقييدات التي كانت مفروضة على استخدام الذخيرة الحية قد قلصت. بيد ان تلك كانت احدى الاسباب. فالذي قام به الاسرائيليون فعلاً هو امتدائهم وانتشارهم على الاراضي المحتلة، واعتقد بان ذلك اعظم سيطرة للنظام النيكيتاتوري. واسوأ شيء يحدث الآن هو القيام باعمال اعتباطية. فهناك ما يطلق عليه، على سبيل المثال، «بالترحيل الخفي». فخلال اشهر قليلة تم ابعاد مئات من السكان، غالبيتهم من النساء والاطفال، وبالقوة عن قراهم، ابعدها عبر النهر الى الاربن. فقد اتت القوات الاسرائيلية بعد منتصف الليل بطائرات الهليكبتر الى القرية، مستخدمة عملاتها المتعاونين معها، واتجهت الى بيوت محددة في القرية، وايقتت العائلات بمكبرات الصوت، ودعت كافة الرجال بان يتجهوا الى ساحة القرية. ومن ثم دخلت قوات الاحتلال البيوت، واخبرت النساء بان ليهن فقط خمسة دقائق لحزم امتعتهن واخذ اطفالهن معهن، ومن ثم اخذ سيارات لجرة على حسابهن والاتجاه نحو جسر نهر الاربن، حيث سيعبرن الجسر من هناك وعلى حسابهن. واذا لم يقمن بذلك، فان قوات الاحتلال على استعداد لان تفعل ذلك. ويقول لهن بانهم سيلقون بالاطفال في سيارات لجرة ويرسلوهم عبر الجسر. وعندما يعود الرجال الى بيوتهم يجدون بان عائلاتهم قد غابرت ونهبت. فمثل هذه الامور تتكرر باستمرار سواء بشكل فردي ام جماعي ويتم ذلك سواء بطرق متللة او بواسطة عقوبات اعتباطية وذلك من اجل السيطرة على كل منحى من مناحي الحياة هناك.

والقد احيوا مؤخراً، على سبيل المثال، روابط القرى القديمة. وكانت هذه محاولة جرت في عام ١٩٨٢ من اجل السيطرة على للسكان من خلال شبكات المتعاونين الفاسدين فيما دعي بروابط القرى. فمعظم السكان المحليين ضبطوا بواسطة المتعاونين المحليين، بطريقة مشابهة لما كانت تقوم به حكومة جنوب افريقيا العنصرية تجاه السكان السود، ووضعهم في غيتو خاص بهم. وفي الحقيقة، فإنها نفس الطريقة التي كان يستخدمها النازيون في غيتو وارسو لليهود. إلا ان روابط القرى لم تستطع ان تستمر في ذلك الوقت، بيد انهم يحاولون الآن إحياءها. وهذا سيعني بأن عدد من المسؤولين الفاسدين من المتعاونين مع الاسرائيليين سيسيطرون على كل نواحي الحياة. فإذا ما أريت رخصة قيادة سيارة، أو اذا ما أريت ان تقطع الشارع، أو اذا ما أريت ان تتزوج، فان عليك ان تدفع لهؤلاء. وتاماً، فإنه توجد هناك شبكة من الضوابط المشددة، ومضايقات اعتباطية، وإذلال يومي، وعقوبات شديدة، واعمال ضرب وأذى، إنها شبكة كاملة من اعمال العنف والوحشية لجعل السكان يفهمون من ان الحياة تسير لتكون غير قابلة للتحمل أو الحياة تماماً، ما لم يستسلمون تماماً للسلطات الاسرائيلية. وحتى لا يمكنهم ان يعبروا عن مشاعرهم، وحتى ان لا يرفعوا رؤوسهم.

■ سؤال : لقد غطيت بعضاً من هذه الأمور في مقال كتبتة عام ١٩٩٠

تحت عنوان «فن المراوغة: دبلوماسية الشرق الأوسط». وكنت اتسائل فيما اذا كان بإمكانك ان تتحدث حول حملة مقاومة الضرائب الغير عنيفة والتي جرت في بلدة بيت ساحور بالضفة الغربية، وخصوصاً تعليقك الذي اخبرتني به قبل فترة وجيزة من ان خطوة السلام الاميركي قد فشلت حقاً في هذه الناحية ؟

جواب : لقد كانت حملة احتجاج غير عنيفة تماماً في هذه البلدة «المسيحية»، في الضفة الغربية. وكان الاحتجاج بسبب الضرائب، ورفض دفعها. وهو يعتبر عملاً مشروعاً. فالضرائب لن تستخدم من اجل منفعة السكان. انه نوع من الابتزاز، في الحقيقة، وسيستخدم المال من اجل عملية سجن السكان وبشكل فعال فحسب. لذلك فقد رفضوا دفع تلك الضرائب. فاعلن وزير الدفاع الاسرائيلي انذاك، اسحق رابين، وبوضوح تماماً بأنهم، اي القوات الاسرائيلية، ستقوم بفرض عقاب شديد من اجل ذلك. فوضعت البلدة

تحت نظام منع التجول. وحدثت اعتقالات اعتباطية وعشوائية وأعمال ضرب وأذى. وانتهى الأمر بمصاهرة معظم الأملاك في البلدة، أو سرقة معظمها. إلا أن كل ذلك ووجه بثبات تام من السكان وصمود.

والعودة للنقطة التي أثيرتها: فلا توجد هناك حركة غير عنيفة في الولايات المتحدة تحض الشعب على القيام بمقاومة غير عنيفة. والناس الذين يتحدثون عن مقاومة غير عنيفة يمكن أن يؤخذوا على نحو جاد. ومدافعون أكثر جدية عن عدم العنف، إذا لم يفعلوا ذلك بالكلام فقط وإنما بالفعل حقيقة، ويساهمون كأفضل ما يمكن في دعم المقاومة المستمرة للغير عنيفة. بيد أن أنشطة المقاومة غير العنيفة لا يمكن أن تنجح ضد عدو قابر على استخدام العنف بحرية. وهذا واضح جداً. فلا يمكنك القيام بمقاومة غير عنيفة ضد النازيين في معسكر للاعتقال مثلاً.

ويمكن للمقاومة الغير عنيفة أن تنجح إذا ما كان هناك تآكل لقدره الاضطهاد أو القمع، وذلك يعني الاشتراك ضمن معسكر المضطهد. ونحن جميعاً منخرطون مباشرة في هذا. إذ أن الولايات المتحدة تعمل ذلك، وتتفجع من أجله، وتشجعه. ولم تكن هناك ردة فعل لاحظتها هنا، ولا أيضاً ردة فعل واضحة لدعم هذه الأنشطة الغير عنيفة للمقاومة. وكان هذا قائماً لعدة سنوات طويلة قبل قيام الانتفاضة حيث كانت هناك أحداث وجهود مقاومة غير عنيفة في الضفة الغربية، والتي قمعت بالقوة بسهولة. ومنها على سبيل المثال، الاضرابات التجارية، أو اضراب التجار واصحاب المحلات التجارية. فعندما كان التجار في الضفة الغربية يضررون احتجاجاً على الاحتلال، تأتي قوات الجيش الاسرائيلي وتقوم بلحم أقفال محالهم، أو كسرهم وإجبارهم على فتح محالهم، أو اعتقالهم. وبشكل طبيعي، فهذا يتجاوز القيام بأي عمل غير عنيف للمقاومة. وحيث أنه لم يكن أو يصدر هنا أية ردة فعل على ذلك، وبالطبع فلم تكن هناك أية ردة فعل في اسرائيل ذاتها، لذلك فالقمع يمكن أن يستمر. وهذا يبين لنا بأن دعوة الشعب للإبقاء على الوسائل الغير عنيفة لن تؤخذ على محمل الجد. وربما يكون أمراً صحيحاً لفعل ذلك أو ربما لن يكون أمراً صحيحاً للقيام به، بيد أنه لا يمكنك أن تلخذ أولئك الناس الذين يدعون الآخرين للقيام بمقاومة غير عنيفة، على محمل الجد، بل أنهم، أولئك الناس، لا يشاركون في مساعدتهم عندما يقومون بذلك.

■ سؤال : لقد اشرت في مقالك المذكور بان خطة بيكر ما هي إلا خطة

شامير ذاتها، فما هو تعليقك ؟

جواب : إن خطة بيكر هي بالفعل خطة شامير - بيريز، ولأن كلا الشخصين أو الفريقين هما متواجدان في اسرائيل، على عكس ما يقال هنا، فهما في وفاق تام بهذا الصدد. ولا يوجد هناك أي فرق بينهما بصورة أساسية.

■ سؤال: هل هناك أي مكان لممثلين فلسطينيين ضمن هذه الصيغة ؟

جواب : لا، وهناك اختلاف تماماً بشأنهم. ويقدر ما أنا مدرك لذلك، فإن بنود خطة بيكر - شامير - بيريز لم يعلن عنها هنا مطلقاً، كما أنه لم يعلن عنها في أي مكان آخر، وهذا امر مثير للدهشة، إذ أن هذا الامر يخص الحكومة الاميركية مباشرة كما يخص وسائل الاعلام الاميركية ايضاً. لا سيما وانها الخطة الوحيدة المطروحة في الوقت الراهن، وهم (الاسرائيليون) الذين يطلبون بها امامنا، ولم يبلفونا بفحواها بعد. وقد بدأت خطة بيكر - شامير - بيريز بما اطلق عليه بفرضياتها الأساسية الثلاث: الفرضية الأولى، هو انه لا يمكن أن تكون هناك دولة فلسطينية تقع بين كل من اسرائيل والاربن. كما انه لن يكون هناك حق تقرير المصير للفلسطينيين. فهم قد حصلوا عليه حالياً. ولن يكون هناك تقرير مصير آخر.

والفرضية الثانية هي انه لا يمكن أن تكون هناك مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية، وما توافق عليه اسرائيل هو التفاوض مع ممثلين فلسطينيين من المناطق المحتلة. ولقد اوضح السبب لعدم اجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية. فاستحق شامير صرح في الكنيست بأنه كان يرغب في التحدث مع الشيطان على ان يجري مفاوضات مع منظمة التحرير. والسبب ان منظمة التحرير تعتبر «منظمة ارهابية»، على حد تعبيره. ومضى يقول، «ولكن اذا ما تحدثنا الى منظمة التحرير، فاننا سنتحدث عن دولة فلسطينية، وهذا امر لن نقبله أبداً». وهكذا فإن النقطة الثانية في هذه الفرضيات الثلاث، هي عدم قبول اجراء مفاوضات مع ممثلين سياسيين للفلسطينيين، والسبب في ذلك يكمن بأنه لن يكون هناك انخراطاً بمسألة الدولة الفلسطينية.

والفرضية الثالثة هي انه لن يكون هناك تغيير في وضع قطاع غزة، وديهودا

والسامرة، أو الأراضي المحتلة، باستثناء ما ينسجم مع الخطوط الرئيسية للحكومة الاسرائيلية، وتلك الخطوط الرئيسية تستثني امكانية حق تقرير المصير الفلسطيني. فتلك هي الفرضيات الثلاث للحكومة الاسرائيلية.

ومع مثل هذه الشروط، فإن الخطة لا تبدو على انها جادة في هدفها، بل ان الولايات المتحدة هي النواة الوحيدة في العالم التي ساندتها ودعمتها. حتى ان صحيفة «التايمز» نفسها قد اشارت الى انه لا توجد أية دولة سوى الولايات المتحدة قد وافقت على هذه الخطة. بيد انه في هذه الناحية يجب علي القول انه من مصلحة وسائل اعلامنا ممارسة التحيز الفكري. ولنأخذ صحيفة نيويورك تايمز، مثلاً، فانها لم تشر الى بنود الخطة مطلقاً. فقد قالت فقط، انظروا، فهذه هي الخطة الوحيدة فقط موجودة هناك، ولا يوجد بديل غيرها مطروح. كما اشارت بوضوح الى انه لم تؤيد هذه الخطة من دول العالم سوى الولايات المتحدة، إلا ان الصحيفة ذاتها كتبت مقالاً فيما بعد بعنوان «السوفييت يحاولون ان يصبحوا طرفاً لاعباً في الشرق الاوسط». انهم يحاولون لان يصبحوا طرفاً لاعباً في الشرق الاوسط فما يعني هذا؟ انه قد تحول من دعمه للمواقف الراديكالية وسياسة المواجهة مع الولايات المتحدة، وانه (الاتحاد السوفياتي) الآن يريد الانضمام للولايات المتحدة من اجل هذا الغرض. تلك انه حتى يصبح فريقاً لاعباً هناك فإن هذا يعني الانضمام مع الولايات المتحدة لتحقيق تلميذ بولي بهذا الصدد.

فماذا كانت تلك المواقف الراديكالية التي كان الاتحاد السوفياتي ينتهجها سابقاً؟ فقد كان يدافع عن وجود دولتين، اسرائيلية وفلسطينية، كغيره من الدول الأخرى في العالم. ولا يمكنك تصور ماذا سيجول في افكار الناس الذين يمكنهم ان يكتبوا حول تلك الامر. فهم سيقولون من ان الولايات المتحدة مستعزل تماماً في حين يحاول الروس ان يصبحوا فريقاً لاعباً بانضمامهم لنا. ويعني آخر فإذا لم يكن العالم بصفنا، فان العالم على خطأ تماماً، وحتى لو كان العالم برمته على الجانب الآخر.

■ سؤال : كما تشير غالباً، فإن عملية السلام ستسير وفقاً لما

تقترحه الولايات المتحدة، فكيف ذلك ؟

جواب : تلك هي الطريقة التي تعمل بموجبها، الا انه لا بد لي من القول انه ضرب من الغرابة لنرى مستويات مفرطة من الخداع الذاتي والتضليل يصل الى مجتمع ايولوجي عالٍ كمجتمعنا. بحيث ان الجماهير يمكنها ان تقرأ عنواناً مفاده ان «الاتحاد السوفيياتي يحاول ان يصبح طرفاً لاعباً في الشرق الأوسط، لينضم اليها في معارضة بقية ارجاء العالم، وان لا يملكها الضحك من جراء ذلك.

■ سؤال : دعنا نتحدث عن اميركا الوسطى. لقد اصدر رؤساء جمهوريات اميركا الوسطى اعلاناً في مؤتمرهم الذي عقد في كوستاريكا في شهر كانون اول ١٩٨٩، عبروا فيه عن دعمهم الحاسم للرئيس السلفادوري الفريو كريستيانى ولحكومته كإظهار مخلص لسياساتهم الثابتة في دعم الحكومات الناجمة عن عمليات الديمقراطية والتعددية والمشاركة السياسية. وقد طالبوا بقوة بان ينبذ ثوار فيكاراغوا علناً كافة انواع واعمال للعنف التي تؤثر بصورة مباشرة وغير مباشرة على السكان المدنيين. وانني مهتم لان اعرف لماذا وقع دانييل اورتيغا مثل هذا الاتفاق ؟

جواب : ان ظهره مسنود الى الحائط فهم يحاولون بيلس بلن يضموا الولايات المتحدة لاتفاقهم المبكر من اجل تشتيت او تفكيك ثوار الكونترا، وهم مستعدون لان يوقعوا على اي شيء على ما يبدو. فهذا انتصار عظيم للولايات المتحدة، للتوقيع على تلك المعاهدة. وان التضمن الوحيد الذي ذكر في الاتفاق هو انه ينبغي على الولايات المتحدة ان توقف فوراً أي تمويل لثوار الكونترا، ويجب ان ترسل الاموال عبر الامم المتحدة، بيد انه بالطبع ان كل واحد يفهم ان الولايات المتحدة ستستخف بذلك، لانها لا تلتزم بآية قوانين او معاهدات بولية. لذلك فان هذا الاتفاق الموقع لا يعني شيئاً تماماً. فلقد اعلنت واشنطن للتوبلته لا معنى او اهمية له. لذلك فانه يمكننا ان نضع ذلك جانبا.

ومع ذلك، فان السبب في ان الولايات المتحدة قد نالت نصراً كبيراً من جراء ذلك لعدة سنوات لانها كانت تحاول عمل مقارنة ما بين ثوار السلفادور وثوار الكونترا. وانها لمقارنة سخيفة ومضحكة. فثوار السلفادور هم قوة من الثوار المحليين تتألف بشكل رئيس من أبناء الشعب الذين أجبروا على النزوح الى الجبال من قبل الولايات

المتحدة، أو بواسطة الارهاب المنظم. وهم يقاتلون داخل بلادهم وبدون أي دعم خارجي، في حين ان ثوار الكونترا، من جهة أخرى، هم من المرتزقة الأجانب أو جيش من المرتزقة شكل من قبل الولايات المتحدة، هي القوة العظمى التي تدبر تلك المنطقة، ووضع هذا الجيش في دولة أجنبية، وزود بمختلف انواع السلاح الاميركي بشكل يفوق ما لدى أي جيش من جيوش دول اميركا الوسطى، وهو بعيد عن كونه قوة ثورية. وليس له أي برنامج سياسي. حتى انه ليس له أية ميزة من ميزات حرب العصابات أو صفة الثورية. لذلك فإن عقد أية مقارنة ما بين ثوار السلفادور والكونترا هو أمر سخيف.

إلا أنه عبر استخدام العنف والارهاب، فإن الولايات المتحدة قد نجحت في انشاء تلك المقارنة، كما انها قد نجحت في انشاء شرعية تلك الدولة الارهابية والتي لا يتمتع سكانها بأي نوع من الديمقراطية الفعلية. فلدى السلفادور انتخابات وعمليات اقتراع. إلا انها لم تذكر هنا بسبب نتائجها الخاطئة، ولكن على مر السنوات عندما كانت الولايات المتحدة تهذي بالديمقراطية السلفادورية، كانت الاستطلاعات تظهر ان حوالي عشرة بالمائة من السكان كانوا يرون انها كانت عملية ديمقراطية. والمهم أنه لا أحد في تلك الحكومة أو الأوصاع التي انتخبت فيها وقال كلمة «ديمقراطية» بون أن يرتعد أو يرتجف. بل إن الولايات المتحدة، وبواسطة إشرافها على وسائل العنف والارهاب، قد نجحت في خلق هذه الأوصاع. وبالطبع فان متطلبات الاتفاقات التي من المفترض أن تحافظ عليها الولايات المتحدة قد اعتبرت على الفور عبئاً الأهمية لأن الولايات المتحدة لا تحافظ على الاتفاقات أو المعاهدات.

■ سؤال : لنأخذ ما قلته الآن، وايضاً على الهجوم المطول والمدهش الذي قام به ثوار سلفادور في شهري تشرين ثاني وكانون اول لعام ١٩٨٩ في العاصمة سان سلفادور، فكيف كان دور وسائل الاعلام الاميركية والقيادة السياسية في حث والقناع الجمهور بمساندة الديمقراطية في السلفادور مقابل هذه الديكتاتورية المرعبة في نيكاراغوا ؟

جواب : كيف عملوا على إقناعهم؟ اعتقد بأن ذلك قد نفذ منذ سنة. وكان هناك لجمعاً فعلياً في وسائل الاعلام الاميركية - وهذا يعود الى أوائل عام ١٩٨٠ - من ان السلفادور

هي بلد ديمقراطي قتي، وان نيكاراغوا هي دولة بيكتاتورية لم تشهد اية انتخابات ديمقراطية. وهنا تكون وسائل الاعلام الاميركية عاقبة على الاجماع بشكل اساسي. فكما تعرف، فقد فمت بكتابة تحليلات مفصلة كثيرة حول ذلك. وفي مثل هذه المسائل فان الولايات المتحدة تعتبر افضل دولة بيكتاتورية منظمة

بيفيد باراسميان : علينا استقبال بعض المكالمات الهاتفية.

■ سؤال من احد المتصلين : إن سؤالي يتعلق بعدم الاستجابة القامة للحكومة الاميركية بالنسبة للمسائل الحاصلة في امريكا الوسطى، الشرق الأوسط، ولشاكلنا الداخلية الذاتية ايضاً، سواء كان من قبل الديمقراطيين ام الجمهوريين على حد سواء، وما يتعلق بتمويل فرق الموت في السلفادور والاعمال الوحشية في الضفة الغربية، وقد نفذ ذلك من جراء اصوات الحزب الديمقراطي، ويبدو لي باننا نحتاج في الحقيقة الى بعض التغيير الاجتماعي. لذا لم تكن ثورة اجتماعية سريعة. وسؤالي هو كيف يمكن عمل ذلك. ويبدو لي بانه مهما فعلنا فان علينا انتهاء النهاب عبر الساحة السياسية. ولا اريد ان اجعل هذا خياراً مجبراً، واذا ما رايت او فكرت بطريقة ثالثة فاني اود ان اسمعها. فيبدو لي باننا حصلنا في الحقيقة على خيار سواء بالعمل ضمن الحزب الديمقراطي او محاولة ما يمكن ان تدعوه بطريقة ثالثة او بشكل صحيح حزباً ثانياً. وكلا هاتين الطريقتين او الوسيلتين قد جربنا في الماضي ولم تنجحا. فهل لديك اي تعليق حول اي من هاتين الطريقتين من المحتمل ان تنجح ؟

جواب : اعتقد بانه من نوع من خيار قرض أو أجبر. والحقيقة هي انه ليس لدي أي مانع ضد العمل من خلال نظام حزبي اذا ما وجد ذلك. والمهم هو ان الأحزاب السياسية لا تنشأ وتنمو من فراغ اجتماعي. لأنها تعكس الواقع الاجتماعي. والواقع الاجتماعي في الولايات المتحدة هو انه مجتمع عملي. وأولئك الذين يسيطرون على القرارات والمصادر فانهم يسيطرون ويشكل ساحق على النظام السياسي. لذلك فنحن لسنا بحاجة الى نظام الحزبين في الولايات المتحدة. نحن بحاجة الى نظام الحزب

الواحد، وكان لنا ذلك من خلال معظم التاريخ الأميركي. فذاك الحزب الواحد يتلف من قطاعات أو فصائل متغيرة لطبقة أو فئة الأعمال، «طبقة الملاك»، كما أطلق عليها رايت ميلز. فنلك لماذا، كما قلت، توافق على الأحزاب، أو الحزبين في أميركا: لأنها تمثل نفس القطاعات الاجتماعية. إنهم يمثلون أولئك الذين يمولوهم. وأنهم يمتلكون مصالح أصحاب الأملاك، المدراء، القطاعات المتنفذة نسبياً، الخ. إلا أن هناك استثناءات لذلك، بيد أنها مرة ثانية، تعتبر نوعاً من الهوامش. إن هناك مشاركة سياسية ضئيلة جداً في الولايات المتحدة. وأصحاب المناصب غالباً ما يفوزون في الكونغرس. ففي الانتخابات الأخيرة كما اعتقد كانت نسبتهم تشكل حوالي (٩٨) بالمئة، وهي تعادل النسبة التي كانت موجودة في المكتب السياسي قبل عهد غورباتشوف. وهذا يعني بأنه لا تعرض هنالك قضايا على بساط البحث في الحقيقة. كما أن الجماهير لا تكثر لذلك لأنها تمثل قطاعات مختلفة من السكان ولها قضايا مختلفة أيضاً. وفي الانتخابات الرئاسية، فإنه حتى لا أحد يتظاهر من أن هنالك أية قضية أو مسألة موجودة. ففي انتخابات عام ١٩٨٨ كانت المسألة الوحيدة التي أثارت التساؤل، هي كل ما كان باستطاعة بوكايس أن يتفادى رجمه أو قذفه بالطين من قبل لي أتوتر. فقد كانت تلك القضية في انتخابات عام ١٩٨٨. وفي الانتخابات المبكرة التي جرت كانت المسألة التي أثبتت: هل كان بإمكان رونالد ريفان تفكر الخطوط التي طلبت منه أن يعلمها. إلا أن المسائل لم تثار. وعندما يحدث ذلك، فإن الشعب لا يعبأ بها. لذلك فإن الحديث عن التفعيل داخل النظام السياسي خادع بعض الشيء. فليس لدينا نظام سياسي بمعنى الكلمة، ما عدا بشكل هامشي.

وإذا ما استطعت إعادة صياغة سؤالك: كيف يمكننا خلق نظام سياسي متفاعل؟ فنلك يعني، كيف يمكننا خلق قاعدة اجتماعية يمكن أن تبرز من خلالها قضايا سياسية، وأن يصبح الشعب مشتركاً وبصورة فعالة في صياغة المواقف السياسية، وفي وضعها على جدول الأعمال، وفي توضيحها، وتقرير أي منها مرغوب فيها أو غير مرغوب فيها. ومن ثم الكفاح من أجلها. فنلك سيكون ثورة اجتماعية. وعندئذ أن تفعل ذلك من خلال النظام الرسمي الحالي. فنلك نوع من التغيير المطلوب.

إن نلك لا يحدث هنا لأنه لا توجد هناك وسائل للناس أو الجماهير لأن تتجمع مع

بعضها البعض وعلى مستوى فعال لدخول هذه العملية. وربما يمكنك ان تفعل ذلك في الانتخابات الداخلية في «بولدر» لأن المجتمع هناك صغير تماماً، ولذلك يمكن ان ينجز. ولكن لانجاز ذلك في مجتمع كبير العدد او على مستوى الدولة او مستوى الأمة، فان ذلك يتطلب تنظيماً ومصادر. ففي العديد من الدول الصناعية الغربية او الديمقراطية، فان ذلك ينجز من خلال الاتحادات او النقابات العمالية، الا ان الولايات المتحدة لا تحتوي على نقابات بشكل اساسي. فلدينا طبقة رجال اعمال واعية، وهذا كل ما لدينا. وهناك اهداف هذه الطبقة الواعية. والتي اعتبرت ان النقابات العمالية ضعيفة جداً، وحتى عندما تؤدي وظيفتها، سوى في فترة قصيرة، فانها تكون نقابات او اتحادات عمل بصورة اساسية.

ومن المواقف التذكّر الآن بأنه كان هناك كفاحاً طويلاً فيه مقدار كبير من البطولة ومقاومة ضخمة وتكريس لمحاولة جعل ساعات العمل في الاسبوع (٤٠) ساعة فقط واستمر العمل بهذا النظام لمدة عامين بعد تحقيقه وانجازه. إلا انه اصبح حلاً الآن. فبالنسبة للعائلات (افراد العائلة) في الوقت الراهن فان عدد ساعات العمل يتجاوز مائة ساعة عمل في الاسبوع، لأن اجر او راتب واحد في العائلة لا يكفي لمعيشة العائلة. بل حتى أن العمال لا يتوقعون أن تكون عدد ساعات العمل (٤٠) ساعة اسبوعياً. لذلك فان انجازات للحركات النقابية، والتي لم تكن غير حقيقية، هي متاكلة جداً وبشكل عشوائي. وكان هناك ركوداً أو هبوطاً في معدل الأجور الحقيقية في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٣. وذلك بشكل لم يسبق له مثيل. وهذا عائد الى النجاحات التي حققتها طبقة رجال الاعمال وطبقة الرفاه الاجتماعي، والتي حطمت اية مقاومة منظمة ضدها. وهذه ناحية رئيسية لتسييس للمجتمع. وقد قام للحزب الديمقراطي سابقاً بنشاط جيد في هذا المجال. ولا اعتقد بأن برنامج الاصلاحات هو مهم جداً.

والسؤال هو، هل يتفاعل هذا النظام؟ والجواب هو: انه يتفاعل كانعكاس لواقع المجتمع، إلا ان ذلك الواقع قد همش أو أبعد عن عملية صنع القرار كلياً، باستثناء قطاع صغير جداً لأجزاء أو نخبة من السكان أو الشعب المتنفذة وصاحبة الامتيازات، أي للطبقة أو الفئة الحاكمة.

■ سؤال من أحد المستمعين : إنه يبدو يا بروفيسور تشومسكي، أنك ناقد للمجتمع فحسبه ولكن ليس لديك برنامج محدد أو بديل سياسي أو نظام سياسي معين تدافع عنه بوضوح. وإن في كل ما تكتبه أو ما تقوله، فإنك تقدم فقط حلولاً غامضة وغير واضحة تماماً. فإنك تتحدث بشكل غامض عن ثورة اجتماعية أو شيء من هذا القبيل، إلا أنك لا تقول بشكل ملموس ما هو اعتقادك بالضبط وسؤال آخر، أود أن أسأله لك حول موازنة البنتاغون، والتي تشكل فقط حوالي ستة بالمائة من الناتج القومي العام، وإن المشتريات العسكرية تشكل ما بين اثنين إلى ثلاثة بالمائة فقط من الناتج القومي العام. فإذا ما كنت تعتقد بأن ذلك يشكل فائدة للصناعات التكنولوجية العالية، فإنه يبدو كما لو أنه يقدم تشجيعاً للحكومة بأن تقدم دعماً وتمويلًا مالياً مباشراً للصناعات التكنولوجية العالية، إذا ما أرادت أن تقوم بذلك. وحتى من المحتمل أن الشعب سيكون داعماً لذلك كما يحدث الآن في اليابان. وثالثاً، فأنني اسمعك تنتقد وتنتقد وتحدث عما لا تحبه أو لا تريده بالنسبة للنظام السياسي والاقتصادي في الولايات المتحدة. فهل هناك أي شيء، أي شيء آخر تود أن تقوله الآن فيما يتعلق بالنظام السياسي والاقتصادي الأميركي توافق عليه، وتعتقد بأنه يشكل إنجازاً، أو نجاحاً ؟ فلو أن اسمع إذا ما كان بإمكانك أن تقول أي شيء إيجابي حول سياسات واقتصاديات هذه البلاد ؟

جواب : النقطة الأولى، إنك تقول بأنني لم أكتب حول ما أعتقد بأنه كان يشكل خياراً بديلاً، فنلك ليس صحيحاً. فلقد كتبت كثيراً حول ذلك. ومن المحتمل أنك لم تقرأه، أو أن ذلك لم يكن سهل الوصول إليه، بالنسبة لك. وقد كتبت كثيراً عما أعتقد بشأن وجود مجتمع حر، وما ينبغي أن يكون عليه، وما يمكن أن يعني الأمر في اتباع المثاليات الديمقراطية الرأسمالية لحركة التنوير، على سبيل المثال، وترجمتها إلى شكل من الأشكال يمكن تطبيقه على مجتمع صناعي حديث. كما أمكنني أن أمضي وأصف ذلك. وماكون مسروراً بأن أقدم لك مصادر لي بهذا الشأن.

والنقطة الثانية: فإن الأرقام التي تتعلق بالنسبة المئوية للنتائج القومي العام هي لا قيمة لها أو عديمة الأهمية تماماً. فالنقطة أو الشيء المهم هو أن مدراء المؤسسات أو الشركات في عملية الصناعة المتقدمة - وهذا ينطبق على الصناعات الالكترونية، أجهزة الكمبيوتر، الأجهزة الطبية، الخ - باستثناء أن الحكومة، وأعني بذلك القطاع العام، سيتحمل التكاليف الباهظة لعملية الانتاج، وخاصة المراحل التي لا تكون قابلة للنفع والفائدة - مثل عمليات الأبحاث والتطوير. فهذا يمكن أن يدفع من قبل الحكومة أو القطاع العام. علاوة على ذلك، فإن القطاع العام، ومن خلال البنتاغون، يوفر سوقاً أو تسويقاً مضموناً لذلك، وهو أمر متوفر لاستيعاب الانتاج الفائض اذا لم تستطع الأسواق التجارية استيعاب ذلك. فهذه تعتبر هبة بالنسبة للمؤسسات أو الشركات. وانها تعتبر كبطانة أو قاعدة من أجل عملية التخطيط فعندما يمكن ان يباع أي شيء في السوق، فإنه يمكنك ان تبيعه أو تسوقه. وإذا لم يكن كذلك، فإن المشتريات العامة، أو مشتريات القطاع العام ستفي بهذا الغرض. علاوة على ذلك، فإن القطاع العام أو الحكومة ستمدفع التكاليف في حين تجني المؤسسات الفائدة. وإذا ما نظرت الى الصناعات أو المؤسسات الصناعية فإنك ستري كيف هذا يسير. فلنأخذ، مثلاً، صناعة أجهزة الكمبيوتر، وهي تشكل جوهر الصناعة الحديثة في الاقتصاد.

ففي الخمسينات، فإن هذه الصناعة لم تكن قابلة للتسويق، لذلك فإن الحكومة أو القطاع العام كان يدفع مئة بالمئة من تكاليف عمليات الأبحاث، التطوير والانتاج من خلال البنتاغون. أما في عقد الستينات، فقد بدأت هذه الصناعة لتكون قابلة للتسويق في الأسواق التجارية، لذلك فقد انخفضت نسبة مشاركة القطاع العام فيها الى حوالي خمسين بالمئة. فالقصد هنا أن القطاع العام يدفع التكاليف، في حين أن المؤسسات والشركات تستفيد من ذلك. فالمساعدة الحكومية والاستفادة الخاصة، هي ما ندعوه بالمشاريع الحرة. وفي الثمانينات، أصبحت هناك اتفاقات أساسية مطلوبة من أجل انتاج أجهزة كمبيوتر متقدمة أو من الجيل الخامس المتقدم. لذلك فإن مشاركة القطاع العام قد ازدادت بالنسبة للتكاليف الأساسية، وذلك من خلال حرب النجوم والبنتاغون، الخ. فتلك هي الطريقة التي تسير بها الأمور. لذلك فإن نسبة النتائج القومي العام لا تعطيك أي شيء له صلة بهذه العملية.

وبالنسبة لسؤالك من عدم توجه الحكومة للشعب أو القطاع الخاص لهذا الدور، وحسب الطريقة أو النمط الياباني، فإن الجواب هو، من وجهة نظري، وكان هذا هو الجواب الذي تقدم به القطاع الخاص أيضاً وهو محق في ذلك، من أن القطاع العام أو الحكومة لن يكون متساهلاً في ذلك. فلا يوجد هنا، في الولايات المتحدة، شعب طيع أو مطيع كما هو الحال في اليابان. فليس بمقبورك أن تأتي وتقول للناس هنا: انتبهوا، في العام القادم ستخفضون من استهلاككم نسبة معينة من أجل أن تحقق جهة ما منفعة أو فائدة أكثر، ومن ثم فإنه ربما بعد عشرة سنوات من الآن فإن ابنتك أو ابنتك سيحصل أو تحصل على عمل. فهذا لن ينطبق هنا. فإن ما يمكنك أن تبلغ الناس هنا هو: إن الروس قادمون، لذلك فإن من الأفضل أن نرسل عدداً كبيراً من الصواريخ إلى الفضاء الخارجي، ومن ثم فإن ذلك سيأتي بالمنفعة والفائدة، وربما بعد عشرة سنوات فإن ابنتك سيحصل على وظيفة أو عمل. فهذه الأمور لا تزعج نفسك بالحديث عنها.

■ سؤال : من أين اقتبست أو جلست بهذا ؟ فهل هذا من بعض تحليلاتك في الشؤون العسكرية أم ماذا ؟

جواب : إن ما أقوله هو ما يقوله السياسيون في الولايات المتحدة بالضبط .

■ سؤال : إنني لم اسمعهم يقولون ذلك من قبل ؟

جواب : ألم تسمع أي سياسي في الولايات المتحدة يقول، إن الروس قادمون، وعلينا أن نمتلك المزيد من الصواريخ ؟

■ سؤال : وإنني لم اسمعهم أبداً يقولون أننا بحاجة إلى ذلك لأن علينا تعويل بعض للصناعات التكنولوجية العالية ؟

جواب : إنك لم تسمع ما قلته للتو. لقد قلت بأن آخر جملتين أضفتهما لم تكونا مما يقال علناً. فما يقال في الولايات المتحدة هو، انتبهوا، علينا أن ندافع عن أنفسنا، فنحن بحاجة لحرب النجوم، ونحن بحاجة لنظام البتاغون، وأن تأثير ذلك هو لاتجاز وتحقيق ما وصفته للتو فيما يتعلق بصناعة الكمبيوتر، أو بالصناعات الشبه موصلة، أو أية صناعة كانت. وذلك لأن لدينا نظاماً حراً نسبياً. وإذا ما اتجه السياسيون نحو الشعب ليقولوا له، انتبه، فقد قررنا في العام القادم أن نخفض من استهلاكك، ذلك حتى تحقق

صناعة ما منفعة أو فائدة اكثر، فان ربة الفعل في الولايات المتحدة ستكون قوية ومربحة قاتلة: من أنتم حتى تبلغوننا أمر التخفيض ومن هو ذلك القطاع الصناعي الذي سيجني الفائدة من ذلك؟ وإذا ما كان ذلك سيكون قراراً اجتماعياً من ذلك النوع، فأنني أريد ان اشارك فيه. وهذا بالضبط لماذا لا يريد قطاع العمل ان يكون موضوعاً بمثل تلك الشروط فرجال الأعمال لا يريدون ان تكون هناك سياسة اجتماعية ما، تهدف الى تنظيم الشعب، ليكون مشاركاً في قرارات الاستثمار. وهذه مسألة طرحت على مدى سنوات، ولعدة مرات، في صحافة مجالات العمل. وبالعودة الى حقبة الأربعينات، فإنه من المعترف به، ويوسع أي اقتصادي كان ان يبلغك، انه يمكنك ان تحصل على نفس التأثير الرئيس بالنسبة للصناعة، وربما حتى اكثر تأثيراً، من خلال الأشكال الأخرى لتفاعل الحكومة خارج نطاق الانتاج الحربي او الصناعات العسكرية.

المستمع : صحيح . فذلك هو ما قصته.

تشومسكي : بالتأكيد يمكنك ان تفعل ذلك، بيد ان ذلك لاصلة له بالموضوع. وسوق العمل يفهم بالضبط لماذا لا صلة له بالموضوع. ويوسعك ان تعود الى مقالات مجلة «بزنيس ويك» (الأعمال الأسبوعية) التي كتبت في اواخر الأربعينات، حيث انها كانت تشير الى انه كان يوجد هناك أسلوبان: الأول، هو النظام العسكري، والأسلوب الآخر لا بد وانه سيكون الاتفاق الاجتماعي، وتطوير البنية التحتية، والمستشفيات، وقطاع الخدمات، الخ، او الانتاج المفيد بيد ان الامر الاخير ليس عملياً. فسيعمل من خلال وجهة نظر اقتصادية وفنية، بل وانه سيحتوي على كافة انواع المؤثرات الغير مرحب بها. فعلى سبيل المثال، فانه يهدف الى تنظيم بوائر انتخابية. فاذا ما ارابت الحكومة الاشتراك في تنفيذ النشاطات التي تؤثر في وجود الشعب مباشرة، فإن الشعب يكون على استعداد للمساهمة فيها ايضاً.

سؤال من مستمع آخر : بروفيسور تشومسكي، إنه لمن بواعي سروري ان اسالك هذه الاسئلة: إنني من كندا، حيث كتبك متوفرة في كل متجر للكتب هناك. وفي كتابك الاخير بعنوان «الآوهام الضرورية»، فإنني لم ار وجوداً للافكارك في اميركا. ولمَ ذلك؟ هذا هو السؤال الاول. اما السؤال الثاني فهو:

هل لديك اي تعليق على موقف وتغطية وسائل الاعلام للوضع في السلفانور فيما يتعلق بمقتل ستة من رجال الدين الجزويت؟ والسؤال الثالث يتعلق بالشرق الاوسط: فقد سمعت تعليقاً إثر تعليق من اناس مثل مارتن بيرتز وغيره فيما يتعلق بالفلسطينيين، فهل هم من المسلمين، وانهم يفتنون لقبائل متوحشة، وانهم يعيشون في عصر ما قبل عصر التنوير، وانهم يشكون تهديداً لاسرائيل، واسرائيل هي دولة ديمقراطية. فلم يجب علينا السماح بوجود خنجر آخر يطعن بوجود اسرائيل؟ اود ان اسمع تعليقاتك او اجاباتك على هذه الاسئلة الثلاث؟

نعوم تشومسكي:

بالنسبة لتوفر الكتب، فان وصفك هو صحيح، ولكن ذلك الكتاب هو جزء واحد فقط من ذلك. فعلى سبيل المثال، فإن هذا الكتاب الذي ذكرته مرتكز على محاضرات القيت عبر هيئة الاذاعة الكندية حول المشاكل التي تحيط بالمجتمعات الصناعية. وسيكون من المستحيل تقريباً ان يقارن ذلك مع ما يحدث في الولايات المتحدة لاية مشكلة عامة رئيسية. فالولايات المتحدة مختلفة عن اية دول اخرى في هذه الناحية. ومعظم مجتمعات الدول الصناعية، حتى المشابهة جداً لمجتمعنا، مفتوحة اكثر بكثير في وسائل اعلامها العامة بالنسبة للآراء المعارضة. وهناك اسباب عديدة لذلك.

والسائل السابق سال فيما اذا قلت اي شيء جيد عن الولايات المتحدة من قبل. وكان جوابي هو غالباً جداً. ومن إحدى الأمور الجيدة تماماً في الولايات المتحدة هو مقدار درجة الحرية التي تتمتع بها هناك. انها تحتوي على مجتمع حر، اكثر بكثير من اي مجتمع اخر، وان هذه الحرية العالية تؤدي الى حدوث مشاكل. واذا لم تستطع السيطرة على الناس بالقوة، فان عليك ان تجد وسائل اخرى للسيطرة عليهم. وبالنسبة للحرية الاميركية، والتي هي ظاهرة غير عادية، فانها تخلق مشاكل بسبب الاجراءات المتقدمة جداً. ومن بين هذه المشاكل ان آراء المعارضة او المنشقين لا تسمع، مع انها لا تقمع بالطبع، من جراء هبة الحرية الاميركية. لذلك فان ما تصفه هو صحيح، ويمكنني ان اتوسع في الشرح اذا ما رغبت بذلك.

وبالنسبة للسؤال الثاني، وهو تغطية أخبار مقتل رجال الدين أو القساوسة: فإن قتلهم اعتبر عملاً فظيماً وشائناً هنا، لذلك فإن تلك العمل قد غطي من قبل وسائل الاعلام بشكل معقول جداً. وقد اعتبر ذلك يوماً على أنه خطأ من قبل حكومة صديقة لأن تمارس أعمال وحشية وبشكل رئيسي امام اعين كاميرات التلفزيون. فيجب ان تقترب هذا عندما لا يشاهد أي واحد ذلك، وان قتل القساوسة من قبل العسكريين، لهي أخبار سيئة. لذلك، فقد كانت هناك بعض التغطية الاعلامية لهذا الحدث. بيد ان تلك التغطية أخفقت، فتحت ضغط من الولايات المتحدة اتُخذ قرار ما بهذا الشأن. فإذا ما كانت حكومة السلفادور نكية، فانها ستجد كبش فداء، وكان ذلك ضابطاً برتبة ملازم، فقدمته للمحاكمة ومن ثم أبعثته عن مسرح الجريمة ليقوم في منزل ريفي. إلا ان الظروف شاعت ان تُكشف السلطات او الجهات التي كانت وراء تلك الجريمة. وما يمكن ان يستخلص من ذلك، انه لا يجب ان يكتم مثل هذا الفعل ويتم التعطيم عليه من قبل وسائل اعلامنا.

اما فيما يتعلق بالفلسطينيين، فإنني متأكد بأن ما سمعته هو ما يقوله العديد من الناس، وان الشيء الوحيد الذي يمكنني ان ارد عليه، ويغض النظر عن التصريحات أو البيانات الزائفة التي تصدر، هو مستوى العنصرية التي تعكسه. فذلك يعكس الافتراض من انه يوجد هناك بشر، هم من اليهود، أو الاسرائيليون، وهم من البشر ولديهم حقوقهم، ومن ثم فهناك السكان المحليين، الذين لا يعتبرون بشراً وليس لديهم حقوقاً. فذلك ليس شيئاً غريباً أو فريداً في التاريخ الأوروبي أو الأميركي. انه يعتبر نفس الوضع المشابه للذين قاموا بغزو واحتلال الولايات المتحدة، من المستوطنين الأوروبيين، والذين قاموا بصورة أساسية بإبادة السكان المحليين، الذين وصفهم جورج واشنطن مرة، على انهم لم يكونوا بشراً في الحقيقة، وانهم كانوا عبارة عن ثياب يبدون وكأنهم بشر. فما دام هذا صحيح بראيك، فانه يمكنك ان تقوم او تفعل أي شيء تريده تجاههم. فاعتقد ان تلك هي المواقف والأوضاع التي تعكسها أو تعبر عنها، نفس المواقف والأوضاع التي تعبر عنها الفئات البيضاء في جنوب افريقيا. فلا مجال للبحث معهم بهذه الأوضاع، تماماً كما لو ان الأمر يمكن ان يناقش مع النازيين، الذين كانوا يقولون بأن اليهود لم يكونوا بشراً.

■ سؤال: لديّ سؤالين حول أوروبا الشرقية. الأول هو: هل أنت قلق بخصوص بعض القوى التي يمكن أن يطلق لها العنان، وخصوصاً فيما يتعلق بالقومية، مع تلك الحركات الديمقراطية الحالية ؟ ثانياً، هل ترى أية نتائج سلبية لإعانة توحيد ألمانيا ؟

جسواب : اعتقد بأن كلا الأمرين خطير جداً. فالامبراطورية السوفياتية (الاتحاد السوفياتي سابقاً) قد خلفت مظاهر استبدادية بشعة. والقومية الأوروبية الشرقية أيضاً مظاهر غير سارة تماماً. وهذا ليس شيئاً فريداً أو مقتصرأ على أوروبا الشرقية. فانه كان منتشراً في جميع أنحاء العالم. إذ أن تاريخ أوروبا الغربية أيضاً تكلف من عدة قرون بربرية، اتسمت بالعنف والقتل، من أجل سيطرة جماعة عرقية على جماعة أخرى وتدميرها وإبانتها. واستمر هذا الوضع لغاية عام ١٩٤٥. والسبب الوحيد في وقف ذلك حينئذ انه لو تمت الخطوة التالية لعمُر العالم من جرائها. لذلك فإن تأسيس نظام الدولة في أوروبا مر عبر مراحل دموية وعمليات قتل طويلة. بيد أن هذه العملية لم تكن مكتملة بعد في أوروبا الشرقية بعد. فما إن بدأ نظام الامبراطورية الروسية (الاتحاد السوفياتي) يتآكل، حتى بدأت الأزمات والصراعات تبرز وبشكل عنيف. وهذا ما حدث في أرمينيا وأذربيجان، وسترى ذلك يحدث في أمكنة أخرى.

واعتقد بأنك على حق تماماً في اشارتك الى تلك المشكلة الخطيرة جداً. وهذا مشابه في بعض النواحي لما حدث عندما أخرجت الدولة العثمانية من أجزاء كبيرة من آسيا الغربية. وكانت مسألة الامبراطورية العثمانية فظيعة تماماً، بيد انها عكست حقائق وأوضاع المنطقة بطريقة لم يكن من الممكن فرض نظام الدولة فيها. هذا مع انها سمحت ببعض درجات سيطرة المجتمعات المحلية، ولكنها لم تفرض حدوداً قاسية بينها. فقد كان بإمكانك أن تنتقل أو تسافر من أقصى نهاية الدولة العثمانية الى نهاية الجزء الآخر دون المرور عبر حواجز أو مراكز جمركية أو قوات حدود. ولم يتطابق أو يتوافق نظام الدولة الأوروبي المفروض مع حقائق وأوضاع المنطقة ككل، وكانت مسألة وقضية عنيفة ووحشية. وحدث نفس الشيء في إفريقيا. ونفس الشيء أيضاً في كل بقعة من بقاع العالم. وهناك فرص لأن يحدث ذلك في أوروبا الشرقية. وفيما يتعلق بإعانة توحيد ألمانيا، فهذا شيء يقلق كل واحد. فقد سخر رجل فرنسي مرة بأنه يحب ألمانيا، يحبها كثيراً جداً الى درجة انه مسرور بأنه يوجد هناك المائتين. فتاريخ ألمانيا ليس مريحاً، ووجود ألمانيا موحدة يفرح كثير من الناس. وأن قصة تقسيم ألمانيا قصة

معقدة جداً. فبعد الحرب مباشرة، كانت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا في مركز قوة ونفوذ بحيث فرضتا تقسيماً للبلاد. وكان السبب في ذلك هو القلق من وجود حركة عمالية موحدة في ألمانيا، وحدثت تأثيرات من المنطقة الشرقية (ألمانيا الشرقية)، وبشكل رئيس من تأثيرات الأيدولوجيات، والتي ستقوى بالتالي العناصر الاشتراكية، وعناصر الطبقة العاملة في ألمانيا الغربية، ومن ثم تقويض المشروع الأميركي والبريطاني من أجل إعادة النظام التقليدي المحافظ القديم. وذلك لماذا إن هناك أناساً، مثل جورج كتان، دعوا في أوائل عام ١٩٤٦، إلى عزل ألمانيا الغربية عن ألمانيا الشرقية، ووقف ما وصفه وزير خارجية بريطانيا «العنوان السياسي الروسي» ويعني بذلك التأثيرات الأيدولوجية والسياسية الآتية من الشرق. فكان ذلك عاملاً في تقسيم ألمانيا.

وفي عام ١٩٥٢، قدم ستالين عرضاً مثيراً - ولم نعرف فيما إذا كان جاداً أم لا، لأنه قد رفض على الفور - داعياً إلى إعادة توحيد ألمانيا تحت إشراف الدول الكبرى الأربعة مع إجراء انتخابات حرة، وكان شرطه الوحيد في وجود ألمانيا موحدة هو عدم انضمامها لحلف عسكري غربي معاد. فأي زعيم روسي، مهما كان توجهه، كان سيصر على ذلك، ولأسباب تاريخية واضحة. وقد رفضت الولايات المتحدة ذلك العرض. وفي الحقيقة، فأننا لم نعلم فيما إذا كان (ستالين) كان جاداً أم لا في ذلك. وقد فضلت الولايات المتحدة انقسام أوروبا إلى معسكرين، حلف الأطلسي، الذي تأسس في ذلك الحين، وحلف وارسو، الذي تأسس بعد ذلك بستين. كما أنه كانت هناك عدة عروض أو مقترحات روسية أخرى من هذا النوع على مر السنين، إلا أنها رفضت جميعها. وأنه حتى الآن فإنك ستلاحظ بأن الولايات المتحدة ما زالت متناقضة بهذا الصدد. وإذا ما قرأت خطاب جيمس بيكر الذي ألقاه في برلين، والذي نقل في الصحف، فإنك ستلاحظ بأنه كان مسهباً في كلامه حول الديمقراطية في أوروبا، وتوحيد ألمانيا، الخ. بيد أن الخط الأساسي كان نفسه وهو: بأن تكون ألمانيا الموحدة جزءاً في حلف الأطلسي، كما قال، وعنى بذلك بأن تكون عضواً في حلف عسكري غربي تهيمن عليه الولايات المتحدة. ومن الغير المحتمل أن أية قيادة سوفياتية أو أية جمهورية أوروبية شرقية سابقة كانت ستقبل ذلك. ومن الغير المحتمل أيضاً بأن تقبل تلك بقية الدول الغربية أيضاً، إلا أن ذلك هو الخط الأساسي. وأبعد من ذلك، على الأقل، فأننا لم نكن نرغب أو نريد بأن تصور امكانية بأن تكون ألمانيا حيادية، فتلك هي الامكانية المعقولة لتوحيد ألمانيا.

التدخل الأميركي وزوال الخطر السوفيتي

شباط ١٩٩٠.

بيليد يارساميان : دعنا نتحدث عما دعاه هنري ستيمسون «بعالمنا الصغير هنا الذي لا يقلق أي واحد» وهي أمريكا الوسطى، وأميركا اللاتينية. وانك تابعت ولاحظت اصول واسباب الازمات في أميركا اللاتينية، فيما يتعلق ببرنامج كيندي في اوائل الستينات، وقد وضعت على انه «واحد من اكثر القرارات شؤماً في التاريخ الحديث». فلم يعتبر «التحالف من اجل التقدم» حيويًا وبالغ الأهمية الى هذه الدرجة ؟

نعوم تشومسكي : إنني لم اتبع ذلك الى هذا الحد. فأعتقد أن التحالف من اجل التقدم قد كثف نظاماً للاستغلال والقمع ظل موجوداً لمدة طويلة. ولو أن برنامج التحالف من اجل التقدم لم ينشأ أصلاً لما اختلفت على الأمور كثيراً. فالتحالف من اجل التقدم كان جزءاً من برنامج كيندي فحسب. وكان يعتبر الجزيرة (الإغراء)، حسب سياسة العصا والجزرة. أما العصا فقد كانت عبارة عن تغير مهمة او بعثة أميركا اللاتينية العسكرية، والتي تهيمن عليها الولايات المتحدة بصورة أساسية، وتغير مهمتها من الناحية الدفاعية الى الأمن الداخلي. وقد تلاعبت ادارة الرئيس الأميركي السابق ايزنهاور بتلك الفكرة إلا انها لم تكن قادرة على الوصول لنتيجة. بيد أن ادارة الرئيس كينيدي فعلت ذلك في عام ١٩٦٢، بعد الفضل في أزمة خليج الخنازير.

ويعني الأمن الداخلي بصورة أساسية شن الحرب ضد شعب بلدك. وقد فهم من قبل ادارة الرئيس كيندي على انها البرامج التقليدية التي تدعمها الولايات المتحدة، والتي تتطلب اعتماداً كلياً على القوة. وانها غير مقبولة بالنسبة لعامة الناس او الشعب. وقد فرض التحالف نموذجاً معيناً للتطوير. إلا أنه كان تطويراً موجهاً بصورة أساسية

باتجاه متطلبات للمستثمرين الأميركيين. وقد جاء لتقوية وتعزيز وإطالة نموذج التصدير الحالي المتواجد والذي أصبح دافعاً وحافزاً قوياً لاميركا اللاتينية للانتاج من اجل التصدير والإبقاء على مصادر المحاصيل. لذلك وعلى سبيل المثال، فإن تلك يعني انتاج اللحم المطلب من اجل التصدير للأسواق الأميركية بدلاً من انتاج المحاصيل من اجل الاستهلاك المحلي. فالفكرة العامة هي تحويل اميركا اللاتينية، وخصوصاً اميركا الوسطى، الى منطقة تقوم بوظيفة توفير المصادر والأسواق والأيدي العاملة للرخصة وغيرها من ميزات العالم الثالث للمستثمرين الأميركيين بصورة رئيسية. وهذا وضع تقليدي، منحه برنامج التحالف من التقدم بشكل جديد وبفعة للامام. وإذا لم يقبله السكان او الشعب، فإنه يكون لديك قوة بوليمية لاستخدامها. وإذا لم يجد ذلك، فإنه سيكون لديك أيضاً قوات الجيش . فهذه هي تركيبة السياسة الأميركية الضمنية جداً تجاه اميركا اللاتينية منذ امد بعيد، غير انها أصبحت بشكل حاسم منذ الحرب العالمية الثانية. وإن القرار المشؤوم لإدارة الرئيس كينيدي، من وجهة نظري، كان ذلك الارتباط للتحول الى الأمن الداخلي، وهو السيطرة المشددة على السكان المحليين بواسطة القوة، الى جانب ترسيخ نموذج التصدير الذي يسمح بزيادة الناتج القومي العام، والنمو الإحصائي إلا انه أيضاً يزيد من درجة البؤس والتبعية لقطاعات واسعة من السكان. وإن تفكير وعزل الفلاحين في اميركا الوسطى، على سبيل المثال، والذي أدى بصورة مباشرة الى نشوء وضع خطير في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، كان ذلك الى أقصى مدى نتيجة لبرنامج التحالف من اجل التقدم. والشئ ذاته صحيح بالنسبة لانتاج المخدرات ولأسباب واضحة نوعاً ما.

وعندما تنقوض زراعة البيرو بسبب التصديرات للزراعية الأميركية مع ضغوطات أخرى لنفع المزارعين في البيرو تجاه تصدير منتوجاتهم، ومحاولة الهائهم بلعبة الراسمالية، فإنهم سيقومون بذلك. وانهم سيتتجون انواعاً من محاصيل التصدير قابلة للاستفادة والمنفعة منها. وإن الانتاج الذي يشكل أكثر منفعة للتصدير هو محصول نبتة الكوكايين، لذلك فإنهم تحولوا بشكل طبيعي لانتاج نبتة الكوكايين. وهذا بالضبط ما دفعناهم لأن يقوموا به. ومن ثم ذهبنا الى هناك، وقمنا بإتلاف تلك، بالطبع، مما جعلهم يصبحون بلا شيء.

■ سؤال : لقد وصفت المصالح الاميركية المزدوجة والمتشابكة في المنطقة على انها من «اجل الحفاظ على المنطقة امنة من اجل الاستثمارات الاميركية» من ناحية، و«لانع قيام عملية تطوير مستقلة» من ناحية ثانية. فهل هذا الوضع سيستمر لغاية التسعينات ؟

جواب : بالطبع، فإن السياسة الاميركية، أية سياسة، تركز على التركيبات المؤسساتية. وهناك بعض التقلبات التي تعتبر تغيرات شخصية، بيد انها تنعكس على الكثير من المؤسسات. وإن المؤسسات مستقرة جداً، لذلك فإن السياسات كانت مستقرة جداً. إلا انه كان هناك تحد داخلي صغير ضدها. ولم يكن هناك تحد خارجي خطير بسبب القوة الغير عادية للولايات المتحدة. لذلك فإنه يوجد هناك سياسات مستقرة تجري منذ وقت طويل. فالسياسة الاميركية تجاه اميركا اللاتينية كانت مترابطة بوضوح وعلى مستويات عالية من التخطيط بعد الحرب العالمية الثانية. ولم يكن هناك سبب لتوقع ذلك التغيير. وتلك السياسة، كما تكررت من خلال الوثائق، والتي شكلت تهديداً لمصالحنا من نشوء الأنظمة الوطنية والتي كانت مستجيبة لضغوطات الجماهير من السكان، وذلك من اجل تطوير مستوى المعيشة المنخفض وتنوع الانتاج تلبية للمتطلبات المحلية. وكان علينا سد او إعاقه ذلك. فذلك شكل انقاعاً كبيراً من اجل إعاقه ذلك لمصلحة توفير مناخاً للاستثمار الخاص لرؤوس الأموال المحلية والخارجية ولإعادة المنافع والانتاج من اجل التصدير. وتلك هي الفكرة الرئيسية المتكررة مرة إثر الأخرى، لهذا فإنه من الواضح بانها لم تكن خاضعة لأي تحدٍ ولم تناقش أو يكشف عنها علناً. إنها في نوعها مثل الهواء الذي تنفسه. فنك ما يدعى «بالحرية». إذ أننا كنا في صف الحرية، كنا في صفها بشكل واضح.

وإن هذا مفهوم أيضاً من كافة الطرق والوسائل التي لن تكون مقبولة بشكل مرغوب فيه من قبل السكان المحليين. لذلك فانك اذا ما قرأت نشرات وتقارير وزارة الخارجية الاميركية حول ما يدعى ببرنامج ادارة الاستخبارات الاميركية، فانها تبين لك مدى مجال تدريبات القوى البوابيسية وجديتها وخطورتها لأنها يمكنها ردع عدم الرضا للناس، بين السكان او الشعب وبصورة مبكرة. فقوات الشرطة هي الاداة الرئيسية

التي يمكن للحكومة بواسطتها أن تطلب وتسيطر، وتفرض القبول والإنعان على السكان أو الشعب. فهذه الدراسات تكشف عن ذلك تقريباً، من أن قوات الشرطة يمكنها أن تتحرك لكي تقوم بقمع المعارضة بصورة مبكرة قبل أن يصبح الأمر بحاجة إلى «جراحة» أو عملية كبيرة». إذ أنه يمكنها تجنب الحاجة للقيام بعملية كبيرة أو رئيسية. فإذا ما كان الأمر يتطلب عملية كبيرة، فإنه ستستخدم قوات الجيش عنئذ، والتي كانت مكرسة في عهد كينيدي من أجل القيام بمهمة حفظ الأمن الداخلي.

وإذا لم يستطع الجيش النظامي في ذلك البلد أن يقوم بمهمته، فإنه يتم إرسال قوات أميركية لهذا الغرض. وحيث أن الجيش في بلدان أميركا اللاتينية، وخاصة في أميركا الوسطى، لا يمكن ضبطه أو السيطرة عليه من قبل الولايات المتحدة، فإنه لا بد عنئذ من الإطاحة بالحكومة هناك. وهذه واحدة من المشكلات في نيكاراغوا. فقد حاولت إدارة الرئيس كارتر وبصعوبة كبيرة للإبقاء على قوات الحرس الوطني سليمة هناك، عندما لم يكن بإمكانها الاحتفاظ بسوموزا لمدة أطول. فهذه هي الأداة التقليدية: فإذا لم يكن بالإمكان السيطرة على الحكومة، فإنه يمكن السيطرة على الجيش، لأنه يمكنه بدوره أن يسيطر على الحكومة بالقوة. وعندما رفض السانينينيون (في نيكاراغوا) السماح للولايات المتحدة السيطرة على الجيش، فإن ذلك كان عاملاً خطيراً في حدوث الانتهاء مع الولايات المتحدة.

وفي حالة بنما، فإنه مع أن وزير الدفاع البنمي آنذاك كان عبارة عن أداة للقوة الأميركية، فإن نورينغا أصبح مستقلاً أكثر ولم يعد تحت السيطرة، لذلك فقد كان لا بد من استبداله، ومن ثم تم إعادة بناء الجيش مع الإبقاء على ضباطه بصورة أساسية، وتم الإبقاء على نفس مصابر المخدرات، وأي شيء آخر، وهي الآن تحت سيطرة وإشراف الولايات المتحدة. وهناك عوامل جديدة، دون شك، وأنها ستغير الطريقة أو الوسيلة التي انجزت بها هذه الالتزامات، بيد أن الالتزامات ظلت كما هي، لأنها انبثقت عن تركيبات مؤسسية، ولا يوجد هناك تحدُّ لها.

■ سؤال : إن تلك الدول، وخصوصاً الواقعة في الجزء المخروطي الجنوبي من أميركا اللاتينية، مظهرة الآن نماذج تقليدية أكثر. فإلى ماذا تعزو ذلك ؟

جواب : إن ادارة الرئيس كنيدي دعمت بقوة قيام انقلاب عسكري في البرازيل وقتذاك، ليفرض فيها نظام حكم شبيه بسلوب الحكم النازي من حيث عمليات التعذيب والقمع، الخ. وذلك من أجل تدمير الديمقراطية البرازيلية التي كانت أصبحت مستقلة جداً. وذلك، كما نقول، أدى الى حدوث تطورات طائشة ومتهورة في تلك العالم او المنطقة حدثت فيها فترة من الأحداث الدموية الشديدة. وتمر العسكر الاقتصاد. كما حدث انحلال اجتماعي وكارثة اقتصادية، وعند وضع معين قرر العسكر ان يتخلوا عن الحكم للمدنيين ليحاولوا معالجة الفساد والفسوس وتسليم المسؤولية. وكانت متوفرة هناك عناصر اخرى لضمان السيطرة على الحكم بواسطة النخبة التقليدية، او حكم الأقلية، وخاصة من طبقة رجال الأعمال والعسكريين، وتلك هي الجماعة الحاكمة المهيمنة وهي نفس تلك المجموعة التي حصلت على دعم الولايات المتحدة.

وهناك الآن وسائل اخرى تتضمن اموراً لم تكن موجودة من قبل. فهناك، على سبيل المثال، صندوق النقد الدولي وازمات الديون. فتقييدات صندوق النقد الدولي، الذي فرض وجود السوق الحرة، وعدم دعم المواد الغذائية، وعدم فرض حماية على الصناعات المحلية، فتلك الوسائل كانت تضمن دعم الطبقة الفنية الميسورة والمتنفذة لمسك زمام الحكم والإبقاء على طبقتين في المجتمع كضرورة معتبرة وهما: فئة نخبة الاغنياء وفئة اصحاب الحرف والمهن التي تخضعها، من ناحية، وهناك طبقة عامة فقيرة وجائعة، من ناحية ثانية. فنظام صندوق النقد الدولي يلائم وفي الغرض ذاك، وأن الميونية والتشوش الاقتصادي الذي خلفه العسكريون قد هيء وخمن لاحكام وشروط صندوق النقد الدولي من ان تتبع وتنفذ، وتبع تلك ثورة كبيرة، عاد العسكريون على اثرها للحكم مرة ثانية. وهذا يفسر لماذا أحدثت عن التغييرات التكتيكية، التي تعكس التغييرات في الوضع العالمي وعلى الساحة الاقتصادية المحلية.

ولنأخذ مثلاً بلداً مثل البرازيل، وهي تعتبر دولة غنية وموفرة المصارف، وذات كثافة سكانية كبيرة، وصناعة متطورة عالية، وفي الوقت ذاته تحتوي على نسبة كبيرة من الفقر والفنى في أن واحد. وان نسبة كبيرة من السكان فيها تتساوى في المعيشة مع سكان اثيوبيا، وقد يكون معظم السكان يعيشون في وضع أسوأ مما كان عليه سكان أوروبا الشرقية، على سبيل المثال. ومن وجهة نظر العسكريين والفئات التي

خدموها، وهم بصورة كبيرة يتمتعون للنخب التقليدية، أو حكم الأقلية ورجال الأعمال، فإنه ليس من الملائم أن يظل هناك حكم عسكري من أجل الإبقاء على ذلك النظام. وأنه لا بد من التركيز على التذمر الشعبي. فهذا يعطي صورة بولاية سيئة، إضافة إلى أن العسكريين سيديرون أنفذ شؤون ومسؤولية الاقتصاد، الأمر الذي لا يتقبله انسان عاقل. وانطبق ذلك الوضع إلى حد كبير على الأرجنتين، فيما بعد.

■ سؤال : إنني أتذكر مقولتك من انه اذا نام احد الفلاحين في السلفاتور وصحا ليجد نفسه في بولندا، فإنه سيعتقد بأنه موجود في الجنة. فهل هذا صحيح ؟

جواب : ليس هناك شك بذلك.

■ سؤال : هل يختلف الغزو الأميركي لبنا في ٢٠ كانون الاول ١٩٨٩ عن التسلخات الأميركية الأخرى ؟

جواب : حسنا، انه يختلف، انه اختلف في الطريقة التي تمت بها والتي عكست وضعاً متغيراً. ففي الواقع، فقد كان حدثاً تاريخياً في حد ذاته. انه كان غزواً تقليدياً في معظم نواحيه، في الواقع، تقليدياً جداً بحيث اصبح هامشياً في التاريخ، إلا انه كان مختلفاً في ناحية واحدة، وهو الإطار الدعائي. ولغاية الآن، فإنه كان من الممكن تبرير كل استخدام امريكي للقوة كدفاع ضد التهديد السوفييتي (السابق). لذلك، فخذ على سبيل المثال، بالأحداث التي وقعت مؤخراً. عندما غزت الولايات المتحدة جزيرة غرينادا في عام ١٩٨٣، فقد كنا بذلك ندافع عن أنفسنا ضد الجهد الروسي لمحاولة خنقنا بواسطة الاستيلاء على مثل هذه القواعد الخارجية في غرينادا واليمن الجنوبي، الخ. وأتذكر بأنني قد سمعت رئيس هيئة الأركان المشتركة يشرح من خلال الاذاعة انه في حالة هجوم سوفياتي على أوروبا الغربية، فإن غرينادا قد تمنع التزود بالنفط من ترينداد وتوباغو ليصل إلى أوروبا الغربية، وأنه لن يكون بمقدورنا الدفاع عن حلقاؤها المحاصرين. وأنت تعرف بأن هذا أمر مضحك، وأكثر من مضحك، بيد أن مثل هذا النوع من القصص كانت كافية لتثير دعماً شعبياً من أجل القيام بالغزو.

وقد برر الهجوم على نيكاراغوا بالادعاء بأنه اذا لم نوقف الروس هناك فإنهم

سوف يتسللون عبر الحدود ليصلوا الى هارلنجن، بولاية تكساس، التي تبعد مسافة يومين فقط عن طريق البر. فانت تذكر تلك الهراء. فبالنسبة للفئات المتعلمة فقد كان الأمر يبدو خطيراً أو نو أهمية من عدة نواحي. كما ان الإطاحة بالحكومة الديمقراطية الرأسمالية في غواتيمالا: فقد كنا بذلك ندافع عن انفسنا ضد الروس، لأن وجودنا كان مهدداً، الخ.

ومع حلول شهر كانون الثاني ١٩٨٩، فانه لم يكن هناك حتى خيال وزارة الخارجية وكتاب الافتتاحيات في الصحف يمكنهم الوصول الى ذلك البعد تماماً. لذلك فقد احتجنا الى تقرير آخر. وكنا بحاجة الى نرائع وحجج جديدة. فالنرائع لم تجد تنفعاً مع الأسباب السابقة، بيد اننا الآن لا يمكننا استخدام تلك النرائع القديمة. فقد كان مطلوباً إطار جديد. فهذه المشكلة كان متنبأ بها. فقد كان من الواضح بعد سنتين بأنه سيكون من الصعب جداً ان نتنزع بالتهديد الروسي. وفي الحقيقة، فانه خلال الثمانينات فقد طور بديل لذلك: وهو الارهاب النووي، وتحركت بعض الفئات العربية هنا وهناك في محاولة لقتلنا، وذلك لانهم يكرهون الأميركيين. إلا ان ذلك لم يكن مداه سوى قصير الأمد. ومع انه بالتأكيد أوجد موجة من الهستيريا والتمييز العنصري، كما هُيف منها، إلا انه لم يكن مقنعاً جداً. وادى ذلك الى عملية قصف ليبيا دامت يوماً واحداً، وليس شيئاً أكثر من ذلك.

وفي عام ١٩٨٦ و١٩٨٧، ولأسباب مثيرة للاهتمام، فان الولايات المتحدة حاولت انتباهها نحو «نوريفا». الذي كان يتلقى أموالاً من وكالة المخابرات المركزية لعدة عقود، بعد ان قرروا بأن جيوبه قد امتلات كثيراً وان عليه أن ينهب. واخذت الصحافة زمام المبادرة بسرعة. فهي تفهم هذه الأمور، وبدأت على الفور بتحويل نوريفا الى شيطان، وإلى جعله أسوأ شخص متوحش. أما في الواقع، فقد ظل نوريفا عبارة عن سفاح ثانوي، اذ انه كان يسير وفقاً لما ترسمه له المخابرات المركزية، التي كانت تدفع له لقاء ذلك، غير ان موقف الحكومة الأميركية قد تغير تجاهه. لذلك فان موقف الصحافة قد تغير تجاهه تلقائياً. وعند حدوث الغزو الأميركي، فقد وصف نوريفا على انه متوحشاً ينتمي لمجموعة ستالين وهتلر والخميني وغيرهم، من اللذين أحب الأميركيون كرههم، ولذلك فقد كان علينا ان ندمره. وكان سعيداً بذلك ووصفه كل من دان رانر وبيتر جينينغ بأنه واحد من أكثر المخلوقات بغضاً في العصر الحديث. لذلك فقد هب المراج

للعام بنلك، وأصبح أمراً واقعاً من أن الأميركيين كرهوا نوريفاً بحلول عام ١٩٨٩. فهم (الصحافة الأميركية) قد استطاعت أن تقوم بدور غامر واسلوب دعائي استبدادي ولعدة سنوات، لغاية ما كره الناس نوريفاً.

كما استخدمت حرب المخدرات من أجل هذه الغاية. فحرب للمخدرات أضحت خدعة وسائل الاعلام الحكومية. إلا أنه كان هناك الشيء القليل ليفعل بالنسبة للمخدرات، ولكن كان هنالك الكثير ليفعل من جراء تنظيم والسيطرة على الشعب وفرض الخوف لعدو أصبح مكروهاً آنذاك. فكل هذه الأمور جاءت لتمهد وتخلق ظروفناً ملائمة وضمن إطار دعائي للغزو. فالاختلاف ما بين ردة الفعل في الولايات المتحدة وأي مكان آخر في العالم كان مميّزاً. وكنت أقرأ مقتطفات من صحافة هنتوراس في تلك الأيام. فهنتوراس، هي دولة حليفة لنا، بالطبع، وعميلة لنا، في الواقع. ولم تكن كتابات الصحافة سيئة، بل إنها راديكالية ومعارضة بشدة ومرارة للغزو الأميركي. وقد وصفت تلك «بالاستبداد الدولي» تحت مظهر الديمقراطية، وأنه يعتبر يوماً من العار واليأس بالنسبة لأميركا اللاتينية، «فأميركا اللاتينية تتكلم» من عدم قدرتها على حماية نفسها واستقلالها من العدوان والظلم الآتي من الشمال، وغير ذلك من الأوصاف.

وكان ذلك يجري بينما كان الكونغرس الأميركي يمنح الرئيس بوش تفويضاً كاملاً وترحيباً بالغزو الأميركي، كما أن الصحافة الأميركية كانت غارقة في نشوة شوفينية. وبين مقال نشر في صحيفة «تورنتو غلوب» بوضوح تام إلى أنه إذا أردت أن تسمع في الولايات المتحدة نوعاً ما من الرأي أو وجهة النظر التي تهيمن في معظم أنحاء العالم، فإن عليك أن تمضي أو تذهب في نقاشات ثانوية، في مسائل ثانوية بعيدة جداً قد لا تعتبر جزءاً من المسألة السياسية. كما أن الصحيفة عكبت على الهستيريا الشوفينية (للقالة) التي كانت واضحة وبشكل مثير في الولايات المتحدة. فذلك كله صحيح، وكان ذلك إطاراً نفذ من خلاله الغزو الأميركي لبنما وير.

■ سؤال : إن من وجهة نظرك هل كان هناك نجاحاً لتفريق موافقة غزو بنما ؟ وبالمناسبة، فعندما نتحدث عن تفريق الموافقة، فإنك نتحدث عن أن الشعب قد همش ولم يهتم بالأمر في الحقيقة، وأنهم لم يشتركوا في العمليات أو القرارات السياسية التي جرت بآية طريقة كانت. فما هي الموافقة التي لغقت ؟

جواب : حسناً، اذا ما نظرت الى ذلك يامعان ومنذ البداية، فقد كانت هناك مجموعتان مختلفتان. فعلى المستوى الاول للتقريب، فقد كان هناك هدفان للدعاية ووسائل الاعلام. واحد ما يطلق عليه احياناً «بالطبقة السياسية». فهناك ما يقارب عشرين بالمئة من السكان هي طبقة متعلمة نسبياً وواضحة تقريباً كما انها تلعب دوراً ما في صنع القرار. وهم من المفترض ان يشتركوا في الحياة الاجتماعية، كونه يوجد منهم مدبرون سياسيون واقتصاديون وثقافيون، مثل المدرسون والكتاب وما شابه ذلك، ومن المفترض ان يشاركوا باتخاذ القرار. كما أنهم من المفروض ان يلعبوا دوراً ما، ليس دوراً مقررأ، ولكن القيام بدور ما نشط في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية. فمواقفتهم حاسمة، لان عليهم القيام بتنفيذ السياسات. فهم يعتبرون مدراء واداريون. وان عليهم صنع قرارات متماسكة نسبياً لشد انتباه للعالم، لذلك فهي مجموعة تكون ملقنة بشكل عميق.

ومن ثم، فإن هناك ثمانين بالمئة من السكان تكون وظيفتهم الرئيسية هي فقط اتباع الأوامر، وليس التفكير او لفت الانتباه لأي شيء كان. لذلك فان عليهم ان يكونوا مهمشين. غير ان عليهم ان يقبلوا وينصتوا. فهم الاناس الذين غالباً ما يدفعون للثمن.

وعلى سبيل المثال، فإن إدارة الرئيس بوش منحت هذه المساعدة السخية لبنما. فنحن سنمنح بليون دولار لبنما، بعدما يمرنا اقتصادها ومن ثم سيطرنا عليها. فذلك هو الهدف الرئيس. ثم عليك ان تنظر الى ما لم تكتبه او تفيد به الصحف. انك تنظر الى البليون دولار التي ستمنح لها كمساعدة وتخصيص اربعمائة مليون دولار منها على شكل شراء بضائع اميركية او تصدير بضائع اميركية لبنما. وما يعني ذلك هو ان اربعين بالمئة من المساعدة الممنوحة لها تعتبر كهبة من دافعي الضرائب الاميركيين لمصلحة سوق العمل الاميركي او بالاحرى لرجال الاعمال، وتخصيص حوالي مائة مليون دولار كضمانات بنكية للتصدير والاستيراد وانواع غيرها من المساعدات التي تعتبر شكلاً آخر للمساعدة من دافع الضرائب الى سوق العمل الاميركي. والباقي يعتبر معظمه كفوائد للبنوك. فذلك ما دعوه «باستقرار الاستقرار»، ولكن اذا ما وضعت ذلك جانباً، فانها عبارة عن فوائد بنكية على القروض تؤخذ من قبل الحكومة البنمية خلال تلك الفترة التي تقوم بها الولايات المتحدة بتدمير وتخريب الاقتصاد البنمي.

لذلك فانه من المفترض لدافع الضرائب الاميركي ان يعيد دفع تلك، وهذه الطريقة بالضبط من المفترض بدافع الضرائب ان يعيد دفع مئات الملايين من الدولارات على شكل توفيرات وقروض مخادعة. فذلك ما يدعى ببرنامج المساعدة. فهذا شكل نمونجي، من ان ثمانين بالمئة هم الذين يدفعون الثمن، وان عليهم ان يقبلوا تلك شاحرا ام ابوا. ومع ذلك، ايضاً، فإن قبولهم لا يكون مرتكزاً على اي فهم حقيقي. حتى انه ليس عليهم ان يعرفوا اين تقع بنما. فقد يظنون بانها تقع في افريقيا، ما دام انهم قبلوا بأن هذا الاجراء هو ضروري، اذ اننا راغبون بأن نتحمل العبء. فتلك الشريحة الراسعة من الشعب او الأغلبية، هي التي تقوم وسائل الاعمال بالتاثير فيها واعني بذلك كافة انواع الصحف وغيرها من وسائل الاعلام. فان عليهم ان يقوموا بتحويل الناس، وان يقوموا بعزلهم او الايقاء عليهم معزولين، ومتفصلين، ويقبلون القيم الاساسية للمجتمع (الاميركي) وهي: الجشع، الكسب الشخصي، وعدم الاهتمام بالناس الآخرين، الخ. فان اي فهم حقيقي حول ما يجري في العالم يعتبر امر زائد وغير ضروري، وحتى انه يقابل بسلبية.

لكن بالنسبة للقطاعات الأكثر تعليماً بين الشعب، القطاعات التي يمكنها أن تميز وتفرق، أولئك الأناس الذين يقرأون صحيفتي النيويورك تايمز وواشنطن بوست، فإن عليهم أن يكونوا مدركين وعالمين نسبياً بأمور وشؤون العالم الخارجي، أو أنهم سيتخذون قرارات سيئة قد تؤذي وتضر بمصالح الفئة التي تمسك بزمام السلطة. وهكذا فللبدء بذلك، فانه يوجد هناك على الأقل نظامان متعبان من أسلوب التلقين، ومن ثم فلو اننا نظرنا في ذلك بمزيد من التفصيل، فانا قد نجد أكثر من فارق بسيط. إذ ان تطبيق الموافقة ليست عبارة عن عملية رسمية، انها عملية متنوعة فحسب.

وبالنسبة للغزو الاميركي لبنما، فإن معظم الاميركيين قد اثيروا الى درجة الهستيريا الشوفينية، لانهم قد نالوا اخيراً من هذا الولد الشقي (بنما)، ولا بد من وضع نهاية للصوص والسارقين. فلم نعد بحاجة لذلك لوقت أطول. أما الشرائح الأكثر تعليماً فقد كان لها دوراً مختلفاً لتعبه، ومن المثير ان نتفحصه. فالمثال النمونجي لذلك كان ديفيد بوردر، الذي يعتبر معلقاً حراً معتبراً بصحفية واشنطن بوست، وواحداً من المراسلين الرئيسيين فيها. وكان له عامود ثابت في الصحيفة يمتدح فيها باستمرار

الغزو الأميركي لبنما ولكن بطريقة حكيمة، وبشكل مختلف عن أسلوب جورج ووليز الذي اتسم بالعدائية. وبدأ كتاباته بالقول بأنه كان يوجد هناك بعض العتاب من جهة «اليسار» حول «الاحتراس والحذر من اعمال وقرارات الرئيس بوش». فهذا التعبير يعكس بلطف الأيدولوجية الحرة. وأنه يعني بتعبير «اليسار» اليمين الوسط أي المجلس القومي للكنائس، الخ. فأي شيء أبعد من ذلك بالنسبة لتعبير اليسار هو غير قابل للتفكير، وخارج عن نطاق المناقشة. وأنه امر لا يدعو للتفكير من أنه لا بد أن تكون هناك أية معارضة أكثر من كونه مجرد «حذر واحتراس» من ذلك العمل. فهذه هي الأيدولوجية الليبرالية. فهو نطاق مقيد باليمين الوسط وأقصى اليمين. وعليك التاكيد بأنه لا يوجد هناك انشقاق في المجتمع. وثانياً، فإن الأسئلة الوحيدة التي يمكن أن تُسأل هي تتركز حول النجاحات فحسب. لذلك فما يدعون بنقد «اليسار» هو فيما إذا كانت الأعمال والقرارات متهورة أم لا، وهل هي قابلة للعمل أم لا، أم هل هي ستكلف كثيراً ؟ الخ.

■ سؤال : إنها نفس المسائل التي أثيرت حول الهند الصينية.

المسائل العملية اليس كذلك ؟

جواب : بالضبط فهو يقول عندئذ، حصناً، فهذا العتاب يأتي من اليسار، علينا أن نزله، ونتغلب عليه. وأنه عبارة عن هراء تماماً. ومن ثم يقول بأن الأهمية التاريخية للغزو هي أنها ساعدت في انشاء ما أطلق عليه تعبیر «الإجماع الوطني الجديد» فيما يتعلق بالتدخل الأميركي. ومن ثم فإنه يصف هذا الإجماع الجديد للتدخل. ويقول بأن أول من خطط ووضع ذلك هو كاسبار واينبرغر، الذي قدم ستة مقاييس لذلك. أربعة منها تقول بأن التدخل يجب أن ينفذ عندما يكون قابلاً للتنفيذ فقط والمقياس الخامس يقول بأنه يجب تنفيذ ذلك عندما نعتبره حيويًا لمصالحنا. أما المقياس السادس فيقول بأنه يجب علينا محاولة تجريب وسائل أخرى أولاً، وإذا لم نجد نفعاً، فعندئذ نستخدم التدخل. فتلك هي المقاييس. تلك المقاييس التي يمكن أن تثار وتقاس من قبل هنتر فقط وفي الحقيقة، فإن أي واحد يمكنه أن يثيرها. فيمكن تنفيذ التدخل عندما يكون قابلاً للتنفيذ، وعندما تريد وترغب ذلك، ولا تستخدم القوة بشكل واضح ما لم تكون بحاجة لذلك. ومن ثم يدعي (بروير) بأن دوكاكيس قد قبل تلك المقاييس، وذلك هو الإجماع الجديد للتدخل، وذلك هو الأمر المهم.

وما يعني ذلك فهو ان شرائح النخبة المتعلمة التي تحدث عنها «بروهر» والتي تشكل جزءاً كبيراً من وجهة نظر الليبراليين والمتعلمين، والذين نجحوا أخيراً في التغلب على ما كان يدعى بـ «اعراض فيتنام». وتلك هي، معارضة استخدام القوة والعنف من أجل تحقيق أهدافنا.

واعتقد بأنهم مخطئون بشأن ذلك. ولقد تحدثنا طويلاً عن الطبقة السياسية، والطبقة المتعلمة، وطبقة أو فئة صنّاع القرار، بيد انه في الواقع، فإنه توجد هناك شرعية كبيرة من الشعب لا تشكل جزءاً من هذا. فقد كنت أقرأ زاوية رسائل الى المحرر في الصحف من كل أنحاء البلاد، وفي مختلف الصحف وعلى شتى أنواعها. إنه كان شيئاً مشوقاً. ولا أريد ان أطرح هنا مثلاً على ذلك، إلا ان انطباعي القوي هو ان زوايا رسائل الى المحرر في الصحف كانت معارضة وعلى شكل واسع للفرز الاميركي، علاوة على انها كانت على مستوى من الاطلاع. فهي كانت تحتوي على تحليلات ومعلومات تجعل المحترفين يعتقدون بها ويستثنون منها الفقرات الكثيرة التي تعبر عن العار والازدراء للتدخل الاميركي. وقد بينت بأن رؤساء التحرير يستثنون وبشكل مفرض الرسائل التي تجعلهم يبدوون كالأغبياء. لذلك فإنني أتصور بأن هذا يمثل ما يعتقدونه، كما انه يعكس آراء قطاع رئيس من الشعب التي لم يكن من الممكن السيطرة عليها بواسطة جهاز التلقين (الجهاز الاعلامي او وسائل الاعلام). انهم أولئك الناس الذين لا يعتبرون مفوضين او مشتركين في أجهزة الحكم. كما انهم لا يعتبرن من كتاب الزوايا أو الأعمدة في الصحف. وليسوا أيضاً من صنّاع القرار، وإنما هم خارج هذا النطاق. ومن هنا تأتي حركة التضامن. وتأتي حركة المعارضة والانشقاق، ولا أرى أي سبب للاعتقاد من ان نظرية «اعراض فيتنام» قد كان متغلباً بين قطاع كبير او غالبية الشعب وليس أكثر من انها كانت مظهراً من مظاهر انتصارات الدعاية ووسائل الاعلام للسنوات المبكرة. فهذا يبدو كمثل نواة قوية للمقاومة او المعارضة. لذلك، فان بورس، مثله كمثل الآخرين من قبله، قد يستحسن حقيقة اننا استطعنا أخيراً من ترويض النمر أو الشرس، بيد اني لا أعتقد بأنه على حق بذلك.

■ سؤال : إن وسائل الاعلام (الاميركية)، من خلال دورها العدائي التقليدي لهذه المسائل، كانت معارضة جداً على سبيل

المثال للتحدث عن او مقارنة سجل حقوق الانسان لنظام نوريفا

في بنما «بالديمقراطية الغتية». فما هو تعليقك على ذلك ؟

جواب : ان سجله (نوريفا) واضح تماماً ولا يحتاج للكتابة عنه كثيراً. واذا ما كانت هناك اية كتابات للصحفيين حول هذا الموضوع، فإن اول شيء يمكن ان يفعله هو التحول او النظر الى اخر تقارير حقوق الانسان في بنما. ففي عام ١٩٨٨ اصدرت هيئة المراقبة الاميركية تقريراً حول حقوق الانسان في بنما، وكان يعكس صورة غير سارة بهذا الصدد. حيث انه كان هناك بعض عمليات القتل قد يظنها المرء بانها مقبولة بالنسبة لنظام نوريفا. كما ان بعض السكان قد تعرضوا لعمليات تعذيب. وكانت هناك موجة من الخلق والتعسف تتطلب مراقبة بالتاكيد. فدعنا نقارن ذلك مع الوضع في هندوراس، التي لا تعتبر كدولة اهابية مثل السلفادور وغواتيمالا. فبنما تبدو افضل بكثير من هندوراس. وهناك كتيبة تدريب واحدة في هندوراس، الكتيبة ٢١٦، على ما اعتقد، والتي هي لوحدها نفذت اعمال وحشية اكثر بكثير مما قام به نوريفا. ففي الحقيقة، فان نوريفا مجرد سفاح ثانوي بالنسبة لهم. كما انه لم تذهب هيئة المراقبة الاميركية للتفتيش على مجال واعمال المخدرات الى هناك كثيراً.

فانظر الى الاتهام الذي وجهته محكمة ميامي الى نوريفا. فاعتقد بأنه كان هناك اتهام واحد فقط بعد عام ١٩٨٤. فذلك هو امر مدهش، لانه لغاية عام ١٩٨٦ كان يعتبر رجلنا. وبعد ذلك الحين فانه اصبح شيطاناً بنظرنا. بيد ان الاتهامات ضده اصبحت غامرة خلال فترة نزاعه مع جورج بوش. ففي الحقيقة، فان بنما كانت تعتبر مركزاً رئيساً لتهريب المخدرات، بل انه كانت هناك ايضاً مشكلة البنوك بصورة رئيسة. وهناك ايضاً الاشخاص الذين تسلموا زمام السلطة. فقد كان لبنما سوق حرة ونظام مصرفي حر ومفتوح والذي كان اساساً لاقتصاد مزيف بصورة كبيرة. فلا توجد هناك أنظمة ولا قوانين بهذا الشأن، الخ. وبذلك كانت تجتذب الاموال الغير قانونية والاموال المهربة من البرازيل على كافة اشكالها، الخ. فذلك هو الأساس للاقتصاد البنمي. وبالعونة الى عام ١٩٨٢ عرفت لجنة من الكونغرس لتقصي الامور البنكية والمخدرات في بنما بانها لربما تعتبر مركزاً رئيسياً في العالم الغربي لتمويل وتهريب المخدرات. ومن المسؤول عن ذلك، انهم اولئك الاشخاص الذين وضعوا في السلطة. وبالتاكيد فإن نوريفا كان

متورطاً في ذلك، انه يعتبر مجرماً. وكان له حصة في ذلك. ولكن فيما يتعلق بالأعمال الوحشية، فانه قد لا يقارن مع ما كان يحدث في غواتيمالا والسلفادور. فذلك أمر مضحك ومستهجن. وهناك مظهر آخر للغزو الأميركي لبنما عالجته وسائل الاعلام بطريقة مدمشة. فادارة الرئيس بوش تذرعت تقريباً بحقوق الانسان عند غزوها لبنما. وكان ذلك مناقضاً لما قامت به تلك الادارة. ففي الوقت الذي غزت فيه الولايات المتحدة بنما وذلك بنريعة عدم التزامها بحقوق الانسان، فانها اختارت تلك اللحظة لتعلن بانها قد رفعت او انهدت العقوبات الاقتصادية ضد الصين، وانها ستبيع الصين معدات تكنولوجيا بقيمة ثلاثمائة مليون دولار والتي كانت بالطبع، تشمل معدات لاستخدامها في المجال العسكري. وكانت هناك بعض التساؤلات حول هذا، وصرحت مارلين فيتزووتر، الناطقة باسم البيت الابيض آنذاك، بقولها، محسناً، فهذه الثلاثمائة مليون دولار عائدة لمنفعة رجال الأعمال وسوق العمل الأميركيين. وبما انه يعود بالفائدة على سوق العمل، لذلك فان علينا السكوت، وسكتنا. اضافة لذلك، فان وزارة الزراعة اعلنت بانها ستستأنف مبيعات الأغذية للصين. ومن ثم أعلن البيت الابيض فيما بعد عن عدم السماح لدخول باحثين وعلماء صينيين الى الولايات المتحدة، كانوا دعوا من بعض الجامعات الأميركية، وذلك استجابة لرغبات أولئك الأشخاص الطبيين الذين نفذوا منبجة ساحة تانامين. كما انهم أعلنوا أيضاً بأن الاتصالات مع الصين استؤنفت بعد المنبجة مباشرة. اضافة لذلك، فانهم أعلنوا، وهذا أبقى سرّاً، كما أعلم، بانهم قد أزالوا القيود التي كانت مفروضة على القروض للعراق. ولم تحدث أية ضجة بهذا الخصوص.

فماذا يعني ذلك؟ فبمقارنة رفقاء بوش في كل من بغداد وبكين، فإن نوريفا يبدو كممثل الأم تيريزا. ومن المتوقع ان تتناول الصحف كل هذا وتقبله وتمضي بحملتها الهستيرية الشوفينية حول حبنا وشفقنا بحقوق الانسان وان مما يدعش بلتهم قد فعلوا ذلك. فمقارنة نوريفا بالسلفادور او غواتيمالا او صدام حسين او دينغ كسياو بينغ لهر أمر سخيف. فنوريفا لا يزيد عن كونه تافه، تماماً كما كان امره عندما كنا ندعوه.

■ سؤال : في اواخر عام ١٩٨٧، كان جون لاون، مدير ادارة

مكافحة المخدرات، يقوم بكتابة رسائل الاطراء والمديح لنوريفا ،

اليس كذلك ؟

جواب: يوجد لديّ نسخة لرسالة يعود تاريخها الى شهر ايار عام ١٩٨٦ بهذا الصدد. فقد كتب جون لاون، في ذلك التاريخ، رسالة امتدح فيها نوريفا لنضاله للنشط ضد المخدرات واشترائه المتحمس في حرب المخدرات. وكتبت رسالة اخرى في عام ١٩٨٧. وفي ايار ١٩٨٧، تولى اديوين ميس، النائب العام الاميركي آنذاك، ادارة التحقيقات بقضية نوريفا في فلوريدا. وبعد ذلك اصدر الكونغرس قراراً دعا فيه نوريفا بأن يتنحى جانباً لغاية ما يتم الاستعلام عن نشاطاته الاجرامية. إلا أن بعض الفئات المتنفذة عارضت ذلك. فهم كانوا لا يزالون يحمونه، ومن المحتمل أن تعليقات لاون حول نوريفا وتعاونيه في مجال حرب المخدرات كانت دقيقة تماماً. فمن المحتمل أنه كان يتعاون في هذا المجال. ولم ؟؟ فلم لا يتعاون مع الجهود الاميركية في حين أنه يحصد الأموال من جراء بيع الكوكايين؟ فلا يوجد هناك تناقض فكل هذا يعكس سياسة التناقض الاميركية.

وعلى نحو مصانف، فإن ذلك اعتبر صعباً ثانية لرؤية كم لا يمكن لوسائل الاعلام ان تفهم وترى ماذا يحدث بالفعل. فهذا بالضبط ما يحدث مع كل قاطع طريق ومحتال تدعوه الولايات المتحدة. فاستعرض القائمة التالية:

تروجيلو، سوموزا، ماركوس، بوفالير - الذين دعمتهم الولايات المتحدة وبحماس. فهم جميعهم أسوأ من نوريفا. ومرة أخرى، فإنهم ليسوا بنفس العصبية أو المستوى كما هو الحال بالنسبة لهذا المحتال التافه، نوريفا. إنهم قاطعو طرق ورجال عصابات بالفعل. ولقد دعمتهم الولايات المتحدة بحماس من خلال أسوأ ممارسات الارهاب ما دام كل شيء كان يسير بنظام والمنافع تتدفق وتجنّى.

بيد أنه تلتى هناك نقطة في المسار المنحني، وبشكل نموذجي، عندما يتجاوزون حد الاعتدال ويصلون حد التطرف. وبدلاً من سرقة الفقراء، كما يفترض بهم ذلك، فقد بدأوا بالتدخل مع الأغنياء. وعند ذلك الحد فقد بدأت معارضة رجال الأعمال تتطور، وحتى أنهم بدأوا بالتدخل مع الامتيازات الاميركية. كما أنهم بدأوا لأن يصبحوا مستقلين جداً أو أنهم يتدخلوا مع المستثمرين الاميركيين. وهذا ما يحدث غالباً. وبداناً عند تلك النقطة بسماع اخبار حول انتهاكات حقوق الانسان واصبح شوقنا او توقنا

الفوري للديمقراطية مهيمناً، وارتفعت كافة العلامات والملاحظات حول المثاليات الأميركية، الخ. ومن ثم جاءت فترة من التناقض. ومع ذلك، فإنه لم يكن بالإمكان قلب الوضع بشكل فوري. فكانت هناك فترة من الوقت ليجري تقرير ماذا يمكن فعله. ففي حالة تروجيلو، فبعد دعمه لعدة عقود من الزمن ومن خلال الأعمال الوحشية الفظيعة، فإن وكالة المخابرات المركزية حاولت اغتياله. أما في حالة سوموزا، فإن إدارة الرئيس كارتر حاولت انقائه، ولكن عندما أصبح واضحاً بأنه من غير الممكن انقائه، فقد حاولوا ازلحته بطريقة ما، وقاموا بذلك. فقد أبعده الى ميامي، بيد أنهم حاولوا حتى النهاية بأن يبقوا الحرس الوطني أو الجيش في بلاده مسيطراً على زمام السلطة وذلك حتى يبقوا على نظامه قائماً. وفي حالة ماركوس، فقد انتظروا لفاية ما تحول الجيش ضده، ومن ثم تحولت واشنطن ضده. أما في حالة بوفلير، وعندما تحولت فئة رجال الأعمال ضده، فعل البيت الأبيض الشيء ذاته، ايضاً.

وهذا ما حدث بالنسبة لنوريفا. ففي عام ١٩٨٧، نشأت معارضة مدنية في بنما، وخاصة من قبل طبقة رجال الأعمال الأوروبيين، وهي طبقة كبيرة في بنما. فهناك نخبة تقليدية بيضاء، تتكون من عشرين عائلة تدير شؤون البلد منذ مدة طويلة. إلا أن الوضع قد تغير في عام ١٩٦٨، عندما قام الجنرال توريجوس، وهو بيكتاتور مشهور، بانقلاب، وأصبح هناك تغييراً في السلطة، حيث شارك في الحكم السكان السود المهجنين من نسل لوروي وهندي أميركي، أحياناً بشكل رمزي، وأحياناً بشكل فعلي. أما المعارضة المدنية التي نشأت في عام ١٩٨٧، فقد كانت من قبل فئة من الأغنياء، من العنصر الأبيض الذين يركبون سيارات المرسيس وبرتاونو الفنادق المخملية. وكانت بدأت إشارات معاداة نوريفا من خلال الكتابات اليدوية على الجدران. إنهم كانوا من حلفاء الولايات المتحدة. واستغرق الأمر سنة أو اثنتين بينما كانت الولايات المتحدة تسوي سياستها. وبدأت إشارات التذبذب والاضطراب في أواخر شهر آب ١٩٨٧. وكانت هناك ايضاً عدة عوامل أخرى اشتركت بذلك. وكان هذا متوقعاً مع كل قاطع طريق أو محتال كنا ندعمه، سواء كانوا من الكبار مثل ماركوس وسوموزا أو من الصغار مثل نوريفا. إنها عبارة عن توالٍ أو تعاقب طبيعي، يمكنك أن ترى أو تستنتج لماذا تحدث. وإنها فقط مسألة وقت.

وكان هناك عامل واحد بالنسبة للموقف الأميركي تجاه نوريفغا، بيد انه كانت هناك عوامل أخرى أيضاً. فالعامل الحاسم، كان في الاول من شهر كانون الاول عام ١٩٩٠، وهو اليوم الذي عانت فيه معظم شؤون ادارة قناة بنما ليد حكومة البلاد. وبعد سنتين، اصبحت ادارة القناة كلها بيد البلاد. علاوة على ذلك، فهناك خط انابيب نفط اميركي يمر عبر بنما وتمتلك الحكومة البنمية ستون بالمئة منه، واعتقد بأنه ينقل ما يقارب عشرة بالمئة من النفط الأميركي. لذلك فانه يعتبر شيئاً حيوياً مهماً. وكان لا بد من تأمينه، لذلك فقد اصبحت بنما في الاول من كانون الثاني ١٩٩٠ تدار من قبل حكومة عناصرها من البيض الأغنياء. فقد كان ينبغي أن توضع أو تعاد الاقلية البيضاء الثرية للسلطة، ولم يكن هناك مزيداً من الوقت.

ثانياً، وكما ذكرت من قبل، فان نوريفغا اصبحت مستقلة جداً. وهو لمدة طويلة، كان ينفذ الاهداف الأميركية. وكانت بنما عبارة عن قاعدة لشن الحرب ضد نيكاراغوا، إلا انه خرج عن الخط في آخر الأمر. ولأمر واحد، لأن بنما كانت تؤيد معاهدة «كونتابورا». وكانت الولايات المتحدة تعارض بشدة الجهود الدبلوماسية التي كانت تقوم بها الدول الديمقراطية في اميركا اللاتينية مفضلة الإبقاء على ساحة العنف هناك، التي كانت مهيمنة عليها. أما بنما فقد كانت تدعم معاهدة كونتابورا بقوة، والتي انتهت في نهاية المطاف الى عقد معاهدة سلام. لذلك فقد كانت تلك نقطة سوداء كبيرة ضد نوريفغا. كما انه كان على ما يبدو يجر قدميه او يتجه نحو حرب الكونتورا، ويلعب على جانبي الشارع (على الجهتين) في لعبة المخابرات، الخ. وبذلك فقد اصبحت نوريفغا مستقلة جداً، وغير موثوق به من جانب الولايات المتحدة. وهذه العوامل المختلفة عنت بأنه كان عليه ان يذهب.

وكانت المسألة الوحيدة هي اختيار التوقيت فقط. وبإمكانك أن ترى ماذا حدث فيما بعد. ففي شهر تمز ١٩٨٧، اصبحت هناك معارضة قوية من قبل الطبقة البيضاء هناك. وجرى قمع المظاهرات باستخدام الغازات والضرب والتعذيب، الخ. ونفذ ذلك من قبل صديق نوريفغا الحميم الكولونيل اواريدو هيريرا حسان، والذي كان محبباً للولايات المتحدة. وفي الحقيقة، فانه قد وضع في مركز القيادة العسكرية لبنما، فقط لنوضح حيننا لحقوق الانسان. وهو الرجل الذي اصبحت مسؤولاً الآن تحت الاحتلال العسكري

الاميركي. وهو نفس الرجل الذي نفذ عمليات القمع في عام ١٩٨٧. وجرت حادثة اخرى في نفس الوقت. فقد مات توريجوس او قتل في عام ١٩٨١. لا أحد يعرف كيف جرى ذلك. وكان لا يزال هناك بعض العناصر المؤيدة له في الجيش، والتي اعتبرت من الفئات اليسارية والغير مقبولة من قبل الولايات المتحدة. وكان يأتي في المرتبة الثانية بالقيادة بعد نوريفا رجل يدعى دياز هيريرا، والذي كان ابن عم توريجوس وكان من المفترض ان يصبح زعيماً ذا نزعة شعبية. وكان أمراً لا جدوى منه فيما لو استبدل نوريفا بهذا الرجل العسكري نو الشعبية، وما دام دياز هيريرا يتولى المنصب الثاني في القيادة، فانه لن يكون بالإمكان الإطاحة بنوريفا وضمان ولاء القوات المسلحة في بنما.

وفي شهر تموز ١٩٨٧ طرد دياز هيريرا، مما جعل الأمور مهيأة. وعند هذه النقطة فقد كان من الممكن التحرك قديماً للإطاحة بنوريفا، وفي نفس الوقت الحفاظ على قوات الدفاع البنمية وإعادة الفئات الارستقراطية البيضاء للسلطة فتلك كانت النقطة التي تغيرت عندها السياسة الاميركية بصورة دراماتيكية في تموز ١٩٨٧. واستغرق الأمر بعض الوقت قبل ان تترسخ الأمور، بيد ان ذلك بدا ليكون تغييراً حاسماً. كما إشار لذلك كل من جون ويكس وانثرو زيمباليست. ومن ثم جاءت العقوبات الاقتصادية، والتي سمرت بصورة رئيسية الاقتصاد في بنما. فقد صممت الأمور بعناية. صممت لتحاول تجنب فرض عقوبات على الشركات الاميركية، وانما لوضع العبء على السكان الفقراء السود هناك. وهم من الموالين لنوريفا. وكان الافتراض ان هذا سيؤدي الى تاكل الدعم والتأييد لنوريفا. وأثمر هذا بعد سنة او سنتين. فقد تاكلت شعبية نوريفا. وبنهاية عام ١٩٨٩، فقد أصبح مكروهاً، لأنه كان ينظر كل واحد انه كان هو المسؤول عن تجويع شعبه. ويتك الطريقة تقوم الولايات المتحدة بشنقنا. إنها كانت خطة محكمة. ومن ثم دعمت الولايات المتحدة قيام انقلاب عسكري هناك. وأخيراً، وعندما لم يجد تلك نفعاً، فقد جاء من بعده الغزو، ويشكل رئيس في وقت لضمان اقامة حكومة موالية للولايات المتحدة مؤلفة من النخبة البيضاء (الفتة البيضاء) في بنما قبل باقية عام ١٩٩٠.

وكان يوجد هناك مقداراً كبيراً من السخريات في هذا الحدث، اذا ما اراد أي واحد أن يتمعن في الأمور التي لم يورد ذكرها. فالرئيس الذي نصبناه هناك وهو

جيوايرمو اندارا، فقد فاز بالفعل في الانتخابات بشهر أيار ١٩٨٩. إلا أنه طرد من منصبه، لأن نوريفا سرق الانتخابات منه، وذلك باتباع أساليب العنف والاضطهاد.

بيفيد بارساميان :

ولقد نهب جورج شولتز الى بنما في ذلك الوقت.

نعوم تشومسكي :

لقد أرسل ريفان برقية تهنتة قبل سبعة ساعات من الاعلان عن نتيجة الانتخابات. ونهب جورج شولتز الى هناك من اجل تدشين الديمقراطية البنمية. فماذا حدث في عام ١٩٨٤؟ لقد سرق نوريفا الانتخابات. واعتبر ذلك امراً جيداً في ذلك الوقت، لأنه سرق او زور الانتخابات من اجل منع اندارا ورئيسه، ارنولفو ارياس، من الوصول الى السلطة. وكانت المشكلة تكمن في ارياس، الذي كان من السياسيين القدامى في بنما، وكان ايضا من الجناح اليميني الوطني هناك. بيد ان الوطنية هي ما كانت تعتبر امراً سيئاً. ولا يهم فيما اذا كانت تنتمي لليمن او اليسار. وارياس كان وطنياً، وان الولايات المتحدة لم تربه لهذا السبب.

وكان اندارا يعتبر قسيسه، فقد كان الناطق باسمه ووزيره. واصبح العنف اكثر شدة من سرقة او تزوير الانتخابات في عام ١٩٨٩، فقد قتلوا عدداً من الناس جراء ذلك. لذلك ففي عام ١٩٨٤، فقد شجعنا نوريفا على تزوير الانتخابات بحماس. ووضع مرشحنا بواسطة العنف والاحتيال وتم سرقة وتزوير الانتخابات.

وفي عام ١٩٨٩، قام نفس الشخص بنفس العمل، وكنا مروعين من جراء ذلك لأنه جرى بقل مستوى من العنف والاحتيال. ففي الحقيقة، فإن اندارا نفسه، ومع انه لا احد استشهد بقواله خلال فترة الغزو الاميركي، لأنه كان عبارة عن رئيس صوري، ومع ذلك فقد اعلن بنهاية شهر كانون الاول ١٩٨٤ عن شجبه «لانتخابات عام ١٩٨٤ الخادعة». ولم يورد هذا التصريح لأنه كان سيؤدي الى حدوث التبصر للوصول الى الحقيقة. ولكن اذا ما كانت عواطفنا قد اوفيت كثيراً بواسطة نوريفا في عام ١٩٨٩ للإبقاء على اندارا خارجاً، فكيف كان كل ذلك جيداً عندما وقع نفس الشيء الاسوأ في عام ١٩٨٤، للإبقاء على اندارا خارجاً؟ وكانت هناك تغطية فعلية لوسائل الاعلام

للاتخابات التي جرت في عام ١٩٨٤ من قبل كين سيافرستين نشرت في عام ١٩٨٨ في صحيفة «كولومبيا جورناليزم ريفيو». ومن ثم استعرض ذلك في صحف رئيسة مثل التايمز والبوست وميامي هيرالد، الخ. ولا أحد تحدث بكلمة واحدة عن عملية الخداع وتزوير الانتخابات فقد كان الأمر جيداً بالنسبة لهم.

ديفيد بارساميان :

انكر ان شولتز في تلك الوقت قد أتب الساندينين في نيكاراغوا، قائلاً بأنه يجب عليهم أن يحاكموا أو يقتلوا الديمقراطية البنمية.
نعوم تشومسكي :

هذا صحيح، فهو قد ذهب لهنالك ليشن الديمقراطية وليتحدى الساندينين بأن يفعلوا الشيء ذاته. وبالطبع، فقد اموا باجراء انتخابات، انتخابات حرة، وبالطبع فقد كانت انتخابات موفية. وانها ابعثت فقط جهاز الدعاية والاعلام والذي لم يستجب او يغطي ذلك. فلم يورد اي شيء بهذا الصدد. وكان بالإمكان سماع تلك من هنا وهناك لاستنتاج ما كان يجري. فهذه الامور ليست غامضة. والسؤال الواضح الذي يتبادر للذهن هو عندما عبرت الحكومة الاميركية عن غضبها حول سرقة او تزيف الانتخابات التي جرت في عام ١٩٨٩ ، فماذا حدث في الانتخابات السابقة التي جرت في العام السابق عندما كان نوريجا لا يزال يعتبر رجلاً او محتالنا؟

إنه ليس سؤالاً معقداً. فإنك ستكتشف ذلك على الفور بلنها كانت اسوا من السرقة او التزوير، وقد جننا ذلك. فالرئيس الذي وضع او نصب هناك، وعلى نحو مصادف، كان تلميذاً سابقاً لجورج شولتز، وهو مصرفي ينتمي للجناح اليميني واسمه ارييتو بارليتا، والذي كان يدعى باسم «فرويتو» في بنما منذ وقت طويل.

■ سؤال : في شهر كانون الثاني عام ١٩٩٠، كتبت مقالة في صحيفة «الامة» قارنت فيها ما فعله الاتحاد السوفياتي سابقاً في دول اوروبا الشرقية في آخر سنة له قبل انهياره مع ما فعلته الولايات المتحدة في عالمها الذي تسيطر عليه. فما هو تعقيبك على ذلك ؟

جواب : إنه أمر متناقض تماماً، ومرة أخرى، فإنه نوعاً من المفاجأة بحيث أنه لا أحد في شمال «ريو جراند» قد فهم ذلك. فما يجري في عالمنا ما هو إلا عبارة عن حرب بارية. فنحن (الولايات المتحدة) نطمح الاستقلال والديمقراطية والاصلاح الاجتماعي، ونفعل ذلك بواسطة العنف لأنه لا توجد هناك وسيلة أخرى. فذلك امر أصبح اسوأ. وهذا ما فعله الاتحاد السوفياتي في منتصف فترة حريه الباربة ولوقت طويل. وكان عالمه (الدول السائرة في فلكه) أضيق جداً، لأن الولايات المتحدة تعتبر قوة عالمية، وانها تستخدم قوتها مباشرة في عالمها أو محيطها الخارجي، بيد ان الحرب الباربة بالنسبة للاتحاد السوفياتي (سابقاً) كان يعتمد على الدبابات، سواء كان الأمر في برلين أو بودابست أو براغ. اما بالنسبة للولايات المتحدة فانها اعتمدت على الإطاحة بالحكومات في شتى أنحاء العالم وتعذيب رؤساء النقابات المهنية، الخ، وهناك كثير من الحالات يمكن ذكرها. واستمر ذلك قائماً في عالمها أو الدول السائرة في فلكها، وبشكل مدهش في أميركا اللاتينية، والتي هي عبارة عن مقبرة بالنسبة لنا.

وما هو بارز بشأن أوروبا الشرقية هو انه تم وقف القوى الامبريالية عند حدها. كما انها (أوروبا الشرقية) سمحت بقيام الحركات الشعبية وتنشيطها وتفعيلها وتشجيعها فعلياً. وتعتبر هذه سابقة تاريخية. ولم يحدث هذا لأن الروس كانوا أشخاصاً لطيفين، وانما حدث لأسباب داخلية. لذلك فان الحركات الشعبية الكبيرة في أوروبا الشرقية هي قائمة فعلياً على جني المكاسب. حيث انها لم تواجه ذلك العنف والارهاب التي واجهته مثيلاتها في أميركا اللاتينية. وانني لا أشوه صورة الحركات الشعبية في أوروبا الشرقية، فهي حركات معبرة تماماً. غير انها لا تواجه نفس العنف الذي يحدث هنا، في الأمريكتين. فهناك، تاكلت القوات المسلحة وانهارت. كما انها حلت بشكل لم يسبق له مثيل من قبل تاريخياً. علاوة على ذلك، فان الاتحاد السوفياتي، وهذه ثانية سابقة لم يحدث لها مثيل، قد اعتذر عن العنف الذي مارسه سابقاً. فظهرت العناوين الصحفية الكبيرة على صدر الصحف الأميركية لتعلن بأن الروس قد انضموا أخيراً الى العالم المتحضر لأنهم صرحوا بأن غزو أفغانستان قد انتهك القانون الدولي وكان غزواً غير مشروعاً.

فذلك امر مدهش. فعليك أن تفكر لبعيد لتجد اي واحد يقترح بلنه من الممكن ان

تحاول الولايات المتحدة لتكون على مستوى ما قام به الكرملين، وتقول أو تصرح بأن العدوان على جنوب فيتنام قد انتهك القانون الدولي وكان لا أخلاقياً. ففي الواقع، فإنه لا يمكننا أن نصرح بذلك، لأن ذلك سيكون اعترافاً بأنه قد حدث. حتى أنه لا يمكننا القول بأن ذلك قد حدث بالفعل. أو أن نقوم بالاعتذار لغزو كل من جمهورية الدومينيكان، أو لفرنسا، أو غزو بنما. ودعنا ألا نعود للوراء كثيراً، فهناك العديد من الحالات التي قد تتصورها أو نذكرها.

واعتقد بأن الحرب الباردة بمجملها قد أسيء تفسيرها سواء من قبل اليسار أو اليمين على حد سواء ومنذ بدايتها. فإذا ما نظرت إلى الأحداث الفعلية للحرب الباردة، فإنك ستجد، ومن وجهة نظري، نوعاً من الاتفاق الضمني بين الاتحاد السوفياتي سابقاً والولايات المتحدة ليتسنى لهما المشاركة في إدارة العالم. ولم يكن الخط الرئيس له زائفاً تماماً، إلا أن جزءاً كبيراً من الحرب الباردة كان عبارة عن آلية يمكن للولايات المتحدة بواسطتها شن حرب ضد العالم الثالث والسيطرة على حلفائها في أوروبا، ويمكن أيضاً بالنسبة للاتحاد السوفياتي سابقاً من الإبقاء على امبراطوريته الداخلية وحتى بشكل أكثر فعالية.

إن توقعات حدوث حركات تحرير اشتراكية في الغرب، هي قائمة، كما اعتقد. ومن إحدى الأساليب الأكثر فعالية للسيطرة على الشعوب في الغرب كانت من خلال الارتباط بالاشتراكية والاصلاح مع الاتحاد السوفياتي. وذلك من المفترض لتكون «اشتراكية حقيقية متواجدة». إلا أن اليسار واليمين قد تعاونوا أو تحالفا في عملية خداع ضخمة. وقد ارتبطت هذه القيم، قيم التضامن والمساواة والعدالة الاجتماعية وغيرها من الأمور الأخرى، ارتبطت من الناحية التقليدية بالاشتراكية، ولكن إذا ما ربطت هذه بالأنموذج الأوربي الشرقي، فإننا عنئذ لا نريدها بتاتاً. فإن أي إنسان عاقل سيقول، «انني لا أريد ذلك». فذلك كان أسلوباً رئيساً كانت تحتوي من خلاله الحركات الشعبية ويسيطر عليها وتحول عن أهدافها، وكانت تمر في الغرب في بعض الأحيان. أنها عبارة عن خدعة تماماً. فالبلاشفة في انقلابهم الذي قاموا به في عام ١٩١٧ قد سعوا الاشتراكية، فماذا بقي منها في الاتحاد السوفياتي سابقاً.

■ سؤال : ولكنها حملت اسمه، اسم الاتحاد السوفياتي ؟

جواب : بالتأكيد انها كانت تحمل اسمه، تماماً كما نستخدم نحن عبارة الديمقراطية لنشير بها الى السلفانور، ايضاً. ففي الحقيقة، فانهم (السوفييت) كانوا يدعون الدول التي كانت سائرة بفلكهم «بالدول الديمقراطية الشعبية». انها كانت تدعى بالدول الاشتراكية وبالديمقراطية ايضاً، على حد سواء. وكنا نضحك ونطلق النكات على هذه التسميات، الاشتراكية والديمقراطية لأنه كان من الضروري القيام بذلك من اجل تشويه الاشتراكية والخط من شأنها. والدول السائرة في فلكه، بشكل ظاهر فقط فنلك هو الجزء الاكبر من وظيفة الحرب الباردة. وهناك وظائف اخرى، إلا ان ذلك هو الجزء الاكبر منها. ومن وجهة النظر هذه، فان نصف الحرب الباردة ما زال مستمراً. وهو مكثف، في الحقيقة. فما زالت الولايات المتحدة تلعب لعبتها. اما الجزء الآخر من اللعبة فقد انتهى. فنلك تغير، إلا انه لا يعتبر انتهاء للحرب الباردة. فما هو موجود الآن، ان طرف واحد قد أنهى اللعبة، في حين ان الطرف الآخر ما زال ماضياً فيها قديماً وكما كان من قبل (الولايات المتحدة).

ومما يدعو للدهشة، ان هناك أناساً مثل اليوت ابرامز وغيره مدركون تماماً لهذا ومسردون به وتوصلوا لاستنتاج واضح: فابرامز، أصبح منتشياً بعد غز وينما، وبين بوضوح تماماً بأنه يوجد هناك اختلافاً الآن عما قبل. فالآن لا يمكننا القلق بشأن تدخل او ردع سوفياتي. فهو يقول ان الولايات المتحدة مطلقة للحرية الآن لاستخدام القوة، لأننا لن نقلق بأن يؤدي ذلك الى تفجر نزاع بين قوتين عظيمتين، لأن الروس قد اخرجوا عن الساحة وأوقفوا. وأصبح الوضع بأننا قد احتوينا الروس ورددناهم. فقد كان الواقع السابق: بأنهم كانوا يحتنون مخططاتنا الدولية ويردعوننا، وكان ذلك أمراً بيعياً لأننا قوة عالمية، ومخططاتنا ومشاريعنا موجودة في كل مكان من العالم، وليس فقط من خلال طرق الغزو التاريخية. وعمليات الغزو السوفياتية، باستثناء غزو أفغانستان، الذي كان من خلال طرق الغزو التاريخية الآتية من الغرب ضد الروس. فلا يوجد شيء من هذا القبيل فيما يتعلق بتدخلاتنا او غزواتنا. فابرامز يفهم بشكل صحيح ان الردع قد انزل، أو انه قد قلص، لذلك فإن لنا الآن مطلق الحرية في استخدام القوة. ويمكننا ان نلعب لعبة الحرب الباردة. والآن، ويعد انهيار النظام السوفياتي، فإن ذلك الأسلوب في

السيطرة على الشعوب هو أيضاً، ربما، انهيار معه. وكانت هناك جهوداً كبيرة للإبقاء والحفاظ عليه. وذلك يفسر لماذا أثبتت كل تلك الضجة حول الانتصار الذي حققته الرأسمالية على الاشتراكية، الخ. إلا أن الأمر قد أصبح أصعب. وذلك يعني بأنه ما زالت توجد هناك فرص لإحياء التفكير والمثاليات الاشتراكية التحررية التي نمرت وحطمت من قبل الثورة البلشفية، كما أنها نمرت في الغرب بسبب ربطها بالثورة البلشفية أيضاً. فهناك يكمن الأمل كما اعتقد. ولا أعرف مدى كبر هذا الأمل. إلا أنه قد أزيل عائق واحد على الأقل.

■ سؤال : كيف يمكن للمخططين ومجموعات النخب هنا منع الفساد من الانتشار كما حدث من قبل؟ وماذا لو أن الجماهير في الولايات المتحدة أرادت وجود أحزاب سياسية حرة والوصول إلى أجهزة وسائل الاعلام، الخ ؟

جواب : إنهم يعترفون بأنها تشكل مشكلة. وهذه من إحدى الأسباب لماذا إن النخب الحاكمة الأميركية والأوروبية هي ليست سعيدة جداً مع هذه التحركات باتجاه الانفراج والانفتاح. فهذه قصة . تعود إلى منتصف الأربعينات. حيث كان للولايات المتحدة دوراً رئيساً في تقسيم ألمانيا، لأنها كانت معنية من أنه كان من الضروري تحطيم الحركة العمالية الألمانية ولأن ما كان يدعى «بالعدوان الأيدولوجي» الآتي من الشرق. فقد كان ذلك يعتبر نوعاً من العدوان الذي كنا نخشاه في الحقيقة. وقال جورج كينان في عام ١٩٤٦، أنه كان من الضروري عزل ألمانيا الغربية عن التأثيرات القادمة من الشرق إذا ما أريدنا إعادة النظام التقليدي القديم والتأكد من عدم وجود نزعات اشتراكية ديمقراطية أو حركة عمالية قوية، الخ. فنلك كان جزءاً مما كان يجري في العالم جميعه آنذاك. وما كان يجري منذ تلك الحين وإغاية اليوم.

وعلى سبيل المثال، فعندما ألقى بريزنسكي (مستشار مجلس الأمن القومي في عهد ادارة الرئيس كارتر) خطاباً في موسكو حول الانتصار الرائع الذي حققته الرأسمالية، واختتم فيه خطابه ذاك، بيد أنه دعنا لا نذهب بعيداً جداً في هذا. ودعنا نبقى على كل من حلفي وارسو والأطلسي، لأن ذلك يساهم بما نطلق عليه اسم «الاستقرار»، وهو يعني واحد من تلك الكلمات الشيفرية التي تعني «الحكم بواسطة

الأشخاص الصحيحين. وكان يوجد هناك خوفاً دائماً مما قاله رئيس وزراء جنوب إفريقيا السابق، جان سموتس، عندما قال لصديقه آنذاك، ونستون تشرشل، في عام ١٩٤٢ «دع السياسة تضيع بين هؤلاء الناس» في أوروبا.

■ سؤال : ولقد نشأ عن تلك ازمات في الديمقراطية، اليس كذلك ؟

جواب : بالتأكيد، فعليك أن تتأكد بأن لا تدع السياسة تضيع وتتحلل بين هؤلاء الناس، وإن نظام الحلف يساعد في منع ذلك. وهذا سبب لماذا تكون النخب الأوروبية الحاكمة سعيدة تماماً به، وحتى أنها تريد الحفاظ على وجود القوات الأميركية هناك. فهم يريدون الإبقاء على بعض المواجهة قائمة، لأن تلك يبقي السياسة بأن تصبح ضائعة ومفككة بين هؤلاء الناس ويكل أنواع الأفكار المضحكة. وهنا عليك أن تلقي نظرة على البدائل الأخرى. وتلك في الحقيقة وظيفة رئيسة لحرب المخدرات وهستيريا الارهاب الدولي. وامور أخرى يمكن ان تبتكر. ويصعب القول كم ستبقى من الزمن. ولا اعتقد بلتها ستكون لها رعاية كما كان لامبراطورية الشر، والتي كانت، مع ذلك، شريرة ومتوحشة. فلا يهم كم تكون الفكرة غير عاقلة حتى يخنقوا بها الغرب، وأنه كان صحيحاً بلتهم كانوا بشعين. ولا أعرف اذا كان بإمكانك أن تجد بديلاً لذلك بسهولة. فتلك هي أنواع الصراعات الناشئة الآن ضمن النظام الأيولوجي.

بدائل امبراطورية الشر

جرى هذا النقاش في شهر شباط ١٩٩٠

ييفيد بارساميان : في شتاء عام ١٩٩٠ ظهرت مقالة صحفية بعنوان «الى ضريح ستالين». وقد جذبت هذه المقالة انتباه وسائل الاعلام المركزية. كما ظهرت مقتطفات منها في صحيفة نيويورك تايمز. فهل لديك فكرة عن ذلك ؟

نعوم تشومسكي :

اول كل شيء، فهناك اطار مفاهيمي الذي يمكن ان نتجاهله تماماً كما اعتقد. وانه مليء بمثل تلك التبصرات او الاعتقادات من ان اليسار اعتبر ستالين كبطل، ووصفت الستالينية على انها حركة ديمقراطية ومجد رئيسها، الخ. ويمكننا ان نطرح تلك جانباً، ونتناول فقط جوهر المقالة، ونأخذ منها ما نشر في صحيفة «التايمز» اللندنية، والتي تحتوي على فرضية عامة وعلى توصية سياسية تتبعها. والفرضية العامة هي انه لا يوجد هناك طريق او وسيلة ثالثة ما بين اللينينية والسوق، ما بين البلشفية والحكومة الدستورية. لذلك فإن أي جهد لايجاد أي شيء بين تلك الأمور هو مستحيل. فتلك هي الفرضية العامة. اما التوصية السياسية فهي ان المساعدة الأميركية للاتحاد السوفياتي سابقاً يجب ان تكون مقيدة الى الحد الذي اطلق عليه الكاتب عبارة «التركيبات المتوازنة»، التي تركز على الاستثمار الخاص والسوق الحرة، وذلك الذي يقع ضمن نطاق روسيا، في دول البلطيق، الخ. كما انه يجب على الولايات المتحدة ان ترفض قيود بنك النقد الدولي عليها، مع انشاء مناطق حرة، ويجب ان يمتد ذلك تدريجياً الى داخل الاتحاد السوفياتي سابقاً. فهذه هي التوصية السياسية.

ولنعد الى الفرضية السابقة، والتي تحتوي على خلل ثانوي. فالجزء الاول منها ينفي وجود كل مجتمع في العالم عملياً. حيث تقول بأنه لا يوجد مجتمع يلتزم بثبات بمبادئ السوق الحرة وهناك الشيء القليل من اللينينية في أسلوب لدارتها، خصوصاً وأن ادارة هذه الاقتصاديات أصبحت متآكلة. وان هذا لا ينطبق بالتأكيد على

الديمقراطيات الصناعية، أو الدول الصناعية الديمقراطية. وبشكل واضح على الدول التي لم تحرز نجاحات كبيرة بعد في مجال الصناعة مثل كوريا الجنوبية وتايوان. أما فيما يتعلق بالانحاء من انه لا يوجد هناك أساس أو أرضية ثالثة ما بين البلشفية والحكومة الدستورية، وهو الشق الثاني من هذه الفرضية، انه ينفي وجود معظم مجتمعات العالم، التي ليست بلشفية ولا حتى التي يوجد فيها حكومات دستورية. فالفرضية الرئيسية ليست زائفة فحسب، بل انها مضحكة وسخيفة جداً لتناقش حتى. ومن هنا يمكنك ان تفهم لماذا اراد كاتب المقال ان يظل اسمه مجهولاً، معطياً مستوى فكري لمناقشة مقاله، سواء الجزء الذي اشترت اليه من قبل او الفرضية التي طرحها. ومع ذلك، فان كل هذا عبارة عن عرض في الحقيقة. وما هو مهم ومجدي للمقالة لا يكمن في الاطار المفاهيمي فيها، وانما في التوصية السياسية، لذلك دعنا نعود الى ذلك.

فالتوصية السياسية تقول بأنه يجب على الولايات المتحدة والغرب عموماً محاولة تحويل أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي سابقاً الى دول عالم ثالث جديدة. ونحن بالطبع، لا نقبل مبادئ السوق الحرة والتركيبات الرأسمالية لأنفسنا. فلا يوجد رجل أعمال واحد يمكن ان يتساهل ليكون خاضعاً لخرابات الرأسمالية المتنافسة والسوق الحرة من دون وجود حكومة تحميها ووجود مساعدة عامة، الخ.

بيد اننا نصر على ذلك من اجل ضحايانا. فسيجعلهم اكثر سهولة للاستغلال. وذلك ما فرضته شروط البنك الدولي وهو: لا مساعدات، لا حماية، ولا حافز حكومي للاقتصاد او التدخل بالاستثمارات الأجنبية، الخ. فإذا ما امكنك فرض مثل هذه الشروط على دول العالم الثالث، فان ذلك يجعلهم بسهولة اكثر قابلية للاستغلال. فالعرض السياسي يكون بسيط جداً: فدعنا نحاول تحويل الامبراطورية السوفيتية المنهارة الى امريكا لاتينية جديدة يمكن سرقتها واستغلالها بنفس الطريقة والنمط كما يستغل عالمنا الثالث القديم. فذلك ما يعول عليه. أما البقية فهي عبارة عن ألعاب فكرية لتجعل الامر يبدو جيداً.

■ سؤال : لقد لنزعجت بإصلاحات غورباتشوف بسبب قلب الأمور رأساً على عقب. فهل تعتقد انه كانت لديه خيارات كثيرة ؟

جواب : انه لم يكن انتقاداً لغورياتشوف. وانما هو انتقاد للنظام اللينيني الذي دمر المجتمع المدني. وقدم القليل جداً للتركيب او القاعدة الشعبية. ويعود ذلك أيضاً الى ما قبل الثورة البلشفية. وقد قارن الشعب الروسي ذلك مع عهدي بطرس الاكبر والكسندر الثاني. لذلك فقد كان النظام يتطلب تغييرات اساسية، وربما اجراء حل شامل للنظام، إلا ان غورياتشوف بدأ من القمة، أي انه استهل الأمور من الأعلى. لذلك فقد تحركت بالطبع كافة الحركات الشعبية. وذلك انعكاساً لطبيعة المجتمع السوفيياتي. وليس تعليقاً على غورياتشوف.

■ سؤال : إن نظام البنتاغون الصناعي في هذه البلاد يتطلب وجود عدو.. فمن الذي سيكون بديلاً عن الاتحاد السوفيياتي ؟ فوسائل الاعلام ستقدم وتبرز كل من امراء المخدرات ومنظمة التحرير الفلسطينية وفصائل الساندينين والليبيين. إلا ان هذه العناصر لن تستمر وتطيل عملياتها. فما هي وجهة نظرك ؟

جواب : تلك كانت مشكلة في حقبة الثمانينات برمتها. وكان من الواضح منذ بداية الثمانينات انه من الصعب الإبقاء على موجة الهستيريا ماضية فيما يتعلق بالامبريالية السوفيياتية. وجاءت ادارة الرئيس ريفان للحكم وهي ملتزمة بتنفيذ توسع ضخم ويسرعة للبرامج العسكرية التي اقترحت من قبل ادارة الرئيس كارتر. وهم الآن ماضون في انجاز ذلك بسرعة. ويتطلب هذا مقداراً كبيراً من الهستيريا الشوفينية والخوف، الخ.

وبالطبع، يوجد هناك احاديث كثيرة حول امبراطورية الشر، التي تطوف للعالم، وهناك امور اخرى أيضاً. فوزيم الخارجية الأسبق، الكسندر هيغ، قال في إحدى تصريحاته بأن الارهاب الدولي سيستبدل بحقوق الانسان كمظهر مركزي للسياسة الخارجية الاميركية، أي سيولي الاولوية في المعالجة. وشنت حملة كبيرة حول الكرملين الذي كان يرعى الارهاب الدولي، وشمل ذلك أيضاً بعض العناصر العربية والساندينين، الخ. وظهرت هستيريا محمومة حول تلك الامر. فعلى سبيل المثال، ومع حلول عام ١٩٨٥، كان الارهاب في الشرق الأوسط وحوض المتوسط على جدول الأولويات فعلياً بالنسبة للصحافة الاميركية في ذلك العام.

وادی تلك الى وقوع أحداث وحشية مثل قصف ليبيا بواسطة الطائرات الاميركية. وكانت تعتبر هدفاً مختاراً، وقد قيل الكثير بهذا الخصوص، إلا انه لم يكن نو جدوى. فمن الصعب جداً ان تبقي الناس معبئين بسبب الارهاب النووي. وكان هناك ايضا جهداً حثيثاً لمحاولة تشويه وفبركة ما كان يجري. ولذلك الامر قصة طويلة.

والامر التالي، كما قلت، هي حرب المخدرات. لذلك فهي بديل طبيعي عن الاتحاد السوفياتي، وانها يمكن العمل بها ولو بشكل مؤقت. ولا اعتقد بأن لديها القوة للاستمرار كما كان الامر بالنسبة للاتحاد السوفياتي وتهديده. ومع ذلك، فانها بالتأكيد ذات فعالية. ويكفي ان ننظر الى عمليات الاستطلاع. فعلى سبيل المثال، هناك الحملة الكبيرة لأجهزة الاعلام الحكومية حول حرب المخدرات التي بدأت فعلياً منذ شهر ايلول عام ١٩٨٩. وكان تأثير ذلك مباشراً على الشعب او الرأي العام. وقد قمت برصد النشرات الصحفية المرسلة، وذلك من اجل الاستمتاع فقط ورؤية كم كان يوجد هناك من اقصيص تروى حول ذلك. ولم تكن تلك عبارة عن تحليلات صحفية علمية، وانما عبارة عن عينات من الاخبار والروايات. ففي نشرات وكالة الاسوشيتيد برس كانت هناك قصص وروايات كبيرة حول المخدرات اكثر منها حول اميركا اللاتينية، واسيا، والشرق الأوسط، وافريقيا مجتمعة. إنها طفت على اخبار كافة هذه الدول. فاذا ما شاهدت التلفزيون، فان كل برنامج اخباري فيه احتوى على فقرات كبيرة عن المخدرات وكيف انها تدمر مجتمعنا. وانها الاكبر خطراً في التاريخ، الخ. وقد عكست الاستطلاعات ذلك. لذلك فعندما فاز بوش بالانتخابات في شهر تشرين الثاني ١٩٨٨، وعندما استطاع الشعب بسؤال ملن مفاده: ما هي المشكلة الرئيسية التي تواجه البلاد؟ وكالعادة فإن النسبة القصوى التي يمكن ان تحصل عليها لهذا السؤال هي عشرة بالمائة، لأن الناس يكونون احراراً في تقدم او اقتراح اي شيء يريدونه كمشكلة رئيسية. وكان الخيار الأعلى هو عجز الموازنة. واعتقد بأن ثلاثة بالمئة من المواطنين فقط قالوا بأن المخدرات كانت هي المشكلة الرئيسية. غير انه بعد حملة شهر ايلول الاعلامية، فقد أصبحت المخدرات على مستوى نسبة أربعين أو خمسين بالمئة، وهي نسبة عالية جداً، وانخفضت معها نسبة عجز الموازنة. فهذا التغير عكس مدى تأثير وفعالية وسائل الدعاية والاعلام. ولم يحدث اي شيء جديد حول المخدرات يمكن ان يحسب له حساب في تلك الفترة.

وكانت هناك أيضاً بعض السفريات البارزة خلال تلك الفترة. فعلى سبيل المثال، فلا شك أن المخدرات تشكل مشكلة رئيسية. بل إن أيضاً الكحول والسجائر تشكل مشكلة خطيرة جداً، وكل واحد يعرف ذلك على الأقل. فلك أن عدد الوفيات سنوياً نتيجة للكحول والسجائر تبلغ حوالي نصف مليون شخص. أما الوفيات نتيجة للمخدرات فربما يكون عددها حوالي خمسة آلاف شخص، ولا شيء نتيجة لتعاطي أنواع أخرى من المخدرات، مثل الماريجوانا مثلاً.

ففي الواقع فإن حرب المخدرات على مدى السنوات قد انخرقت من استخدام للمخدرات الأقل ضرراً نسبياً مثل الماريجوانا إلى مخدرات أخطر بكثير مثل الكوكايين، فذلك ضرب مقلزم أو متاصل في أساليب الردع أو المنع. ولكن حتى مع ذلك، فإن الأرقام الاتحادية حول ذلك، والتي هي ربما تكون مفهومة، يمكن أن تكون أقل من خمسة آلاف من الوفيات سنوياً نتيجة لتعاطي المخدرات، وحوالي نصف مليون ضحية سنوياً نتيجة للكحول والتبغ وحتى لو أن تلك الأعداد قد أصبحت ثابتة بفعل عامل كبير، فإن التفاوت يظل ضخماً.

وتعالم في وسط مثل هذه الحملة الإعلامية الكبيرة حول حرب المخدرات، فإن وزارة التجارة الأميركية قد تلقت شكاوي من شركات التبغ من أن تايلاند قد رفضت قبول شحنات التبغ الأميركي، وفرضت قيود مختلفة على التبغ وعلى إعلانات السجائر، وذلك في جهد منها لمنع استمرار التبغ في تايلاند. وقد طلبت شركات السجائر الأميركية من الحكومة أن تفرض عقوبات تجارية على تايلاند وذلك لإخضاعها لقبول التبغ الأميركي وإخضاعها أيضاً لقبول الدعاية للسجائر. وقد فرضت عقوبات تجارية مشابهة في عهد إدارة الرئيس ريغان لإجبار اليابان وكوريا الجنوبية على قبول تدفق التبغ الأميركي عليهما. فقد شهد بذلك الطبيب الجراح العام، أيفريت كوب. وشجب هذا العمل تماماً ووصفه بأنه فضيحة، وقال بأنه كان فضيحة تامة لأن نطلب من دول أخرى وقف إرسال (تهريب) المخدرات إلينا في حين أننا نجبرها على قبول مخدرات أكثر إيذاءً من قبلنا مهددين بفرض عقوبات تجارية عليها. وقد قارن شهود عيان ذلك مع حرب الأفيون التي حدثت في أربعينات القرن التاسع عشر، عندما أجبرت بريطانيا الصين على قبول الأفيون لأنها لم تستطع أن تبيعها أي شيء منه ونشرت وباء الأفيون

هناك بعد ان اجبرتهم على قبوله بواسطة الحرب. وقد جرى ذلك دون الاعلان رسمياً عن ذلك. واعتقد ان صحيفتي رول ستريت جورنال وكريستيان سينس مونيتور قد كانت لهما ملاحظة بشأن ذلك فقط ولا احد حتى قد غطى فحوى ذلك. فان ذلك لم يورد تماماً. إذ ان الحدث له قصة طويلة. والقصة هي ان الولايات المتحدة تعتبر اكبر مهرب ومروج للمخدرات في العالم، أو ان الحكومة الأميركية تجبر الدول الأخرى على قبول المخدرات. بيد ان كل ذلك مر بهوء تام.

وعلى أية حال، فان تأثير كل ذلك كان مهماً. فان صحف اليوم، عل سبيل المثال، تنقل وتقتبس عن الفريدو كريستياني، رئيس السلفادور، يشكو فيها من ان الحكومة الأميركية لا ترسل له امراً كافية. فما يقوله هو انه، «اذا لم تعيدوا تمويلنا، فانه سيكون من الصعب علينا التعامل مع مشكلة المخدرات الغير قانونية». وعندما كان كويل (مسؤول اميركي) في جامايكا، فان رئيس وزرائها قال له، «ان عليكم ان تدفعوا لنا المزيد من المال او اننا لن نكون قانرين على مكافحة المخدرات». والسؤال المطروح هو، حسناً كيف يمكنك ان توقف المخدرات؟ فقد أصبح هذا التساؤل كمثل، كيف يمكننا ان نوقف الروس؟ وأصبح الشعار الآن، كيف يمكننا ان نوقف المخدرات؟ انها تغطية جيدة. فلول عمل او وظيفة لهم هو تعبئة الجماهير بالخوف، لان مشكلة المخدرات هي مشكلة شديدة جداً، مع ان الجزء الذي ينظرون اليه هو جزء صغير الحجم جداً، وان الطريقة التي يعالجون بها لا تهدف بالتعامل مع المشكلة. ومن المحتمل ان تكثفها. ومع ذلك فانها تعتبر مشكلة بدون شك.

ثانياً، فهذه المشكلة توفر قاعدة صلبة للتدخل الاميركي. وانها تمنح قاعدة للإبقاء على القوات الأميركية في المنطقة (اميركا اللاتينية)، حيث توجد هناك حركات تمرد وعصيان. فالمساعدة الأميركية لكولومبيا، كما تدعى، سارت على شكل مساعدة عسكرية، كانت تهدف للقضاء عل تهريب المخدرات، كما يعرف ذلك كل واحد، فاستخدمتها المؤسسة العسكرية هناك من اجل أغراضها، وشكلت فرق الموت، وقامت بالأعمال الوحشية، وقتلت زعماء الفلاحين، وارتكبت المجازر ضد زعماء الأحزاب السياسية المستقلة، والتي فقدت على مدى سنتين الآلاف من زعمائها من خلال عمليات القتل والاعتقال، وعمليات التمرد والعصيان، الخ. فنك بالاضبط ما استخدمت به المساعدة العسكرية الأميركية.

فعندما تريد الولايات المتحدة أن تتحرك في هذا المجال فإنه سيكون هناك غطاء تقوم فيه بالعمل من خلاله. فعلى سبيل المثال، عندما طلبت كولومبيا من الولايات المتحدة تقديم مساعدة في إنشاء محطة رادار لرصد عمليات تهريب المخدرات الغير قانونية من بول «الأندين» إلى الجنوب، فإن الولايات المتحدة قامت ببناء هذه المحطة، بيد أنها قامت ببنائها على أرض كولومبيا، التي تعتبر نقطة أبعد، وأكثر انعزالاً، من المنطقة التي تهرب أو تلتقي منها المخدرات. فقد قامت ببنائها في الشمال على جزيرة تشرف على ساحل نيكاراغوا، وبالطبع فإنها ستستخدم لمراقبة نيكاراغوا، بدلاً من رصد عمليات تهريب المخدرات.

وايضاً عندما طلبت كوستاريكا من الولايات المتحدة نفس المساعدة، إذ أنها طلبت عقد صفقة لقاء ذلك. ولم يكن لكوستاريكا طريقة في تحقيق ذلك. لذلك فقد رقت ذلك مع الحكومة البريطانية، التي قيمت ذلك على أنها عملية مضادة لحركة عصيان وايس لها شأن مع مكافحة المخدرات. فذلك ما جرى بالضبط وحدث نفس الشيء مع بيرو وبوليفيا وفي أي مكان آخر. أنه غطاء للتدخل. وإنها طريقة لتعبئة الجماهير. وأصبح فيما بعد أسلوباً لضخ ما يدعى بالمساعدة سواء كانت على شكل مساعدة داخلية، أم من خلال البتاغون، الخ. وفيما إذا كان ذلك سيستمر فهذا سؤال آخر. إلا أنني أعتقد بأنها عبارة عن طريقة مهلهلة تماماً. فهي تستمر لمدة من الزمن فقط. وإنها استخدمت، على سبيل المثال، في غزو بنما. فمن إحدى الفرائع التي استخدمت لغزو بنما هي أننا كنا ندافع عن أنفسنا بطريقة ما ضد تهريب المخدرات. لقد كان أمراً مضحكاً، بيد أنها استخدمت بالتأكيد كعنصر دعائي ببعض الفعالية.

■ سؤال : هل تعتقد أن تجريم مسألة المخدرات هي طريقة خارجة

عن هذا النطاق ؟ وهل تفضل ذلك ؟

جواب : أعتقد بأنه يجب أن يستطلع شيئاً ما. فلا نريد أن نكون اعتباريين بهذا الشأن. إذ أنها مسألة معقدة. فبعض أشكال التجريم من المحتمل أن يكون منظم جداً. وتجربة التجريم هي معقدة عملياً في حالات أخرى. فلنأخذ جرم الكحول مثلاً. أنه يعتمد على أي مظهر أو وجه لتحسب فيه كيف يستخدم. فلا أحد يمكنه أن يدافع عن تجريم الكحول. وعليّ مع ذلك أن أسمع أي واحد يقول بأنه يجب علينا أن نعيد تجريم

الكحول. فهناك اسباب ملحة لذلك. الا انتي لا اعتقد بأنه يجب علينا ان نعيد تحريم الكحول. ولكن يجب ان يفعل ذلك بالنسبة للمخدرات، كما تقول ذلك نفس المصار. فلا يوجد هناك فرق اساسي. والسؤال هو فيما ذا كان يمكن ان يكون هناك بعض اشكال للوصول المرتبط بالانظمة الحكومية والاجراءات الاخرى التي تولي اهمية لزيادة العقوبة بالنسبة للمخدرات المؤذية وتخفيض العقوبة بالنسبة للمخدرات الخفيفة. فتلك هي الفكرة الاساسية. وقد فعل ذلك في انجلترا على مر القرون فيما يتعلق بالكحول. وكانت نظريتهم هي تحييد أو تشجيع شرب البيرة وتقليص تناول المشروبات الشديدة. فذلك ما توصلوا اليه عموماً. وهذه بوجه عام سياسة اجتماعية حكيمة. وينطبق مثل هذا الامر على قضية التبغ. فسيكون من الخطأ ان تضع للناس في السجن بسبب التدخين. بيد انه من الممكن استخدام او فرض قيود عليه، مثل ان يحرم بيع السجائر للذين تبلغ اعمارهم ستة سنوات مثلاً. وهناك ايضا عملية فرض الضرائب وتقديم البرامج التثقيفية، التي تعتبر ذات اهمية قصوى، ويمكن ان تحدث تأثيراً فعالاً، بحيث يكون الناس في وضع امام خيارات.

ولواصله هذا، فإن التأثير الواضح لسياسات الحكومة فيما يتعلق بالمخدرات، والتي اشير اليها مراراً، كانت متناقضة تماماً. فقد اعتبرت الماريجوانا من المخدرات الكثيفة الانتشار، ويمكن بسهولة منع استيرادها. فتأثير حرب المخدرات كانت تنحصر في تحريم وليس بمنع الماريجوانا بل وبتقييد انتاجها محلياً.

■ سؤال : وذلك مما يرفع من اسعارها، اليس كذلك ؟

جواب : ليس يرفع الاسعار فقط. وانما ايضا بتحويل الناس لاستخدام مخدرات عالية التصنيع، مثل الكوكايين، والتي يمكن ان تحضر أو تهرب بإحكام وحتى من ان تصنع في المختبرات، وهي اكثر ضرراً وفتكاً. وقد ازدادت كميات الكوكايين في سوق المخدرات على مر السنوات ومن خلال قوى السوق. وارتفعت اسعارها وجعلها الناس اكثر خطورة. لذلك فان تأثير تحريم المخدرات كانت على العكس تماماً بالنسبة للاجراءات النظامية المتعقبة التي استخدمت في انجلترا فيما يتعلق بالمشروبات الكحولية: فهم حولوا الناس من تعاطي المخدرات الغير مؤذية نسبياً نحو تعاطي المخدرات الأكثر ضرراً وليذاء. وهذا مستمر في سريانه. ولكن من الممكن بعد ذلك ان

تصنع بعض المخدرات في المختبرات بحيث تكون حتى قابلة أكثر للإيمان، كمثل الجليد، الذي يغطي في هذا الوقت الساحل الغربي، الخ. ومرة ثانية، فلا اعتقد بأنه يمكنك الآن ان تأخذ الأرقام بشكل موضوعي أيضاً، لأنه يوجد هناك الكثير من الأمور الغير معروفة، بيد ان الأرقام الموجودة تعني شيئاً ما. فالأرقام الموجودة حول تعاطي الماريجوانا لا تشير الى أية حالة وفاة من جراء الإفراط في تعاطيها، ويقدر عدد الأشخاص الذين يتعاطونها بحوالي ستمين مليوناً. وإذا ما كانت هذه الأرقام حتى مشكوك فيها، واعتقد ذلك، فانها قد تشير الى ان الماريجوانا هي اقل خطراً من تعاطي الكحول وانها اقل خطراً بكثير من التدخين.

واعتقد أنه إذا ما وضع نوع ضئيل من التجريم فانه من المحتمل ان تكون هذه سياسة عاقلة، إلا ان ذلك لا يصل الى قلب المشكلة. فعليك ان تسأل نفسك، لماذا ينتج الفلاحون في بيرو وبوليفيا نبتة الكوكا (التي يستخرج منها الكوكايين)؟ ولماذا يتعاطاها شبابنا الصغار في المدن؟ فجواب ذلك ليس غامضاً. ففي البيرو وبوليفيا، يعتبر ذلك جزءاً لسداد ما يدعى بالمساعدة الخارجية الأميركية. فالسياسات الأميركية صممت لتفرض على مر السنين نوعاً من نموذج التصدير من دول العالم الثالث. وهناك طرق ووسائل كثيرة للقيام بهذا. ومن إحدى هذه الوسائل هي الغذاء مقابل السلام، على سبيل المثال، والتي ترسل بواسطتها متوجات المزارع الأميركية، وتعني بمضمونها كهبة من دافع الضرائب الأميركي الى رجال الأعمال الأميركيين. وترسل هذه المساعدات الأميركية الى دول العالم الثالث، التي تقوم ببفع فلاحيتها على انتاج محاصيل للتصدير. وهذا ما حدث في البيرو، وبوليفيا. وعندما يجبر الفلاحون على التعامل في السوق الرأسمالي، فانهم يقومون بذلك بطريقة كما يجب ان تكون: فهم يتطلعون الى انتاج محصول مكثف قابل للمنفعة بالنسبة لهم، وخاصة من نبتة الكوكا. وهكذا فنحن ندفعهم لاتنتاجها. ومن ثم فعندما لا نريدها نذهب الى هناك ونخرب المزارع. ونحن في الوقت ذاته لا نقوم بتخريب مزارع التبغ الموجودة في شمال كارولينا. فسيكون ذلك أسهل بكثير من ارسال القاذفات الى البيرو من اجل ذلك للفرض. وبالطبع فان الهدف من ذلك ليس مهاجمة الاغنياء والانس الأقوياء، وانما مهاجمة الفقراء. فذلك هو مجمل هدف السياسة الاجتماعية.

واحد العوامل ايضا هو هدف الانتاج، وذلك ما هو مقعد، إلا انه متجنر بعق في السياسات الاميركية طويلة المدى (بما فيها سياسات وكالة المخابرات المركزية ومواجهة حركات التمرد والعصيان، وغيرها من الأمور). وإذا ما أردت التعامل مع هدف الانتاج، فان عليك ابتداء برنامج تطوير مختلف من اجل تطبيقه في العالم الثالث والذي تدفع او تجبر بموجبه الناس على القيام بهذا. وبالنسبة لهدف الاستهلاك، فان الناس في المدن او اهل المدن لديهم أسباب مقنعة لينخرطوا في تعاطي المخدرات. فلو انك كنت فتى زنجياً في الخامسة عشر وتعيش في احدى المدن الاميركية ويكون لك اتخاذ الخيارات المتوفرة. او انك قد تفعل ما يفعله الفتى الآخر، فتتجول بالسيارة، ومعك مقدار كبير من المال، الخ. فهو يقوم بلعبة الراسمالي. وينهب الى حيث المال والجني الاكثر. فهذا ما يعرف بعمل اللبائع المتجول لاسياد المخدرات. او انك اتخذت خياراً معاكساً، فإن جميع الخيارات متوفرة.

وفي احياء البيض، حيث يكون للناس هناك مجموعة من الخيارات المتوفرة لهم، فان استخدام المخدرات قد انخفض بسرعة، واصبح مستقلاً تماماً عن اي حرب للمخدرات، اذ لم يعد لها اي تأثير كان. فاستخدام المخدرات المؤنية، كما تشير اليها الاحصاءات الفيدرالية قد انخفض كثيراً على مر السنين. وبالطبع، فإن الناس هناك قد راوا تأثيراتها، وكانت لديهم الخيارات. إلا انها لم تزل نهائياً، فانها ما تزال تشكل مشكلة خطيرة، بيد ان هناك مجموعة من الخيارات ويستطيع الناس التعامل معها. وما دام لا يوجد هناك مجموعة من الخيارات الأخرى، فإن بإمكانك ان ترى ماذا سيحدث: فاستخدام الارابة مستمر ومتنامي في بعض المناطق.

وإذا ما كانت هناك محاولة جادة للتعامل مع مشكلة المخدرات بدلاً من هذه الخدعة او المخادعة، فلول شيء سيسعون وراءه سيكون جني المال. فنلك سهل رصده. فالقوانين السارية الآن تتطلب ان يسجل اي مبلغ يفوق عشرة آلاف دولار مودع لدى البنوك. لنلك فان بنوك الاحتياطي الفيدرالية يمكنها ان ترصد فعلياً الزيادات الكبيرة في الايداعات، والتي يمكن ان تعني في الغالب انها ايداعات اجرامية او مخلة. وهي تقوم بتلك فعلاً. وعندما تنظر الى نلك، فانه من الواضح تماماً ان يعرف ما يجري. لنلك فعندما بدأ الكوكايين بالتدفق، فان الايداعات في بنوك ميامي كانت وصلت لثروتها،

وحدث هذا في عام ١٩٨٠. فقد كان هناك برنامج فيبرالي صغير، وهو ما يعرف بعملية «جرينباك»، والتي كان يجري بموجبها رصد تنفق المال، ومن ثم استمرت العملية بالانتشار بعد بنوك ميامي. وهكذا فإن الأموال الغير شرعية بدأت بالتناقص في بنوك ميامي وارتفعت في بنوك لوس انجلوس. وفي غضون ذلك، فإن اسبياد المخدرات مثل ميليان روبريجوس، رئيس اتحاد شركات ميدلين، أبل بشهائته أمام الكونغرس، ووصف فيها كيف وصل الى مطار كندي واستقل سيارة ليموزين مرسلة من بنك نيويورك ومن ثم نهب الى هناك لاجراء محادثات مع شخص مسؤول عن المخدرات وقاموا بكل ما طلبه منهم، ومن ثم رجع الى مطار كندي في سيارة ليموزين ايضا واقلع بالطائرة من هناك. فهذا يبين بأنه لا أحد يفتش أو يلاحق بنوك نيويورك.

وفي الحقيقة، فقد كان جورج بوش امبراطوراً للمخدرات في اوائل الثمانينات، ومن احدى مساهماته الرئيسية، اشتراكه المعروف، في حرب المخدرات بشكل فعلي، وانهاء الاجراء الفيدرالي الصغير الذي كان يلاحق البنوك بهذا الصدد. وحتى ان ذلك الاجراء الصغير الذي كان يفتش ويدقق على الحسابات البنكية قد أنهى. علاوة على ذلك، فإن ادارة الرئيس ريفان، وكجزء من نشاطاتها الحكومية المتغيرة، عملت على تخفيض الأنظمة المفروضة على البنوك. لذلك فقد قلص عدد الموظفين الذين كانوا يقومون برصد البنوك ومراقبة العمليات المصرفية الغير قانونية بشكل حاد، وكان ذلك من احدى اسباب الاضرار بحسابات التوفير ومنع القروض. وكان من احدى تأثيرات ذلك، مع انه يوجد لديهم ارقام حسابات الابداع الكثيفة بما فيها الابداعات الجرمية او المشكوك فيها، فانهم لم يكن بمقدورهم ايجابها لانه لم يكن يوجد لديهم القوى البشرية (الموظفين) الكافية للقيام بذلك. وفي الحقيقة، فإن التأثير العام لحرب المخدرات الريفانية زادت من تفاقم المشكلة. وقد فاقمت من المشكلة بزيادتها لمشكلة الاستهلاك (استهلاك المخدرات) في المدن: مما زاد من الفقر واليأس وزاد من استخدام المخدرات. وقد خطط وصمم هذا بعناية لتجنب كافة المسائل الرئيسية مثل، وعلى نحو واضح، التي تخص مزارعي التبغ وصانعي الكحول، فهم يعتبرون خارج دائرة التساؤل. وفي الحقيقة، فانهم يتضمنون حلول الدول الاخرى بهذه الأنواع من المخدرات المهلكة. وحتى ان ملاحقة البنوك بهذا الشأن قد أنهيت. وكان لهذه السياسة تأثيراً في تمويل

استخدام المخدرات الأقل خطراً نسبياً الى المخدرات الخطرة والمؤذية. أما حوب المخدرات الجيدة فهي حرب زائفة. وهي تعتمد على أسلوب مراقبة السكان، أي طريقة فرض قيود أقصى على السكان. فانظر الى ما يحدث: ارسال المدمنين أو المتعاطين الى السجون، والتشديد على مراقبة الناس في المن، وايداع المدمنين في السجون مباشرة. كما نعت الاجراءات الى شن هجومات على للحريات المدنية، وفرض عقوبة الاعدام، وفرض اجراءات بوليسية مشددة. فهذا ما يمكن ان نتوقعه بالضبط لهذا النوع الذي يدعى بالمحافظة - والدفاع عن دولة تتبع العنف والقوة. بيد ان ذلك لا يفعل أي شيء بخصوص المخدرات باستثناء انه من المحتمل ان يجعلها مشكلة أسوأ.

■ سؤال : دعنا نتكلم عن اسرائيل والشرق الاوسط فمنذ ثلاثة سنوات مضت، قابلت ايوارد سعيد وسألته فيما إذا كان يتوقع تقسيم المزيد من قبل اسرائيل بسبب التاريخ الاضطهادي لليهود، إذ ان الاسرائيليين لا بد وان يكونوا اكثر حساسية بالنسبة لمعاناة الآخرين، وبشكل واضح فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية. فاجاب «بنعم، وكنت يوماً مرتبك بذلك. واعتقد بانها نوعاً من فكرة عنصرية. فهل تتوقع تقسيم المزيد من الاسرائيليين ؟

جواب : لا، بالطبع لا، واعتقد بأنه خطأ تماماً. فلا يوجد هناك سبب لتوقع المزيد منهم (الاسرائيليين) بسبب انهم عانوا في الماضي. فلا سبب لذلك مطلقاً. حيث لا يوجد أي شيء في التاريخ أو أي شيء آخر يوجي بأن ذلك يمكن ان يحدث.

■ سؤال : لقد قلت بان جنورك الفكرية والعاطفية موجودة في للشرق الاوسط وقد نهشت من انك قلت بانها لم تكن نابعة من اوربا للشرقية، من حيث جاء والداك فما هو تعليقك على ذلك ؟

جواب : إن والداي جاء من اوربا الشرقية. وبالطبع، فهما قد هاجرا من اوربا الشرقية. ولم يبقيا على أي ارتباط لهما بأوروبا. وكان عمري آنذاك عشرة سنوات، عندما قام النازيون باكتساح اوربا للشرقية. فأوروبا الشرقية من وجهة نظرهما، كانت تعتبر مكاناً يسوده الرعب والخوف. فوالدي هرب والتجأ اليها فراراً من ارهاب للحكم القيصري، وخوفاً من الحكم عليه بالموت أسوة بالشبان اليهود الآخرين، وان عائلة

والتي هاجرت من هناك عندما كانت والتي طفلة رضية، لذلك فانها حتى لا تنكر تلك البلاد.

■ سؤال : متى كان ذلك ؟

جواب : جاء والذي الى هنا (الولايات المتحدة) في عام ١٩١٢، اما والتي فقد جاءت مع عائلتها في وقت ابر. غير ان أوروبا الشرقية لم تكن بالمكان الذي يمكن أن تنشىء فيه جنوراً باستثناء اعتباره كمنفى، وان المنفى من وجهة نظرهم (اليهود) قد نقل او انتقل الى اماكن مثل بلتيمور. وفي الوقت الذي احتل فيه النازيون أوروبا الشرقية فانه لم يبق هناك أي شيء يمكن أن يشد اليه. والمجتمع اليهودي في أوروبا الشرقية لم يكن بالمجتمع السار او السعيد. فكان لا بد من الفرار منه. وبذلك فان اليهود فروا من هناك بشتى الطرق والوسائل. وفر العديد منهم الى بولندا، على سبيل المثال، والتي كانت تعتبر مركزاً للاستيطان اليهودي، والاتضمام لمنظمة البوند، وهي عبارة عن حزب سياسي اشتراكي كان يحاول الاستيلاء على السلطة. وكان اعضاؤه اقوياء أكثر بكثير من حزب الصهاينة، على سبيل المثال. ومع أن العنصر الديني التقليدي كان أيضاً قوياً جداً، إلا انه كان منهزماً. فالمجتمع اليهودي في المنفى كان يدار بواسطة الحاخامين الذين غالباً ما كانوا قساة ومستبدين، ويعتمدون سلطتهم من السلطات المحلية او سلطات الدولة. وكان يعتبر مجتمعاً رجعيّاً تماماً. فلم يكن من المفترض بك أن تقرأ، أو أن تتعلم أي شيء، ولا أن تقتني الكتب. فمثل هذا المجتمع لا يمكن العيش فيه لمدة طويلة، كما انه لا يمكن التجنر فيه.

وكان والذي صهيونياً مثقفاً، ومنتزحاً لمنظمة «أحاد معام». كما التزم والذي بعملية إحياء التقليد والحياة اليهوديتين في أجزاء أخرى من المهجر، في الولايات المتحدة، حيث يمكن للناس العيش هناك، وثقافة الوطن، الذي كان فلسطين آنذاك. لذلك فقد كان ذلك المناخ الفوري الذي نشأت فيه. وكان لديّ تفهماً خاصاً له.

■ سؤال : انكر بانك قد قلت لي، ولا يمكنني أن انكر التفاصيل

بالضبط بأن هذا الإطاع قد امتد من أوروبا الشرقية الى الولايات

المتحدة وإن والديك كان عليها أن تمشي على جانب واحد من

الشوارع ؟ لماذا كان يعني ذلك بالضبط ؟

جواب : إنني لم أجر دراسة مستفيضة حول ذلك، إلا أن كل ما يمكنني أن أخضنه، معاً
قاله والدائي لي أو مما كنت قادراً على قراءته ومعرفته من أي مصدر آخر، فإن المجتمع
اليهودي الذي انتقل من أوروبا الشرقية إلى الولايات المتحدة قد خضع لتغيرات عميقة.
وكان الانكفاء أو الانحصار واحداً من هذه التغيرات. فوالدي، على سبيل المثال، قد
وصف عائلته بأنها كانت تعود في شكلها وقالبها وحتى بعد أن هاجرت إلى هنا
(الولايات المتحدة) إلى عادات أوروبا الشرقية. فوالدتي، قدمت عائلتها إلى هنا عندما
كان عمرها سنة واحدة، ولكن عندما أصبحت طالبة في المدرسة الثانوية في نيويورك،
فقد كانت تفكر وتصف لنا أنها عندما كانت تمشي في الشارع مع صديقاتها وترى
والها قايماً باتجاهها، فإنها كانت تجتاز الشارع نحوه وذلك لكي لا تزعجه بل أن يجتاز
الشارع دون أن يعرف بوجودها، لأنها كانت بنتاً. وقد شاهدت ذلك عندما كنت طفلاً،
ومن خلال البيئة اليهودية التقليدية التي ينتمي إليها والدائي.

وقد عاش جدي، على سبيل المثال، مئة خمسون عاماً في الولايات المتحدة، وكنت
أتصل به فيما إذا كان حتى يعرف بلغة لم يكن موجوداً في أوروبا الشرقية. وأعني بذلك
بلغة كان ينظر للمكان الذي كان يعيش فيه على أنه نوعاً من أوروبا الشرقية، حيث يكون
فيه الفلاحون سوداً. فقد كان يخش في مناخ أو بيئة مجتمع أوروبا الشرقية. وكان
موقفه تجاه السود، في الحقيقة، كموقفه تجاه الفلاحين الأوكرانيين. فقد كان عليه أن
يكون حذراً منهم لأنهم كانوا خطرين تماماً، كما كان عليه أن يخدعهم لأنهم أغبياء في
الحقيقة، كما كان يخدع الأوكرانيين، ولكن كان عليه أن يكون يقظاً ومتنبهاً لأنه لا
يعرف متى سيربون أو يوجهون ضربة إليه. فأنهم خطرون جداً. فهذا النوع من المزاج
يمكنني أن أتذكره عندما كنت طفلاً.

أما الديانة اليهودية التقليدية فقد كانت مشلولة. وكان أتباعها يسمون بأهل
الكتاب. بيد أن ذلك عبارة عن نكتة. فقد كان مجتمعها ضد الفكر والتفكير، واستبدادي
ومتسلط وجامد. ويمكنك أن ترى ذلك من خلال الجناح اليميني الديني الموجود في
إسرائيل حالياً، والذي يحمل هذه الصفات. وقد نهش الناس عندما استقبل رئيس وزراء
إسرائيل السابق، مناحيم بيغن، بالترحيب الحار من قبل اليهود المفاخرة. إذ أن يهود
المغرب اعتقدوا على ما يبدو بأن بيغن كان مغريباً. وهناك بعض الحقيقة في ذلك. فبيغن
وشامير انحدرتا من بيئة كانت مشابهة تماماً لبيئة شبه إقطاعية لأجزاء من مجتمع

يهودي كان يعيش في شمال افريقيا . اما الآن فإن الفئات الأكثر تعليماً تذهب أو تهاجر إلى فرنسا، إلا أن العديد من الفئات اليهودية الأقل تعليماً والأكثر تقليداً، والتي كانت تعيش في بيئة تشابه المجتمع للشبه إقطاعي الذي كان موجوداً في بولندا، فإنها تهاجر إلى إسرائيل. لذلك فإن التشابهات الثقافية هي حقيقية في معناها .

وفي مجتمع، كالمجتمع الاسرائيلي فإنه يوجد لديهم زعماء يينيون يعتبرون ككهنيسين، ويقومون بالمعجزات، فما عليك إلا أن تزورهم، فيحطون لك مشاكلك. حتى أن بعضهم قد عاد من الموت. وهم يتحدثون وكنائهم يتعاملون مع أطفالهم. ويدعونهم ويصرون لهم الأوامر لمن يجب أن يصوتوا له. فخلال الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة كان يوجد هناك حاخام كبير ظهر على شاشة التلفزيون وقال، بلن أي واحد لا يصوت أو ينتخب أعضاء حزينا فإنه سيعلن وينهب للنار، ومن ثم فإن حاخام آخر، قال بلن من يصوت لحزبه فإنه سيولى العناية به. فذلك الأمر يعتبر جزءاً من الثقافة التقليدية اليهودية. إنها تمثل كافة أنواع الفلكلور أو التقليد اليهودي، إلا أنها لم تكن تماماً جداً. فعندما كان والذي يعيش في مجتمع المنفى اليهودي الشرقي وأراد أن يعلم شيئاً ما عن العالم الخارجي، فقد كان عليه أن يتعلم اللغة الروسية. فحتى تعلم اللغة العبرية لم يكن أمراً مناسباً أو لائقاً. ولم يكن بإمكانك أن تقرأ التوراة، لأن ذلك يعتبر تنويراً. وعليك أن تبدأ بتعلم التلمود عندما تبلغ عامك الثالث. وبالطبع فعندما تكون تعرف اللغة العبرية القديمة فإن عليك أن تصلي وأن تطبق ما في التوراة حسب الطقوس المتبعة، بيد أنه لو تعلمت اللغة العبرية الحديثة فإن ذلك يعتبر خرقاً.

■ سؤال : لذلك فقد كان التعليم من ملكية الكهنوت، اليس كذلك ؟

جواب : لم يكن هناك تعليماً بمعنى الكلمة. فما كانوا يدعونه بالتعليم كان عبارة عن الحفظ عن ظهر قلب، وبشكل واسع، وتحت إشراف ومراقبة قاسيين. ففي أماكن الجيتو اليهودية لم يكن هناك كتب جغرافية وتاريخية على ما اعتقد لغاية القرن التاسع عشر، لأن التوراة لم تقل أو تورد ذلك، لذلك فإنه لم يكن بالأمر الصحيح. ولم تكن هناك اميركا. فالتوراة لم تقل أي شيء عن اميركا. فما هذا الهراء الذي كان قائماً؟ إنها كانت بيئة لا فكرية تماماً. وكان يوجد هناك اتجاه لدمج اليهود في المجتمعات وصهرهم فيها. ففي أوروبا الغربية، المانيا، النمسا، فإن المجتمعات اليهودية أصبحت منخرطة فيها ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر. وانضم اليهود للثقافة والحضارة الغربية

الاروروبية واحصوا بلاتهم جزءاً منها. وقد برز منهم هناك فرويد واينشتين، الخ. حيث نشلوا من خلال الجزء للنخرط الذي انشق عن الثقافة للتقليدية اليهودية واكتفوا لزراء لها. وكان هناك أيضاً عهد نهضة، وحركة التنوير اليهودية، في المناطق الكثيفة بالسكان اليهود في بولندا، وفي مناطق الاستيطان اليهودية، والأماكن التي كان يسمح فيها لليهود ان يعيشوا في الامبراطورية القيصريّة. وكان ذلك في اوائل القرن للتاسع عشر، وجاءت بعد ذلك عملية احياء اللغة العبرية ونشوء الحركة الصهيونية الحديثة. كما كانت هناك حركة اشتراكية كبيرة. وكل تلك الأمور أدت الى حدوث انشقاق عن المجتمع التقليدي اليهودي.

■ سؤال : امين أجبر والدك ان يضعك ؟

جواب : لم يكن الأمر متميزاً، فقد ذهبت اولا الى مدرسة خاصة متقدمة إذ كانت لديهم حياتهم الخاصة. وكانت حياتهم يهودية بشكل أساسي، اي دراسة اللغة العبرية، وتدرّس اللغة للعبرية، وحياة يهودية، الخ. ولكن في اطارهم، وظل هناك المجتمع الاميركي، الذي راوا فيه مجتمعاً متعددأ حقيقياً، لا بد وان فيه مكاناً واسعاً للاناس ينتمون لليهودية، التي ننتمي اليها.

■ سؤال : وماذا كانا يظنان بك (والدك) اعلان ان تذهب الى

نيويورك لتقف امام نور الكتب في الحي الرابع وتحدث الى اقرانك

من الطبقة العاملة هناك ؟

جواب : إنهما لم يعارضا ذلك، كما اعلم، الى المدى الذي كانا يدركانه، والذي لست متأكدأ منه تماماً. فلا اعتقد انهما كانا يمانعان في ذلك. اضافة الى ان العائلة كانت منقسمة على نفسها. ومثلها مثل العديد من العائلات اليهودية، فانها توزعت في كافة الاتجاهات. وكانت هناك قطاعات تنتمي للاتجاه التقليدي اليهودي وقطاعات اخرى راديكالية جداً ومنخرطة تماماً في المجتمع وفي طبقة المفكرين. فهذا هو القطاع الذي شغني بشكل طبيعي. ذلك القطاع الذي كان عليّ ان اذهب اليه في نيويورك. وكل هذا كان يعتبر شرعياً، وبكل مداه.

■ سؤال : لقد وصفت الحياة الفكرية والثقافية التي خبرتها في

نيويورك في الثلاثينات كاغنى مكان زرتة في حياتك. فماذا كان

بعض طراز ذلك ؟ وكيف ساهم في ذلك الغنى ؟

جواب : لقد بدأت بذلك في سنوات الأربعينات، وأظن بلقني كنت في العاشرة أو الحادية عشر من عمري. ولقد كانت هناك ثقافة فكرية حية تماماً. والسبب واحد فقط لأنها كانت ثقافة الطبقة العاملة لها قيم الطبقة العاملة، قيم التضامن والاشتراكية، الخ. وقد تفرعت عن تلك الحركة الشيوعية أو الحزب الشيوعي وحتى تفرعت عنها الحركة الراديكالية الشبه فوضوية المنتقدة للحركة البلشفية. فكل ذلك المدى كان يتواجد هناك. ولم يكن ذلك غير نموذجياً. بل إنه كان جزءاً من ذلك فقط. وكان للناس مناقشات ومداولات كثيفة حول نسخة سكيتل لنظرية فرويد، ومناقشات عديدة حول الأدب والموسيقى، ومدى تقييمهم لآخر حفلة موسيقية جرت في بودابست، أو حول نسخة شنابل لسوناتة (الحن منفرد) بيتهوفن. إنها كانت حياة فكرية حية تماماً في كل نواحيها. وكنت منجذباً ومغرمًا بها. وكان العديد من الأقارب المنخرطين في ذلك غير متعلمين تقريباً. فلحد أعمامي الذي كان مؤثراً عليّ بشكل كبير لم يكن منهيأ لراسته الابتدائية. وبعد ذلك أصبح بائعاً متجولاً في نيويورك. وحيث أنه كان معوقاً، فقد منح كشكاً لبيع الصحف. إذ كان قانون نيويورك يشجع المعوقين، لذلك فقد حصل على كشك لبيع الصحف، وكان يستمر فيه لغاية ساعة متأخرة من الليل ويجري فيه النقاشات المثيرة حول شتى المواضيع. إنها كانت حياة مثيرة وممتعة. وقد دأبت في الحقيقة على تقييم المساعدة في ذلك الكشك.

■ سؤال : هل كان هو شقيق والدك ؟

جواب : أنه كان بالفعل زوج عمتي. وأصبح فيما بعد محلل متمكن. بعد أن اندمج مع بعض الأطباء النفسانيين من المهاجرين الألمان، إذ أن العديد من المهاجرين الألمان كانوا يفتنون لأميركا في أواخر الثلاثينات، وأصبح ذلك الكشك كمنتدى أو مكاناً لاتجذاب الناس اليه من أجل النقاش والحديث والبحث. وكان هو نفسه متعمقاً في أدب التحليل النفسي، وأصبح صديقاً لبعض أولئك الأطباء ووصل إلى حد التحليل التطبيقي تحت إشراف أحدهم. وبدأ تدريجياً يكتسب المزيد من الزبائن. وبعض زبائنه أصبحوا متمرسين في المهنة وعرفوا عليه زبائن آخرين، وأخيراً، وبأن نطيل القصة، فقد انتهى به الأمر ليكون محللاً نفسانياً غنياً يمتلك شقة لمعالجة المرضى.

■ سؤال : لقد اعتدت الذهاب الى تلك الشقة، وانكر بانك قد قلت لي
عندما كان يكون لديه مرضى او زبائن للمعالجة فانه كان عليك ان
تمكث في المطبخ ؟

جواب : تلك كان عندما كان لا يزال يعيش في شقة صغيرة جداً قبل ان يصبح قاسراً
علي امتلاك مكتب مستقل. فعندما كان لحد الزبائن يقرع باب شقته فاننا كنا جميعاً
نسرع الى المطبخ. ونختبئ هناك عندما كانوا يدخلون وينهبون الى غرفة النوم، حيث
كان يتواجد المكتب هناك. ومن ثم نخرج لنجلس خارجاً لغاية ما تنتهي جلسة المعالجة
ومن ثم نذهب للمطبخ ثانية ريثما يغادر المريض.

■ سؤال : لا يوجد هناك الرأ قد خلف لتلك الثقافة، اليس كذلك ؟

جواب : اشك بذلك، اشك بأنه يوجد هناك أي شيء قد ترك أو خلف. انه قد اختفى
وانتشر خلال الحرب وفترة الركود ما بعد الحرب. ومع ذلك، فان الاعمال الادبية كانت
مسرعة جداً لحالة الامتياز التي تملك الطبقة العاملة. وعندما كنت تقرأ الاعمال الادبية
في اواخر الثلاثينات، فانتني لا اعتقد بأنه كان لها أي معنى بهذا الصدد، لانها كانت
معنية بما اطلقوا عليه عبارة القوة المتصاعدة «للمجاهير». فنلك الأدب كان ينحى أحياناً
الى نوع من التفاهة الماركسية في بلاغته ومفاهيمه. بيد انهم كانوا مهتمين بذلك،
وشعروا بأنه كان ضروريا محاربه والتكلم من عدم تنامي وتطوره بصورة اكبر. فقد
كان يعتبر تهديداً رئيساً للاعمال الادبية المهمة. وابتداءً من اواخر الثلاثينات، فقد كان
يوجد هناك مفهوماً بأنه كان لازماً السعي وراء ثقافة الطبقة العاملة هذه في جنورها
وتأمين الدعم الشعبي لها. ومن إحدى للتوجهات كان ما اطلق عليه اسم «صيفه
جونستاون»، وهو عبارة عن نشاط لعلاقات عامة رئيسية لكسر طوق الاضراب الفولادي
الكبير، الذي كان ناجحاً. فقد كان للحرب تأثيراتها الذاتية.

وفي حقبة ما بعد الحرب، فقد كانت هناك ظاهرة اطلقنا عليها اسم المكارثية، وهو
تعبير خاطيء. فمكارثي كان متأخراً في نظريته. ففي اواخر الأربعينات كانت توجد
هناك جهود مكثفة تستخدم ضمن اطار الحرب الباردة وضد الشيوعية وكافة انواع
الفتن والاذوات الأخرى وذلك لتقويض وتمييز للحركات العمالية الفتية والتي بدأت
بالنمو خلال عقد الثلاثينات، وكافة الاعمال الادبية والثقافية التي كانت تواكبها. لأنها
كانت ناجحة.

أما الآن فانه من النادر ان ترى اثرأ لهذا النوع من الوعي. فلا بد لي من تقييم وتأمين ذلك. فهناك كان اضراب بيتستون، والتضامن معه. ولم اكن متواجداً هناك، إلا انني عندما علمت بذلك، واشك بانك ستري مقداراً كبيراً لذلك النوع من التنازل. لذلك فعندما اقول بانها غير موجودة هناك، فربما اننا لم نرها. في قطاعات المجتمع على الأقل التي عليّ ان اتعامل معها بكل الأمور، فانها كانت هناك ولن تبقى طويلاً هناك.

■ سؤال : انني مهتم بشيء ما قلته في مركز دراو، في شهر نيسان ١٩٨٩، حول تغير تبين لك في نيويورك بعد الحرب العالمية الثانية، وقد يتوافق ذلك مع بعض المعلومات التي حصلت عليها في نيويورك. ولقد قلت في الثلاثينات ان الشعب كان فقيراً ولم يكن لديه مالا، ولكن كان هناك شعوراً بالامل. ومن ثم، بعد الحرب حدث شيء ما، شيء متغير. لذلك فإنني احب استطلاع هذا، لانك كنت غير دقيقاً نوعاً ما حول ذلك، وانت الذي غالباً ما كنت دقيقاً ؟

جواب : انني فعلاً غير دقيق حول ذلك، ولا افهم ذلك، لأبلغك الحقيقة. ما دام بوسعي ان ارى هذا يحدث في كافة أنحاء العالم، في اجزاء مختلفة من العالم وفي اوقات مختلفة. فاي واحد يعرف نيويورك في الثلاثينات يمكنه ان يرى ذلك. وعائلتي كانت في الغالب عاطلة عن العمل، تعيش في الأحياء الفقيرة، بيد انه لم يملكهم اليأس. بل كان هناك شعوراً بالامل. والامل الزائد كان يعتبر وهماً.

فدعني اخبرك بقصة شخصية أخرى توضح ذلك. فقبل سنتين مضت كنت احدث بعض الأصفياء حول اطباء العائلة منذ الصغر، وكنت احاول ان اتذكر اسم طبيب عائلتنا عندما كنت طفلاً. فهذه كانت عائلة يهودية، مما يعني بأنه لو اصاب الطفل حرارة بسيطة، فان والدتي ستحسب بأن العالم قد انتهى. فعندما كان شقيقي في السادسة من عمره اصابته حمى بسيطة، فحسبت والدتي بأنه سيموت. ومن ثم حضر الطبيب بصوته المصنوع وهذا من روعها فكل واحد منا شعر بعد ذلك بأن كل شيء أصبح على ما يرام. فذلك تعتبر ثقافة. ولا أسري فيما اذا كنت تقر بذلك. وكنت احاول ان اتذكر اسم الطبيب ذاك، والاسم الوحيد الذي تفكرته كان روزفلت. وكنت اعرف بأن اسمه لم يكن روزفلت بالفعل. لذلك فقد كنت احاول ان اخمن لماذا كنت افكر او اظن بأنه كان

روزفلت؟ واخيراً أبركت ان ذلك كان متصانفاً مع بدء الرئيس روزفلت بما سمي بأحاديث المدفأة (التي كان يلقيها على الشعب الأميركي)، وبالطريقة تلك بالضبط كانت ردة فعل والدائي: «اه، حسناً، هل كل هذه الأمور الفظيعة تحدث، بيد ان الطبيب موجود هنا، انه قائم، وانه سيعتني بكل الأمور، فلا توجد مشكلة كبيرة». ولا انتكر ماذا كان يقول، فقد كنت في السابعة من عمري، الا انني انتكر المزاج أو المناخ السائد آنذاك. فانت تستطيع ان تستنتج مزاج عائلتك، والمزاج تجاه أحاديث الرئيس روزفلت كانت تشبه الى حد كبير المزاج أو العاطفة تجاه هذا القديس العجيب الذي قدم ليغتني بحمي شقيقي. ولا أعني الايحاء بأن الأمل كان موجوداً بشكل أو على نحو ضروري. فمعظم ذلك كان وهمياً، إلا انه كان موجوداً هناك بالتأكيد.

علاوة على ذلك، فقد كانت توجد هناك البنية التحتية. وكان عليك ان تذهب الى المكتبة. فالمكتبة كانت توجد هناك. انها كانت مفتوحة للجميع. وكان يتواجد فيها كافة انواع الكتب. وكانت توجد هناك ايضاً النقابات المهنية. وكان بإمكانك ان تتجول في الشوارع. فعندما كنت في العاشرة من عمري، لم يكن هناك أي خطر من ان اتجول حول نهر هدسون في الليل أو ان اتمشى داخل المتنزه المركزي لوحدي. ومن الممكن ان يحدث أي شيء، إلا انه لم يكن هناك شعوراً بالخطر، وحتى في أفقر أحياء المدينة.

■ سؤال : وانت تقول اليوم، بانك بحاجة لأن ترافقك مجموعة من

لوات المارينز فيما لو أردت ان تفعل ذلك اليوم، اليس كذلك ؟

جواب : نعم، فانك بحاجة الى مجموعة من المارينز. فلو انك تقوم بذلك اليوم فان حياتك ستكون بين يديك أو معرضة لخطر، وحتى لو انك سلكت نقياً. علاوة على ذلك، وفيما لو انني تجولت داخل المدن ايضاً، فمن النادر ان اتمشى من خلال أو داخل أحياء نيويورك الفقيرة، واذا ما فعلت ذلك فانني احاول ان انتكر الماضي، فلا اريد ان اعول كثيراً على ذاكرة الطفولة، بشكل واضح، ولكن يبدو الأمر بالنسبة لي مختلفاً تماماً. فهذه الأوضاع اليائسة والأسوأ حتى من أوضاع العالم الثالث كما ترى. واقد تحدثت مع اناس عملوا في نيويورك على مدى سنوات، والى مطعمين درسوا في مدارس نيويورك، وسألتهم عن انطباعاتهم، عما كنت سمعته، وكان ردهم متشابهاً الى حد كبير. ففي الثلاثينات كانت هناك أحياء فقيرة جداً، غير انك لا تجد جدة أو عجوزاً

جالسة ويدها مضرب البيسبول طيلة الليل بجانب مهد او سرير طفل لتحمية من الفئران. او ان يكون لديك شعوراً بأنك في حرب عليك ان تدافع عن نفسك. اما في الماضي فقد كان هناك شعوراً بأن الأمور كانت تسير بشكل أفضل. وكان يوجد تركيب مؤسساتي، ونهج من النضال، والتنظيم، لتسيير الأمور، لذلك فقد كان يملكك الأمل.

لا أعتقد بأنه يوجد هناك الكثير من الأمل في المدن حالياً. وأعتقد بأن هناك يلماً وأعتقد بأنك تلمس ذلك في اليسر والعسر، في الفقر او الغنى وان الأوضاع اشد بكثير مما كانت عليه من قبل. فإنك اذا ما تجولت في مكان ما من الجزء الشرقي لنيويورك فسترى ان الثراء فاحشاً هناك. ولكن اذا ما اجتزت بضعة مئات من الامتار فانك ستجد نوعاً من الفقر الفظيع تماماً. انني لم اقم بذلك، إلا ان اصيغاً لي قالوا لي بأنك لو جلست في مطعم شاعري في نيويورك فستجد اشخاصاً مشربين يتمايلون على زجاج نوافذ المطعم من الخارج. وانك لن تلاحظ ذلك إلا بعد برهة. فذلك الأمر لم يكن موجوداً من قبل. ذلك ان طابع وروح الحياة الحضرية أصبحت أقسى بكثير من قبل، ليس في نيويورك فحسب وانما في كل مكان آخر. إنها أصبحت بشعة جداً.

فعلى سبيل المثال، عندما كنت طفلاً فقد كانت هناك اضطرابات واعمال شغب في كل مكان، كما فرض لفترة من الزمن حظراً على الشبان المراهقين من التجوال بعد الساعة السابعة مساءً خلال مدة الحرب العالمية الثانية، وذلك كان في مدينة فيلادلفيا، حيث كنت اعيش هناك. لذلك فلم يكن ذلك بالأمر المناسب. ولكن حتى في مثل تلك الظروف فانك لم تكن لتشعر بأنك كنت تعيش في منطقة حرب. اذ انه صدف بأننا كنا العائلة اليهودية الوحيدة هناك نعيش بجوار مليء بفئات كاثوليكية المانية وايرلندية والتي كانت معادية للسامية بعنف ومؤيدة فعلياً للنازية في تلك الأيام. كان ذلك في أواخر الثلاثينات. وكنت أنا وشقيقي نعرف معرات يمكننا ان نمر من خلالها نون ان يصدم رأسينا، بيد انه حتى مع ذلك فانني لم أكن أشعر بالخطر والتهديد والعداء كما اشعر به حالياً عندما أسير في شوارع نيويورك. فقد كان هناك شعوراً بضبط النفس. وربما حدثت موجة من الهستيريا في مدرسة كاثوليكية يريدون فيها قتل اليهود. ولم أكن أعري ماذا حدث بتلك المدرسة او ماذا كان يجري فيها. بيد انه بعد ساعتين او بعد عطلة نهاية الأسبوع فانه كان بإمكاننا ان نلعب البيسبول معهم. فقد كنت تشعر بأنه

كانت توجد هناك طرق ووسائل يمكن النقل معها. فخلال فترة الحرب، كنا أحياناً بحاجة ماسة لحراسة وحماية الشرطة حتى نصل الى المدرسة العبرية. كما كنا نسلك طرفاً جانبيية حتى نصل لتلك المدرسة. وكانت الشرطة تطوق المدرسة حتى لا تتعرض للاختراق. بيد انه حتى مع ذلك، فأنني لم أتنكر بأن شعوراً بالخوف والخطر قد تملكني كما يحدث اليوم في البيئات أو الأحياء الحضرية.

واعتقد بأن هذا الأمر منتشر في أنحاء العالم. والسبب في كوني غامضاً أو غير دقيقاً هو انه ليس لدي معرفة دقيقة حول ذلك في الحقيقة، وشعور ما يملكني عندما أزهو هذه الأماكن. واحساسني هذا موزعاً في أنحاء كثيرة من العالم وينسب مختلفة. واعتقد بأنك ستجد تطورات مشابهة وربما في لندن بعد أربعين سنة وفي مدن أوروبية بعد بضعة عقود. فهناك نوعاً من عنصر البربرية تزحف الى الحياة الاجتماعية التي لا أتنكرها على الأقل كانت موجودة في تلك الايام. وربما اني قد نسيتها لأن عمري كان عشرة سنوات، إلا انني لا أعتقد ذلك. فاعتقد بأن الأمر كان مختلفاً عما هو عليه الآن.

■ سؤال : كانت لديك تجربة غنية ومعك شقيقك يفيدك ذلك بأنك ما زلت تتحدث عن ذلك لغاية اليوم. وكان هناك شخص بشكل خاص عندما جرحت يدك ولقته بسبب ذلك. فما هو ذلك ؟

جواب : إنه كان شجار صبيان فحسب.

■ سؤال : وماذا عن ذلك الطفل السمين في ساحة المدرسة ؟

جواب : إنه كان امرأ شخصياً بالنسبة لي، فلا اعرف لماذا يجب ان اكون مهتماً بذلك. فلا أتنكر ذلك.

■ سؤال : هل استنقجت شيئاً معيناً من ذلك ؟

جواب : نعم، انه كان له تأثيراً عليّ. فأتذكر عندما كنت في حوالي السادسة من عمري، وفي الصف الاول ابتدائي. انه كان يوجد هناك طفلاً سميناً جداً يسخر كل واحد منه. وأنكر انه عندما كان يقف في باحة المدرسة كان الأطفال يسخرون منه. وفي احدي الايام احضر احدهم شقيقه الأكبر، وكان في الصف الثالث، ليضربه. وأتذكر بأنني نهبت لأقف بجانبه شاعراً بأن عليّ مساعدته، وقد فعلت ذلك لبرهة. ومن ثم قرعته وقررت. وبعد ذلك أصبحت خجلاً جداً من ذلك. وشعرت بأنه لا يجب عليّ ان

أفعل ذلك ثانية. ذلك الشعور الذي لازمني، من انني يجب ان أقف مع الضحية. وظل هذا الخجل قائماً. ويجب ان يلازمي يوماً. واعتقد بأنه ينبغي على كل واحد ان تكون لديه تجارب شخصية من هذا النوع تلازمه وتكون خياراته فيما بعد.

■ سؤال : عندما كان والدك ما يزالان على قيد الحياة، فهل شعرت

في يوم ما بأنك مثبط أو محبط ولنت نتحدث عن اسرائيل معهما ؟

جواب : نعم، وبشكل مدرك، في الحقيقة. فلم أرد التحدث كثيراً جداً حول ذلك معهما. ليس لأنهما غير متفهمين معي بهذا الشأن. وإنما في الحقيقة، اننا كنا متفهمين من حيث المبدأ على ذلك.

■ سؤال : هل يعتبر والدك مناوئاً للصهيونية اليوم ؟

جواب : لا، انه لم ينتقد اسرائيل بشدة. إنه أحبها فحسب. فعندما ذهب لهنالك وعاد، فقد قال لنا بأن الشمس ساطعة يوماً هناك. ولم تمطر ابداً. وكل واحد فيها (في اسرائيل) كان سعيداً على الدوام. انه كان متفائلاً جداً.

■ سؤال : ألم يقابل أي فلسطيني عندما كان هناك ؟

جواب : إنه لم يفكر بذلك كثيراً. فقد رأى ذلك المكان من خلال منظار وردي. اذ انه كان يشغف بتلك المنطقة. وإن احياء النولة العبرية كان امراً مثيراً له. بل ما يزال ذلك قائماً، اذ ان مواقفه الفكرية ما زالت في وضع ما قبل انشاء النولة العبرية ومن عدة نواحي، وقد تجفرت من خلال انتقاد الثقافة الصهيونية لمنظمة أحاد معام. إلا ان ذلك كان يشكل أهمية حقيقية لاسرائيل، ليس لأنها تمتلك حدوداً طويلة وجيشاً كبيراً فحسب، وإنما لأنها تعتبر مركزاً حضارياً غنياً، يعيش فيه يهود المهجر سابقاً. وعندما بدأت اكتب عن ذلك، كان يعارضني بشكل أساسي. أما والعتي، التي كانت تعتبر يسارية في اتجاهها، فإنها بالتأكيد لم توافق على ذلك. بيد انهما قد صدما كثيراً بسبب الهجمات الشديدة، والتي بدأت بشكل فوري، حالما فتحت فمي على الموضوع. فهما قد عاشا في ذلك المجتمع (في اسرائيل)، وعندما ظهرت كل تلك الاكاذيب والتشويهات والهستيريا بشكل طبيعي، فقد انزعجا من ذلك. ولم يكن بإمكانك ان تتفوه بكلمة واحدة حول هذه الامور. فلو انحرف المرء ولو قليلاً عن الخط، لانصب عليه غضب

جهاز مكافحة الاقتراء والتشويه المنظم. ولذلك السبب فانني لم اكن مكبوتاً الى حد القدر والكتابة حول ذلك عندما كانا (والداي) على قيد الحياة.

■ سؤال : ألم يكن ذلك يعتبر خارجاً عن مبدأ طاعة الوالدين ؟

جواب : انني لم اقل شيئاً لا أومن به. انني حتى لست غير مدرك عما كتبت، بل انني متأكد بانها كانت امورا مقيدة تلك التي تكلمت وكتبت عنها في حينه.

■ سؤال : إن الناس مهتمين في عملية القيام بعملك فكيف تحصل على وثائقك ومذكراتك الامنية الوطنية ، فهل هذه قابلة للامتلاك بسهولة ؟

جواب : إنه لا يستغرق جهداً كبيراً. وليس أيضاً كمثل ان تذهب الى بقالتك لتشتري.

■ سؤال : هل ترسل لك (المعلومات) بالبريد؟ فكيف تحصل عليها ؟

جواب : يمكنك ان تحصل عليها من المكتبات. فمعظم المكتبات الجيدة لديها اقسام مراجع حيث يمكنك ان تحصل على المواد والمعلومات التي تريدها.

■ سؤال : هل هذه المعلومات موجودة على الميكرو فيلم ؟

جواب : نعم، فبإمكانك ان تصل اليها. وإذا ما أردت بالفعل الحصول على أرشيف مفصل، فعليك ان تقوم بالبحث عن المصادر. فعلى سبيل المثال، عليك ان تذهب الى مكتبة جونسنون وتبحث من خلال المواد المخزنة. ومهما يمكنك الحصول عليه من خلال المكتبات، فانه سيكون بإمكانني وإمكان الآخرين الحصول عليه أيضاً. وهذا شيء فعال.

وأول كل شيء، فان عليك قراءة طن من المواد قبل ان تجد أي شيء مفيد. فمعظمه يكون عبارة عن خردة فحسب. ولكن اذا ما أردت ان تقوم باجراء بحث، فيوجد هناك ادلاء كافين، وغالباً ما يكون هذا في المصادر الثانوية، ليقدموا لك فكرة مقتضبة او تلميحاً يساعذك في بحثك عن مواد المعلومات. واحياناً فستجد مراجعك في المصادر الثانوية التي تبدو رائعة. إلا انني غالباً ما أجد انها معلومات غير مفيدة، بيد انها توحي لك بأن عليك العودة لايجاد معلومات مفيدة هناك. لذلك فان هذا ليس بالشيء الغامض، في الحقيقة. وانه ليس يشابه العلم، والذي يعتبر صعباً من الناحية الفكرية.

انه يتطلب العمل فقط وانه بسيط تماماً من الناحية الفكرية. فذلك لماذا ان اي واحد يمكنه ان يفعل بما فيه الكفاية لكسب فهم جيد للعالم كعمل اضافي.

■ سؤال : في المقابلة التي اجريتها معك في عام ١٩٨٦ ، فقد كنت سلبياً تماماً حول امكانيات تطوير وسائل اعلام بديلة . ومع ذلك فعمد ذلك الحين ، فقد انشأنا مجلة «زده» وطورنا تعليقات الاذاعة وحسناً من دقة التقارير الإخبارية في التلفزيون، وعلمت بان هناك طاقم تلفزيوني يقوم بعمل فيلم وثائقي عنك فهناك مقدار كبير من التطويرات. فهل ترى ذلك على انه امر ايجابي ؟ وهل انت متفاجيء به ؟

جواب : لا انتكر ما قلته في تلك المقابلة، بيد انني اشعر يوماً بأنه سيكون امراً ايجابياً تماماً ويجب ان يدفع للامام ما دام بإمكانني المضي به. واعتقد بأنه سيتعرض لوقت قاس جداً. فهناك تركيز على المصادر والقوة لوسائل اعلام بديلة، وفي حين انها مهمة جداً، فانها ستثير معركة. فمن الصحيح، بأنه ستكون هناك اموراً قليلة النجاح، إلا ان ذلك بسبب ان الناس كانوا راغبين بوضعها في جهد خارق. فخذ مثلاً مجلة «زده» إنها مجلة وطنية لديها من الناحية الأدبية اثنان فقط يشرفان عليها وليس لها مصادر، باستثناء ما يقيمه لها بعض الأصدقاء. فوضع مثل تلك المجلة دون مصادر هو عمل قاصم للظهر.

اما مطبعة الجنوب فقد كان لها نوعاً مميزاً. وانها عبارة عن مجموعة صغيرة دون وجود مصادر لها، وقد اخرجت عدداً كبيراً من الكتب، من ضمنها كتب جيدة عديدة. إلا انه بالنسبة لكتاب «صحافة الجنوب» فانه كان من المستحيل تقريباً استعراض الكتاب فيها. وخذ صحيفة بوستون غلوب، مثلاً، فهي بالنسبة للمقاييس الصحفية الأميركية تعتبر صحيفة ليبرالية تماماً. وقالت رئيسة تحريرها قبل سنتين بأنه لن يسمح ابداً لكتاب «الجنوب» ان يُستعرض. والسبب الذي اعطته كان هو انني كنت مؤلف كتاب «الجنوب» وما بحثت كنت مؤلفاً لكتاب الجنوب فانها لن تسمح بأن يستعرض الكتاب. ولم تستعرض كتابي في صحيفة بوستون غلوب فحسب، بل ولم تظهر اسماءها على القائمة في الصحيفة ايضاً. حيث يوجد بها زاوية في كل يوم احد يقوم بوضع أسماء

المؤلفات المحلية فيها. ومثلي مثل بعض الكتاب المحليين فقد كتبت فصلاً في كتاب للطبخ. ومع ذلك فهم لم يضعوا حتى قائمة بأسماء كتبي ضمن قوائم الكتاب المحليين.

وفي الحقيقة، فإن ذلك يبدو مضحكاً أحياناً. فعلى سبيل المثال، إن المجلس الوطني لعلمي اللغة الانجليزية يمنح جائزة في كل سنة تسمى «بجائزة أورويل». وقد منحت لي عن كتاب «الايديولوجية والقوة» قبل سنتين. ومنحت لي في هذه السنة عن كتابي «انا وابوارد هيرمان» الرضا المصطنع». وفي الوقت أو السنة التي قدمت فيه هذه الجائزة، فإن كاتبة زاوية في صحيفة بوستون غلوب، وهي من الليبراليين اليساريين، كتب مقالاً استعرضت فيه هذه الجائزة والمسؤول عنها. وكان مقالاً متقائلاً جداً حول فكرة منح هذه الجائزة لعلمي اللغة الانجليزية ومدى أهميتها. وقد أوردت الكاتبة قائمة بأسماء الأشخاص الذي حصلوا على هذه الجائزة في الماضي. وكان هناك حذف مهم جداً في الصحيفة: إذ إن جائزة هذه السنة لم تذكر. فهي تمنح عادة لشخص محلي، الذي غالباً ما يذكر اسمه. وقد حدث هذا أيضاً لأول مرة. علاوة على ذلك، فإن كلا من الكتب المستعرضة كانت كتباً حول الاعلام. انها انتقاد لوسائل الاعلام. ولم يذكر أي منها في تلك الصحيفة. بيد انها استعرضت، هذه الكتب، في صحيفة الناشرين الأسبوعية، في الحقيقة، التي قامت ببحث ذلك.

وإذا لم تتمكن من الوصول الى مصادر رئيسية، ونماذج قوية للوضوح العام، فإن بحثك سيكون محدوداً جداً. وبإمكانك ان تفعل ذلك الى مدى معين ويعمل شاق. وتوجد هناك طرق ووسائل لتعويض ذلك. وبعض هذه الوسائل هي مهمة. فعلى سبيل المثال، هناك المنشقون في الكثير من المجتمعات المشتركة، فقد قضيت وقتاً كبيراً وبفيضاً، على سبيل المثال، وأنا أقوم بعمل نسخ لأصدقائي المتواجدين في بلدان أخرى، من الذين يعانون في بلدانهم من الأوضاع بشدة، مثلما أعاني أنا هنا. وهم يقومون بنفس العمل من اجلي. وهذا يعني انه مع انني لا أحصل على منحة بحث للعمل بهذا النوع من المواد، او ليس لدي وقت اضافي او أي امر آخر، ومع ذلك عليّ ان اصل الى المصادر المطلوبة للبحث. وإن لديّ أصدقاء يعملون في الصحف العبرية، أقوم بجمع المعلومات وارسالها لهم ومن ثم يقومون هم أيضاً بعمل التحليلات الصحفية وارسال مقدار كبير من هذه المواد إليّ.

■ سؤال : إنك تتحدث عن اسرائيل شاحاكه اليس كذلك ؟

جواب : نعم، فهذا اختلاف كبير، ويعني بالثني احصل على مصادر. فشاحاك هو شخص رئيس وهناك آخرين أيضاً غيره. فلدي اصدقاء آخرين يقومون بنفس العمل لي. واقوم انا وآخرين بنفس الشيء من اجلهم. ونفس الشيء ينطبق تماماً على اصدقاء لي في النمسا وبريطانيا وغيرها من الدول. لذلك توجد هناك شبكات من التعاون المتطور. ويوجد هنا على مكتبي، على سبيل المثال، مجموعة من المواد جاءت من صديق لي، كان رصد كافة المواد الصحفية في لوس انجلوس وقدر كبير من المواد الصحفية البريطانية أيضاً، والذي قام بقراحتها، وانها عبارة عن مجموعة مختارة تفيني عن قراءة العديد من الصحف والمواد الصحفية الأخرى. وانا اتعامل معهم من فترة لأخرى، فلجد نفسي مستعرضاً مقداراً كبيراً من الصحافة. اثن فهناك عدد كبير من الأشخاص يقومون بهذا، وتتبادل المعلومات سويًا. وتكون المحصلة النهائية ان تصل الى معلومات بطريقة اشك ان أية وكالة مخابرات وطنية يمكنها ان تطبقه.

هذا وتوجد هناك وسائل تعوض عن غياب وجود المصادر. فالأشخاص يمكنهم ان يقوموا بهذه الأمور. وهذا ما يحدث غالباً. فمئذ سنتين ابلت بحديث في منهاتن، بولاية كنساس، وسألوني ان تجرى مقابلة مسبقاً مع مجموعة تضامن محلية، فظننت بأن ذلك امر حسن، وان هناك اربعة أشخاص سيكونون في غرفة الجلوس من اجل هذا الغرض. إلا انه وعلى نحو مفاجئ لي، فانه لم يكن هناك اربعة أشخاص فقط، وانما كان يوجد هناك مائتي شخص ينتظرون في كنيسة. إنها بلدة يبلغ عدد سكانها (٢٠) ألف نسمة او نحو ذلك. وتحتوي على مواد أدبية عديدة، بما فيها ادبيات لم ارها من قبل، ومعلومات لم اسمعها من قبل، وتحتوي على اناس كثيرين من اميركا الوسطى، كانوا رجعوا اليها، وعاشوا هناك وقاموا بأعمال متضامنة. انهم اناس مطلعون جداً. وانني متلكد بأنهم يعلمون عن اميركا الوسطى المزيد من المعلومات واكثر مما تجده في صحف اميركا الوسطى او في اللوائر الاميركية اللاتينية العديدة. فهذا امر يمكن ان تجده في كافة انحاء البلاد. فالجمهور قد وجد طرق ووسائل اخرى للحصول على المعلومات وبتقريب نفسه وغيره وتوزيع هذه المعلومات خارجاً. فهناك وسائل للحصول على المعلومات إلا انها ليست بسيطة. ولحاولة الوصول اليها بشتى الطرق لهو امر صعب.

■ سؤال : انني مهتم بقولك من ان الاذاعة التجارية هي اقل

ايدولوجية من الاذاعة العامة. فما هو تعليقك على ذلك ؟

جواب : إنها كانت تجربتي. وهنا أريد أن أكون حذراً بعض الشيء. فمجال الاذاعة العامة، حسب تجربتي، مفتوح تماماً. لذلك فعندما أذهب الى «يوميغ» و «ايوا» فانني اذهب الى الاذاعة العامة، من أجل اجراء مناقشات مطولة. بيد ان ذلك كان اصعب جداً لتصور ان يحدث هذا في بومستن أو واشنطن. اذ ان المجال لا يكون مفتوحاً لاجراء حوار في الاذاعة سوى لفقائ. وهو امر صعب جداً للتعلم في الأشياء. ومن الجدير التفكير يوماً بأن أنظمة الاتصالات الأميركية اخترعت اسلوباً فعالاً جداً من أجل منع حركة المعارضة أو الانشقاق من التعبير عن نفسها من خلال هذه الأجهزة. ويكون هذا واضحاً تماماً في بعض الأحيان. والولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة في العالم تقريباً كما أعلم التي تقوم بعملية اختصار شديدة للأقوال والأحاديث عبر الاذاعة، وعادة ما يجري ذلك الحديث المقتضب جداً بين إعلانين تجاريين. وهذا لا يحدث ابداً في دول أخرى. كما انه لا يحدث خارج نطاق الاذاعات الحكومية أيضاً. فبإمكانك ان تحصل هنا على عشرة أو خمسة عشر دقيقة لتعبر فيها عن رأيك، وتنظم افكارك. اما إذا أمكنك ان تحصل على لقاء في برنامج يدار من محطة أميركية حكومية، ويديره، على سبيل المثال، تيد كويل، فإنه لن يتسنى لك سوى أن تعبر عن رأيك بجملتين فقط هل تعرف جيف هانسن؟

بيليد بارساميان : انه يعمل في محطة «وورث» في مايسون

نعوم تشومسكي :

كنت هناك مؤخراً، فلرأى ان يرتب مقابلة معي عندما كنت في تلك المنطقة لأبلي ببعض الأحاديث الاذاعية. ولكن بعد اجراء اتصال معي، وبعد لخذ ورد قال بطني «انتقد الى الموجزية» او الاختصار في الحديث. وأضاف «اننا بحاجة لأشخاص يمكنهم ان يقولوا شيئاً ما في بضعة جمل. وان أفضل شيء بالنسبة لنا هو ان نحصل على شخص ما يمكنه ان يقول شيء ما وباختصار شديد، وان هذا الشخص تشومسكي يطيل ويطيل بالحديث. وهناك بعض الصحة في ذلك.

راجع المقال الذي نشر في عدد شباط / آذار ١٩٩٠ لمجلة «مطر جونز» (الأم

جونز). انه مقال مثير كتبته مارك كوبر، حيث أجرى فيه تحليلاً لأشخاص رئيسيين
ظهروا كخبراء في العروض الاذاعية. وبالطبع، فانهم جميعاً منتمون لليمين، وهم
يظهرون في البرامج يوماً. بيد ان التعليق معهم يعتبر مثيراً. وتحدث في مقاله عن
رجال الاعلام، وقال بأن هناك اشخاصاً يعرفون كيف يملون بفكر مختصرة وبسيطة
ومستقيمة، وأن بإمكانهم ان يجعلوا تلك الجملتين المختصرتين كتصريحات مفيدة تبث
بين فقرتين دعائيتين. فذلك امر مهم تماماً. لأنك لو قيدت للتحدث بجملتين فقط ومن
خلال اعلانين تجاريين، أو حتى أن تتحدث في حدود سبعمئة كلمة فقط فانه لن يكون
بإمكانك التحدث بشيء وانما فقط ان تعبر عن افكار تقليدية. وإذا ما عبرت عن افكار
تقليدية، فأنك لست بحاجة لأي قاعدة أو أساس لذلك أو أي خلفية أو مرجعية، أو أية
حجج وبراهين. أما اذا ما حاولت ان تعبر عن شيء ما غير تقليدي، فإن الناس
سيمسألونك مباشرة عما تتحدث عنه. وهم على حق في ذلك. فإذا ما رجعت الى الغزو
الأميركي لجنوب فيتنام، فإن بعض الناس سيمسألونني، «عما تتحدث عنه؟» اننا لم
نسمع عن ذلك؟» وهم على حق في ذلك. انهم لم يسمعوا عن ذلك. لذلك فإن عليّ ان
أشرح لهم ما أعنيه.

أو افترض انني اتحدث عن الارهاب الدولي، وأن أقول بأنه يجب علينا ان نوقفه
في واشنطن، التي تعتبر مركزاً رئيسياً له. فإن الناس سينهلون ويتساطون، «ماذا
تعني بأن واشنطن تعتبر مركزاً له؟» فعليك عندئذ ان تشرح ذلك. وعليك ان تورد بعض
المرجعية لذلك. فذلك بالضبط ما تحدث عنه جيف غرينفيلد بالضبط فقلت لا تريد من
الناس ان يكون لديهم اطلاعاً أو مرجعية، لأن ذلك سيسمح بوجود افكار انتقائية. فما
تريده هو وجود افكار مؤكدة تماماً. أما ما يريدونه هم فهو تكرار فقط للخط الاعلامي،
الخط الحزبي. لذلك فقلت بحاجة للاختصار. وبوسعني ان افعل ذلك أيضاً. فيمكنني ان
أقول أو ان أعبر بما أفكر به في ثلاثة جمل أيضاً. إلا ان ذلك سيظهر كما لو انه تربيداً
أو صدى على الحائط، لأنه لن يكون هناك أساساً أو قاعدة مرتكزة عليها. وإذا ما كنت
تابعاً لمؤسسة اميركية ما وقتلت ذلك في ثلاثة جمل، نعم، فالناس يسمعون ذلك في كل
يوم، لذلك فما هو الشيء الكبير في ذلك؟ وإذا ما قلت ان الروس يغزون العالم، وقتلت
هذا وذاك، وإن نوريفاً أسوأ رجل عصابات منذ كذا وكذا. فذلك نوع من الحديث لا
يحتاج الى أية مرجعية أو خلفية. فما عليك إلا ان تفرغ الأفكار في قالب جديد والتي

يوماً ما يعبر عنها كل واحد. انه أسلوب تركيبي قيم جداً. ولكن في الحقيقة، ومن وجهة نظري، فإذا ما كان بعض الناس مثل تيد كويل، أكثر نكاه، فانهم سيتيحوا عرض آراء المنشقين أو المعارضين، ولا يخدعون أنفسهم. فإما ان تكرر ما يقوله كل واحد آخر لأن تلك هي الطريقة التي تبدو عاقلة، أو ان تقول ما تفكر وتعتقد به، وفي هذه الحالة فانك ستبدو مثل مجنون، وحتى لو ان ما تقوله هو صحيح تماماً ويمكن دعمه بسهولة. والسبب هو ان النظام برمته يستثنى أو لا يعترف بذلك.

انه سيدرجوناً تماماً، من وجهة نظرهم. وإذا ما اتبعت أسلوب «الموجزية»، كما يقول حيف غرينفيلد، فلمست بحاجة لأن تفسر ذلك. فذلك هو الأسلوب التركيبي للاعلام، وهم يفعلون الشيء ذاته في اليابان، كما قيل لي. وان معظم بلدان العالم لم تصل بعد الى هذا المستوى من التقدم. اذ انه يمكنك ان تنهب الى الاذاعة الوطنية البلجيكية أو هيئة الاذاعة البريطانية وتقول ما تشاء. اما في الولايات المتحدة فان ذلك صعب جداً.

■ سؤال : في مقالتك «اللغة والحرية»، فقد قلت فيها «ان العمل الاجتماعي يجب ان يكون مفعماً برؤيا مجتمع مستقبلي». واني كنت متسائلاً ما هي رؤيا المجتمع المستقبلي التي تشغفك ؟

جواب : ان لدي افكاري الخاصة حول ما يجب ان يكون عليه المجتمع المستقبلي. وقد كتبت حول ذلك. واعتقد بأن ذلك سيكون على مستوى عام من اجل السعي لايجاد اشكال من السلطة والهيمنة وتحدي شرعيتهم. واحيانا تكون هذه المجتمعات أو النول شرعية. وعنا نقول بأننا محتاجين لذلك من اجل البقاء. فخلال الحرب العالمية الثانية، كان لدينا مجتمعاً بيكتاتورياً بشكل اساسي، واعتقد بأنه كان هناك بعض التبرير في ذلك بسبب ظروف واطماع الحرب. ان العلاقات بين الآباء والابناء، على سبيل المثال، مبنية على الإكراه والاجبار. وهي مبررة لحياناً. بل ان أي شكل من اشكال الإكراه والسيطرة يتطلب تبريراً، ومعظمه كان مبرراً تماماً. وفي مراحل مختلفة من الحضارة الإنسانية كان من الممكن تحدي بعضاً منها. اما العوامل الأخرى فانها متعمقة ومتداخلة جداً أو انك لا تراها أو نحو ذلك. لذلك فعند أية محاولة ان تستبين أو تكتشف تلك الاشكال من السلطة والهيمنة التي تكون خاضعة للتغيير والتي ليس لها

اية شرعية، والتي في الحقيقة غالباً ما تضرب حقوق الانسان الاساسية وتشوش فهمك لحقوق وطبيعة الانسان الاساسية. واعتقد بانك لو نظرت الى المشهد الحالي، او الوضع الحالي للمجتمع، فإن مجتمع المستقبل الذي أرغب برؤيته هو الذي كنت تريد باستمرار، والذي تعتد فيه بشكل متواصل جنود ومدى الحرية والعدالة مع عدم وجود للسيطرة الخارجية، واشترك شعبي اكبر فيه.

فما هي الامور الرئيسية اليوم؟ فهناك يوجد بعضاً منها. ومنها للحركة النسوية، وحركة الحقوق المدنية. والشئ الرئيسي الذي لم يواجهه بجد هو الذي يكمن في جوهر نظام الهيمنة، والسيطرة الخاصة على اللصاير، والانتاج والتوزيع. وان ثورات القرن الثامن عشر قد استهلكت وانقرضت. وحتى ان نصوص الليبرالية التقليدية التي كان يتحدث عنها الناس قد استهلكت لتعمل بموجب قيادة وسيطرة بدلاً من ان تعمل ضمن حاجتها الداخلية ولا تسيطر على العمل والنشاط. فذلك هو جوهر الليبرالية التقليدية. وقد نسي كل ذلك تماماً. إلا انه لا بد من ان تحي. فذلك امر حقيقي تماماً. وهذا يعني ان يشن هجوماً على التركيب الاساسي لامبريالية الدولة. واعتقد بان ذلك تحت الطلب. وليس بعيداً جداً في المستقبل. وفي الحقيقة، فليس لدينا حتى افكاراً خيالية حول ذلك. وكانت كثير من الافكار واضحة في القرن الثامن عشر، وحتى ان ذلك كان موجوداً في النصوص الليبرالية التقليدية، ومن ثم فيما كان موجوداً على الأقل في اجزاء من الحركات الليبرالية للحركة الاشتراكية والحركة الفوضوية ايضاً. واعتقد بان هذا موضوع حي ينبغي ان يواجهه. وان الرؤيا لمجتمع مستقبلي من وجهة النظر هذه ستكون واحدة يكون فيها الانتاج، والاستثمارات الخ، خاضعاً للسيطرة الديمقراطية. وهذا يعني السيطرة من خلال المجتمعات، ومن خلال أماكن العمل، ومن خلال المجالس العمالية في المصانع او الجامعات، ومن خلال اية منظمات مهما كان نوعها، كتركيبات فيدرالية تجمع القطاعات المنظمة بمدى اوسع.

فهذه هي كافة التطورات الملائمة والمعقولة، وبشكل خاص بالنسبة لمجتمع صناعي متطور. وتوجد الخلفية الثقافية لها في طريقة محدوبة تماماً فقط بل يمكن ان تعمل لتوجد. فذلك هي صورة لجزء من مجتمع مستقبلي.

وانها ليست الوحيدة فحسب لانه يوجد هناك اشكالاً عديدة اخرى لهرم السلطة

الذي يجب ان يزال. وان انواع الانظمة الموجوبة هي راسمالية الدولة، النوع المألوف لدينا، او بيروقراطية الدولة، كمثل النظام السوفيياتي (سابقاً) مع النخبة العسكرية - البيروقراطية - الادارية التي تحكم وتسيطر على الاقتصاد وعلى كافة المجتمع من القمة الى القاع في اسلوب بيكراتوري. إلا ان تلك قد انهار لحسن الحظ ونظامنا لن يكون خاضعاً لأي تحدٍ داخلي، بل ينبغي ان يكون كذلك. فصورة المجتمع المستقبلي الذي يُستنبط هو واحد يمكنك عنده ان تخطط له ولو جزئياً.

■ سؤال : لقد اجريت مئات للمقابلات والمحاضرات وعالجت موضوع المجازر في «تيمور» وعملية غزو بنما، ولفرق الموت والاعتقال، ولبعض المواضيع المروعة فعلياً. فما الذي يجعلك تقوم بذلك ؟ الست لتحرق من مثل هذه المواضيع ؟

جواب : بوسعي ان احبك حول روبرد فعلي الشخصية، بيد انه مرة ثانية لا اري لماذا يجب ان تهم أي واحد.

■ سؤال : هل توجد هناك مصادر داخلية تستدعيها عندما تشعر باليأس ؟

جواب : إنه أمر مشابه بشكل رئيس فيما اذا كان بإمكانك ان تنظر الى نفسك في المراة، كما اعتقد. فإذا ما أردت ان تشجع، فهناك طرق لتشجع فيها. فالأمر هي أفضل بكثير مما كانت عليه قبل خمسة وعشرين عاماً، او قبل عشرة سنوات. فعلى سبيل المثال، انني لم اكن قادراً قبل عشرين عاماً لأن انهب الى مناهن بولاية كتساس، وان اجد اناساً عرفوا أكثر حول أمور أكثر مما اعرفه، وكانوا نشطين ومفكرين أكثر. فعندما بدأت انلي بلحابيني واقوالي في عام ١٩٦٤ تقريباً، فقد بدا الامر يائساً تماماً. فاجراء حيث ما يمكن ان يعني الحصول على بعض الجيران ليدعو اثنان او اكثر من اجل الحديث في غرفة الجلوس، او الذهاب الى الكنيسة حيث يمكن ان يلقي الى هناك شخص ثمل، او ان يكون هناك بعض الأشخاص يريدون قتلك وقتل الذين نظموا هذا اللقاء. وعندما كنا نقوم بتنظيم مثل هذه اللقاءات العامة في الجامعة وقتذاك، انكر بأنه كان هناك لقاء أعلن فيه عن اجراء لقاء لبحث مسائل فيتنام، فنزويلا، وذلك ربما على أمل ان يكون من الممكن جلب اشخاص أكثر بسبب هذه المواضيع الحساسة آنذاك.

ومع ذلك أيضاً، فإن العداء كان غير عادي. وكان أول لقاء جماهيري عام لي لأحدث فيه في شهر تشرين الأول ١٩٦٥ في حديقة بوسطن العامة، وفي مناسبة اليوم العالمي للاحتجاج على الحرب في الهند الصينية. وقد نظم تلك الحشد بواسطة طلاب، مثل معظم الحالات، وكان في الحقيقة أول حدث عام رئيسي جرى في حديقة عامة بالنسبة لي. وكان يتواجد هناك ما بين ٢٠٠ - ٢٠٠ رجل شرطة، وكنا سعيدين برؤيتهم، كما يجب علي القول، لأنهم حفظونا من القتل. فالحشد كان معانياً، وكانوا معظمهم من الطلاب الذين أتوا من الجامعات. وكانوا على استعداد لقتلنا. إذ أنه كان من المربك أن تقول لهم: أوقفوا قصف فيتنام الشمالية. وجرى ذلك الحشد في منتصف عام ١٩٦٦. ولم يكن حينذاك بالإمكان عقد حشد جماهيري في بوسطن لأنه سيحتاج من قبل الطلاب وعناصر أخرى. لذلك فقد كنت أشعر انشد باليلس التام، فلم يكن بإمكانني أن أرى أي هدم من جراء ذلك.

■ سؤال : لذلك فانت متشجع ؟

جواب : سواء كنت متشجعاً أم لا فإنها تعتبر مسألة شخصية، وليست حقيقة موضوعية. وفي كثير من الوسائل فإن الأمور أفضل بكثير. واعتقد بأن المستوى الثقافي للبلاد هو أعلى بكثير. وخارج الفئات المتعلمة، التي لم تتغير، فاعتقد بأن المستوى الفكري والأخلاقي للمحاثة العامة والفهم العام قد ارتفع بشكل بارز. ولا أشك بذلك لحظة. وهذا شيء مشجع. فإذا ما أردت أن تشجع، فبإمكانك أن تفكر حول ذلك بخطوة هائلة، قبل أن يمكنك اتخاذ تأثير جاد في السياسة. فهذه هي أسئلة مزاجية، وليست حقيقة موضوعية. ولا أرى الكثير من الانتباه لها.

وتلخذ بشكل أساسي نوعاً من رهان باسكال. كما تلخذ البيعة. إذا ما أردت تقديم تحليل موضوعي، وبإمكانك أن تقدم برهاناً وحجة من أنه خلال مائتي عام فلن يكون هنالك شيئاً يترك سوى الصراخ. ومهما فعلنا، فهذا ممكن ومن جهة ثانية، فإن بإمكانك أن تحاول القيام بشيء ما بشأن ذلك، ففي هذه الحالة فإن بوسعك أن تتوقع وتتنبأ بما سيحدث. أو أن تفعل شيئاً ما، ففي هذه الحالة ربما يوجد هناك خطأ.

■ سؤال : هل انت ملتزم القيام بشيء ما ؟

جواب : أحاول أن أكون.

استهلال لحرب الخليج

ايلول، ١٩٩٠

ديفيد بارساميان : اعتقد بانك تتحدى وجهة نظر وسائل الاعلام التقليدية من ان الازمة الكويتية - العراقية هي اول حدث رئيسي لما يدعى بحقبة «ما بعد الحرب الباردة». فهل انا محق في ذلك ؟

نعوم تشومسكي :

هذا صحيح في عدد من النواحي. فلول كل شيء، فإنتي أشك بخصوص عبارة «حقبة ما بعد الحرب الباردة»، بيد أنني حتى اوافق بأن اول أزمة رئيسية تضمنت عمل عسكري في هذه الحقبة كان غزو بنما. انها كانت «حقبة ما بعد الحرب الباردة» في معنى - مع ان العمل نفسه كان عادياً جداً ومن الصعب ليكون اكثر من كونه هامشياً في التاريخ - انه لأول مرة، منذ وقت طويل، وفعلياً منذ عام ١٩١٧، من ان الأعمال العسكرية الأميركية، وهو عدوان في مثل هذه الحالة، لم تبرر بذريعة الدفاع عن تهديد السوفيياتي. ولم تكن هذه الذريعة معقولة ابداً، ولكن في هذه المرة فانها كانت وراء كل خيال وتوقع. ففي تلك الناحية فان هذا كان غزواً «لحقبة ما بعد الحرب»، استخدمت فيه القوات العسكرية. وكان عليه ان يبرر بشتى الحجج والنرائع. ففي عدة نواحي، فانه مشابه (غزو بنما) للغزو العراقي للكويت نوعاً ما.

■ سؤال : هل ترى اية نتائج متباعدة عن الجهد الدولي المتحد لطع

صدام حسين للاجلاء عن الكويت ؟

جواب : اتمنى ان ارى شيئاً من ذلك. بيد أنني لا ارى ذلك. ولقد ايدت تلك الجهود الدولية، غير ان السبب الوحيد في حدوث ذلك هو بسبب سماح الولايات المتحدة لان تحدث. وهناك مقدار كبير من الهراء قد وجد الآن حول كيف ان الامم المتحدة تولت اخيراً مسؤوليتها في حقبة ما بعد الحرب الباردة، ومع انتهاء صراع القوى العظمى فإننا لسنا بحاجة لان نقلق كثيراً بشأن التصدي الروسي، كما يمكننا ان نضع جانباً

تشريعات العالم الثالث، وتستطيع الأمم المتحدة أخيراً أن تقوم بما هو مرتب ومصمم لها. وحقيقة الأمر هو أنه على مر العشرين سنة الماضية كان السبب الرئيس لعدم مقرة الأمم المتحدة في القيام بما كان مصمم لها أن تقوم به هو لأن الولايات المتحدة كانت تعيق ذلك. فالولايات المتحدة كانت في مقدمة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن التي استخدمت حق الفيتو وبكثرة ضد قرارات المجلس، كما أنها كانت تصوت سلبياً في الجمعية العامة ضد كثير من القرارات، بما فيها القرارات المتعلقة بالشرق الأوسط وقرارات الاعتداءات، ومراقبة القانون الدولي، ونزع السلاح، ومسائل البيئة، وغيرها. وذلك هو السبب لماذا أن الأمم المتحدة لم تكن قادرة على العمل والتحرك.

ولكن الآن، فإن الأمم المتحدة هي تقريباً، أقل فعلياً مما ندعيه، فهي تعمل وفقاً لما تريده الولايات المتحدة، ووفقاً لمطالبها، لذلك فإنها قادرة على العمل. فهذا هو الأمر ببساطة. والشئ الساخر في هذا الأمر هو أنك التريدي الفكري. فعلى سبيل المثال، كتبت صحيفة نيويورك تايمز مقالاً عن دانيال مونيهان امتدحته فيه على أنه يعتبر مفسراً للقانون الدولي بحيث جعل الآخرين يفهمون المبادئ الذي كافح طيلة حياته من أجل تفسيرها وشرحها، الخ. ولقد رايت في الصحافة العديد من المقالات مثل تلك المقالة عن مونيهان، الذي ألف كتاباً عن القانون الدولي بهذا الصدد. وصحيح تماماً أن مونيهان يقول في كتابه هذا «أنه لشيء فظيع أننا لا نراقب القانون الدولي، فينبغي علينا أن نفعل ذلك، الخ». بيد أنه توجد هناك بعض الحنوفات في هذه القصة. فعلى سبيل المثال، فإن مقالة النيويورك تايمز تمتدح مونيهان لخدمته في الأمم المتحدة، إلا أنها لم تقل ماذا كان يفعل هناك. فما كان يفعله في الحقيقة هو ضمان عدم قيام الأمم المتحدة بوظيفتها، وهو يصف ذلك بفخر في مذكراته.

وبإشارته للغزو الأتونييسي لشرق تيمور في عام ١٩٧٥، فهو يقول بأن الأمم المتحدة أرادت أن تحول الأمور حسب مصلحتها، لذلك فقد أوكل إليه مهمة التاكيد من أن الأمم المتحدة لا يمكنها أن تقوم بأي عمل بناء من أجل إنهاء أو وقف العدوان الأتونييسي. وقد نفذ تلك المهمة بنجاح بارز. ومن ثم فهو يقول بأنه كان متروكاً لطبيعة ذلك للنجاح.. فقد قال أنه بعد شهرين من الغزو الأتونييسي، فإن عشرة بالمئة من سكان شرق تيمور قد قتلوا، وهي نفس النسبة التي قتلها هتلر في أوروبا الشرقية إبان

الحرب العالمية الثانية. وبذلك فهو يفتخر في وقفه للأمم المتحدة من التدخل لمنع العدوان الذي قارنه بنفسه مع غزو هتلر لأوروبا الشرقية. فهذا هو الرجل الذي يبلغنا بمراقبة القانون الدولي ويمتدح الأمم المتحدة لأنها جأت أخيراً لتقوم بواجبها ولتنفذ مهمتها التاريخية.

وبوضع موقفه الخاص جانباً، والمقالات التي امتنحت وامتنحت كتابه، ووصفته على أنه مفسر ورائد القانون الدولي في الأمم المتحدة، فإن ذلك يثير السخرية إلى ما وراء الحدود.

■ سؤال : ان ذلك سيبدو ان أزمة الخليج ستولد مصلحة كبيرة في حفظ الطاقة . فمؤسسة حفظ الطاقة في هذا البلد قد طورت مصادر بديلة . بيد ان ذلك يبدو انه لن يحدث. فما هو تعليقك ؟

جواب : ليس في الحقيقة، لأنه لا علاقة له بالموضوع تماماً. فالمشكلة في أزمة الخليج لا تكمن في نقص البترول، وليس أيضاً في اعتماد الولايات المتحدة على نفط الشرق الأوسط. ومن السهل رؤية ذلك بوضوح. فوقف الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط كان منذ الأربعينات هو الحفاظ على مصادر النفط الأكبر والأرخص هناك بواسطة الهيمنة عليه، وإن لا يمكن التساهل مع قوى أخرى تحاول الهيمنة عليه. وبالتأكيد فإنه لا يمكن التساهل مع وجود قوات مسلحة تهدد أمن المنطقة. وخاصة بعد خروج القوى البريطانية والفرنسية من المنطقة. وكان هناك الكثير من الكلام حول الروس وتهديدهم، إلا أنه كان مجرد كلام. وعلى نحو حاسم، فإنه لا يمكن التسامح أيضاً مع قوى مسلحة محلية تهدد أمن المنطقة. وكانت تلك أيضاً السياسة الأميركية في الخمسينات. وقد حفز ذلك معارضة الولايات المتحدة للرئيس المصري عبد الناصر في منتصف الخمسينات، عندما أبركت بأنه كان وطنياً مستقلاً وأنه لم يكن يلعب لعبتنا. وعقدت أيضاً تحالفاً استراتيجياً مع كل من إسرائيل وشاه إيران في مواجهة ما كان يدعى «بالقومية الراديكالية»، والتي تعني القومية المستقلة. ولم لهذا صلة بالموضوع؟ فلغاية أوائل السبعينات فقد كنا بالكاد نستورد النفط من الشرق الأوسط، إلا أننا كنا نقف نفس الموقف بالضبط.

فالقضية هي من هو الذي يسيطر على مصادر الطاقة الرئيسية في العالم ؟ وقد

فهم من ذلك ايضا من هو الذي يسيطر على المنافع، ومن الذي يمكنه ان يدير مستويات واسعار انتاج النفط ؟ ضمن حدود لو نطاق ضيق، لأنه لا يوجد هناك مدى كبير، له محرك قوي جداً بالشؤون العالمية وبالدول الأخرى، ونحن ماضون للتأكد من اننا نملك ذلك. فيمكننا ان نكون مكثفين ذاتياً وان نملك لن يغير من هذا شيئاً.

■ سؤال : افني اتساءل فيما اذا كان بوسعك ان تعلق على الصور الاعلامية. فافني افكر في فترة اواخر السبعينات وبتلك الصور المفزعة للخميني التي استحوذت على اغلفة مجلتي تايم ونيوزويك وفيما بعد حول مسائل الرهائن، الشرق الاوسط والنفط وصدام حسين التي استحوذت كلها على اغلفة المجلات ؟

جواب : في الستينات، انه كان جمال عبد الناصر هو الذي اعتبر على انه متوحش وينبغي القضاء عليه، وكان ذلك جزءاً من سبب التحمس المفرط لانتصار اسرائيل في عام ١٩٦٧، واشتراك الولايات المتحدة في ذلك. وفي الحقيقة، فانه بالنسبة لحالة صدام حسين، فلما بنا حاجة لأن نذهب بعيداً. ولغاية شهر اب ١٩٩٠ فقد كان مفضلاً لدى الولايات المتحدة. اذ منحت الولايات المتحدة دعماً مالياً ومعنوياً. فالولايات المتحدة كانت تشكل شريكاً تجارياً رئيسياً له. فقد كنا اكبر سوق تجاري لنفطه. وكنا نزوده بنسبة اربعين بالمائة من المواد الغذائية. وكان المنتدى العملي العراقي - الأميركي يثني على تقدمه تجاه الديمقراطية. فقد كان رجلاً جيداً بنظرنا. ولكن بعد يوم واحد فقط اصبح يلقب بجنكيز خان وهتلر. واصبح احتلاله للكويت جريمة.

فما حدث هو انه تصارع وتنازع مع المصالح الأميركية. ولأنه تعارض ايضا مع المصالح الأميركية. وعندما اصبح واضحاً بأنه كان واحداً من الوطنيين الرأسماليين، وانه سيمضي بطريقته الخاصة، وانه سينهج نهج ناصر، والقذافي والخميني او أي واحد آخر وقف او يقف في طريقنا.

■ سؤال : وماذا عن نوريفا ؟

جواب : كان هناك نوعاً من الخداع. فعلى سبيل المثال، أجرى برنارد ترينور الجنرال السابق في قوات المارينز والمراسل العسكري السابق لصحيفة نيويورك تايمز والذي يرأس الآن بعض برامج الدراسات الأمنية بجامعة هارفارد، أجرى مقارنة في مجلة تايم

ما بين صدام حسين ونوريفا، قائلاً بأن صدام حسين مثله مثل نوريفا، ينبغي ان ينهب. فهناك عامل مشترك بين الاثنين: فكلامهما وفقاً في طريق الولايات المتحدة. ومثله مثل نوريفا عارض ووقف في وجه المصالح الأميركية في المنطقة. وكان نوريفا صديقاً للولايات المتحدة، بل كان يخدم مصالحها. ولكن عندما أصبح واضحاً بأنه كان يتبع نهجاً مستقلاً، وعندما بدأ يقف في طريق الولايات المتحدة بسبب هجومها على نيكاراغوا بدلاً من الاشتراك فعلياً فيه، وعندما بدأ يلاحق عملية كونتابورا، فقد كان لا بد ان ينهب. لذلك فقد استغلت اعماله السابقة من قبل الولايات المتحدة للاطاحة به. وانطبق الشيء ذاته على صدام حسين، والذي كانت اعماله السابقة مقبولة لدى الولايات المتحدة، بل انه كان في الحقيقة، شريكاً محبباً.

■ سؤال : إنني مهتم في هذه المسألة للتمنفة المدركة. ولكن كيف يمكن لبعض الناس مثل جورج بوش، على سبيل المثال، او وزير خارجيته بيكر او دانييل مونييهان، ان يتحدثوا عن القانون الدولي وانتهاك حقوق سيادة الدول على انها جريمة منكرة، الخ ؟ وكيف يمكنهم ان يسووا تلك المواقف مع الاعمال الأميركية في بنما، او غرينادا، على سبيل المثال ؟

جواب : إن محاضر محكمة العدل الدولية، ادانت الولايات المتحدة لاستخدامها القوة بطريقة غير مشروعة، وسجلها الكامل يثبت ذلك. فلنأخذ بنما مثلاً. ففي يوم الأحد، الموافق في ١٦ أيلول ١٩٩٠، أعلنت الصحافة ويسرور عظيم بأن مجلس الأمن الدولي قد صوت الى جانب قرار بالشجب الشديد للعراق بسبب اقتحامه للسفارات الأجنبية. وهذا صحيح تماماً. فعندما اقتحموا السفارات، فقد عبرت الصحافة عن سخطها الشديد. فهذا كان هجوماً على الدبلوماسية ذاتها. كما قالت صحيفة نيويورك تايمز، ولأول مرة يصدر قرار مجلس الأمن بالإجماع وبشكل بارز تماماً.

ولم أر أي واحد يشير الى ذلك بوضوح. وكان ذلك يحدث للمرة الثانية في تلك السنة. فقبل ذلك أصدر مجلس الأمن قراره بشجب بلد لانتهاكه الحصانة الدبلوماسية في حالة مشابهة لهذه الحالة. وبشكل خاص، عندما اقتحمت القوات الأميركية مقر للبعثة الدبلوماسية لنيكاراغوا في بنما. فلصدر مجلس الأمن قراراً بالإدانة إلا انه

ووجه بالفيتو الأميركي. وهذا ما حدث بالفعل. كما أصدر مجلس الأمن أيضاً قراراً بشجب الغزو الأميركي لبنما بيد أن الولايات المتحدة استخضمت حق النقض أو الفيتو ضده. وكان هناك قرار شجب أيضاً أصدرته الجمعية العامة. وفي الحقيقة، فقد وصفت الكنيسة الكاثوليكية الغزو الأميركي لبنما على أنه أسوأ مأساة في تاريخ هذا البلد، كما أن هناك لجنة حكومية شجبت هذا الغزو. وبالعودة إلى الأمم المتحدة، كما نكرت من قبل، فإن الولايات المتحدة تعتبر بعيدة جداً عن عملية قيادة مراقبة القانون الدولي، والأعمال العدوانية، الخ.

وعودة إلى سؤالك: كيف يمكنهم القيام بهذه الأمور؟ فذلك يعتمد على الجهد الفردي أو الشخصي، غير أنه توجد هناك عدة أجوبة ممكنة. ومن المحتمل أن معظمهم هم أناس اكتسبوا أو أنه كان لديهم أسلوباً معيناً. وذلك لكي ينفذوا من خلاله إلى موقع القيادة أو الزعامة. وذلك بأن تكون قادراً على إزالة أي شيء تعاماً من فكرك يمكن أن يتنازع مع حاجتك لأداء مصالح قوية. فعليك أن تكون قادراً على إزالة ونسخ ذلك. وعندئذ فلن تحصل على تنافر مبرك.

■ سؤال : بيد أن مستوى الانسجام يبدو مروعاً، وحتى بالمقاييس الأميركية لهذه المسألة. وكنت احافظ على حضور المؤتمرات الصحفية اليومية التي كان يعقدها جورج بوش في «مين»، والتي كان يعقدها فيما بعد في واشنطن مع الصحافة، وحتى لو أنه لم يكن ليعتقد بما كان يقوله، حول مواجهة الإدارة الأميركية لمسألة القانون الدولي وحرمة الحدود الدولية، الخ، وإثارة مسألة بنما. إلا أنه ولا واحدة من هذه المسائل قد سارت قديماً. فما هو تعليقك ؟

جواب : كلا، وإن أكثر ما أراه هو كثرة المقالات الصحفية حول هذه المسائل وما تتم عنه من نفاق ظاهر. وعلى نحو مصانف، فأني أعلم بأن مثل هذه المقالات قد قدمت للصحف الرئيسية، إلا أنها رفضتها.

■ سؤال : لقد قلت قبل بضعة سنين مضت بأن العاطفة المعادية للعرب تعتبر آخر نرة من التمييز العنصري للظاهر في الولايات المتحدة اليوم. فهل ترى أية عناصر لذلك التمييز في هذه الأزمة الراهنة ؟

جواب : اعتقد بانه امر فظيع. فردة الفعل هي عنصرية تماماً. وبالطبع فانك تجد هذا في صحف عنصرية صريحة مثل صحيفة «الجمهورية الجديدة» التي تعيق برائحة العنصرية المعادية للعرب، بل ان تلك هي يوماً القضية. وحتى في اجزاء من وسائل الاعلام جرت هناك محاولات للإبقاء على مستوى أقل من الاعتبارية لهذه المسألة، فالعنصرية المناوئة للعرب تصرخ فيك. وكانت هذه قائمة منذ وقت طويل، بيد انها أصبحت ظاهرة وواضحة الآن.

■ **سؤال :** لقد صنف ان استمعت الى إحدى الاذاعات الدينية المسيحية، وكان هناك تعليقاً حول ان «الاسلام يولد العنف» وان «القران يدعو للحرب المقدسة». ولقد نهلت من سماع كل هذه الاشياء فما هو تعليقك على ذلك ؟

جواب : انها نوع من الثقافة العنصرية. فهل المسيحية لا تولد العنف؟ وهل ان التاريخ الأوروبي لطيف وجيد تماماً ؟

■ **سؤال :** اين موقع اسرائيل، الشريك الاستراتيجي، من هذه الازمات ؟ فلماذا تبني على الهامش او الخط الجانبي ؟

جواب : ان كلمة «تبني» هي الكلمة الصحيحة لذلك. فهي ستظل وتبقى عبارة عن قاعدة للقوة الاميركية. فإذا ما قررت الولايات المتحدة الذهاب للحرب، وهو الامر المحتمل جداً، وتفرق المنطقة في اضطراب كامل ويحدث كارثة محتملة، فان اسرائيل ستكون الاحتياطي الاستراتيجي لها. ولكن الآن، فان الولايات المتحدة ستفضل كثيراً ان تحتفظ اسرائيل بأقل صورة جانبية وبالتأكيد انها قد تلقت أمراً بذلك. والسبب في ذلك ان النظام الهش للقوة العربية هي امر حاسم بالنسبة لأغراض وأهداف الدعاية والاعلام، وان ذلك سينهار على الفور اذا ما اتخذت اسرائيل أي دور نشط. وفي الواقع، فان من المحتمل ان يشتعل العالم العربي برمته. ومن المحتمل ايضا ان تجد الولايات المتحدة نفسها متورطة في عملية مضادة.

■ **سؤال :** اني مهتم باستخدامك للتعبير «العالم العربي» لأنه يحيرني. ألم تصبغ عن «العالم السلافي» او «العالم الهندوسي» او «العالم البوذي» ؟

جواب : أو « العالم للمسيحي » .

■ سؤال : فهل هذا جزءاً من الإطار العرقي ؟ ونحن نستخدمه ؟

جواب : بالتأكيد، نحن نستخدمه. وأنا استخدم هذا التعبير. فما يدعى «العالم العربي» هو تركيب معقد ومختلف ومتنوع كما هو الأمر بالنسبة للعالم الأوروبي.

■ سؤال : وماذا بشأن الصراعات السياسية في المنطقة ؟ فبعض

الأناس يفهمشون، على سبيل المثال ، بأن يكون هناك نزاعاً ما بين

الرئيس السوري حافظ الأسد والرئيس العراقي صدام حسين. فما

هو تعليقك ؟

جواب : إن حافظ الأسد يعتبر عدواً لهدواً لصدام حسين. فهما يمثلان جناحان رئيسيان لنفس الحزب، الذي يعتبر عملياً حركة عربية شاملة، وهو حزب البعث. بيد انه يحتوي على أجنحة مختلفة، وهي أجنحة متصارعة منذ عدة سنوات. وكانت سوريا الدولة العربية الرئيسية الوحيدة التي ساندت ايران في حريها مع العراق. هذا وكان لذلك شيء متمم. فمن المثير للدهشة ان يصبح حافظ الأسد فجأة شخصاً طيباً في اميركا. فهناك مقال لصحيفة نيويورك تايمز، قالت فيه، «إنه بالطبع ليس لطيفاً جداً، بل انه افضل بكثير من صدام حسين». وقبل ذلك بشهرين، كان صدام حسين افضل بكثير منه. وفي الحقيقة، فان الولايات المتحدة تصنف حسب مصلحتها، فالأسد يقف في صفنا الآن، لذلك فهو حاصل على وعد حقيقي من اميركا.

■ سؤال : اليس الرئيس بوش وادارته يلزمون انفسهم حقيقة من

خلال تعليقهم بأن «الاحتلال العراقي للكويت سوف لن يستمر، ولن

يجري التصامح بشأنه» ؟ فهل هو بذلك يتيح لصدام حسين ان يجري

تسوية ما ؟

جواب : اعتقد من وجهة نظري بانها وسيلة غريبة نوعاً ما لتقديم بهذا الشكل، لانه كانت هناك عدة عروض مقدمة من العراق من اجل اجراء مقارضات يمكن ان تؤدي الى انتهاء النزاع فيما يتعلق بالانصحاب العراقي، إلا انها رفضت من قبل الولايات المتحدة. لذلك فإنها ليست مسألة فيما اذا كانت الولايات المتحدة تقدم تسوية ممكنة. فما هو صحيح الآن، إنها مسألة رفض الولايات المتحدة السماح للجهد الدبلوماسي بأن يستمر ويتواصل.

وهناك مقالة ظهرت في صحيفة نيويورك تايمز كتبها رئيس المراسلين السياسيين في الصحيفة، توماس فريدمان، قال فيها بأنه يوجد هناك قلق كبير في واشنطن، من أن تتمكن جهات أخرى من إيجاد حل سياسي مغري جداً لحل الأزمة. ففي هذه الحالة، اعتقد بأنه يمكنك أن ترى لاختلاف حقيقي بين الولايات المتحدة ومعظم بقية دول العالم - ليس جميعها - وإنما معظمها اتخذ اتجاهاً مختلفاً، حول هذه المسألة الحاسمة. وهناك أمل عام من أن تؤدي بعض الإجراءات الاقتصادية، ومنها فرض حظر، إلى حدوث نجاح في إجبار العراق على الانسحاب من الكويت والرجوع عن العدوان، ولكن افترض بأن هذا لن يجدي؟ فماذا سيحدث عنئذ؟ فسيكون هناك حينئذ وسيلتان لتحقيق ذلك. الوسيلة الأولى هي الحرب والوسيلة الأخرى هي الدبلوماسية. وكما أعلم فإن معظم دول العالم تفضل الوسيلة الدبلوماسية، أما الولايات المتحدة فاتها تتجه نحو الحرب. وهناك على ما يبدو خيارات دبلوماسية ومصار دبلوماسية. ولا يمكننا التأكيد من ذلك، إذ أن كل فرصة تسنح تسد على الفور ونادراً ما يتم التحدث أو الاعلان عنها، ولكن كانت هناك بالتأكيد عروض ومقترحات دبلوماسية قد طفت على السطح وبيت وكنها خيارات دبلوماسية ممكنة.

■ سؤال : ألم يكن هناك اقتراح عراقي تحدث عن الانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة ؟

جواب : كان ذلك في ١٢ آب ١٩٩٠. وكان أول عرض طرح. ولا نعرف بالضبط مدى جديته، لأنه رفض على الفور. كما كانت هناك عدة عروض واقتراحات أخرى أيضاً. وكان هناك أيضاً اقتراحاً عراقياً في ١٩ آب لمعالجة مسألة الكويت على أنها مشكلة للعالم العربي والجامعة العربية وأن تصوى بنفس الطريقة التي سويت بها مسألة وجود القوات السورية في لبنان، ومسألة القوات المغربية في الصحراء الغربية. إلا أن هذا الاقتراح قد رفض أيضاً.

وكانت هناك حجة لرفض ذلك، وذلك لاحتمالية وجود نفوذ قوي لصدام حسين في المنطقة. وكان في ذلك بعض المنطق، باستثناء نقطة صغيرة واحدة. هي أنه كان قد اختلس ورقة من الكتاب الأميركي. ففي كل مرة كانت تتدخل فيها الولايات المتحدة في أميركا الجنوبية (أو في عالمها الغربي الصغير)، فإنها كانت تقف على الفور

وتشجب بقية دول العالم لمحاولتها التدخل في ذلك. لذلك فقد كانت تعلق في مجلس الأمن الدولي لوقف كافة العداءات على أساس أن هذه مسألة تخص العالم الغربي ونحن سنتولاها بأنفسنا. وعلى الآخرين أن يبقوا هائنين، لماذا؟ لأننا يمكننا التمل بأن نسود ما دام الأمر يتعلق بالعالم الغربي. وقد فعلنا الشيء ذاته في الشرق الأوسط وعلى سبيل المثال، محاولة اعتراض تدخل الأمم المتحدة في قبرص، عندما غزت تركيا قبرص، في أوائل الستينات، جاعلة منها مسألة تخص حلف واسو.

وكان الاقتراح العراقي الثالث، مع ذلك، هو أكثر أهمية في ٢٣ آب، ومرة ثانية، لم نعرف الكثير عنه أو عن مدى جديته، لأنه قد أخذ. إلا أنه في ٢٣ آب نقل العرض إلى واشنطن بواسطة مسؤول أميركي كبير له ارتباطات واتصالات مع العراقيين، وكان الاقتراح يدعو لانسحاب عراقي من الكويت، شريطة إنهاء العقوبات الاقتصادية، وإطلاق سراح كافة المعتقلين، والرهائن، ولا يتضمن شرطاً مسبقاً لانسحاب قوات أميركية، أو أية شروط مسبقة أخرى. وكانت الشروط العراقية الوحيدة في هذا العرض، هي وصول العراق إلى مياه الخليج، وسيطرته على حقول رميلة النفطية، التي يقع حوالي (٩٥) بالمئة منها داخل الأراضي العراقية وخمسة بالمئة فقط داخل أراضي الكويت وفي المنطقة الحدودية المتنازع عليها يوماً. وقد وصف هذا الاقتراح من قبل الناطق الرسمي للبيت الأبيض على أنه «اقترحاً جاداً وقابلاً للتفاوض». وهو بالتأكيد كان كذلك، إلا أننا لم نعرف كم كان جاداً أو قابلاً للتفاوض، لأنه قد رفض على الفور من قبل الولايات المتحدة وقمع وأخذ بشكل واسع بواسطة الصحافة الأميركية. فقد سرب العرض على ما يبدو إلى صحيفة نيويورك تايمز، التي لم تقم بنشره. ومن ثم نشر بعد ذلك بأسبوع في مجلة «نيوزويك»، وأشارت إليه مجلة «تايم»، غير أنه دُفن ورفض على أنه كلام فارغ وهراء، وكان ذلك نهايته. ولم يشر إليه فيما بعد. وكانت هناك أيضاً عروض أخرى. أما كم أنها كانت واقعية، فمرة ثانية، لا نعلم ذلك، لأنه ما دامت الولايات المتحدة كانت ترفضها، وما دامت الصحافة الأميركية لم تشر إليها، فنحن لا نعلم عنها شيئاً. بيد أن منطق الوضع كان واضحاً تماماً. فإذا لم ينجح الحظر الاقتصادي على العراق في وقت محدود، فإن الخيارات ستكون إما الحرب وإما الحل السياسي. وإذا ما فشل الحل السياسي، فستكون الحرب.

■ سؤال : واذا لم نجد العقوبات الاقتصادية، اذا ما قلنا ذلك خلال

سنة اشهر من الآن... لماذا سيحدث ؟

جواب : إنني لا أعتقد بأن الولايات المتحدة ستنتظر ستة أشهر. وإنما، حسب ما أتصور، فإن الوضع لا يحتمل سوى شهرين. وهنا نتخيل ماذا سيجري وماذا سيكون عليه الوضع. ولا يمكننا أن نكون متأكدين من ذلك، ولكن توجد هناك امكانية، إلا أنها ليست معقولة. فبعد شهرين من الآن فسنجد جيشاً اميركياً ضخماً هناك، يبلغ تعدادهم (٢٠٠) ألف رجل، يعانون في الصحراء، ولا يوجد الكثير من وسائل الراحة والترفيه له، معزولاً، ويعاني جداً من شدة الحرارة، والدبابات لا تستطيع العمل. وسيتجه الاقتصاد الاميركي نحو الاضطراب. في حين ان المانيا واليابان، منافستينا الرئيسيتين، يتابعان بنشاط مصالحهما الاقتصادية كالعادة. وهما في الحقيقة لا ترغبان في الاشتراك بهذه العملية. وتعتبرانها على أنها ترتيب ثنائي بين الولايات المتحدة والعربية السعودية. وبدأ الحظر الاقتصادي بالتسرب. وازداد الاضطراب في العالم العربي، وكان ذلك أمراً محتملاً. واصبحت الصراعات متطورة ما بين القوات الاميركية والسكان المحليين، وهو امر كان متوقعاً ايضاً، وحتى لو أنها (القوات الاميركية) قد تصرفت بشكل لائق فان هنالك فرصاً كثيرة جداً لحدوث نزاع. فتصور ذلك الوضع. لماذا سيفعل جورج بوش عنئذ؟ فإما أن يسحب جيشه، وهذا امر غير قابل للتصور، او ان يستخدمه.

■ سؤال : هل تفضل الخيار العسكري لإخراج القوات العراقية من

الكويت ؟

جواب : الخيار العسكري؟ سيكون جنوناً. فاول كل شيء، فإنه لم يكن مخولاً من مجلس الأمن الدولي، وهذا ليس محتملاً الى حد بعيد، فإنه سيكون غير قانوني. غير انه وخلافاً عن القانون، الذي لا يزعجنا ابداً، فسيكون ذلك خطأ وجنوناً. وأشيء واحد فقط، فإنه ليس واضحاً من ان الولايات المتحدة وجد لديها خياراً عسكرياً. فالمحليون العسكريون الغربيون متأكدين من ذلك تماماً. كما ان الملحقين العسكريين في بغداد، على سبيل المثال، قد صرحوا بأنه سيكون مكلفاً الى حد كبير للولايات المتحدة لذا ما حاولت لخراج القوات العراقية من الكويت. ولا يوجد لدينا فكرة كم من الجنود سيقتلون في هذه العملية، فلا يمكن احصاء ذلك على المدى الطويل. وقد تكون تأثيراتها

مما صورية على كافة المنطقة، وربما تدمير جزء كبير من احتياطي النفط في العالم. فإنه
لأمر خطير ومنذر بالشوم.

■ سؤال : إنني لا أوافق على شيء قلته، عندما قلت بأنه حتى لو
أن مجلس الأمن صوت إلى جانب العمل العسكري فإنه لن يكون
قانونياً ؟

جواب : لقد قلت بأنه ما لم يصوت مجلس الأمن إلى جانب اتخاذ عمل، ويتولى
ويشرف عليه، فإنه لن يكون قانونياً.

■ سؤال : ما هو تأثير هذا على الفلسطينيين والانفصالية ؟

جواب: اعتقد بأنها ستكون كارثة بالنسبة للفلسطينيين. فإذا ما كانت هناك حرياً، فإن
اسرائيل قد تنتهز الفرصة، ويدعم من الولايات المتحدة كما اعتقد ستقوم بتهجير
الفلسطينيين من الأراضي المحتلة إلى الأردن، ومن ثم تجلب المزيد من المهاجرين اليهود
الروس، في حين تقوم بتوسيع حدودها، الخ. وهذا من الغير المحتمل أن يحدث هذا
بغير نشوب حرب. وحتى لو لم تكن هناك حرياً، فاعتقد أن الوضع سيقضي بعقد
تحالف أوثق ما بين الولايات المتحدة والقوات القوية عسكرياً في المنطقة والملتزمة
بمقاومة أي شكل من أشكال نشوء حركة وطنية مطية في المنطقة.

■ سؤال : هل تعتقد بأن احتلال القوات العراقية للكويت يثبت
مقولة الليكود في اسرائيل من أنه « لا يمكنك الوثوق بالعرب وأنهم
معتبون وراهابيون، الخ » ؟

جواب : اعتقد بأنه قد قوى من هذا الموقف، في اسرائيل. وأصبح هناك وضعا محرجاً
بالنسبة لما يسمى بحركة السلام في اسرائيل. وخاصة بالنسبة ليوسي ساريد، الذي
كتب مقالاً بهذا الخصوص في صحيفة «دول ستريت جورنال». وقد تعرض للوم
الشديد أيضاً جراء ذلك. وهناك أيضاً شولاميت ألوني، التي تعتبر من القيايين
الليبراليين، والتي صرحت مؤخراً بأنها لن تكثرث بالفلسطينيين ولن تكثرث بما سيحل
بهم مستقبلاً. فكل ما ستهتم به حقيقة هم اليهود واسرائيل، وأنها ستواصل التحدث
مع الفلسطينيين من أجل مصلحة اليهود واسرائيل. علاوة على أنها مضت قائلة، ونحن
نكر اسم ساريد، بأنه بالتحدث مع حركة السلام الاسرائيلية، «وكلنا نتظاهر بأننا نقوم

بأشياء من أجل الفلسطينيين وهم ليسوا ممتنين لذلك، في حين أننا في الواقع لا نفعل شيئاً لهم. فنحن نفعل أشياء لأنفسنا فقط. ونحن لا نفعل شيئاً لتخفيف معاناتهم ما لم يبدأ الأمر بمسنا. فنحن لا نهتم بذلك، وهم ليس لديهم شيئاً ليكونوا ممتنين لنا. فدعونا أن لا نتظاهر بذلك».

ومن ثم قالت شيئاً كان واضحاً جداً للاسرائيليين، مع أنني لا أعرف فيما إذا كان الناس هنا (في الولايات المتحدة) يفهمونه. فقد قالت، أن الناس يقارنون صدام بهتلر، وهذه ليست أول مرة يساند فيها الوطنيون في الشرق الأوسط هتلر. فهي كانت تشير، بالطبع، إلى رئيس وزراء إسرائيل آنذاك، اسحق شامير، الذي كان يرأس منظمة ليحي، وما كان يدعى بعصابة شتيرن، والتي قدمت اقتراحاً للنازيين في عام ١٩٤١ تعرض فيه لأن تصبح قاعدة للرايخ الثالث في الشرق الأوسط وهذا شيء معروف جداً في إسرائيل بيد أنه ربما لا يكون معروفاً هنا. وقد تعرض هذا لانتقاد العيبين. فكتب للكاتب الهجائي الاسرائيلي ب. ميشيل، وهو من الهجانين الاسرائيليين البارزين، مقالاً استعرض فيه قائمة الأشخاص المتوحشين الذين ساءلتهم إسرائيل بحماس. وتساءل قائلاً: «هل نتكلم عن أنفسنا؟ فهناك كان يوجد آخرون أيضاً. غير أن حركة السلام في إسرائيل، قد اضعفت كثيراً وانشقت بعمق جراء هذه المسألة».

■ سؤال : وعودة إلى الوطن، فهل هناك أي شيء يمكن أن يقوم به

للجمهور هنا في الولايات المتحدة ؟

جواب: هناك الشيء الكثير. فلأعتقد بأنه يجب علينا أن نواجه الاحتمال من أننا نتجه نحو وضع تكون فيه الخيارات صعبة وشديدة جداً: الحل السياسي أو الحرب. فإذا لم نرد الحرب، مع كل ما يقرب عليها من نتائج مأساوية، فإن علينا أن نهبط أساسيات الحل السياسي. وهناك امكانيات موجودة الآن وستكون هناك امكانيات مزداة على مدى للشهرين القادمين. وإذا ما استمرت تواجه بالرفض من واشنطن، فإنها بالتالي ستحجب من قبل الصحافة هنا. ومع ذلك، فإن تلك هي وظيفتها: أن تخدم السلطة، وليس لتقول وتقدم الحقيقة. وذلك يعني بأنه سيكون هناك بعض الصعوبة للكشف عن ذلك، أو عن هذه العروض والمقترحات، ومن الصعب للحصول على ترويج ودعاية لها، أو تقديم دعم ومساندة للسعي من أجلها، ولكن يجب أن يفعل وينجز هذا، أو أنه سيكون البديل لذلك هو الحرب مع احتمالية ترتب نتائج مأساوية تماماً عليها.

النظام العالمي : القيم والجديد

جرت هذه المقابلة في تشرين اول ١٩٩٠

بيليد بارساميان :

ما هي الخيوط (العوامل) المشتركة التي تراها ماضية ما بين النظام العالمي القديم والنظام العالمي الجديد ؟

نعوم تشومسكي :

ان كل شيء عادي قطعياً. الا انه كانت هناك بضعة تغييرات. ولم تكن مفاجئة. ويوجد هناك تغيير قد طور على مدى ثلاثين سنة، وهو الركود الاقتصادي النسبي للولايات المتحدة لصالح منافستها الصناعيتين : ألمانيا واليابان واستقلاليتهما. وقد اصبح واضحاً انه منذ حوالي عشرين سنة ان العالم قد تحول باتجاه ما يدعى الآن بالقوة الثلاثية، او بالقوى الاقتصادية الرئيسة الثلاث. ومن العوامل التي عجلت بحدوث ذلك كل من حرب فيتنام وادارة الرئيس ريفان. فلم تعد الولايات المتحدة تمتاز بوضع اقتصادي مهيمن وساحق الذي تربعت عليه منذ ثلاثين او اربعين سنة مضت. وكان ذلك عبر عملية بطيئة ومتواصلة، بيد انها لم تكن مفاجئة. وكان التغيير الثاني في منتصف واواخر الثمانينات وهو انهيار الاتحاد السوفياتي، والذي يعني بالتالي ان الدول التي كانت سائرة بفلكه قد اصبحت حرة مستقلة. فالنظام الاستبدادي السوفياتي قد انهار من الدخل. كما ان الالة العسكرية السوفياتية قد انحسرت ايضاً ولم تعد فعالة بالنسبة للشؤون العالمية وهذا بالتالي قد غير النظام العالمي في عدة نواحي. وهذا يعني بان هناك شعوراً وهو صحيح من ان الغرب قد ربح للحرب الباردة. ومن احدى العناصر الرئيسية في الحرب الباردة كانت حقيقة ان الاتحاد السوفياتي قد سد راعاق منطقة معينة من العالم من التمتع بالاستثمار، واستغلال مصادرها، الخ.

وهذه المنطقة التي سبت وأعيقت كانت متفاوتة في الخواص والصفات من الناحية التقليدية، بل ان معظمها كان عبارة عن مستعمرات او شبه مستعمرات منعزلة وراكدة،

واعتمادها الى مدى بعيد على أوروبا. ولم تكن هذه هي القضية برمتها. حيث لم ينطبق على تشيكوسلوفاكيا كلها، وإنما على معظمها. وجزء كبير من الحرب الباردة كان يكمن في عدم رغبة الغرب قبول تحرير أو تخليص هذا الجزء من العالم من الاستغلال بواسطة القوى الصناعية الغربية، أما الآن فقد انتهى الامر. ومن المحتمل ان نتجه مباشرة باتجاه العالم الثالث، فنتك منطقة توفر وتتيح مصادر رخيصة وايدي عاملة رخيصة. ومن المحتمل ان مستقبلها سيتشابه الى حد ما مع البرازيل أو المكسيك، كما تسير عليه الامور حالياً. فهذا هو التغيير الذي حدث في النظام العالمي. فهو يعني ان هناك منطقة أخرى قد أصبحت مفتوحة، ولن العالم الثالث قد توسع الى نحو كبير.

وذلك له مؤثراته فيما يتعلق بالنظام الاقتصادي الثلاثي القطب، لأن الولايات المتحدة لم تعد الآن في وضع لتكون فيه رائدة أو قائدة في الاكتساب والجني من هذا المجال الجديد للاستغلال. أما ألمانيا واليابان فانهما يتصدران الساحة. حيث يوجد ليهما رأس المال الفائض، والذي تفتقره الولايات المتحدة. وسيؤدي ذلك الى حدوث تغيرات رئيسية في الحقبة القادمة. وقد تصبح ألمانيا دولة قوية جداً اذا ما أصبح لديها منطقة خلفية تستغلها. كما ان اليابان ستستغل عاجلاً أم اجلاً مصادر منطقة سيبيريا، والتي تعتبر قريبة منها وذات مصادر قيمة. وان لدى اليابان الرأس المال الكافي والتكنولوجيا المتقدمة، وسيبيريا تعتبر منطقة متخلفة نسبياً، لذلك فإن اليابانيين سيتحركوا تجاهها عاجلاً أم اجلاً. وهذا سيمنحهم لأول مرة مصادر مستقلة للطاقة والمعادن مما يجعلهم اعظم قوة عالمية هامة.

أما الولايات المتحدة فانها ستقوم بما يمكنها عمله في هذه المناطق من العالم، ولكن ليس بطريقة أو بوضع ريادي، وإنما بشكل معتدل. لذلك فانه سيطرأ تغير على النظام العالمي، وسيؤثر هذا على تطور التركيب الثلاثي طيلة الوقت.

والتأثير الثالث لنشأسي الاتحاد السوفياتي عن الساحة الدولية هو ان الولايات المتحدة أصبحت القوة العسكرية العظمى الوحيدة في العالم. وقد كان الاتحاد السوفياتي سابقاً يعتبر قوة رادعة للعسكرية الأمريكية من ناحيتين. من ناحية ان الولايات المتحدة كانت يوماً تعمل حساباً للقوة العسكرية خشية من ان تتورط في مواجهة عسكرية مع الاتحاد السوفياتي. وكان من الممكن ان يكون ذلك امراً خطيراً،

لأن السوفييت قد يربوا بضرية عسكرية ، ولم تكن الولايات المتحدة راغبة في حدوث أي شيء من هذا القبيل. فبإمكانك قتل أناس آخرين، بيد أنك لا ترغب بالمعاناة جراء ذلك. لذلك فقد كانت توجد هناك حدوداً أو قيوداً. وقد ذهب كل ذلك الآن.

أما الناحية الثانية، فإن الاتحاد السوفياتي كان يقدم دعماً، إلى حد ما، إلى الدول لو الجهات التي كانت تهاجم الأهداف الأمريكية، وهذا مما ساعدها على إطالة نفسها. وكان ذلك ما يدعى غالباً « بالعنوان الروسي أو السوفياتي ». فقد ساعد الاتحاد السوفياتي كل من السانغين وكوبا في استمرار تصديدها للولايات المتحدة. وذهب ذلك الدعم، أو أنه قد أصبح محدوداً من جراء تصديدهما للولايات المتحدة. وذهب ذلك الدعم، أو أنه قد أصبح محدوداً ومن المحتمل أنه سيتلاشى قريباً. وهذا سيتيح للولايات المتحدة مطلق الحرية لاستخدام قواتها المسلحة بفاعلية أكبر. وذلك ما ظهر جلياً في كلتا التدخلات اللتين حدثتا ما بعد حقبة الحرب الباردة. الأول، كان في بنما. حيث جرى ذلك في حقبة ما بعد الحرب الباردة، وكان من المستحيل التفرع أو التظاهر بوجود خط روسي، وإننا في موضع الدفاع عن أنفسنا ضد الروس، وهو التظاهر المكثف الذي كان. وكان ذلك بعيداً جداً عن خيال أي واحد. فقد كان عليهم التفرع بحجج جديدة. ولكن بعد حقبة الحرب الباردة، فإن استخدام القوات في أمريكا الوسطى أصبح طليقاً تماماً. ولم يعد الروس يشكلون خطراً وتهديداً. وقد بينَ اليوت أبرانز، على سبيل المثال، علناً بأن هذه أول مرة كانت فيها الولايات المتحدة قادرة على استخدام قواتها العسكرية دون أي قلق من ردة فعل روسية. وهذا جعلنا أحراراً طلقاء في استخدام المزيد من القوات العسكرية. ولقد كتبت حول ذلك من سنتين، مقتبساً من التحليلات الاستراتيجية ومستشهداً بأشخاص كانوا توقعوا بأن هذا سيحدث. حيث أنهم قالوا بأن سقوط الاتحاد السوفياتي أطلق أيدينا في استخدام القوات العسكرية، وهذا أمر جيد، ولم يعد هناك ربوعات، أو منع أو اعتراض من استخدام القوة الأمريكية.

وانطبق نفس الشيء في منطقة الخليج. فكان علينا أن نحسب ألف حساب قبل أن نرسل قواتاً تقليدية إلى تلك المنطقة، إذا ما كنا قلقين من أن يؤدي النزاع إلى تفاعل ردة فعل روسية أو سوفيتية. أما الآن يمكننا أن نكون طلقاء في استخدام القوة. وبإمكاننا استخدام قوات برية كثيفة، وقوات تقليدية وبالقرب من حدود الاتحاد

السوفيياتي دون أي قلق من أن تكون هناك ردة فعل سوفيتية. لذلك فإن كلاهما يوضحان نفس النقطة وهي : أن الاهداف الامريكية عرضة للهجوم الآن اكثر بكثير مما كان الوضع في الماضي، لأن القوة العسكرية الامريكية هي مهيمنة الآن، كما كانت يوماً، بيد انها الآن مطلقة من غير منازع.

وهكذا فنحن لدينا نظام عالمي جديد، وقوة عسكرية عظمى واحدة، وثلاث قوى اقتصادية رئيسية ومجال جديد مفتوح للاستغلال . وان هذه القوة العسكرية العظمى ليس لها قاعدة اقتصادية طويلة المدى اللازمة لتنفيذ اعمالها العسكرية لوحدها. لذلك فان عليها اجبار حلفائها على دفع النفقات المترتبة. ونحن رأينا ذلك في الخليج، حيث بذلت جهود لمحاولة اجبار المانيا واليابان على دفع جزء من تكاليف العملية العسكرية هناك. غير ان المسألة لم تكن شديدة جداً فيما يتعلق بالخليج لانه توجد هناك اموال طائلة من عائدات النفط ، ويعني ذلك ان الدول الحليفة للولايات المتحدة في المنطقة، مثل العربية السعودية، لديها اموال وافرة متوفرة. الا انه في حالات اخرى، سيكون الوضع مختلفاً، وقد لاحظت ذلك، من خلال الشهادة التي ابلغ بها لورنس ايجلبورغر، نائب وزير الخارجية الامريكية آنذاك، امام الكونجرس، من ان النظام العالمي الجديد مرتكز على نوع جديد من الاختراع في الدبلوماسية، اي انه، نحن ننفذ العمل العسكري، وهم يدفعون. لذلك فنتي اعتقد بان تلك هي خطوط النظام العالمي الجديد.

■ سؤال : يوجد هناك العديد من الامثلة لعمليات العدوان والاحتلال في العقود الراهنة. وبماكاننا ان نعيدنا الى حد التقزز والغثيان فلماذا تتصرف الولايات المتحدة بطريقة مختلفة مع العدوان العراقي، باحتلاله وضمه للكويت ؟

جواب : ان الولايات المتحدة تتصرف بطريقة متناقضة ومنسجمة تماماً بما يتعلق بالعدوان. فالامر جيد بالنسبة لها اذا ما أُعتبرت وفهمت المصالح الامريكية ومسيء اذا ما كان ضد المصالح الامريكية. فهذا امر بسيط تماماً. ولا يوجد عدم انسجام او تناغم مطلقاً. فالناس الذين احساسوا بعدم التناغم هذا، هم على خطأ، كما اظن، فالانسجام او التناغم هو قريب جداً من حد الكمال. وفي هذه الحالة، فان العراق قد خالف وانتهك مبدأ أساسياً من المبادئ الدولية، والذي يعني ان احتياطي الطاقة في الشرق الاوسط

ينبغي ان يكون في ايدي الشركات الامريكية في المنطقة. كما ان الغرب يستفيد اكثر من مصادر هذه الطاقة او النفط وهذا امر مستمر بطبيعة الحال، لان اموال النفط تصب كلها في الغرب.

ونحن معنيون جداً اذا ما نشأت هناك حركات وطنية يمكن معها ان تهدد مصادر النفط وتسخرها لأغراض محلية. فنحن نعارض ذلك في اي مكان من العالم. فقد عارضنا يوماً للحركات الوطنية المستقلة في العالم الثالث لانها تتعارض مع الدور الرئيس لدول العالم الثالث، والذي سخر فقط من اجل مصلحة ومنفعة الغرب. ولكن في الشرق الاوسط فانه يعتبر امر مهم بشكل خاص، لأن هذه المصادر هي حاسمة في الحقيقة. اذ انه بإمكاننا ان نحيا بدون مصادر امريكا اللاتينية، الا ان قيمة مصادر الشرق الاوسط قد فهمت منذ الاربعينات. ويكفي ان نستشهد بتقديرات وزارة الخارجية. فقد وصفت النفط السعودي، مثلاً، على « انه مصدر هائل للقوة الاستراتيجية»، وانه « من اعظم الجوائز او المنح المادية في تاريخ العالم»، وهناك سلسلة بلاغية اخرى على هذا النمط، وهذا صحيح تماماً. فستبقى مصادر الطاقة لعدة عقود من الزمن من ارخص المصادر في العالم وطاقة متوفرة بسهولة. لذلك، فلا يمكن السماح بنشوء حركة وطنية هناك. مهما كانت اهدافها السياسية.

وفي ايرلن عام ١٩٥٣، فقد اطحنا بنظام برلماني وطني كان قائماً هناك آنذاك. اما بعد الثاني من اب ١٩٩٠، فقد عارضنا شخصاً كنا ندعمه من قبل، اذ كنا نظن بانه كان رائعاً لانه لم يكن يتدخل في المصالح الامريكية، فذلك امر بسيط جداً ومستقيم، وسياسة متماسكة لعدة سنوات.

■ سؤال : انن فالمسألة السياسية الخطيرة هي ليست في العدوان او الدفاع عن الحدود، ولكن في السيطرة على منابع النفط والسيطرة على مفااتيحها. اليس كذلك ؟

جواب : انه من الواضح ان الولايات المتحدة لا تعارض وجود العدوان او الاحتلال. فهناك حالة اثر حالة من حالات الضم او العدوان، سواء التي قمنا بها نحن بانفسنا، او قامت بها اية دولة حليفة لنا وكنا مؤيدين لها بسرور. فقبل بضعة اشهر من ازمة الخليج، فان الولايات المتحدة غزت بنما. فذلك يعتبر عدواناً. وفرضنا هناك نظاماً

العوية. وما زالت البلاد هناك تحت الاشراف العسكري الامريكي، وفي الحقيقة فانها تصف نفسها بانها بلداً خاضعاً لاحتلال العسكري، وهذا بالضبط ما فعله العراق مع الكويت، فيما لو لم تكن هناك عقوبات اقتصادية. ومن المحتمل انها قامت بنفس العمل بالضبط : اذ تحركت وفرضت نظاماً العوية هناك، وابتقت على قوات كافية هناك وذلك لكي تقوم بتنفيذ ما تريده ومن ثم تنسحب. فتلك هي طريقة سهلة لادارة بلد ما. فنحن (كشعب) لم نعترض بشكل واضح على غزو بنما. اما العالم فقد اعترض على ذلك. كما قمنا باستخدام الفيتو ضد قرارات مجلس الامن الدولي يشجبان فيه عملية الغزو.

بيد ان هنالك امثلة كبيرة من العالم. فعندما غزت تركيا شمال قبرص، وضمتها اليها فعلياً، فان الولايات المتحدة ايدت ذلك. كما اننا تدخلنا بجهود الامم المتحدة من اجل ايجاد حل لمشكلة قبرص منذ اوائل الستينيات. فتركيا قد غزت دولة مستقلة، واخذت ما تريده منها، وكان هناك شيئاً مناسباً لنا. وهذه حالة مشابهة لحالة الكويت. وقامت تركيا بقتل مئات الاشخاص، ونهب المواد الاثرية من هناك. كما شربت مئات الالاف من السكان. وهذا ما حدث في الكويت. الا انه لا احد تحدث عن ذلك ايضاً. فعندما زار الرئيس التركي واشنطن، امتدحه جورج بوش بانه صانع سلام، وحتى لو تعارضت اعماله مع ذلك.

اما في حالة اسرائيل : فاسرائيل هاجمت لبنان، وقتلت العديد من الناس، قتلت حوالي عشرين الفاً في تلك الهجوم. وكانت تقوم بقصف العاصمة اللبنانية بصلافة امام كاميرات التلفزيون. وهي ما زالت تحتل جنوب لبنان. وقامت الولايات المتحدة باستخدام الفيتو ضد كافة قرارات مجلس الامن التي حاولت انهاء تلك العدوان وايجاد حل للمشكلة، وذلك لاننا كنا نحبذ ذلك. وما زالت اسرائيل تحتفظ بالاراضي المحتلة. وضمت بعضاً منها. وايدتها الولايات المتحدة في ذلك. كما ان المغرب احتل الصحراء الغربية، وضمها بشكل اساسي. واعتقدت الولايات المتحدة بان ذلك عمل جيد لان المغرب تعتبر حليفاً. وحالة اندونيسيا، كانت من اسوأ الحالات في العصر الحديث، فقد احتلت منطقة شرق تيمور. واركتبت هناك ابادات جماعية. ومن ثم ضمت المنطقة اليها. وقتل من جراء ذلك عشرات الالاف من الناس، في مجزرة تعتبر من اسوأ للجازر منذ حرب الابادة النازية ضد اليهود. وقدم لهم الرئيس كارتر كل الدعم والتشجيع، واعتبر ذلك شيئاً رائعاً.

فلا يمكن تصور ان تعترض الولايات المتحدة على تلك الاعمال العدوانية. اما في الغرب فانه يمكنها ان تفعل ذلك، لانه يوجد لدينا فئة او طبقة فكرية فتنضبطة جداً. اما بالنسبة للعالم الثالث فانه ينظر اليه باستخفاف. وبالطبع فان اي واحد يمكنه ان يرى بان الولايات المتحدة تعتبر واحدة من المنتهكين الرئيسيين لمبدأ اعتبار ان العدوان عمل خاطيء. وبالنسبة لمسائل الحدود، فان الشيء ذاته ينطبق، فاذا ما غيرت دولة ما من حدودها وراينا بان ذلك عملاً يتعاشى مع مصالحتنا، فانه سيعتبر عملاً جيداً، ولا مشكلة من حدوث ذلك. اما اذا ما غيرت الحدود بطرق تعتبر معاكسة ومناقضة لما يمكن ان يعتبر ضد المصالح الامريكية، فانها تصبح عندئذ جريمة نكراء وينبغي ان تعقد لها محاكمات على غرار محاكمات نورمبيرغ، التي جرت بعد الحرب العالمية الثانية. فمن غير اللاتق ان تدعو هذا بنفاق لانه امر واضح وجلي جداً.

■ سؤال : ماذا كان دور وسائل الاعلام المشتركة في حرب الخليج ؟

جواب : ذلك كان شيئاً مثيراً. اذ ان هناك قطاع اساسي امريكي مشترك ذلك انه لا يجب رؤية ما يحدث، ويرى ان ما يحدث سيضر بنا وقد يعاني الاقتصاد الامريكي من جراء ذلك بشكل سيء، وبالتالي فان مصالح هذا القطاع يمكن ان تعاني. وان على وسائل الاعلام ان تعكس ذلك. وفي البدء فقد كانت هذه الاجهزة صامتة تقريباً، سوى بعض الهمسات هنا وهناك. لما فيما بعد، فقد ظهرت انتقادات في وسائل الاعلام تعكس هذا القلق والهم. وجاءت تعليقات تقول انه ليس جيداً بالنسبة لنا. وكان علينا ان نولي انتبهاً اكثر للارزمة (ازمة الخليج)، ونحن منعزلون، ونفقد الثمن.

ومع ذلك، فان الامثلة للحاسمة لم تصل مطلقاً في الصحافة او وسائل الاعلام. فما الذي يدفعنا الى خوض الحرب الآن ؟ فواشنطن تتركب على حصان عال، اي معنوياتها مرتفعة، حاملة كافة انواع المبادئ المهمة. والنظام العالمي اصبح على المحك. كذلك مستقبل السلام والعدل، ولا يمكن مكافأة المعتدي، وما اليها من كافة انواع الشعارات. واذا ما كان كل ذلك صحيحاً، واذا ما كان هناك اي شيء من هذا القبيل، فانك ستستنتج بانه ولا بد اننا ماضون الى الحرب. فلا يمكن ان تجرى تسوية او حل وسط لانتهاك خطير للمبادئ، واذا ما هدبت مبادئ العدل والسلام بهذه الطريقة، فربما ينبغي علينا دفع الثمن. فذلك هي الحجة او النريفة.

ومن ناحية اخرى، فاذا ما كان الامر بمجمله عبارة عن حيلة او خدعة، فان هذه الحجج والذرائع ستنتهار عندئذ، ولن يكون هناك عائقاً للتحرك تجاه التوصل لتسوية متفاوض عليها، تسوية سياسية. وهنا تلعب الصحافة ووسائل الاعلام دوراً حاسماً في ذلك. ولا اعني وسائل الاعلام فحسب، وانما اعني كافة الطبقة او الفئة الفكرية. فما دامت هذه الطبقة لا تتحدى ذلك الوضع الدعائي لعرض المبادئ، فربما عندئذ ان نمضي للحرب. فالخيارات تبدو ملحة وسريعة جداً. ولا يمكننا ابقاء ذلك الجيش الكبير هناك لمدة طويلة كما انه لا يمكننا بالتاكيد سحبه من هناك اذا ما كانت المبادئ العظيمة على المحك. فذلك امر لا يمكن مناقشته ابداً. فانظر الى اية جهة او مكان تريده فلا احد يمكنه ان ينكر ذلك. وحتى لولئك الناس الذين يقولون، دعونا نخرج من ذلك او من تلك الورطة، فانهم لا يمكنهم انكار ذلك.

وعلى سبيل المثال، فقد كتب جورج بول في ملحق صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ٦ كانون الاول ١٩٩٠ مقالاً بعنوان « كيف نخرج من ازمة الخليج ؟ »، مثل فيه صوت العقل والنقد فيما يتعلق بهذه القضية. وطرح في هذا المقال اقتراحات جديدة عن كيفية الخروج من ازمة الخليج.

وقال في الفقرة الاولى من مقالة، انه ولاول مرة في حقبة الحرب الباردة فقد وضعت مبادئ، وليسون تحت المحك والاختبار، وحصلت على اجماع في مجلس الامن، ولم تعارض او تسد بواسطة الفيتو السوفياتي. بل ان الروس حالياً خارج هذه اللعبة. وانهم لن يستخدموا الفيتو في مجلس الامن، لذلك فان باستطاعتنا السعي وراء هدفنا الامني الجماعي. وهذا جزء من وضع التفوق، واصبحت هذه مسألة حقيقية. فبإمكانك النظر للماضي لترى فيما اذا كان الاتحاد السوفياتي كان يعترض ويسد سبل السلام. اما الآن، فانك ترى ان الولايات المتحدة تستخدم الفيتو اوتوماتيكياً لتسد طريق السلام، وهذا واضح بون غموض. وفي الايام الاولى لنشوء الامم المتحدة، عندما كانت الولايات المتحدة تسيطر العالم بشكل اساسي، فانه كان لا بد للاتحاد السوفياتي ان يستخدم الفيتو ضد قرارات عديدة لمجلس الامن، وذلك لاننا كنا نملك الاغلبية فيه تلقائياً وكنا نستخدم الامم المتحدة كسلاح ضدهم. الا انه في الخمسة والعشرين سنة الاخيرة اصبحت الولايات المتحدة وحيدة ومضت في استخدام حق الفيتو ضد قرارات مجلس

الامن كما صوتت ضد قرارات الجمعية العامة، وتحاول تقويض عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة. ولم تفعل اية دولة من الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن ذلك سوى بريطانيا، التي فعلت ذلك دعماً منها للحكومات العنصرية في جنوب افريقيا. اما الاتحاد السوفياتي (سابقاً) فقد كان يصوت الى جانب الاغلبية في دعم عمليات حفظ السلام للأمم المتحدة.

بيد انه لا يمكنك قول ذلك. لانك لو قلت ذلك فانك ستزيل الحجاب او الغطاء وتبدأ برؤية الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة في العالم. فتلك الدرجة من التنوير هي غير مقبولة. اما الفشل في دعم هذا التنوير فانه قد يقودنا الى الحرب، لانه لو اننا في الحقيقة وقفنا الى جانب الامن الجماعي، وبماكاننا ان نفعل ذلك لأول مرة لأن الروس لن يوقفونه، انن فهناك فرصة كبيرة. فلا يمكننا التخلي عن البحث من اجل الامن الجماعي. لذلك فاني اعتقد ان بول يقدم لنا بشكل اساسي طريقته وحجته في الفقرة الاولى من مقاله. وان اي اعلامي نكي يمكنه ان يرجع ويقول، اني لا اهتم بهذا المقال بعد مرور الفقرة الاولى منه، ولكن انظر الى الفقرة الاولى منه فقط وانظر كم هو على المحك. وبالنهاية يمكننا قيادة العالم نحو امن جماعي، وان نقول انه ينبغي علينا التخلي عنه بسبب المصالح الذاتية الضيقة، الغير مقبولة.

ولا بد لي من قراءة عشرات المقالات التي كتبت حول بحر التفسيرات التي حدثت في الامم المتحدة، وكلها تؤدي الى نفس هذه الاعاءات. فالروس لن يعيقوا ذلك، والعالم الثالث لا صلة له بالموضوع. فبماكاننا الآن ان نفعل بما اربنا ان نفعله يوماً. فلم ار اي واحد، في اي مكان كان، اشار او بين حقيقة ثابتة وواضحة من ان الولايات المتحدة كان تعيق وتسد ذلك لمدة خمسة وعشرين سنة مضت. ففي الحقيقة، فان السلبية في هذه المسألة قد بلغت حداً كبيراً. والشخص الذي قام يوماً بدور المفسر والشارح للنظام العالمي الجديد هو دانييل مونيهان الذي تحدثنا عنه من قبل. والذي يقول في مذكراته، ويفخر كبير، بانه قد نجح في اخفاق الامم المتحدة وفي تحويل كافة عمليات حفظ السلام الى عمليات فارغة عديمة الفائدة. وبالنسبة لمسألة الغزو الاندونيسي لمنطقة تيمور، فيقول، انها كانت مهمتي وقد انجزتها. انه ذلك الرجل الذي يكال له المديح الآن على انه المدافع عن القانون الدولي. لينظر فقط بانه لا يوجد هناك مستوى التزام لخدمة مصالح الدولة القوية.

■ سؤال : لماذا تعتقد بأن الولايات المتحدة تعارض جداً لما يدعى

« بریطط المسألة » ؟

جواب : ان الریطط يشیر في هذه الحالة الى الریطط ما بین الانسحاب من الخلیج وتسوية المشكلات الاقليمية الاخرى، وبشكل حاسم القضية العربية - الاسرائيلية. ونحن نوماً نتحدث عن اهمية هذا الریطط. ولكن في مثل هذه الحالة فنحن ضد الریطط والسبب هو اننا ضد تسوية سياسية في مسالتين او حالتين مرتبطتين، وخاصة فيما يتعلق بازمة الخلیج والقضية العربية - الاسرائيلية. فالولايات المتحدة تعارض اية تسوية سياسية لكلا الازمتين، ولذلك فهي تعارض بالتاكيد تسوية سياسية مشتركة لهما. فهذا ما یكمن وراء المعارضة لریطط الازمة.

وبالنسبة لقضية النزاع العربي - الاسرائيلي، فان الولايات المتحدة تقف لوحدها عملياً في العالم، وكانت لفترة طويلة، حوالي عشرين سنة، تقف في وجه وتعيق اية عملية مهمة للسلام، واية تسوية سياسية متفاوض عليها. وان مدى الانعزال السياسي للولايات المتحدة ستروع الناس اذا ما ما كانوا مدركين لها، لذلك فهم لن يكونوا مدركين لها. وقد كان هذا واضحاً مرة، كما كان سابقاً ولمدة طويلة، في اخر دورة عقدت للامم المتحدة في شهر كانون اول ١٩٨٩، حيث صوتت الجمعية العامة لصالح قرار باجراء تسوية سياسية للنزاع العربي - الاسرائيلي. وصوتت (١٥١) دولة لصالح القرار، وعارضته ثلاث دول هي الولايات المتحدة واسرائيل والدومينيكان. فذلك هي الطريقة التي تتبعها الولايات المتحدة واسرائيل ضد العالم برمته لاجراء تسوية سياسية. فالولايات المتحدة لا تريد ذلك بالفعل. وكل ما تريده هو ابقاء اسرائيل نشطة وفعالة بالسيطرة على الاراضي العربية ولضمان عدم وجود تقرير مصير للفلسطينيين فهذه هي السياسة الامريكية، اذ انها لا تريد تسوية سياسية.

اما بالنسبة لقضية الخلیج، فان الولايات المتحدة هي وحيدة تماماً ايضاً، وما عدا بريطانيا ربما، في معارضة اجراء تسوية سياسية لهذه الازمة. وهناك سبب للتفاعل بما يدعى بالنظام العالمي الجديد. فالتسوية السياسية لن تغير الولايات المتحدة بشكل خاص. والورقة القوية في يد الولايات المتحدة هي ليست الحل السياسي. فذلك لماذا ان الولايات المتحدة تقف غالباً ضد الحلول السياسية والمفاوضات. فالقوة هي الورقة

القوة بينهما. فإذا ما كان هناك انتصار، فنك هو نصر تحقق بواسطة الولايات المتحدة ويضع الولايات المتحدة في موضع قوي للسيطرة على العالم. وإذا ما كان باستطاعتها أن تحقق ذلك بالقوة فإنها ستكون وسيلة لحكم العالم، وستفوز بذلك، لأنها تعتبر متفوقة في القوة على أية جهة كانت. إنها رؤية ما أطلق عليه نيكسون مرة «بنظرية الرجل المجنون». وإنما أحيت خلال إدارة ريفان. فإذا ما أصبحت في عالم خائف منك، فإن بإمكانك أن تفعل أموراً كثيرة. وهناك أسباب عديدة ليخشى ويخاف منا. فنحن لدينا قوة وعنفاً متوفرين تحت امرتنا. كما أن لدينا اقتصاداً أكبر، بل إنه في مجال القوة فلا أحد ينافسنا.

■ سؤال : يوجد هناك عنصر آخر قد تغير منذ عهد الرئيس نيكسون، واعتقد بأن ذلك واضح في هذه القضية. وبسبب الضعف الاقتصادي للولايات المتحدة الآن، فإننا نقوم بعملية زعزعة للدولة في نوع من الابتزاز الدولي، مع مصر، مثلاً، ملوحة بعدم إرجاء موعد سداد ديونها البالغة سبعة بلايين دولار، فنك يبدو ليكون اختلافاً رئيسياً في سياستها. ليس كذلك ؟

جواب : يوجد هناك اختلاف رئيس. فمنذ عهد الرئيس نيكسون فقد بدأ الاقتصاد بالتكفل، إلا أنه كان لا يزال لدينا قاعدة اقتصادية كافية لتنفيذ المغامرات العسكرية. أما الآن فلا يمكننا ذلك، وعلينا الاعتماد على آخرين من أجل ذلك. وخصوصاً ألمانيا واليابان، بشكل رئيس، وبالعودة إلى حقبة الخمسينات فقد كان باستطاعتنا القيام بأي شيء نرغبه. فنحن لم نسل أي جهة كانت عندما غزونا فيتنام الجنوبية في أوائل الستينات. وفي عهد نيكسون، أصبح الأمر أصعب وبشكل مشكلة، لأن الولايات المتحدة قد أصبحت في تلك الوقت واحدة من ثلاث قوى اقتصادية. واحدة من أكبر الدول الاقتصادية، إلا أنها واحدة من ثلاث. وكانت ردة فعل نيكسون تجاه ذلك لها ثلاثة أوجه أو مظاهر. الأول، التخلي عن النظام الاقتصادي القديم، والتخلي عن تغطية الدولار، والبدء بفرض قيود على الاستيراد، أي التخلي عن نظام «بريتون وودز». وكانت ردة الفعل الثانية هي عسكرية. وكان علينا إيجاد بدائل لتنفيذ عمليات عسكرية. وهذا ما عرف بمبدأ نيكسون. أي إشراك قوى أخرى في العمل العسكري. فهي تقوم بوظيفة

محلية ومن ثم نظهر نحن على الساحة. وكان تلك انعكاساً للضعف الأمريكي. وكان ذلك اعترافاً بأننا لا يمكننا تنفيذ أي تدخل خارجي لوحدنا فقط لذلك فقد كان علينا ان يكون لدينا دولاً بديلة أو دولاً مساندة. وفي الشرق الأوسط كانت وما تزال هناك اسرائيل وايران تحت حكم الشاه. فهما قاما بدور الشرطي في المنطقة، ليتم التلذذ من ان لا يخرج احد عن السيطرة. بل اننا نقوم بمراقبة الوضع برمته.

■ سؤال : هل يقع هذا ضمن اطار كيسنجر للكي للنظام العالمي ؟

جواب : انه كان يقع ضمن الاطار للكي للنظام العالمي الذي نقوده ويسعى اليه الآخرون من اجل مصالحهم الاقليمية، مثل دول أوروبا واليابان. اما الآن فانه قد تغير. فنحن لم نعد نفرض أية سلطة أو قوة بالتدخل. ونقوم بها بانفسنا. الا اننا الآن نقوم بها كمرتزقة. والتغيرات في النظام الاقتصادي قد جعل الولايات المتحدة تقوم بوظيفة الدولة المرتزقة بشكل رئيس. كالمرتزقة الهسنيين الالمان ابان الثورة الأمريكية، كما وصف ذلك رئيس صحيفة شيكاغو تريبيون بفخر. واضاف بأنه يمكننا ان نكون هسنيين العالم. فعلى احد ما ان ينطلق الى العالم الثالث ويتأكد بأن لا يرفع أي واحد رأسه وان لا تكون هناك استقلالية. فبإمكاننا ان نقوم بذلك لاننا نمتلك قوة مهيمنة. كما يمكننا اجبار حلفائنا على دفع تكاليف ذلك. وعليهم ان يعتمدوا علينا وعلى قوتنا للسيطرة على العالم. ويمكننا ان نحول ذلك لمصلحتنا، وذلك باجبارهم على تقديم تنازلات اقتصادية لنا، وتغطية نفقات عملياتنا العسكرية، وتدعيم اقتصادنا ايضاً. فذلك هو النظام العالمي الجديد. وهذا ينطبق تماماً على الامور التي تحدث في العالم.

والمظهر الآخر للنظام العالمي الجديد هو ان كل واحد عليه ان يعرف بأنه هناك ركود خطير في البنية التحتية الداخلية (في الولايات المتحدة). فالمدن في حالة ركود، والنظام التعليمي ينهار. ومن إحدى نتائج ذلك، وكما هو مفهوم تماماً في مجال العمل، هو أنه يوجد هناك نقص في الايدي العاملة الماهرة. وتعني الايدي العاملة الماهرة كل شيء ابتداء من الضارمين على الآلة الكاتبة (الطابعين والطابعات) الى المدراء والباحثين ومصممي الإنتاج. اما أولئك الناس الذين جاؤا من احياء الجيتو فانهم ليسوا مجهزين أو مؤهلين للقيام بتلك الأعمال أو الوظائف، بصورة كبيرة. فهم شبه أميون. وهم يعيشون في مجتمعات جرائمية. وهذا يعني ان الولايات المتحدة لن تكون قادرة على

اطالة تلك الاعمال، الا ان باستطاعتها ان تغلب على هذا الى بعض المدى بواسطة الفكر والعقل. وقد تغير الآن قانون الهجرة تلك انه اصبح يمكننا محاولة جلب اناس يستفاد من خبرتهم التعليمية والمهنية. والفكرة تمتد الى الدول الأخرى، وبشكل رئيس دول العالم الثالث، بحيث ندفع تكاليف التعليم او التدريب ونلخذ او نجني الفوائد من ذلك. لذلك فانه بإمكانك الآن ان تذهب الى محل او متجر الاجهزة المفضل لديك لتجد ان الفنيين الذين يقومون بتركيب وصيانة هذه الاجهزة قد جاؤا من تركيا او الهند مثلاً. فهذه الدول تدفع لنا من خلال تحويلنا لعملية التعليم فيها، ونحن نجني ونستفيد من ذلك. ويمكن ان يستمر ذلك لنقطة او حد معين، ولكن علينا ان نكون قاضين على اعانة تزويد قوى العمل محلياً الى مدى معين، وهناك نوع واحد من قوى العمل يمكننا اعانة تزويدها، بالمرتزقة من احياء الفيتو، فمن الممكن المضي في ذلك الطريق.

■ سؤال : هل تعتقد بانه جدير بالملاحظة والانتباه، هجر الدوائر الحاكمة من حيث المبدأ للدور الأمريكي، هو سبب وجود التدخل في الخليج ومبرراً له ؟ ومنطق العقل يقول بعدم مكافاة العنوان، للخ ؟

جواب : ان ذلك يعكس واحد من بضعة امور قد تغيرت مع نهاية الحرب الباردة. ونهاية الحرب الباردة لم تتغير كثيراً جداً، لانها كانت يوماً مظهراً او عاملاً مساعد في الشؤون العالمية. والامر الوحيد الذي تغير كان ايدئولوجياً. فمئذ عام ١٩٤٥، وفي الحقيقة مئذ عام ١٩١٧، فان كل تدخل وكل تعبئة عسكرية كانت تفسر وتبرر على انها دفاع ضد تهديد بلشفي او شيوعي. وبدأ هذا مع دعمنا لموسوليني في عام ١٩٢٢، واصبح ذلك امراً فعلياً مئذ ذلك الحين، دون استثناء. انه كمثل انعكاس او ارتداد. فانت تريد غزو بلد ما، لذلك عليك ان تدافع عن نفسك ضد الروس، وصب المزيد من الاموال في صناعة الكمبيوتر من خلال البنتاغون لانك بحاجة للدفاع عن نفسك ضد الروس.

وسار هذا بشكل جيد لغاية اواخر الثمانينات. ومع اواخر الثمانينات اصبح الامر صعباً واصعب لاستخدام مثل هذا التبرير وكان بإمكانهم استخدام ذلك عند غزوهم لفرننادا. وعندما غزو نيكاراغوا استخدموا ذلك للمبرر ايضاً، الا انه مع عامي ١٩٨٨ و ١٩٨٩ اصبح امراً سخيفاً. فهم لم يحاولوا حتى استخدام ذلك عندما غزو بنما. لذلك

فقد برروا ذلك للغزوبانه من اجل القضاء على ارهاب المخدرات. فتلك هي المشكلة التي يشار اليها حالياً. وهم يهينون (الآن) عسكرياً لمهاجمة منطقة الخليج، ولا يمكنهم للتظاهر بانهم يدافعون ضد خطر او تهديد روسي او سوفياتي وهم يبحثون الآن عن مبررات واسباب اخرى، ولا احد قدم من قبل اسباباً حقيقية لغزو نيكاراغوا. فقد كانوا استخدموا مبرر الروس كحجة او ذريعة لذلك. ولا توجد الآن ذريعة هينة او سهلة. فهم يبحثون عن واحدة، وليس من السهل ايجادها. وهم لا يستطيعون ان يلتوا ويقولوا، انتظروا لقد وضعنا ايدينا على السبب، وانه بهذه الطريقة يمكننا السيطرة على العالم، ونحن بحاجة للانتصار بالقوة لأن تلك هي ورقتنا القوية. فلا يمكنهم قول ذلك.

■ سؤال : لقد دأبت على القول منذ وقت طويل بان سياسات الولايات المتحدة تساهم في تدمير اسرائيل. فهل ما زلت تعتقد ذلك ؟

جواب : نعم، فاني اعتقد بان الانتصار الاسرائيلي الذي تحقق في عام ١٩٦٧ كان اسوأ شيء حدث من قبل لهم. كما ان رغبة اسرائيل بالانضمام للنظام الجديد، حوالي عام ١٩٧٠، قد سوى عندما تولى كيسنجر السياسة الخارجية الاميركية. فمضت اسرائيل مع ذلك. وكانت الفكرة انه يجب ان تصبح اسرائيل حليف استراتيجي مساعد، وبشكل اساسي كقوة مرتزقة وجاهزة لخدمة المصالح الاميركية. وبالمقابل فاننا سنمنحها مساعدات عسكرية واقتصادية ضخمة لتنفيذ ذلك، فلا حظ لك انه نوع من عالم صغير لعلاقات امريكية مع بقية دول العالم حالياً. فتلك هي دولتنا المرتزقة التي سنطيلها ونحافظ عليها. فنحن نرغب ان نكون دولة عالمية مرتزقة، وانهم ماضون ليثبتونا على ذلك. وبالطبع، فان الفرق هو اننا اصبحنا اقوياء تماماً لنهدهم. اما اسرائيل فانها لن تكون تهيداً ابداً بالنسبة لنا، وانما نحن اصبحنا نشكل تهيداً لبقية انحاء العالم. فتلك هي المقارنة، ووافقت اسرائيل على ذلك. وما حصلت عليه بالمقابل كان السيطرة على الاراضي العربية المحتلة وفرض اقتصادهم عليها، وهو امر مصطنع، انها كانت صفقة الشيطان، واعتقد بان هذا سيؤدي باسرائيل للدمار، وهو سيؤدي الى جعلها بلداً غير قابل للحياة وقد يؤدي بها عاجلاً او اجلاً الى بمار فعلي، واذا لم يكن ذلك في هذه الازمة فريما يكون ذلك في ازمة اخرى مستقبلاً.

■ سؤال : وهذا الوضع الذي ستجد فيه اسرائيل نفسها فيه، هل سيسبب لك اي حزن شخصي او المأ او انزعاجاً ؟

جواب : كثيراً جداً، فمنذ طفولتي فإن هذا كان يشكل تقريباً جوهر وجودي واهتمامي. فلغاية ما أصبحت في سن المراهقة فقد كنت منخرطاً جداً في شؤون ما كان يدعى حينذاك بالمجتمع او الجالية اليهودية في فلسطين اكثر من أية مسألة او شئ اخر. فلقد عشت هناك لفترة من الزمن وكان بوسعي ان اظل للنهائية هناك. وبعيداً تماماً عما يحدث لأي واحد هناك. ولدي اسبابي الشخصية في هذه المسألة. فاعتقد انه منذ حوالي عام ١٩٦٨ او نحو ذلك فلقد كان لدي شعوراً مشؤوماً حول ذلك. وكان ذلك عندما بدأت الكتابة حول ذلك. فاول كل شيء اعتقد بانه كان خطأ، ولكن ايضاً فقد اعتقدت بانه كان مشؤوماً. واذا ما نظرت الى ما كتبت في ذلك الوقت، فانني لن اغير فيه كلمة واحدة من ذلك. ففي عامي ١٩٦٨ - ١٩٦٩ كنت اكتب حول حلقة القمع المتوقعة تماماً، والمقاومة، والقمع الاعنف، والمقاومة الاعنف، ومن ثم نشوب حرب اقليمية من فترة لآخرى، تؤدي بالنهائية للدمار. ولا اعتقد بأن أي شيء قد اختلف كثيراً.

■ سؤال : لقد قلت ايضاً بأن العداء الشعبي (هنا) قد تصاعد ضد اسرائيل مؤخراً. وقد لاحظت بأن ذلك يشوبه بعض النزعة اللاسامية وانك قانع بأن ما يدعى باللوبي الاسرائيلي يقوم باحياء نزعة اللاسامية. فما هو تعليقك ؟

جواب : اعتقد بأن اللوبي الاسرائيلي او الصهيوني يقوم باحياء نزعة اللاسامية، وهناك احساساً معيناً، انهم يقومون بذلك بشكل متعمد ومقصود. وبإمكانك ان تحصل على صورة للحجج والبراهين اذا ما قرأت نشرات عصابة مكافحة الافتراء والتشهير اليهودية. فقبل اربعين عاماً مضت فقد كانت هذه العصابة مخلصه وصابقة فيما يتعلق بمشاكل وحقوق اليهودية المدنية، وكان ذلك امر جيد. اما الآن، فكما وصف وضعها في اسرائيل، فانها تمثل جزءاً من اللوبي الاسرائيلي في الولايات المتحدة. وبتلك الطريقة انه كشف النقاب عن احياء اللاسامية مما يساعد على الاجابة على سؤالك، وهناك كتاباً من الجدير قراءته، واسمه «اللاسامية الحقيقية في امريكا»، نشر في اوائل الثمانينات من قبل عصابة مكافحة الافتراء والتشهير، كتبه حينذاك مدير الابحاث فيها، ناثان بلموتر وزوجته ، ووصفا فيه ما هي اللاسامية الحقيقية. كما بينا فيه انه بواسطة الاجرامات التقليدية للاسامية فانها تراجعت وتقلصت الى درجة كبيرة جداً في الولايات المتحدة. وهذا صحيح، فاللاسامية قد وصلت الى اثنى منخفض تاريخي.

وخلصنا الى ان تلك كان خادعاً ومضللاً لانه توجد هناك نوعاً من اللاسامية المزدانة، والتي تعتبر لا سامية حقيقية. وتجلت هذه، على سبيل المثال، عندما انتقد مجلس الكنائس القوي الموازنات الدفاعية الامريكية، وايضاً عندما انتقدت جماعات السلام التدخل الامريكي في امريكا الوسطى. فاللاسامية الحقيقية هي تكمن في تلك الجماعات او الناس الذين «يعطوا الحرب اسماً سيئاً ويظهروا السلام شيئاً محبباً للصحافة». فتلك هي اللاسامية الحقيقية. فالمنطق هو معصوم، بالنسبة لمقاييسهم، ومصالح اليهود هي من مصالح اسرائيل. ومصالح اليهود هي من مصالح اسرائيل العسكرية القومية. وتلك المصالح تخدم من قبل العسكرية والقوة الاميركية. لذلك، فان اي واحد ينتقد الوضع العسكري للولايات المتحدة هو في الحقيقة يعتبر لا سامي او مناهض للسامية. فذلك هو القياس. ومع هذا المفهوم للسامية، فان المدى الذي يصبح فيه شعب الولايات المتحدة معارضاً للعنوان، والعنف، والارهاب، والعسكرية، وآلة الحرب، الخ، ويكون مهتماً بمسائل العدل والسلام، هو المدى الذي تقاس فيه درجة اللاسامية بنظر وتعابير عصبية مكافحة الافتراء والتشويه اليهودية الامريكية. فذلك هو نوع خاص وجديد من اللاسامية.

ولقد راينا هذا في اخر حملة جرت بطريقة دراماتيكية في عام ١٩٨٨، فقبل حوالي شهرين من بدء الانتخابات، في آب عام ١٩٨٨، فقد اكتشف بأن اللجنة الانتخابية للحزب الجمهوري كانت تحتوي على مجموعة من النازيين تقوم بتسيير مجموعة توصف بالعرقية، لتحاول نيل الدعم من بين الجماعات العرقية في البلاد. وكانت تلك المجموعة تدار من قبل اوكرانيين ورومانيين من النازيين السابقين، وسبب هذا اضطراباً واهتياجاً. وكان من المدهش جداً ان الديمقراطيين لم يهتموا بالمسألة، وطرد بعض من اعضاء هذه المجموعة واعيدوا الى وظائف اخرى، كما ان الديمقراطيين لم يستقلوا هذه القضية، فمن المحتمل انهم ابلغوا بذلك، وبشكل اساسي، من قبل المنظمات اليهودية، بأن ينهوا هذا الموضوع.

وقد عبر عن معنى هذا وبشكل ملانم جداً في مقال كتبه صحيفة «الجمهورية الجديدة»، وصحيفة «الجمهورية الجديدة» تعتبر وكالة اخرى للوبي الاسرائيلي في امريكا. وجاء في المقال انه صحيح ان هذه الامور قد اكتشفت، بيد ان هذا كان كما دعوه باللاسامية «القديمية والضعيفة». وهكذا فان النازيين ومرتكبي حرب الابادة

المسابقين والاشخاص الذين ارادوا وضع اليهود في غرف الغاز، أصبح يطلق عليهم اسم «الاسامية القديمة والضعيفة»، وانه امر غير مهم تماماً في الحقيقة. وما ينبغي ان نكون قلقين بشأنه هو ان عرض الاسامية في الحزب الديمقراطي، هو بسبب المؤتمر الذي عقدوه وسمحوا فيه باصدار قرار يدعو الى حق تقرير المصير للفلسطينيين. فهذه تعتبر لا سامية خطيرة، فهؤلاء النازيون، لا يهم امرهم كثيراً. والنازية، فمن يهتم بذلك ؟ بل وانكم تدعون الى انشاء دولة فلسطينية، فذلك امر سيء جداً. فيجب علينا ان نقلق بخصوص النزعة الاسامية الموجهة في الحزب الديمقراطي، ولا ننسى حقيقة استخدام الجمهوريون لهؤلاء النازيين.

ان هذا الاطار لفهم الاسامية هو امر عادي. فعلى سبيل المثال، ولعدة سنوات مضت فانه كان يوجد هناك في حي بروكلين ببوسطن برنامجا، كان اعده المعهد الوطني للتعليم، وتسييره وزارة التعليم حيث دعمت فيه ابتكار برامج تعليمية في المدارس الثانوية. وكان هناك نوعاً من المنافسة. اذ كانت هناك عروضاً وضعت عاماً اثار عاماً من قبل مجموعة بروكلين المشبوهة بحرب الابادة او المحرقة اليهودية ابان العهد النازي، حيث كانت تعرض في هذه البرامج التعليمية اشربة فيديو وتلقى محاضرات حول حرب الابادة النازية، وكانت تصل يوماً الى ثروتها، ولكنها كانت تخبت على الدوام، ولقد نكرت هذا لانها كانت جميعها تتكشف قبل الانتخابات مباشرة وتلقى نفس المصير : اي لا أحد يهتم بها. وانها رفضت لأن الجناح اليميني في الحزب الجمهوري مثل فيليس شافلي واخرين الذين كانوا مستشارين ومعلقين وكانوا يكتبون في ذلك البرنامج التعليمي الجائر للنازيين، ولم يكن يمثل بصورة ملائمة وجهة النظر النازية، وكان هدفه اثاره العواطف للمناهضة للغرب، مما اثار انواعاً من الاسئلة والاستفسارات. فلا يمكنك ان تعالج مسألة حرب الابادة النازية بطريقة شريفة، ذلك هو ما كانوا يقولونه . واخيراً فان الوسيلة الوحيدة التي استطاع فيها ويليام بينيث ان ينهي ذلك كانت في الغائه لذلك البرنامج. فممنذ ان حصل على كافة الدعم، فان الوسيلة الوحيدة لابعاد التمويل عنه كانت في الغاء البرنامج، والغاء كافة التنافس، الذي اثاره. وجاء كل هذا قبل عملية الانتخابات مباشرة، ولم يكن ذلك نتيجة لاحتجاج الديمقراطيين عليه. وبمعنى آخر، وحيث ان هؤلاء الناس جميعهم موالين لاسرائيل تماماً، فانه لا يهم اذا ما كانوا من النازيين او من المناهضين للسامية.

ومرة ثانية، فهذا تعريف اللاسامية وطريقة خاصة. فإذا ما كان هناك مساندة لحقوق الفلسطينيين، فهذا عندئذ يعتبر لا سامية، فهناك اسباب عديدة للاسامية في الولايات المتحدة. ونسبة الجمهور المؤيد لانشاء دولة فلسطينية في الولايات المتحدة هي حوالي اثنين الى واحد، كما هو الحال في بقية دول العالم، فذلك يجعلهم جميعاً لاساميين، حسب تلك التعريف. واعتقد بأن لذلك تأثيرات. ويمكنني ان اقدم اثباتات لذلك سواء من خلال التجربة الشخصية او حتى من خلال الاستطلاعات. ومن خلال تجربتي، فان كره اسرائيل كبيراً جداً في البلاد وهذا واضح وملحوس، الى الحد الذي حتى لا يمكنني ان اتحدث عنها في معظم الاماكن بشكل اكثر من اللازم. وفي الحقيقة، فأنني غالباً ما اجد نفسي اذافع عن اسرائيل في الاماكن العامة ضد الهجمات الغير عادلة عليها والتي تتضمن نزعة او نفعة لاسامية. واعتقد بأن هذا مستمر بازدياد. وإذا ما أخبر الناس فيما اذا كانوا يعارضون حقيقة ان الجنود الاسرائيليين يقومون بتكسير عظام الاطفال، وانهم بذلك يكونون لاساميين حسب التعريف المطروح، فيمكنهم القول، حسناً اننا لا ساميون انن. فتلك هي ردة الفعل. وحتى ان هذا امر ظاهر من خلال الاستطلاعات. فقد انخفضت المواقف المؤيدة لاسرائيل بشكل حاد ومثير، واعتقد بأن ذلك مستمر. وإذا ما ارادت اسرائيل ان تكون، او مفضلة لتكون، دولة عسكرية ومرترقة مبقية على دورها بممارسة العنف والاستبداد، وان تقوم باعمال قنرة لحساب الولايات المتحدة في كافة ارجاء العالم، فانها ستفقد شعبيتها هنا، في امريكا.

■ سؤال : اني متأكد بانك قد رايت تلك الاعلانات المنشورة في صحيفة نيويورك تايمز وفي صحف اخرى ايضاً، فعلى سبيل المثال، هناك اعلان من اللجنة الامريكية اليهودية، نشر في تشرين الثاني ١٩٩٠، وجاء في الاعلان بأن اسرائيل « تقيم بمعياريين او بمقياسين » وهناك تكرارات متعددة لعبارة « النفاق الاخلاقي » وان « اسرائيل تحمل مقياساً خاصاً لا ينطبق على بلدان اخرى ».

جواب : اوافق على ذلك. فاسرائيل منحت نوعاً من التصرف المنحرف لم تحصل عليه اية دولة اخرى في العالم. فعلى سبيل المثال، لو ان روسيا عاملت اليهود بنفس الطريقة التي تعامل فيها اسرائيل الفلسطينين، فاننا سنعرهم ونكشف امرهم. فاسرائيل قد سمح لها ان تمضي بمعاملة الفلسطينيين بطريقة غير رحيمة تماماً.

■ سؤال : ولكن ذلك ليس الدافع من تلك الاعلانات اليس كذلك ؟

جواب : اني مبكرك بأن ذلك ليس بدافع، بيد انه في الحقيقة، انه صحيح. ولقد وصفت اسرائيل في الصحافة على انها « رمز للاخلاق الانسانية ». كما نشرت تلك صحيفة نيويورك تايمز، وانها « بلد للقيم الاخلاقية الفريدة ». وصحيح انهم يرتكبون الاخطاء احياناً، ولكن انظروا كم هي دولة نبيلة بالفعل، الخ . فليس هناك بلد تقترف مثل هذه الاعمال الوحشية والفظائع، وتقتر بـهذه الطريقة. وحجتهم في ذلك مدعومة. انها قدمت ايضاً من قبل اشخاص مثل توماس فريدمان وغيره. فادعائهم من ان اسرائيل قد وضعت تحت الاضواء، ذلك بأن كل شيء تقطعه ولو كان تافهاً تحاسب وتقيم عليه، ولا احد يهتم بالدول الاخرى، مثل، من يولى اهتمامه نحو سوريا مثلاً ؟ وهناك حقيقة مؤكدة في ذلك.

بيد انه توجد هناك حجة فضولية. ويتك الحجة يمكنك ان تبرهن بأن الصحافة في بوستن هي ضد العنصريين في بوستن. واذا ما كان هناك فساد كشف عنه في بوستن، فسيكون هناك مقالة حول ذلك. اما اذا ما كان هناك فساداً في سياتل فلن يكون هناك مقالة صحفية عنه. واذا ما قتل شرطي مدنياً في بوستن، فستظهر مقالة كبيرة حول ذلك، اما اذا حدث ذلك في كراتشي، فانهم لن يوردوا ذلك ابداً. فهذا يثبت بأن الصحافة ضد او مناهضة لبوستن ؟ كلا، انه يثبت بأن الصحافة تركز على بوستن لانها مهمة بالنسبة لسكان بوستن، والصحافة تركز على اسرائيل لان اسرائيل تريد ذلك بتلك الطريقة. فهي تحاول ان تجلب انتباه الصحافة لتركز عليها. وهي تريد المراسلين الصحفيين في الشرق الاوسط ليكونوا ويتركزوا في تل ابيب والقدس، لانهم بهذه الوسيلة يمكنهم السيطرة على الاخبار كما يمكنهم تسيير بما يطلقوا عليه بجهاز الحسابة، جهاز دعايتهم واعلامهم. فهم يعرفون كيفية يركزون الصحفيين، ومعاملتهم بلطف، ويجعلونهم يروا الامور بمنظارهم، ونحن نريد ان يركزوا على اسرائيل باستمرار، لذلك فان اسرائيل تبقى تحت الاضواء. والسبب الذي تجعل فيه الامريكيين يبقون على دفعهم او تقنينهم المال. فالولايات المتحدة تعامل اسرائيل بمثل هذه الطريقة . فلا يمكنك للقول « ان تعاملهم مثل دولة اخرى ». لانهم يحصلون اكثر بكثير مما تحصل عليه لاية امريكية اخرى . فهم يريدون من الشعب الامريكي ان يبقى على مساعدة ودعم اسرائيل بما يعادل ألف دولار للشخص سنوياً او أي شيء من هذا القبيل، اذا ما خمنت وحسبت كل شيء. ولكن للقيام بذلك، فعليك ان تبقيها (اسرائيل

(في مركز الضوء. لذلك فهم يريدونها هناك وان تحصل على مقدار وافر من الدعاية المحببة بتلك الطريقة. فاية مسألة تنشأ في المنطقة فانه ينظر اليها بالمنظار الاسرائيلي او من وجهة نظر اسرائيلية، وليس من أية وجهة نظر أخرى. وانتذكر قبل سنتين، وربما لغاية اليوم، ان شبكة اي . بي . سي كان لها ثلاثة مكاتب في اسيا. واحد كان في اليابان، وواحد في تل ابيب وآخر في القدس. فتلك هي اسيا بنظر اميركا، وتلك هي الطريقة التي تريدها اسرائيل.

وبالطبع، فاذا ما تصرفت بتلك الطريقة، فإتاك ستعاني مما تعاني منه بوسطن تماماً : فعندما يكون لديك مسألة فساد او شرطي يقتل احدا ما، فان السكان هناك لا بد وان يقرأوا عن ذلك ولكن ليس بجريمة مشابهة في بعض ارجاء العالم لا تذكر او يفاد عنها. فلا يمكنك ان تمتلك ذلك بطريقتين. وصحيح ان الاعمال الوحشية والفظائع لا تغطي بشكل كبير في الصحافة الاميركية، لو حدثت في بلد ما، كما لو تغطي في بوسطن، وكذلك اسرائيل فانها تعامل مثل بوسطن. فالانتخابات الاسرائيلية، مثلاً، تغطي في الصحافة الاميركية اكثر مما تغطي به الانتخابات الكندية. وذلك لانهم يريدون تلك بهذه الطريقة. ومن ناحية أخرى، فلاحظ مع ان الامور التي تحدث في سوريا مثلاً لا تغطي بالمقدار الذي تغطي به الامور التي في اسرائيل، حتى انه من الصعب ان تجد هناك كلمة واحدة عن سوريا في الصحافة الاميركية. اذ ان هناك اشياء كثيرة يمكنك التحدث عنها عن اسوأ بلدان العالم التي قد تتصورها. الا انه لا يجري التحدث عن ذلك، كما انه لا يجري التحدث فعلياً عن اي بلد من بلدان العالم الثالث.

ومن ناحية أخرى، فان التغطية الاعلامية عن اسرائيل هي محببة جداً بناء على مصلحة الصحافة الاميركية، الى المدى الذي يصلون فيه الى التغطية السلبية. وانه نفس السبب الذي اصبحت فيه بوسطن تغطي سلبياً في صحافة بوسطن، فيمكنهم بالطبع استغلال ذلك، وهم يفضلون ذلك. لان التركيز الضخم على اسرائيل عندئذ يعني بانهم يسيطرون على الاخبار، وسيسيطرون على البرامج وجداول الاعمال، واذا ما فعلوا اي شيء خطأ وينتقدون على ذلك، فانهم سيقولون للعالم بأن ذلك شيء مناهض للسامية. لذلك فهم يريدون ذلك بكلتا الطريقتين، انها لخدعة طريفة، فعلاً.

■ سؤال : هل ما زلت تعتقد بان زعماء المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة هم انتهازيون ؟ وانكر بانك قلت من انك ستكون

واحداً من اشخاص قلائل من الذين يظنون يدافعون عن اسرائيل
عندما تسقط الافعة. فهل هذا صحيح ؟

جواب : انه مجرد تخمين، والناس يختلفون في ذلك، فذلك ليس صحيحاً واعتقد عاجلاً ام اجلاً بأن الولايات المتحدة ماضية لتتقلب ضد اسرائيل لأن العلاقات الاميركية مع اسرائيل هي مصلحة، وليست مرتكزة على اية مبدأ اخلاقي، وانما مستندة على المصلحة والمنفعة، ذلك ان اسرائيل تعتبر مفيدة بالنسبة للمصالح الاميركية. وهذه المصلحة قد تتغير، واذا ما حدث ذلك فانهم سيبيعون اسرائيل. وتوقعي هو انه في تلك الحالة فان معظم المدافعات والدعوات الهستيرية لاسرائيل ستمضي وفقاً لما تريده الحكومة الاميركية. وإن اكون مندهشاً اذا ما كنت اُخر واحد يدافع عن اسرائيل وذلك لأن مواقفي تجاهها مرتكزة على شيء مختلف. انها ليست مرتكزة على المصالح الاميركية أو على مصلحة مترافقة مع القوة الاميركية.

ويمكنني ان ارى ان هذا اصبح يحدث. ففي عام ١٩٨٢، وخلال حرب لبنان، ومع ان الولايات المتحدة ساندت الحرب بقوة، الا انه مع نهاية شهر آب من ذلك العام فقد اصبح الامر مؤنياً للولايات المتحدة، واجبرت ادارة الرئيس ريغان اسرائيل على سحب قواتها من هناك. وعندما حدثت مجازر صبرا وشاتيلا، فانه كان امراً سيئاً بالنسبة لوضع الولايات المتحدة في العالم العربي بوجه عام، لذلك فقد ساندت الانحسار الاسرائيلي. لانها ارتكبت مجازر فظيعة في بيروت. لم ترتكب الولايات المتحدة مثل تلك المجازر امام كاميرات التلفزيون، فذلك غباء حقاً، كمثل قتل الجزويت في السلفادور. فعليك ان تتحول ضد ذلك. وكان من المدهش ملاحظة ان معظم الداعمين العاطفيين لاسرائيل قد بدأوا يتقيدونها، مثل ايرفينغهاو، الذي وصف قبل بضعة اشهر في الصحيفة الاسرائيلية على انه مفرط الحب لاسرائيل ذلك انه عندما يتحول كل واحد ضدها فانه مايفتا يلوح بالعلم نو اللونين الأزرق والأبيض، العلم الاسرائيلي. وفي الحقيقة فقد كان من اكثر المدافعين عن الفظائع الاسرائيلية. فبعد مجزرة صبرا وشاتيلا انكر، وانه في خلال يومين، اُولى بثلاثة بيانات مختلفة ورسائل ومقالات كتبها في صحيفة نيويورك تايمز حيث اُبعد نفسه عن ذلك. فهناك يوجد الخيط لو السلسلة التي كلها من الانتهازين الذين اختاروا تلك اللحظة لينسحبوا ويقولوا، ان هذا ليس منا، فنحن ساندنا ودعمنا شيئاً اخر مختلف. وافكر بالمدى الذي يفسر فيه الخط

الاسرائيلي في الولايات المتحدة، فستجد سيقوطاً وهبوطاً في الدعم لها، بما فيه المجتمع اليهودي الاميركي.

■ سؤال : في محادثة اجريتها معك قبل عامين قلت فيها شيئاً اريت يوماً ان اسالك عنه. فقد كنا نتحدث عن المجازر الارمنية وقد ابدت لنت ملاحظة من ان اسرائيل « لا تريد من أي احد ان يتدخل في شأن حرب الابادة النازية او المحرقة ». فما هو قولك ؟

جواب : لقد كانت اسرائيل تعارض بقوة الجهود التي تبرز المجازر الجماعية الارمنية. وهذا امر يدعو للدهشة في الحقيقة. واني اتابع كل شيء جديد بهذا الشأن. فعلى سبيل المثال، عقد في اسرائيل مؤتمر في عام ١٩٨٢ حول المجازر الجماعية. وقد نظم هذا المؤتمر من قبل صديق طفولة لي. وهو يعمل طبيب نفساني هناك. وقد عالج ذلك المؤتمر كافة انواع المجازر الجماعية. وقامت الحكومة الاسرائيلية بممارسة ضغطاً عليه ليسقط من جدول اعماله المجازر الجماعية الارمنية. وسمحت بمناقشة مواضيع المجازر الاخرى. وكان الرئيس الفخري للمؤتمر هو ايلي ويسل، ولكونه كان مفوضاً حكومياً مالياً، فقد سحب من المؤتمر لأن الحكومة الاسرائيلية قد قالت بانها لا تريد بحث موضوع المجازر الارمنية.

وابلغ مؤخراً يهودا بويز، المؤرخ المعروف لحرب الابادة، في اسرائيل، الصحافه بان ويسل قد دعاه من نيويورك في تلك الوقت متوسلاً اليه ان يلغي المؤتمر المذكور لأن الحكومة الاسرائيلية لم ترد على ذلك لانه كان سيعالج المذابح الارمنية، وانه قد وافق على ذلك وشعر بالاسف، وهذا يقدم مؤشراً للمدى الذي يخضع فيه اناس مثل ايلي ويسل لتنفيذ مصالح اسرائيل، وحتى الى المدى الذي ينكر فيه حرب الابادة، والذي قام بذلك بشكل منتظم. فلماذا هم مصررون هكذا على تجاهل المجازر الجماعية الارمنية ؟ فنلك امر سهل. فجزء من ذلك هو انهم يريدون وضع صورة مهيمنة من اجل اغراضهم الخاصة. بيد ان الجزء الآخر لنلك يتعلق بالارمن. الذين فيحهم الاتراك، والأتراك هم الآن حلفاء لاسرائيل، لنلك فهي لا تريد معاداة حلفائها، لأن نلك مهم كثير جداً. نلك انهم لو قاموا بالمجازر الجماعية، فان نلك ليس من شأن اسرائيل وهم يعتبرون حلفاؤها. لنلك فلا ينبغي التحدث عن المجازر الجماعية الارمنية. وخذ مثلاً اناس مثل

برنارد لويس، وهو مؤرخ شرق اوسطى كبير وخاصة فيما يتعلق بتركيا، وموالٍ لاسرائيل. ويدافع الفضول فقد تابعت تخميناته التاريخية. وله مؤلف تاريخي قيم عن تركيا. الا انه لم ينكر المذابح الارمنية سوى بجملة واحدة غامضة. حسناً، فربما يعتقد مخلصاً بأنها لم تحدث. فذلك امر ممكن. وقد يكون لديه حقائق معينة. غير ان معالجتها بهذه الطريقة ما هي الا مخافة واشك بانه يمكن ان يكون قد مورس عليه ضغط مشابه .

■ سؤال : هل تعلم بان روبرت بول قدم مشروع قرار معتدل في مجلس الشيوخ الامريكى في عام ١٩٩٠ لاحياء الذكرى الخامسة والسبعون للمجازر الارمنية ؟ بيد ان الحكومة الاسرائيلية عملت مع الحكومة التركية لتطويق ذلك. [وقد فشل القرار في مجلس الشيوخ].
فما قولك بذلك ؟

جواب : اني اعرف عن ذلك الامر، فالحكومة الاسرائيلية تعارس ضغطاً على الدوام من اجل مصالح اصديقاتها، وفي مثل هذه الحالة فان الحكومة التركية تعتبر صديقة وحليفة لاسرائيل، ومعادية للمصالح العربية. نعم، فالحكومة الاسرائيلية ومعها اتباعها من اليهود المحليين قد مارسوا ضغطاً من اجل الحيلولة لاصدار مثل ذلك القرار. واذا ما اتصلت بالقطاعات اليهودية الاكثر تطرفاً وتشدداً، فانها ستفعل الشيء ذاته مع لية مجازر جماعية اخرى.

وخذ مثلاً الفجر، فلا احد يساندهم او يدعمهم. ولا حاجة بك للقلق لمعاداة اي واحد منهم. ولا توجد هناك دراسة معينة عن الفجر لأن لا أحد يهتم بهم، وانت تعلم كيف ان كل واحد يكرهم على لية حال، لذلك فلا احد يجري دراسة عنهم بيد انه يوجد هناك مفكر روماني اجري بحثاً حول معاملة النازيين للشعب الروماني، وبدأ ذلك موازياً تماماً للطريقة التي عومل بها اليهود. وهناك اناس ينكرون ذلك. ولاحظت مقالة نشرت في صحيفة « المؤتمر اليهودي الامريكى » الاسبوعية، وهي صحيفتليبرالية تصدر عن الجالية اليهودية الامريكية، كتبها ادوارد الكسنر وهو ينتمي للجناح اليميني. فقد قال فيها عبارة : ان المذابح النازية للفجر تعتبر مجرد «خيال متفجر». فهذه القصص الفجرية هي حكايا خيالية. وهذا مشابه بالضبط كمن يقول الناس بلن النازيين لم يفعلوا اي شيء ضد اليهود انها عبارة عن قصص خيالية فحسب. واذا ما

قال الناس ذلك عن اليهود، فأتينا نرد عليهم بازدياد، ولكن اذا ما قلت ذلك عن الفجر، فانه يعتبر امر لطيف، لانه لا احد يهتم بهم بلية حال ؟ ولانا لا اعرف الكثير عن ذلك للكاتب الذي نكر ذلك، بيد انني اشك ان الحافز هو من اجل الهيمنة او احتكار المجاز النازية، لصالح اليهود، لانه يمكنهم استخدام ذلك كسلاح من اجل اسرائيل. فالاشخاص مثل ايلي ويسل يعضون سويماً وجنباً اي جنب مع هذا طيلة الوقت. وهذا يظهر لنا كيف انهم يهتمون فعلياً الى حد كبير بما يتعلق بالحرقة او حرب الابادة النازية ضد اليهود.

■ سؤال : اني احس من خلال اعمالك والاحظك عندما تلقي المحاضرات وتحدث وكأنك ترى نفسك كمقدم للمعلومات ومحلل، بيد انك تكون متردداً لتبلغ الناس عما ينبغي ان يفعلوه. فما هو مصدر معانئك هذا ؟

جواب : اني لا اعتقد بانني في موقع اقول فيه للناس ما ينبغي ان يفعلوه او يقوموا به. ولقد شعرت بنفس الطريقة منذ الستينيات عندما كنت اتحدث للشبان الذين كانت حياتهم تتقرر على خطوط القتال. فماذا كان عليك ان تخبرهم ؟ فذلك امر يجب ان يقرروه بانفسهم. ومن السهل بالنسبة لي ان اقول لاحد ما بلن يكون عنصراً مقاوماً وان يقضي سنتين في السجن او ان يذهب الى المنفى ويدمر حياته، ولكن ما هو وجه الحق لان اقول للناس ان يفعلوا ذلك ؟ فاذا ما قلت للناس ان ينخرطوا جدياً في المعارضة، فانهم سيمضون ليغيروا من حياتهم. وهذا ليس امر يمكنك ان تقمس طرف قدمك فيه ومن ثم تمضي خارجاً. فاذا ما كنت جاداً بشأته، فانه سيؤثر عليك لا محال. وهو بالتالي سيغير من حياتك بوسائل خطيرة. وبواسطة اجراءات معينة.. فانك ستعاني من الازى والضرر. وقد تواجه القمع، والانتقام الاقتصادي، والظلم وتشويه السمعة، والتهميش - وهناك امور سيئة كثيرة اخرى قد تحدث.

ومن وجهة نظر اخرى فربما تكون هناك تعويضات، الا انها تعويضات اخلاقية بشكل رئيس. وستكون قاسراً على النظر الى نفسك في المراة وتقول، انني قد فعلت شيئاً ما متلائم مع حياتي، الا انني لا اشعر بانني في اي موقع لأقول للناس كيف يتخذوا تلك الخيارات. ولن اقول ذلك ايضاً لأولادي كيف يفعلوا ذلك.

خدمة الحماية العالمية: انعكاسات على حرب الخليج

جرت هذه المقابلة في شهر ايار ١٩٩١

■ بيغيد بارساميان: في يوم الأحد، الموافق ١٩ ايار ١٩٩١، جرى هناك احتفال ترحيبي في هوليوود بمناسبة عودة القوات (الاميركية) من منطقة الخليج. وحضره اكثر من مليون شخص. وكان مساعد رئيس المهرجان هو الممثل جيمي ستيوارت الذي قام ببطولة بعض الافلام الحربية. وقال في كلمته التي القاها بانها كانت سنة رائعة بالنسبة للولايات المتحدة يجب ان نكو فخورين بها. وقال احد الحضور الآخرين، الذي هو ممثل ايضاً، ولكن في حروب حقيقية، وهو الجنرال وليام وستمورلاند، «لا اعتقد باننا قد شهدنا من قبل في تاريخ بلادنا مثل هذه النجاحات العظيمة المبهجة والمرحة للحرب التي جرت. فاود منك ان تقارن هذان التخمينان المتفائلان مع مشاهداتك الخاصة من خلال تجوالك في انحاء البلاد والقاء المحاضرات امام الجمهور. وقد قلت بانك قد وجدت بان الحرب كانت واهنة ومشكوك فيها. فما هو تعليقك على ذلك ؟

نعوم تشومسكي : ويمكنني ايضاً ان اقرن ذلك مع وجهة نظر اخرى نادراً ما سُمعت، وهو صوت جبهة المعارضة الديمقراطية العراقية، والتي غالباً ما يُغطى على اخبارها في الولايات المتحدة. بيد انه سمح لأحد عناصرها اخيراً ان يكتب مقالاً في صحيفة وول ستريت جورنال، وهو احمد جلبلي، أحد رجال البنوك المقيم في لندن، وهو ناطق باسم العناصر المحافظة لجبهة المعارضة الديمقراطية العراقية، وهو الذي رد ورفض من قبل واشنطن سابقاً ومنع من الكتابة في الصحافة.

وقد افتتح مقاله في الصحيفة بقوله بلئه «بالنسبة للشعب العراقي فإن الحرب قد

أظهرتنا كلسوا قوة في العالم، بسبب عدم دعم ومساندة العراقيين الذين يناضلون من أجل الديمقراطية في بلادهم، من قبل الولايات المتحدة، ولا حاجة للقول بذلك .

وفي أرجاء الولايات المتحدة، فقد تجولت كثيراً ونهبت لأماكن عديدة سواء أعتبرت محافظة أم وطنية أو أية صفة أخرى تريد إطلاقها عليها. وقد وجدت بأنه يوجد هناك مقداراً كبيراً من التأييد السطحي للحرب، بيد أن انطباعي كان مليئاً بالقلق والاضطراب. فالالتزام تجاه سياسة الحكومة هو ضئيل جداً. وكان هناك ابتهاجاً حول أمر واحد، وذلك بالتأكيد، من أن الولايات المتحدة قد خرجت من الحرب دون تكبد خسائر فاحشة. وعلى المرء أن يتفكر من أن الشعب قد تجرع الطعم بأن العراق كان يمثل قوة عسكرية رئيسية تهدف للسيطرة على العالم وبطريقة أصبحت معها منيعة وحصينة، كما وصفها بول ستار في آخر عدد لمجلة أميركان بروسبيكت (التوقعات الأميركية). فقد اعتقد الشعب بأنه كانت توجد هناك قوة عسكرية ضخمة، ألم يسمع شوارتسكوف يصف من خلال مقابلاته بأننا كنا متفوقين في الرجال والسلاح وأنها ستمضي للقتال بليّة حال.

ومن ثم فقد حدثت هذه المعجزة، وذلك بسبب الشجاعة الفائقة وتلق قائنا وجنرالاته، وعملنا ما بوسعنا للتغلب على تلك القوة العسكرية الضخمة دون تكبد خسائر وبمار كبيرين في جانبنا، والتي كانت متوقعة حسبما ساهمت بذلك الحملة الاعلامية المنحرفة. فبموجب تلك الأوضاع، فإن جزءاً من الابتهاج كان حقيقياً تماماً.

■ ديفيد بارساميان: لقد سمعتك تقول في عدة مناسبات وقرات مقالاتك في مجلة "زده" وقد ركزت خلال هذه الفترة على الفاشية والسياسات المشابهة لها وعلى النازية أيضاً. وتحدثت عن الشخصية النازية العميقة للطبقة الفكرية في هذه البلاد. ويوسعي أن أسمع بعض الناقصين يقولون، حسناً، فهناك ينهب تشومسكي نهاية بعيدة ثمانية . فما هو قولك ؟

نعوم تشومسكي : فعلياً، فانا لا اعتقد بأنني قد اشرت بشيء الى النازية. بيد انني تحدثت عن التأييد المعلن للقيم الفاشية، واعتقد بأن هذا صحيح. كما انني تكرت بأن وسائل الاعلام والمفكرون تصرفوا كثيراً بأسلوب وطريقة قد يتوقعها المرء في دولة

بيكتاتورية. وهذا لا يعني القول بأنها دولة بيكتاتورية. ففي الحقيقة، على العكس تماماً، فإنه مجتمع حر، مما يجعل حتى هذا التصرف مثير للدهشة أكثر. ولكن توجد هناك مسائل للحقيقة. لذلك فهل هذا تعبير للقيم الفاشية أو أن لا تكون لك مقالات في الصحافة الوطنية، كما تقول صحيفة واشنطن بوست بأن من إحدى أعظم منجزات الحرب هو أن الشعب الآن أصبح يقدر القيم العسكرية وأن سلطة رئيس الولايات المتحدة قد وصلت إلى نقطة غير قابلة للتحدى، مسيرة إلى أن هذا يعتبر أمر جيد، وإننا علينا أن نتغلب على ما أطلق عليه نورمان بوهورتز مرة «بالموانع الغير صحية ضد استخدام القوة العسكرية».

فهل تلك قيم فاشية أم هي ليست كذلك؟ فاعتقد بأنها قيم فاشية بالضبط. فذلك هي بالضبط القيم التي سمعنا عنها في المجتمعات الفاشية. وهل وسائل الاعلام والفكرين يتصرفون بأسلوب يمكن أن يتوقعه المرء في مجتمع أو دولة بيكتاتورية؟ نعم، اعتقد ذلك، تماماً. ولقد استعرضت وجمعت مقداراً كبيراً من الأدلة التي يمكن أن تقود المرء إلى ذلك الاستنتاج بشكل قوي تماماً.

■ سؤال: لقد أجرينا مقابلة في الشهر الذي تبع الاحتلال العراقي للكويت، وكنت مندهشاً من التنوع العميق في تلك الوقت من أن الولايات المتحدة كانت ماضية للحرب بشكل مطلق. فما هو الذي دعم وجهات نظرك تلك ؟

جواب : جزئياً، فإن هذه ما هي إلا قراءة عامة للسياسة الأميركية. فجورج بوش لم يكن لديه شيء ضد صدام حسين. فالسياسات قد صممت ووضعت تماماً لتبقيه في السلطة. وإذا لم يكن هو بالذات، فبديل آخر بعدئذ. فذلك أمر مفهوم تماماً. ذلك أن ليس صدام حسين هو الذي كان يشكل مشكلة. فالمشكلة كانت بأنه قد أظهر استقلالية، وأي واحد يظهر استقلالية، ولا يتبع الأوامر، يصبح عنواً لا بد من تدميره والقضاء عليه. فلا يمكن في هذه الحالة تسوية الأمر. وعليك أن تلقن دروساً صحيحة عندما تسوي ذلك. والدروس التي تدرس تكون متعددة. فهناك الدروس المعبرة للعالم الثالث. وهي، أولاً، لا ترفع رأسك أو أنك لن ترجع إلى صندوقك، أو وضعك السابق. فانت ستستحق وتتمر. لذلك فإن عليك أن تلتزم مكانك. واحفظ عملك ووظيفتك بتقديم الأيدي العاملة والمصارف الرخيصة. فعليك تعليم هذه المتطلبات، وليس تطعيم السيامية.

وكما فكرت في مقابلات أخرى، فإن الولايات المتحدة، تعارض على نحو مميز الحلول السياسية أو الدبلوماسية. فإذا ما نظرت إلى السياسة الأميركية في مسائل أخرى، فإنك ستجد أيضاً بأنها تسير على نحو نمونجي، وليس على نحو عالمي، وتحاول تجنب وإعاقة الحلول الدبلوماسية أو السياسية وتعتمد على الحلول من خلال استعراض القوة العسكرية. فهناك سبب جيد لذلك. فهذا ما كان مطبقاً من خلال حرب فيتنام، على سبيل المثال. فالولايات المتحدة كانت تعارض باستمرار إمكانية إجراء تسوية سلمية للمسألة الفيتنامية، أو إجراء انتخابات مفيدة، أو أي شيء من هذا القبيل. كما انطبق هذا أيضاً على أميركا الوسطى. ولا أعتقد بأن أي شخص يمكنه مناقشة ذلك. فالولايات المتحدة أعاقَت اتفاقات كوتناتورا، وكانت تعارض ما أطلق عليه بخطة أرياس، وهو اتفاق السلام الذي جرى في أميركا الوسطى في آب ١٩٨٧. ومع ذلك عندما جرى تصديق هذه الخطة من قبل رؤساء جمهوريات أميركا الوسطى، مما أثار رعباً كبيراً في واشنطن، فتحركت الولايات المتحدة على الفور لتقويض وتخريب الاتفاق ونجحت في ذلك. واستمر الوضع كذلك لغاية ما تدخلت بالقوة في الانتخابات لخرق وانتهاك الاتفاقات النظامية لرؤساء جمهوريات أميركا الوسطى، الخ. والشيء ذاته انطبق على الشرق الأوسط فلعدة سنوات، كانت للولايات المتحدة تعيق عملياً أي تسوية سياسية للصراع العربي - الاسرائيلي والتي تدعو إليها كافة دول العالم.

فتفضيل القوة على الدبلوماسية هي ميزة أميركية، وهذا ليس بسبب أية مظاهر ثقافية، وإنما ببساطة بسبب أن الولايات المتحدة تلعب بورقتها القوية عندما تكون متورطة بنزاع عنيف، ولا تستخدم السياسة أو الدبلوماسية. ولاتجاز أهدافك من خلال الدبلوماسية فينبغي عليك وضع السياسة قدماً التي لها مناشدة ومتابعة شعبية. فالدبلوماسية، والمفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية تعتمد على متابعة ما تقترضه أو تقترحه بشكل مطلق. وذلك ليس كل شيء، وإنما إلى الحد الذي تعتمد عليه على الوسائل السلمية، وهذا بسبب اعتقادك أنه يمكنك أن تحت وتقع به، بينما الولايات المتحدة تعرف بأنه لا يمكنها أن تحت به.

وليس من المستحيل أن تحت شعوب دول العالم الثالث بأنهم يجب عليهم أن يعانون وأن يكونوا تابعين وأن يقرموا بتلبية وانجاز الخدمات. ومن ناحية أخرى، وفي مجال القوة، فإن سيطرة الولايات المتحدة تكون طاغية تماماً. وفي الحقيقة، في أية مواجهة، بل وبالتأكيد في مواجهة مع دولة من العالم الثالث. لذلك فإنه من الطبيعي

تعاماً ان الولايات المتحدة يجب ان تحاول تحويل المواجهة الى الساحة التي ستكون ناجحة جداً: وهي القوة العسكرية فهي تريد ان تعلم ذلك الدرس.

وحيث لا تكون هناك القوة العسكرية فهناك الحرب الاقتصادية. فبالنسبة لبنما، كوبا ونيكاراغوا فان الولايات المتحدة شنت حرباً اقتصادية غير شرعية عليها لان هذا ايضاً مجال تهيمن الولايات المتحدة فيه بشكل كبير. ويكون مع ذلك ايضاً الحاجة لتعليم درساً آخر، اي انه بتلك الطريقة يجب ان تحل بها النزاعات. وليس فقط بهذه الطريقة او الاسلوب، ولكن بكل الطرق ايضاً، لانه بذلك نكون اقوياء.

وبذلك هي بوجه عام الاسباب لاقتراض الحق باستخدام القوة في حل المشاكل والنزاعات. ولكن ايضاً تبرز هناك اسباب خاصة ملحة جداً. فخلال ايام، وحتى قبل ان يكون لدى اي واحد اية معلومات سابقة عما كان يجري، فانه يصبح واضحاً بان الولايات المتحدة تكون قد عبت وحيات قوتها العسكرية، وتمضي في اجراءاتها بسرعة كبيرة مما يجعل من الصعب فرض عقوبات اقتصادية على تلك الدولة. فإرسال قوة عسكرية رئيسية الى الصحراء هي تعني، بلاننا لا نرغب او نريد فرض عقوبات اقتصادية. فالعقوبات تستمر لوقت قصير فقط وفي وضع مثل هذا، فانها من المحتمل ان لا تستغرق وقتاً طويلاً. وفي الحقيقة، فانها لن تستغرق سوى شهراً فقط.

ولكن على اية حال، فانها ستستغرق بعض الوقت. فإرسال تلك القوة العسكرية الرئيسية (الى منطقة الخليج) تعني، بلاننا لا نريد الانتظار، لان تلك القوة لا يمكن الاحتفاظ بها طويلاً هناك. فبنهاية شهر آب (١٩٩٠) فانه لن يكون هناك حتى اي تساؤل. ولقد تبين بشكل علني من خلال الناطق بلسان وزارة الخارجية في صحيفة نيويورك تايمز، في مقال كتبه كبير المراسلين للدبلوماسيين توماس فريدمان، الذي هو بشكل رئيس الناطق باسم وزارة الخارجية، بأنه يجب على الولايات المتحدة ان تسد للمصار الدبلوماسي لان قد يهدى وينزع فتيل الازمة، مع منع العراق بعض المكاسب. وقد عدد هذه المكاسب، التي يعرفها كل واحد وهي: تسوية مسألة الحدود المتنازع عليها، الخ. فهذا كمن يقول، انتبهوا، فاننا لا نريد اي حل. فقد أعلنت ادارة بوش، بأنه لن تكون هناك مفاوضات، ولا عملية سياسية او دبلوماسية، مما يعني بأنه لن تكون هناك عقوبات. لان العقوبات تعني فرض ضغط من وراء دفع التسوية السياسية. لذلك فانه أصبح واضحاً للتو وبالتأكيد بنهاية شهر آب (١٩٩٠)، اذا لم يكن قبل ذلك، بان

الولايات المتحدة لن تلتزم وتتسامح - وربما لن يكون هناك خياراً، بل إنها لن تحاول أن تلتزم أو تتسامح - بلن تكون هناك تسوية سلمية لتلك الأزمة. فنهايات أهداف الولايات المتحدة في المنطقة لن تنجز بتلك الطريقة.

وكما قلت، فقد كتبت حول ذلك في حينه. فلا يبدو الأمر بالنسبة لي يدعو للتساؤل كثيراً. ومع ورود المزيد من المعلومات مؤخراً فإننا نرى ما كان يحدث بالضبط وقد أصبح هذا واضحاً أكثر فأكثر على مر الأشهر: فلا توجد هناك امكانية للحل السلمي، فإذا ما تمكنت الولايات المتحدة أن تسيطر على مجريات الأمور، فإنها ستسد أي حل سلمي. فذلك سيمضي قدماً حتى النهاية.

■ سؤال : ما هو الرد الذي يمكن أن تفضله ويكون مريحاً بالنسبة

للهجوم العراقي على الكويت ؟

جواب: ما نعرفه الآن هو الآتي: انه خلال بضعة ايام بعد الهجوم العراقي على الكويت فسيكون هناك مؤتمر قمة عربي. ولا توجد لدينا معرفة محددة ما سيحدث هناك، ولكن تسربت معلومات، بدت وكأنها تتفاعل مع العراق، في محاولة لسحب قواته من الكويت. بيد أنه على ما يبدو، وتحت ضغط من الولايات المتحدة فإن بعض الدول العربية قد اعاقت تلك المفاوضات السلمية. وهناك أمر واحد أعتقد بأنه يجب أن يفعل وهو بالتأكيد ليس إعاقه الحل في الحقيقة، وإنما تسهيل تلك الجهود لترتيب تسوية من أجل انسحاب عراقي ضمن سياق اقليمي من خلال الدول العربية. فبعد اسبوع من الاحتلال العراقي للكويت، قدم عرض من العراق للانسحاب، وذلك بربط التسوية مع مسألتين حدوديتين متنازعت عليهما، وهما الوصول الى منطقة الخليج والسيطرة على حقل نفط رميلة. والنزاع فقط حول حقل نفط رميلة يشمل حوالي ميلين داخل الاراضي الكويتية، وهي مسألة حدودية لم تسوى مطلقاً. لذلك فإن هذه مسائل قابلة للتفاوض، وبشكل واسع.

وبالنسبة لمسألة الوصول الى الخليج، فأعتقد بأن أي واحد سيوافقني بأنها مسألة قابلة للتفاوض. ووفقاً لما أفاد به روبرت باري، وهو صحفي متقصي للحقائق، بأن هذه المسألة قد رفضت من قبل مجلس الأمن القومي الأميركي، أي رفض بحثها. ومن ثم حثت ولوحقت هذه المسألة من قبل السفير العراقي في واشنطن ومن ثم من قبل وزير خارجية العراق وبعض الأميركيين مثل ريتشارد هيلمز، الرئيس السابق لوكالة المخابرات الأميركية. وقال هو وغيره من الأميركيين بأنه كان من الواضح بأن الخارجية الأميركية لم تكن مهتمة بالموضوع.

ورد آخر كنت سلفه وهو العرض العراقي للانسحاب كلية من الكويت. وربما قد لا تقبل هذا العرض كما قدم أو اثير اليه، بيد ان العرض المضاد كان يقول، انسحبوا وستناقش بعد تلك هذه المسائل. وفي الحقيقة، فانه كان يوجد هناك حلاً معقولاً وهو بإحياء فعلياً قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٦٦٠) بهذا الشأن. وتذكر بان هذا القرار لا يدعو العراق للانسحاب من الكويت. بيد انه احتوى على امرين، فالعراق يجب ان ينسحب من الكويت ويجب ان تكون هناك مفاوضات فورية بين العراق والكويت لحل النزاعات بينهما. فذلك هو الوضع الصحيح، كما اعتقد. فقد كنت الى جانب ذلك القرار. إلا انه ولسوء الحظ، فان الولايات المتحدة أعاقت ذلك. بيد ان الطريقة المفضلة لتطبيق ذلك القرار، خلال بضعة أيام من اصداره، كان يكمن في تشجيع القوى الاقليمية لبذل جهودها الذاتية من اجل تنفيذ وتحقيق ذلك القرار، وللاستجابة للعرض العراقي الذي صدر في ٩ اب وذلك بإحياء قرار مجلس الأمن رقم (٦٦٠) والقول، « حسناً، انسحبوا وسووا انتم والكويت على الفور تلك المسائلتين ». فذلك سيكون رداً بناءً جداً، ومن المحتمل جداً ان يعطى نتيجة. ولا يمكنك ان تكون متاكداً من ذلك، لانك لا تعرف ذلك لغاية ما تجرب.

ولا شك بأنه من خلال عملية التفاوض تلك فانه ستنشأ مسائل اخرى، وهي ستكون شرعية وقانونية تماماً. فلا بد ان تنشأ. حيث توجد هناك كافة اشكال المسائل الاقليمية، وخصوصاً مسائل مستويات الأسلحة وهي بالتأكيد مسائل لقليمية. فكافة هذه المسائل هي اقليمية ويجب ان تبحث على المستوى الاقليمي، وليس على المستوى العالمي، كما يقر كل واحد بذلك. انن، فذلك هي خيارات معقولة تماماً يمكن ان تتابع وتلاحق.

وهناك سؤال عام من حيث المبدأ وهو: هل نريد دفع النزاع باتجاه ساحة القوة (الحرب) أم باتجاه ساحة الحل السلمي عبر المفاوضات؟ فالقرار قد اتخذ على ما يبدو واذا لم يكن كذلك، فانه سيتخذ خلال بضعة أيام. واعتقد بان القرار يجب ان يتخذ بطريقة ايجابية. ولكن اعتقد بالطبع بان الولايات المتحدة ستصر على استخدام القوة، ولا اسباب معروفة، كما حدث بالنسبة لنزاعات مشابهة. واذا اما ابركت بان قوتك تمثل العنف وليس الدبلوماسية، ولا المفاوضات، ولا الخيارات التي تفضلها وتنضجها الجماهير الشعبية، فعندئذ انك تريد سد طريق الحل السياسي وتوجه نحو الحرب.

■ سؤال : هل ان الحرب تعزز فرضيتك حول حقبة ما بعد الحرب

الباردة الثلاثية الاقطاب ؟

جواب : اول كل شيء انها ليست نظريتي. إنه عبارة عن وصف، وليس حتى امر يدعو للمناقشة. فمن وجهة نظري فهذا كان واضحاً منذ عشرين عاماً وعبر عنه تقريباً في الاستقطاب الثلاثي في السبعينات. ولا اعتقد حقيقة بأنها فرضية مستمرة. فالمظاهر الرئيسية للنظام العالمي الذي تطور عبر حقبة السبعينات ولغاية اليوم هو انه توجد هناك ثلاثة تكتلات اقتصادية رئيسية وقوة عسكرية رئيسية واحدة. وهناك أيضاً عنصر رابع مهم، وهي منطقة الخليج المنتجة للنفط التي تعتبر مصدراً ضخماً للمال. وتلك هي من بين العناصر الرئيسية في النظام العالمي الراهن. وهي تتفاعل عبر هذه الازمة بأسلوب يمكن للمرء توقعها. والنولة التي لها هيمنة وقوة عسكرية (الولايات المتحدة) أصرت على استخدام واستغلال تلك العناصر. وهناك عنصر مساعد، وهو بريطانيا، مع انها أيضاً مضعضة اقتصادياً إلا ان لديها قوة عسكرية لا بأس بها، وهي ما يحب البريطانيون ان يطلق عليه اسم «التقليد القوي» لتحطيم وسحق السكان المحليين على مدى مئات السنين. فهم قد وضعوا تلك عملياً بتلك التعابير. لذلك فهم لديهم شخصية وطنية قوية. كما أنهم يعرفون كيف يوجهون الضربات لوجه السكان المحليين، فهم لديهم تجربة طويلة بذلك. أنهم مساعدين ومعاونين. وهم لا يعتبرون جزءاً من اوروبا في الحقيقة.

وهكذا فان القوة العسكرية الرئيسية والمهيمنة قد تحركت ومعها مساعديها ومعاونتها، تحركت على الفور لتحشد على أرض النزاع. وقامت تلك القوتين (الولايات المتحدة وبريطانيا) بالضغط الشديد على القوتين الاقتصاديتين الرئيسيتين (المانيا واليابان) من اجل تغطية تكاليف هذه العملية المكلفة. وعكس هذا مفهوم نورما كولاتين مرتزقتين بشكل رئيس بالنسبة للدول الغنية في العالم. وقد وصف هذا الامر وبصراحة مدهشة في الصحافة الاقتصادية والعملية الدولية، أحياناً بشكل واهن ضعيف، وأحياناً أخرى بشكل صريح صارخ.

اما المقالات التي فضلتها بهذا الشأن، كما اعتقد، فقد كانت سلسلة من المقالات العمومية التي كتبها المحرر الاقتصادي والمالي لصحيفة شيكاغو تريبيون، التي اختتمها بقوله، انتبهوا، فالولايات المتحدة يجب أن تبيع الحماية. وكل واحد يعرف ماذا يعني ذلك. فنحن ندير قوة حماية نولية.

والقوتان الاقتصاديتان الرئيسيتان في العالم، تريدان نفس الشيء الذي نقوم به بشكل رئيس، أما بالنسبة لدول العالم الثالث فإن عليها أن تبقى رؤوسها منخفضة وأن تقوم بالعمل الذي نريده، إلا أن بعضها أحياناً يصبح عنيداً ويقف في طريقنا. لذلك فإننا ندعو المافيا ليكسروا أسنانها أو يكسروا عظامها. فذلك هو نحن. نحن نكسر أسنانهم. فهم قد منحونا مكافأة للحرب، كمثل بوليصه تلمين. وأوروبا واليابان سيدفعون لنا المكافأة، وإذا ما وقف أحد في طريقهم، فإنهم سيدعوننا وبالتالي فإننا سنسحقهم. ونحن نقوم بذلك حالياً. وحاولت بعض دول العالم الثالث أن تؤثر على إنتاج النفط وأسعاره، لذلك فنحن سنسحقها تماماً. ومن ثم فعلى الحلفاء أن يدفعوا لقاء ذلك. فذلك هي الطريقة التي تعمل بها عصا الحماية. وأنه لأمر طبيعي جداً للولايات المتحدة وبريطانيا من أنهما لا بد وأن يعززا دور القوة المرتزقة. فانظر الى اقتصاديات هاتين الدولتين وأسباب قوتهما وضعفهما، لذلك فإنهما لا بد وأن يعكسا نفسيهما كما هو متوقع.

وبالنسبة للمصدر المالي الرئيس الآخر، وهم منتجو النفط فليس لديهم كثير من الخيارات، سوى أن يلتوا ليستنجبوا كما هو متوقع. والطريقة التي تسيطر فيها كل من الولايات المتحدة وبريطانيا على مصدر الطاقة في العالم، أو أكبر جزء منها، هي بإنشاء ما كانت تطلق عليه بريطانيا في الماضي «بالواجهة العربية»، التي يمكن من ورائها السيطرة على إنتاج النفط في الشرق الأوسط واتباع نهج وأسلوب الديكتاتوريات العائلية وذلك من أجل إضعافها، وأن تكون معتمدة على قوة خارجية للحفاظ عليها. وبالمقابل، فإننا استخدمنا عصا الحماية هناك، أيضاً. فنحن نحميم بعدة طرق. ويقوتنا الذاتية بشكل مطلق. وبالطبع، فإن عليهم أن يدفعوا لقاء ذلك، وهم يدفعون باستمرار. ومهمتهم هي لضمان استقرار مستويات وأسعار إنتاج النفط بشكل رئيس ضمن مدى ونطاق ما تريده الولايات المتحدة. فأحياناً نرفعه وأحياناً أخرى نخفضه، ولكن ضمن ذلك النطاق بشكل رئيس.

وأيضاً، وعلى نحو حاسم، فإننا نطلب بلن يحولوا جزءاً رئيساً من عائدات النفط لدعم الاقتصاديين الأميركيين والبريطانيين. وتعاماً كما حدث خلال أزمة الخليج أن قام أحد الأثرياء الخليجين بشراء ما نسبته عشرة بالمائة من أسهم إحدى المؤسسات المالية الرئيسة المنهارة في الولايات المتحدة، وهي مؤسسة سيتي كورب. ولا نعرف كم من المال

قد ذهب الى تأمينات الخزينة، إلخ. بيد أننا نعرف بأن مؤسسات مثل باتشل قد جنت أرباحاً طائلة جراء ذلك. فعرض بوش على الأقل لبيع ما قيمته ثمانية عشرة بليون دولار من الأسلحة هو أمر كافٍ. وستكون هناك أيضاً أعمال ضخمة من البناء والترميم لما خُرب. وفي غضون ذلك فإن عليهم فقط أن يدفعوا ويسخّاء. وإذا لم يدفعوا مباشرة فإن الأموال ستذهب الى تأمينات الخزينة وتتقاسمها أسواق العمل في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا. فالسعودية، التي أصبحت مدينة فعلياً من هذه الناحية، كان عليها أن ترتب قرضاً. والقروض للسعودية لا تشابه القروض التي تمنع لي ولك. أنها تعتبر مساهمة كبيرة لرخائها. ويوجه عام، فإن الولايات المتحدة وبريطانيا تقومان بتدبير ذلك كما يمكن أن نتوقع. فلأميركا ومساعدتها (بريطانيا) زابتا من نفونهما وتدخلهما في الشؤون الدولية وتقومان بتدعيم اقتصادهما عن طريق بيع وتصريف السلاح. فكل ذلك يعتبر عوامل في النظام العالمي.

واعتقد بأن الجزء الأخير من النظام العلمي الجديد الذي لا بد وأن ينكر، والذي بحثته معك من قبل هو أن الروس لم يعربوا جزءاً في اللعبة، ولم يعربوا يعوقون استخدامنا للقوة. فذلك مظهر آخر للنظام العالمي الجديد.

■ سؤال : انه لمن السهل معرفة الحماس الأميركي والبريطاني لحرب الخليج. ولكن ما هو تفسيرك للحماس الفرنسي لهذه الحرب ؟

جواب : لا اعتقد أن كلمة الحماس هي الكلمة الصحيحة تماماً. فالفرنسيون هم متحمسون يوماً للحصول على المال وزيادة قوتهم. وهم يحاولون السعي نحو انتهاج سياسة مستقلة جزئياً، إما بسبب نكريات امجادهم الفرنسية او لأسباب مصلحة تماماً. فالتكتيك الذي اتبعه الفرنسيون، هو معقول بالنسبة لوجهة نظرهم السلبية، وهي أن يحافظوا ويبقوا على مبادراتهم تجاه العالم العربي، ليقولوا للعرب، تفكروا فنحن الى جانبكم. لذلك فعندما تكون هناك فرص اقتصادية، ومشاريع لاحقاً، فلا تنسونا، لأننا نقف الى جانبكم.

ولغاية ابتداء الحرب فقد وقفت فرنسا جانباً. ولم يكن الفرنسيون جزءاً من القيادة العسكرية الموحدة. فالقيادة في الصحراء كانت أميركية وبريطانية فذلك كانت هي، تتألف من قوتين. أما الفرنسيون فقد كانوا يقفون في الخلفية، ومعهم طائرات، هنا

وهناك، إلا أنهم لم يكونوا جزءاً من القيادة بشكل رئيس. وأبقوا على تحركاتهم التي يعرفونها ويتقنونها تماماً. بيد أنها كانت تحركات مقصوبة للاستهلاك المحلي وللشعب الفرنسي، الذي لم يكن متحمساً للحرب، وذلك لجعل الأمر أسهل والطف، ولكن بهدف لفت الانتباه والتحول نحو العالم العربي. واستمر هذا الوضع لفاية عشية نشوب الحرب، عندما تقدمت باقتراح في مجلس الأمن، كانت تعرف مسبقاً بأنه سيعارض من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا، وكان اقتراحاً لا جدوى منه. بيد أنها كانت تحركات رخيصة، ويمكنني أن أفسر ذلك بأنه كمن يقول، انتبهوا يا أصدقاءنا في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، فلا تنسونا. فنحن أصدقاءكم حقيقة، وحتى لو مضينا للاشتراك في الحرب.

وفي اللحظة التي بدأت فيها الحرب، فقد انضمت فرنسا، بالطبع، للاشتراك فيها وذلك لتحاول أن تحصل على ما قد ينتج عن ذلك. وأعتقد بأن أسباب ذلك تنطبق كثيراً عما أفادت به مجالات الأعمال. فهم (الفرنسون) قد عرفوا بأنه ستكون هناك عقود أعمال وصفقات تأتي من دول الخليج، فأرادوا أن تكون لهم حصة بذلك. فالتحركات والخطوات الأولية، كانت توجي بمعارضة فرنسا للحرب، خاصة فيما يتعلق ببقية دول العالم العربي، وتقول لهم، نحن إلى جانبكم حقيقة. وفي آخر لحظة فقد أرسلت فرنسا الفيلق الأجنبي للاشتراك في الحرب، وذلك حتى لا تستثنى من عقود العمل والانشاءات لاعادة تعمير الكويت بعد الحرب. ومن ناحية ثانية، فإنها حاولت لأن تظهر فرنسا وكتلتها تشكل قوة في الشؤون العالمية، مما يوحي بأنها ما زالت تحتفظ بأمجادها.

■ سؤال : هل بوسعك أن تعطي أي تأكيد للتوقع من أن الولايات

المتحدة قد هيات العراق لغزو الكويت ؟

جواب: لا أعتقد ذلك شخصياً. وأعتقد بأنه يوجد هناك دليل يمكن أن يوحي بذلك، إلا أنني لا أجده مقنعاً. فقيمة هذا الدليل، بالنسبة لي، يظهر شيئاً مختلفاً. فهو يبدو بالنسبة لي ليظهر بأن جورج بوش وجيمس بيكر، صانعا السياسة الرئيسيين، كانا يدعمان صدام حسين بقوة قبل عام ١٩٩٠. فقد كتبت صحيفة فاينتنشال تايمز اللندنية مقالاً مطولاً على صفحتها الأولى، حيث وصفت كيف أن الرئيس بوش قد تدخل بقوة ليضمن تقديم اعتمادات مالية للعراق بقيمة بليون دولار. وكان هذا التدخل على المستوى الداخلي ومن خلال القنوات البيروقراطية. فوزارة التجارة، ووزارة الخزانة (المالية)،

وبنك الاستيراد والتصدير كانوا عارضوا تقديم اعتمادات مالية للعراق، بسبب موقف العراق من قضية الاكراد. ولا أحد كان يهتم بذلك. وكانوا يعارضون ذلك لأنهم كانوا متريكين بأن العراق لن يكون قادراً على دفع هذه الديون. وكان واضحاً بأن جزءاً كبيراً من هذه الأموال ستحول لشراء أسلحة. فتدخل كل من بوش وبيكر للتغلب على العوائق وإضمان حصول العراق على المليون دولار. واستمر ذلك حتى عام ١٩٩٠.

وفي شهر شباط ١٩٩٠، حاولت جبهة المعارضة الديمقراطية العراقية الحصول على بعض الدعم، ولو حتى الكلامي منه على الأقل، من كل من واشنطن ولندن من أجل الدعوة لاتشاء نظام برلماني ديمقراطي في العراق. إلا أنهم ربنوا في كل من العاصمتين. واستمر ذلك الأمر خلال عام ١٩٩٠. كما حاولت بعض العناصر في كل من الكونغرس ومجلس العموم البريطاني ولعدة مرات أن توقف أعمال العنف ودعم حقوق الإنسان في العراق. بيد أنها أعيقت من قبل حكومتَي البلدين (الولايات المتحدة وبريطانيا). فهما لم تريدان شيئاً كهذا. فلا يجب إصدار توصيات، أو عقوبات، أو أي شيء ضد العراق. واستمرت المساعدة للعراق حتى النهاية. ولغاية الأول من آب ١٩٩٠، فإن البيت الأبيض استمر في الموافقة على إرسال شحنات الأجهزة والمعدات التكنولوجية من أجل إقامة المنشآت العسكرية، بما فيها المنشآت التي كانت تنتج الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية. فكل ذلك كان مدعوماً وبإصرار من قبل كل من بوش وبيكر. ووصفت هذه السياسة، من قبل كافة الاختصاصيين والمطعمين بشؤون الشرق الأوسط بوضوح، وخاصة بعد انتهاء الحرب. فقد قال جيفري كيمب، على سبيل المثال، إننا كنا نعرف بأن صدام حسين كان حليفتنا. وذكر في هذا المقال أيضاً نقلاً عن بيتر روممان، المستشار في مجلس الأمن القومي الأميركي آنذاك، بأن صدام كان حليفاً لأميركا. وأعتقد بأن كل هذه الأدلة كانت مترابطة تماماً. ووفقاً لشهادات بعض المسؤولين الأميركيين وخاصة أبريل جلاسبي، من أن وزارة الخارجية الأميركية قد أبلغت صدام حسين من أنها لن تعارض بصورة رئيسة من اجراء تعديلات على حدوده مع الكويت، وخاصة فيما يتعلق بحقل رميلة ومسألة وصول العراق لمياه الخليج، سواء كان ذلك بواسطة التخويف، أو حتى بواسطة استخدام القوة إذا ما دعت الضرورة.

ولم يكن لدى الولايات المتحدة اعتراض معين عندما رفع أسعار النفط. وهناك طريقة وحيدة فقط للقيام بذلك، وهي القيام بضغوطات على أسواق النفط، مما يثير

الخوف. وقد حدثت سعر البرميل بخمسة وعشرين دولاراً أو أكثر. واعتقد بأن هذا كان يتناسب مع السياسة الأميركية. فرفع أسعار البترول له تأثيرات معقدة جداً. وانها من جهة ما تعتبر عملية ضارة بالدول الصناعية، ومن جهة أخرى فإنها مفيدة للولايات المتحدة وبريطانيا لأنهما دولتان تنتجان النفط بأسعار عالية، فكلما ارتفعت أسعار النفط فإن انتاجهما يصبح أكثر قيمة. فلنأخذ مثلاً النفط المستخرج من الاسكا أو بحر الشمال، انه مكلف تماماً. وبذلك فمن الممكن ان يجنيا المنافع من جراء رفع أسعار النفط. وأمر آخر هو ان اموال النفط العائدة لدول الخليج تصب عائدة للولايات المتحدة وبريطانيا عبر أو من خلال مشتريات الأسلحة، أو السفنات المالية، أو الاستثمارات، الخ. وهكذا فإن العملية تصبح حقيقية أو محفوظة مختلطة، عندما ترتفع أسعار النفط. انها عملية حسابية دقيقة، بيد انها مفيدة جداً لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا أكثر مما هو الأمر بالنسبة لماناقيسهما، المانيا واليابان .

ولا أرى أية صعوبات كبيرة لفهم السياسة الأميركية، كما اعتقد بأنه تصرف متنبأ به. ومن جهة أخرى، لا أرى أي دليل من ان الولايات المتحدة توقعت ان يفزو صدام حسين الكويت ويحتلها. واعتقد بأن العراق هي التي قد فسرت ذلك بذلك الطريقة، إلا انه لو كان الأمر كذلك فإنه يعتبر خطأ مفهوم من جانب دولة تتصرف وفق اموانها. وبذلك لم يعد صدام حسين حليفاً للولايات المتحدة، وكان عليه ان يمضي بسياسته قديماً. وأوافق بأنه كانت هناك بعض الأمور لم تفسر في هذا السياق. فهذا تفسير تقليدي جداً، تماماً كما افترضت من ان الحقائق بدت وكأنها سطحية أو عاتمة على السطح. وكما انها بدت لتكون سطحية فإنهم بذلك قد علقوها سويلاً.

وهناك بضعة أمور لا تلائم تماماً هذه الرؤيا للأحداث، إحداها تركز على ما يتسرب من الصحفيين مثل بيير سالينجر وغيره. ولا أعرف فيما اذا ان نصنقهم أم لا، فهذا نوع جديد من أسلوب الصحافة واقتباساتها الهائمة. وبإمكانك ان تفعل معها ما يحلو لك، ومن المحتمل أن تكون كثير من اخبارها غير معلوماتية، مدسوسة من قبل أجهزة المخابرات لتسرب عبر الصحفيين الراغبين بذلك، ولا اعتقد بأنها تحتوي على أية مصداقية. وهذا يدل على أن للكويت قد ردت بفرور وعدم مرونة على الخطوات العراقية قبل شهر أب. ولو انه كانت هناك رمود أخرى فقد كان من السهل التخيل أنه لربما قد تم الحد من الأزمة أو منعها من الحدوث.

وهذا غير قابل للتفسير على ما لخصته سابقاً. وسيكون قابلاً للتفسير إذا ما كان هناك نوع من المؤامرة الكويتية لاغراء صدام حسين بغزو الكويت.

إلا أنه يبدو ليكون أمراً مشكوك فيه جداً، مبني على أوهام، وغير محتمل إلى حد بعيد. فلا اعتقد أن الدول تتصرف بمثل هذه الطريقة، أو أن تقول الحقيقة. ولا اعتقد بأن أية دولة تعمل بمثل تلك الطريقة، سوى في حالات نادرة جداً. وحتى لو أنها فعلت ذلك، فإنها ستكون مخاطرة كبيرة جداً. فمن المستحيل معرفة كيف أن ذلك حدث. كما أنه من المستحيل التلكد من أن الديكتاتوريات العربية للصديقة لأميركا ستكون قادرة على السيطرة على شعوبها. فعندما ينشأ هناك نزاع عسكري، فإن الأمر يصبح غير قابل للتوقع أو التنبؤ بما سيحدث تماماً. فمستوى التسلح عالٍ جداً، كما أن مستوى الكارثة يكون كبيراً، والشكوك في النظام السياسي يكون شاسعاً. ومن الممكن أن تكون هناك مخاطرة ضخمة من عدم جني الكثير جداً من جراء ذلك.

وفي الحقيقة، فدعني أكرر من أنني لا اعتقد بأنهم (الولايات المتحدة) كان لديهم أي سبب للتنمر من صدام حسين. فقد كان حليفاً ويقوم بما يريدونه. وكان شريكاً تجارياً جيداً، يشتري البضائع والمواد الغريبة، ويلعب اللعبة إلى أرائتها الولايات المتحدة.

■ سؤال: كان للولايات المتحدة علاقات مع الإكراد، كانت علاقات مختلطة على ما يبدو. وذلك بدءاً من أوائل السبعينيات، ومن خلال مسعود البرزاني والحركة الكردية داخل العراق في تلك الوقت. فهل بوسعك التحدث عن ذلك؟

جواب: إن العلاقات مع الإكراد تعود إلى الوراء ويترك مختلف. ففي العشرينات كانت بريطانيا هي التي تتولى الأمر، وأصبحت الولايات المتحدة، وقد نتذكر بلن بريطانيا هي التي استخدمت الغاز السام بكثافة ضد الإكراد، عندما حاول الإكراد إنشاء دولة العراق تحت إشراف بريطانيا، بعد اقتطاعها من الامبراطورية العثمانية. وكان ونستون تشرشل هو الذي أمر باستخدام الغاز السام، وكان يشجب كل شخص يعارض استخدام الوسائل الحديثة في الحرب.

وكان هناك تاريخ أقدم في العلاقات أيضاً. ولكن ابتداءً من أوائل السبعينيات فقد

كانت هناك ثورة كردية مدعومة من ايران. وكان الشاه انذاك يعتبر حليفاً رئيسياً للولايات المتحدة. فإراد أن يسبب بعض الازعاج للعراق. وكانت من إحدى تلك الازعاجات تكفله بالثورة الكردية في شمال العراق. ومضت الولايات المتحدة وبدعم من هنري كيسنجر، وزير الخارجية انذاك، الى جانب تلك الخطة وساعدت فيها. وتسربت اسرار بواسطة لجنة بيك ونشرت في صحيفة «صوت القرية». ونشرت تلك المعلومات في كتاب صدر في لندن. ولم يثر الكتاب اهتمام أي واحد، إلا انه كان يحتوي على وثيقة أو تقرير هام جداً. فقد تضمن تقرير لجنة بيك، الذي كان يحتوي على الكثير من التوثيق، برقيات وتصريحات، غطيت أو طمسست أسماء أصحابها، بيد انها كانت واضحة لمن تشير، إذ انها كانت متباعدة ما بين كيسنجر وايران، وكانت تشير بوضوح الى انه لا الولايات المتحدة ولا ايران اربنا ان يكسب أو يربح الاكراد الجولة. ففي الحقيقة، انهما لم تريدان ان يتصدر الاكراد، فقد اراهما ان يحاربوا فحسب وان يفرقوا الطريق بالدماء، وليس ان يكسبوا الحرب. فقد كان امراً حاسماً. وكانتا (الولايات المتحدة وايران) صريحتان بذلك الامر. وقصد من كل ذلك ممارسة ضغط على العراق ليقوم بتسوية مسائل جنوبية على الخليج.

وعندما اذعن العراق وقبل بالمطالب الايرانية، فان الولايات المتحدة، حليفة ايران، توقفت عن دعمها للاكراد، وترك الاكراد لينبجوا. اما الزعيم الكردي، البرزاني فإنه لم يفهم ذلك تماماً. فقد كان موالياً جداً لأميركا، إذ انه صرح مرة بلن دولة كردستان الجديدة ستصبح للولاية الأميركية رقم (٥١). لذلك فإنه صدم من جراء ذلك، ومعه الاكراد ايضاً، ليروا كيف انهم بيعوا من قبل الولايات المتحدة، عندما لم يعد بحاجة اليهم. حتى ان الولايات المتحدة قد رفضت ايضاً تقديم مساعدات انسانية لهم، كما ان ايران رفضت ايضاً قبول اللاجئين الاكراد على اراضيها. انه كان مشهد بشع ومحوي جداً. وذلك عندما صرح مسؤول رفيع المستوى، عرف بأنه هنري كيسنجر فيما بعد، وفي اجتماع مطلق للكونفرس، بقوله «بلننا لا يجب أن نشوش سياستنا الخارجية بعمل تبشيري». فسياستنا الخارجية كانت تهدف لحد ودفغ التمرد الكردي ولكن في نفس الوقت التأكد من عدم نجاحه، ومن ثم عندما لم يعد بحاجة اليه، فانها سحببت البساط من تحت الاكراد وتركتهم ينجحون. فذلك هي السياسة الخارجية الأميركية. فلست بحاجة لأن تطرح الأسئلة حول عمل تبشيري أو التحدث عن الآباء ماريكتول. فلنت في رفقة أو عشرة خطيرة حالياً

ونظراً، فلنا معجب بكيسنجر عندما قال ذلك. فلا أظن بأن المرء أن يشجبه.
فانه صادق تماماً. وهو على صواب، في الواقع. فالمسياسة الخارجية ليست عملاً
تبشيراً.

وفيما بعد، وفي أوائل الثمانينات، أصبح الأمر معتمداً عليه. ولم نعد بحاجة للمزيد
من الأدلة. ولم تتسرب أية تقارير من الكونغرس. فربما كان يوجد هناك ترتيبات بديلة
بين الأكراد والعراق، في سياق الحرب العراقية - الإيرانية. وفي ذلك الوقت فقد كان
العراق ضعيف وبحاجة تماماً لتأمين جزئه الشمالي. فلم ترد أن تكون هناك ثورة ما في
الشمال. لذلك فقد عقبوا اتفاقية حكم ذاتي مع الأكراد. وكان ذلك في عام ١٩٨٤، في
الوقت الذي اتخذت فيه الولايات المتحدة القيام بتحول دبلوماسي باتجاه دعم العراق في
حربه مع إيران. ولم تعرف الأسباب التي أدت لذلك، إلا أنه كان هناك اعتقاد عام حسبما
أوردته مجلة الأيكونوميست اللندنية، بأن ذلك قد حدث تحت ضغوطات تركية. فالأتراك لا
يريدون مطلقاً حصول الأكراد على الاستقلالية. فحوالي ربع سكان تركيا هم من الأكراد،
وقمعا لهم معروف جداً. بل أنه يبدو بأن الأتراك قلقين جداً من تحركات الأكراد تجاه
الاستقلال وتكوين دولة خاصة بهم، مما يؤثر على تركيا داخلياً. وهم يشكلون خطراً
على ما يبدو من أن يستولوا على السلطة في العراق، أو أن يستولوا على خط أنابيب
النفط خلال الحرب، مما يدفع للعراق بتصدير النفط عن الخليج، ولا يمكنها إرساله
عبر الخط الواصل إلى تركيا.

وهددت تركيا على ما يبدو بإغلاق خط الأنابيب إذا ما اتبعت العراق هذه
الترتيبات أو الإجراءات، فتراجعت العراق عند ذلك الحد وسقط هذا الخيار. ولا بد أن
كل ذلك جرى بمساندة الولايات المتحدة. فتركيا تعتبر حليفاً مقرباً لأمريكا. وكان العراق
انذاك أصبح حليفاً للولايات المتحدة أيضاً. وبذلك فإننا نحصل على دليل غير مباشر
فحسب. وقد ذكرت تقرير «الأيكونوميست» نون أن تقدم المجلة مصادرها الخاصة بذلك.
وما سيحدث مستقبلاً بهذا الشأن فستكشف عنه الأيام الآتية.

■ سؤال : ما هو اعتقادك من أن الذي جعل إدارة بوش تستغرق وقتاً

طويلاً للاستجابة للوضع الكردي في شمال العراق؟

جواب : لا أعتقد بأنها قد استجابت لو أنها لم تترك أو تزعج فسياسة الحرب

الأميركية، كانت تستهدف بشكل رئيس القوات العراقية المتواجدة في الجزء الجنوبي من الكويت. وكانت غالبيتها من المجندين القرويين الذين ليس لهم مصلحة واهتمام بالحرب، وتعتبر قوات الخط الثالث مكونة معظمها من الأكراد والشيعة. وقد وضعوا في خطر في رمال الصحراء ليحاولوا النجاة من القصف الجوي العنيف والخراب. وعندما أوقف الأميركيون القصف حاولوا الفرار، إلا أنهم قد أسيروا بالطبع في عملية ملاحقة رهينة عبر الصحراء. فلهجوم قد تم بشكل رئيس على جنود عراقيين قرويين، معظمهم من الأكراد والشيعة. ففي الحقيقة، فإنه من المحتمل تماماً أن الولايات المتحدة قد قتلت حينئذ عدداً كبيراً من الأكراد، ولا نعرف هذا العدد بالضبط إلا أنه ليس من المستحيل معرفته.

أما بالنسبة للقوات العراقية الرئيسية، أو القوات المختارة، فإنه لم تصب بأذى وظلت سليمة. ولكن ما إن تم إعلان وقف إطلاق النار حتى نشبت ثورة في الجنوب وثور في الشمال. فتحررت هذه القوات التي أطلق عليها اسم الحرس الجمهوري، أولاً في الثورة في الجنوب والتي كانت عناصرها من الشيعة، وقامت بقمعها بوحشية. وحدث هذا على مرأى من القوات الأميركية والمرسلين الحربيين. ولم يحدث أي تدخل من قبلها. وإن إدارة الرئيس بوش قتلت مكتوفة الأيدي أمام تلك الأحداث.

وبعد تلك تحولات هذه القوات باتجاه ثورة الشمال، واستمرت الولايات المتحدة بالمشاهدة أيضاً، ولم تقم بعمل أي شيء، أو حتى أنها لم تقم بمنع الطائرات المروحية التابعة لهذه القوات من العمل. وتحولت هذه القوات لمهاجمة الأكراد، الذين تبعثروا وفروا إلى الجبال وبدأت الصحافة تكتب عن الفظائع التي كانت ترتكب، وعما كان يحدث على تلك الساحة.

في غضون ذلك، كان بوش يصطاد السمك، كما تفكر، ولم يكن لديه أي اهتمام بذلك. فقد كان كل ما يهمه هو أن يظهر نفسه على أنه رجل رياضي. ولكن بعد يومين بدأ الأمر يتغير، وإنني متأكد بأن مستشاريه قد أطلعوه على خطورة الوضع. فبدأ الاهتمام، واتخذ بعض الخطوات الإنسانية. إلا أنه لم يكن هناك سبباً للاعتقاد بأنه كان هناك أي قلق فعلي بالنسبة للضحايا. كما أنه لم ينكر شيئاً من قبل الصحافة عن الأحداث الدموية التي حدثت للشيعة في الجنوب، كما أن إدارة بوش لم تفعل شيئاً بهذا الصدد. والمؤشر الواضح لا يكمن فيما حدث بالنسبة للأكراد ومشاكلهم، بل فيما كان

مستمر فيه بوش، كغيره من رجال النولة، بقبوله بمقولة كيسنجر من أن السياسة الخارجية لا يجب أن تكون عملاً تبشيراً، فهذا ما حدث في تركيا في الفترة السابقة. فجورج بوش، كما تفكر، قد امتدح تورغوت أوزال، رئيس وزراء تركيا السابق، على أنه صانع سلام عظيم ورجل نولة وإنساني عظيم، الخ. وقد حصل على بكتوراه فخريه من الولايات المتحدة. وبالطبع، فإننا نعرف كل شيء عن تركيا وما فعلت بالأكراد. فنحن نعرف كيف تقوم بمهاجمتهم وقمعهم باستمرار.

وبما أن الصحافة لم تكن مهمة بالأمر، فنحن لا نعرف الكثير عن ذلك، غير أننا نعرف بما فيه الكفاية عما كان يحدث، وذلك من خلال عمال الإنقاذ، والفرق الطبية الأوروبية العاملة في تركيا، ونشطاء حقوق الإنسان، ولحامون، وآخرون. وبنت الصورة كالاتي: في شهر آب ١٩٩٠، وبعد للغزو مباشرة (احتلال العراق والكويت)، ألغت تركيا القوانين التي تمنح أبنى حقوق مدنية للشعب الكردي والتي كانت مفروضة تحت ضغط أوروبي. وكانت توجد هناك رقابة تامة تقريباً. فهذه ليست مزحة في تركيا. فربما تتعرض للاعتقال والتعذيب وتختفي للأبد جراء ذلك.

وكان الحدث التالي أن أمر أوزال بقصف المناطق الكردية. وربما قصفت مئات المدن والقرى بالنابالم. ووفقاً لتقارير لجان حقوق الإنسان والبعثات الطبية هناك، فإن مئات الآلاف من الأكراذ قد فروا إلى الجبال في تركيا محاولين النجاة بأنفسهم في فصل الشتاء ذلك. ولم يعد بإمكانهم العودة إلى بيوتهم وقراهم المقصوفة وحقوقهم المدمرة. وتعرضوا للمجاعة في الجبال. وحدث ذلك في شهري كانون الأول والثاني. وفي غضون ذلك، ووفقاً لتقارير الأمم المتحدة، بنهاية شهر كانون الثاني، فإن حوالي مائتي ألف كردي عراقي قد فروا إلى الجبال من جراء قصف الطائرات الأميركية لهم. وذلك يعني بأنه قد تجمع هناك حوالي نصف مليون كردي على الجبال خلال فصل الشتاء القارس لينجوا بأرواحهم.

وكانت هناك مساعدات إنسانية من اليابان، وبعض المساعدة من ألمانيا، ولم تكن هناك أية مساعدة من الولايات المتحدة، ولا أي اهتمام بذلك. أنه كان وضعاً سيئاً للغاية. ولا أحد قد رفع أصبعه في وجه ذلك، وذلك لسبب بسيط جداً بأنه لم يكن هناك ضغطاً لفعل ذلك. فإذا لم يكن هناك ضغطاً، فلا تفعل ذلك.

■ سؤال : ما هو تخمينك للرد على مبادرة السلام لازمة الخليج والحرب ؟ فانا اعرف بانك قد وصفت ذلك على انه امر «متفاعلاً» و«منقطعاً» ، ولكن هل يمكن ان يكون هناك اي شيء آخر ؟

جواب : اعتقد بأنه سيكون من الصعب جداً ان يفعل أي شيء آخر، في ضوء المصادر والطاقت المتوفرة، ووسائل الاتصالات والمعلومات، المفصلة تماماً أمام وسائل الاعلام ورجال الصحافة، الخ. وبإمكانك ان تخمن هذا أو ذاك، إلا انني لا اعتقد بأنه من الممكن ان يكون أمراً مختلفاً. فهناك مجالاً للمداولة ما هو وضع تحرك السلام الذي يجب ان يكون عليه. واعتقد بأنه كان يجب شجب الغزو العراقي فوراً. فمن وجهة نظري، وفي حين ان اصديقائي يخالفونني الرأي، فان مبادرة السلام كان يجب ان تدعم فرض عقوبات. واعتقد بأنه كان حتى أمراً شرعياً أكثر دعم مبادرة مبكرة بارسال قوات عسكرية على جناح السرعة الى السعودية. وليس واضحاً فيما اذا كان العراق سيمضي قدماً في خطه أم لا. فلا يمكن التنبؤ بذلك. فذلك كان يعتمد على ما سيحدث في الايام القليلة الاولى. وهناك مؤشر واضح يقول: انتبه، لا يمكنك ان تمضي بذلك. عليك ان تنسحب من الكويت. فلنا اتفاق مع ذلك الرأي.

ومن وجهة نظري، فإن تلك التحركات، التي حدثت في الساعات الاولى للغزو، قد تبرز، ومن ثم يلتي السعي وراء فرض عقوبات. وما هي نوع العقوبات؟ فذلك هو السؤال أيضاً. فليس حركة السلام هي التي عارضت، وانما مجلس الكنائس القومي. ومجلس الكنائس العالمي أيضاً هما اللذان اسرعا ويوضحون للوقوف ضد فرض عقوبات. وفي رأيي، فإنني لست ضد فكرة فرض عقوبات، وانما ضد فرض عقوبات على الغذاء والدواء، التي دعوا اليها دون وعي أو إدراك. فذلك يجب ان لا يستخدم أبداً، وحتى في أشد وأقصى حالات العدوان وانتهاكات حقوق الانسان. وانما بفرض بعض أنواع العقوبات، وبممارسة نوع من الضغط وبالتأكيد انتهاء أية شحنات من أسلحة أو أي نوع آخر من الشحنات الأخرى ما عدا الغذاء والدواء. وفرض حظر على تصدير النفط «فذلك امر شرعي».

ومن ثم ، وبعد ذلك، فاعتقد بأنه كان لا بد من الاهتمام أكثر وإن يفسح المجال أمام اجراء مفاوضات سياسية. ومن الأسهل القول ذلك في محاولة لاستعانة أحداث

الماضي، إلا أنه بصراحة فلا اعتقد بأنه كان سيختلف الأمر كثيراً. واعتقد بأن الظروف المعينة، وحتى لو أن حركة السلام قد اتبعت ما يمكن أن يطلق عليه كفضل تكتيك، فإن لدي أفكار خاصة حول ذلك، وللآخرين أفكارهم الخاصة أيضاً. فوسائل الدعاية والاعلام قد صورت صدام حسين على أنه يشكل تهديداً كبيراً لوجوبنا، وحتى لبقائنا، وكان امراً طاعياً جداً بحيث لم يكن هناك أي رد مجدي جداً حول ذلك. فقمع وكبت إمكانيات اجراء مفاوضات سلمية في وسائل الاعلام، وحتى الرفض السطحي لمناقشتها وبحثها، قد طغت وتغلبت على كل مبادرة وتحرك سلمي مهما كان نوعها وكيفية تنفيذها. ولا اعتقد بأنه كان امراً مستحيلاً أو صعباً جداً لمواجهة والتصدي لهذا الشعور فيما يتعلق بالسكان أو الجمهور الأميركي، لأنه لم يكن هناك أي تهديد لحياتهم، ولبيوتهم، ومستقبلهم، وأطفالهم، والعالم أجمع، ما لم نذهب الى الحرب لوقف تهديد هتلر الجديد، قبل أن يتمكن من احتلال العالم، وذلك من المحتمل بأنه كان من الصعب جداً تغيير ذلك الرأي السائد من دون وجود مناخ وثقافة سياسية مختلفتين.

■ سؤال : إن المهندسين التاريخيين كانوا مشغولين بالعمل لبضعة شهور مضت كما تعرف ذلك جيداً. فمن إحدى الأشياء التي اعيدت كتابتها وسويت هي ان الولايات المتحدة قد حاربت في فيتنام بيد مشدوة الى الخلف. فهذا قد ادخل الى الثقافة الشعبية. فما هو تعقيبك على ذلك ؟

جواب : انك على حق بأن تطلق عليهم اسم مهندسي التاريخ. فنلك شعار مشير للدهشة والاعجاب: فنحن قد حاربنا في فيتنام وبننا مشدوة لخلفنا. فهذا صحيح فعلياً. وأنا اوافق على ذلك. فقد كان هنالك رادع لاستخدام القوة في فيتنام. ومن المدهش رؤية كيف ان الولايات المتحدة قد حاربت في فيتنام. فالحرب الرئيسية في فيتنام، والتي لم تتغلغل بعد في الثقافة السياسية الأميركية، قد صقلت لتواجه الحقيقة بهذا الأمر. وهي ان الحرب الأميركية، كانت تتركز ضد فيتنام الجنوبية. فنلك كان جوهر الحرب الأميركية في فيتنام، وهو الهجوم على فيتنام الجنوبية، والذي استغرق مدة أربعة سنوات ولم يدرك ويعترف بها. ولم يكن هناك حدث مثل ذلك في التاريخ الأميركي، وحتى من جهة اليسار. فنلك الحرب قد حورت بدون أيادي مشدوة على أية حال. فلم يكن هناك خوف أو أية ربود فعل أو انتقامات، ولا قلق من أن نُجرَّ أو نتورط بمحاربة

الروس. ففي الحقيقة، لم يكن هناك تكلفة أو كلفة سياسية جراء ذلك، ولا رادع، لذلك فإن الحرب قد سارت بحرية. لقد فعلت الولايات المتحدة ما أرادت ورغبت فيه. وقصفت وضربت من الجو ما أرادت أن تضره وتقصفه، وحتى المناطق المأهولة بكثافة.

إنه نوع من الإثارة لأن تنظر وتقرأ «أوراق البنتاغون»، التي تظهر أنه من خلال كافة المناقشات والمداولات المعقدة كيف تم تنفيذ قصف فيتنام الشمالية وكيف يمكن التعبير عن ذلك، إلخ، إذ أنه لا يوجد هناك أي شيء فعلياً حول قصف فيتنام الجنوبية، الذي كان أكثر وأعمق بكثير. ففي عام ١٩٦٥ كان معدل القصف ثلاثة أضعاف قصف الشمال، واستمر القصف ليصبح أكثر كثافة، وأكثر فعالية. ولم يناقش ذلك، فما هي الأسباب؟ إنها لا توجد تكلفة جراء ذلك. لذلك فإنه لا توجد هناك أيادي مشدودة للخلف بلية حال. وحدث نفس الشيء بالنسبة «لبرامج التهينة»، وبرامج الإرهاب التي نفذتها الولايات المتحدة في فيتنام الجنوبية. فلا توجد هناك تكلفة، لذلك فليس هناك قيود أو ضوابط.

وفي الجزء الجنوبي من فيتنام الشمالية، وتحت المتوازي العشرين، فنفس الشيء كان صحيحاً. فهناك مكاناً يمكن أن يتحول إلى سطح القمر. وليس هناك مشكلة. وذلك ما حدث تماماً. وعندما تتحرك إلى الشمال أكثر في شمال فيتنام، فعندئذ ترتفع التكاليف السياسية والمؤثر الرادع أكثر. ولسبب سياسي، فهناك تكلفة سياسية لقصف عاصمة الفيتناميين الشماليين. مع أنها بلد معترف به من قبل الدول الأخرى والتي لم تكن مسرورة جداً بشأن قصف سفاراتها، إلخ. لذلك فإنه كانت هناك بعض المعارضات من قبل حلفائها الأوروبيين. وبالنسبة للآخرين، فكلما اقتربت من حدود الصين، فإنه لم يكن من الواضح تماماً كيف ستكون ردة فعل الصينيين. وهو أمر منسي هنا، إلا أن الصين عرفت ذلك، إذ أننا كنا نقصف ولعدة سنوات خط سكة حديد صيني داخلي، وهو الخط الرئيس الذي يربط ما بين جنوب غرب وجنوب شرق الصين، ويمر مباشرة عبر فيتنام الشمالية. وقد بنى الفرنسيون هذه الخطوط الحديدية خلال فترة استعمارهم للبلاد. وهذا يشبه كما لو أن قوة أجنبية قصفت خط سكة حديد رئيسي بين شيكاغو ونيويورك يكون ماراً عبر كندا، ويقصف الجزء الكندي منه. فلن نكون مسرورين جداً من جراء ذلك. وكان هناك أيضاً تساؤل كيف ستكون ردة فعل الروس عندما كنا نقصف السفن الروسية في ميناء هايفونغ. فقد كان هناك في الحقيقة عنصر رادع من الروس

والصينيين، الذين عجلوا قوات جرارة. وتذكر ان الولايات المتحدة تعتبر قوة عالمية. ونحن تدخلنا في مناطق حيث لا يوجد لنا فيها قوات تقليدية ساحقة. لذلك فانه كان أمراً خطيراً. فالروس كان بإمكانهم ان يفعلوا شيئاً ما في مكان ما من العالم. وهناك أيضاً التكلفة السياسية في أوروبا.

وكان التركيز الشعبي، بما فيها حركة السلام ضد قصف فيتنام الشمالية، وليس فيتنام الجنوبية. فذلك الجزء الضعيف والشخصية للبدائية لحركة السلام في تلك الوقت كانت بسبب تأثير وسائل الدعاية والاعلان. ويمكنك ان ترى ذلك من خلال التكتيكات. لذلك فهناك بعض الشيء من فكرة انهم قد حاربوا وأيديهم مشدودة الى خلفهم، ولكن في شمال فيتنام، وليس في الجنوب. ولكن ما هو المثير للدهشة بشكل خاص هو انه يجب عليك ان ترفع تلك الشعار.

ويمكنك ان تقول الشيء ذاته عن الروس في أفغانستان. فهم بالتأكيد قد حاربوا وأيديهم مشدودة الى خلفهم. فاذا ما حاولوا استخدام السلاح النووي، فانه ستكون هناك ردة فعل أميركية قوية، لذلك فقد كانوا مقيدين في استخدامهم للقوة. ولكن اذا ما سمعنا الجنرالات الروس يشيرون الى ذلك: فانا كنا سنحارب وأيدينا الى خلفنا في أفغانستان، لأنه كان يوجد هناك خطراً على النوام من ان الأميركيين يمكنهم ان يقوموا بشيء ما في أي مكان آخر، وسنكون غاضبين، وبشكل مباشر. وما هو مثير للاهتمام حول الولايات المتحدة هو هذه الفكرة الفاضحة من اننا كنا مقيدين في استخدام للعنف أو القوة في قطاع واحد أو قطاع محصور، وهو الجزء الشمالي من فيتنام، وذلك بسبب الرادع الروسي والكلفة السياسية، ذلك انه كان هناك شيئاً ما خطأ في ذلك. انها مقدمة رئيسية قد قبلت وهي تقول: انتبهوا، فان للولايات المتحدة الحق لاستخدام المزيد من القوة وكما ترغب وتريد وفي أي مكان من العالم. فبعض الناس مثل جورج بوش، يقولون، نحن لا يمكننا القيام بذلك، فذلك أمر سيء. اما الاناس في الجهة الأخرى، وهم الليبراليون أو الأحرار، فانهم يقولون، ماذا تعنون بذلك؟ فنحن فعلنا ذلك، وقد استخدمنا الكثير من العنف بقدر ما امكنا، لذلك فلا توجد هناك مشكلة. وتلك هي المسألة. والمسألة المطروحة للافتراض اننا دولة أرباب وعنف، وبوالة عدائية، لا نعبد بالقوانين، ونفعل ما يحول لنا، واذا ما قيدنا أي شيء ما فذلك هي مشكلة بحد ذاتها. انها مسألة مروعة.

■ سؤال : هناك وجهة نظر تقول بأن وسائل الاعلام قد خسرت في حرب فيتنام. وأنا اعرف بانك قد بحثت تلك باهتمام كبير. وايضاً فان حركة السلام في هذه البلاد قد اساعت معاملة اوضاع فيتنام، وانلتها واحترتها، الخ . فما هو تعليقك ؟

جواب : تلك هي قصص مشوقة. فما دامت وسائل الاعلام المعنية بالامر، فقد كانت هناك برامسات مكثفة لوسائل الاعلام في الحرب. وقد فعلت انا ذلك، وفعله أناس آخرون. وأعتقد بأن النتائج كانت حاسمة تماماً. وهي ان وسائل الاعلام كانت مثلة تماماً. وكنت منهشاً تماماً لأن ارى مقالاً في صحيفة «الامة» وهي تقارن تغطية هذه الحرب (حرب الخليج) مع حرب فيتنام، ويتضمن المقال انه خلال حرب فيتنام كانت توجد هناك تغطية صحفية شجاعة، صائقة وكاشفة. فقد كان هناك صحفيون شرفاء في ساحة الحرب. فكان بإمكانك ان تجد صحفيين متواجدين هنا وهناك على ساحات المعارك يقومون بتغطية اخبار القتال. بيد ان قطاع كبير من وسائل الاعلام كانت بعيدة جداً عن تلك الاحداث. وذلك من إحدى الاسباب التي لم يفهم معها سبب الهجوم الأميركي على جنوب فيتنام ودعم تغطيته في الصحافة الأميركية، لأن الصحافة أو وسائل الاعلام لم تشر الى تلك الاحداث بطريقة يمكنك من فهم تلك الحقيقة الأولية.

فإذا لم يعرف أي واحد في روسيا بأن الاتحاد السوفياتي قد هاجم أفغانستان، اذا ما افترض كل واحد من ان الروس كانوا يدافعون عن أفغانستان، حيث انهم لم يكن بإمكانهم كسب الحرب لأن ايديهم كانت مشدودة لخلفهم، ونحن لن نزعج انفسنا باجراء أي تحقيق حول موقف وسائل الاعلام الروسية من الحرب الأفغانية. ونفس الامر ينطبق هنا. فإذا ما عملت تحليلاً أوثق للوضع فإنك ستجد الشيء ذاته: فوسائل الاعلام، بما فيها شبكات التلفزيون، قد ساهمت بالعنف والتطرف. وقد جعلت الجمهور أكثر تطرفاً. واستمر الأمر كذلك لغاية ما تحولت القطاعات الأميركية الرئيسية، ومنها القطاعات المشتركة، ضد الحرب، وعند ذلك بدأت وسائل الاعلام بالقيام بالانتقادات الجبانة. وهو ما دعي بعملية الكشف عن الحقائق، وهو شيء قام به كل من بيفيد هالبرستام ونيل شيهان في أوائل الستينات.

وكان يعتبر عملاً جيداً وأفضل. فهي طريقة للعمل بصورة أفضل. فذلك لم يكن نقداً بمعنى الكلمة. إلا انه كانت هناك استثناءات، مثل الصحفي ريتشارد دومان من

صحيفة «لوريس بوست ديسباتش»، والصحفي راي كولي من صحيفة «شيكاغو تريبيون»، وغيرهم، بيد أنهم كانوا مبعثرين ومتفرقين. فمعظم وسائل الاعلام كانت مؤيدة وموالية الى حد كبير لسياسة الحكومة.

وبالطبع، فمن وجهة نظر الحكومة، أو من وجهة نظر المدافعين عن الحرب، فإن وسائل الاعلام لم تكن تابعة أو موالية تماماً. ولكن تفكر، فإن ذلك ينطبق على الدول الديكتاتورية. فخذ مثلاً كل من روسيا وأفغانستان. ففي كتاب ألفته أنا وإد هيرمان حول هذا الموضوع فقد اقتبسنا بعض التعليقات عن الجنرالات الروس وكبار المسؤولين في الحزب الشيوعي بخصوص الطريقة التي اتبعتها وسائل الاعلام في تغطية الحرب الأفغانية. فانتقدوا بشدة وسائل الاعلام الروسية لتلقيها قصصاً حول معاناة الطيارين والجنود الروس والأعمال الوحشية التي مورست. وكان ذلك مشابهاً جداً للشجب الذي ظهر في الصحافة الأميركية. فدعني اقول لك بأن النقد الذي مورس في الصحافة الأميركية بسبب خسارة الحرب كان يحتوي على نكهة أو طعم ديكتاتوري وشبه فاشستي. وإذا لم يحبذ الناس مثل هذا التعبير، فإنني اسف لذلك، بيد أنه تعبير صحيح. فنلك هو كيف وصفنا الحالة أو الوضع الروسي، ولنكون صابقين فنلك هو ما نحتاجه لوصفه في حاجتنا.

وبالنسبة لربة فعل الجنود خلال حرب فيتنام، فنلك أيضاً هو امر مثير للدهشة. فحركة السلام لم تكن منظمة كاملة العضوية. ولا يمكنني القول بأن «أعضاء حركة السلام» قد فعلوا هذا وذاك. مع أنه ربما يكون هذا الشخص أو ذاك قد أهان أو بصق على جندي ما. إلا أن نلك يعتبر عاملاً غير مميزاً وتصرفات هامشية. فحركة السلام كانت هيئة داعمة للجنود. إنها الحركة التي أنشأت المنتديات والجماعات المؤيدة والداعمة. ولا تنسى بأن الجنود لم يكونوا أصوات سلبية. فقد كان يوجد في الجيش معارضة داخلية للحرب، وكانت معارضة قوية. إذ أن المحاربين القدامى كانوا ضد الحرب، ومع اجراء محاكمات لجرائم الحرب، فلذلك لم يكونوا أعضاء في حركة السلام.

وكانت الولايات المتحدة قد ارتكبت خطأ تكتيكياً في حرب فيتنام. فقد أرسلت جيشاً متطوعاً أو من المجندين الى هناك. فكل قوة أو سلطة امبريالية تعرف بأنه لا ينبغي إرسال جيوش من المجندين للقتال في حروب استعمارية. فالحروب الاستعمارية

حروب فاسدة وريية ومهلكة يجري فيها قتل المدنيين ونهب الاطفال الأبرياء. ولا مجال ومن للمستحيل تجنب ذلك. لذلك فإن مثل هذه الحرب تحتاج الى قتلة محترفين. فإما ان يكونوا قتلة محترفين او اشخاصاً بعيدين عن مسرح المشاهدة، مثل طياروب - ٥٢. فذلك أمر حسن. إنهم ليسوا بحاجة لرؤية ما يحدث. ولكن اذا ما أدت ان تقاتل في حرب استعمارية على البر أو الأرض، فانك بحاجة الى قتلة محترفين كممثل الفيلق الأجنبي الفرنسي أو قوات الفوركاس (قوات هندية)، الخ. ولكن ليس جيش من المجندين. فالمجننون هم جزء من الحضارة المدنية، وبشكل خاص هم جزء من الثقافة والحضارة الشبابية. فهم قد أتوا من نفس الخلفية كونهم من المحتجين المحليين أو من المعارضين. فحركة السلام، الآن، قد تطورت ونمت داخل الجيش.

وفي الواقع، فمع أواخر الستينات، فإن ضباط الجيش كانوا يدعون لانسحاب الجيش من فيتنام لأنهم كانوا خائفين من انهيار الوضع العسكري. وكانت المنتديات والجماعات السلمية تشكل عنصراً داعماً لتلك العناصر داخل الجيش. فمعظمهم كانوا ينشئون ويهيئون أماكن للتجأ إليها الجنود من المراقبات العسكرية البشعة، والتي كانوا يعارضونها أنفسهم. وتفنت محاكم جرائم الحرب من قبل الجنود. واشتركت فيها حركة للسلام، وانضمت أنا إليها أيضاً. وحشت هجومات على العسكريين، ولكن من جانب الجناح اليميني والاتجاه السائد. فجناح اليمين قد شجب العسكريين أو أنه احتقرهم لأنهم لم يكسبوا الحرب. ولأنهم لم يكسبوا نوع الحرب التي أرادوها. وكان من المفترض بهم أن يعيدوا عربة الأبطال، إلا أنهم لم يفعلوا ذلك، لذلك فإما أنهم قد تجرأوا أو شجبوا من قبل اليمين. وما دام الاتجاه العام هو المعني، فإنهم قد عوملوا بشكل جائر جداً. فالصحافة، والكونغرس، الخ، قد عاملهم بشكل سيء، وإنما ليست حركة أو اتجاه السلام هو الذي عاملهم بتلك الطريقة. فذلك كان الاتجاه العام أو وسائل الاعلام.

ولنأخذ الأعمال الوحشية التي ورت. فماذا كان تأثيرها على تفكير وعقل كل واحد؟ إنه أمر متفاوت. فموقف حركة السلام العام من الحرب لا يتعلق بالجنود الذين يطلقون النار في كافة الاتجاهات، ولا يعرفون فيما إذا كانوا سيعيشون بعد لحظات أم لا. فما كانوا يفعلونه كان أمراً رهيباً، بيد أنهم لم يكونوا هم المجرمون الحقيقيين. فكما أشرت لذلك في مقابلات أخرى، فإن المجرمين الحقيقيين هم أولئك الأشخاص الذين كانوا يجلسون في مكاتبهم المكيفة يخططون لغارات طائرات ب - ٥٢ على القرى

الفيتنامية، أو الذين كانوا يجلسون في واشنطن ويضعون استراتيجية قتل ونجح الشعب في جنوب فيتنام. غير أن وسائل الاعلام ومعها المؤسسة الليبرالية برمتها اتخذت خطأ مغايراً. فقد لاحقت الجانب الضعيف، الذي لا حول ولا قوة له، وهم فئة الجنود. فلا يمكنك مع ذلك أن تغفر لما فعلوه، إنه كان أمراً فظيماً. إلا أنه يمكنك أن تتفهم ذلك. أما الذي لا يمكنك أن تتفهمه فهو موقف الجنرالات، والقادة، والمسؤولين المدنيين الكبار، فنلك هو الجزء الذي لا يمكن أن يغفر له تماماً.

وبالطبع، فإنها كانت حركة السلام فقط هي التي أثارت هذا الأمر، لأن المخططين كانوا هم أولئك الأشخاص الذين لا بد من حمايتهم. إنهم رجال السلطة. فيمكنتك أن تلاحق أولئك الشبه متعلمين (الجنود) على الأرض. وهذا ما جعل جناح اليمين ووسائل الاعلام يصبون نقدهم عليهم. فلو كانت هناك حركة سلام قوية ومنظمة، فإنها لم تكن لتدفع وتضغط في تلك الاتجاه. فإنها كانت ستقول، دعونا نعود إلى حيث يصنع القرار وتعمل الخيارات.

■ سؤال : دعنا نتحدث عن شيء ما. عندما كنت في الرابعة من عمرك كنت تمشي مع والديك في أحد الأيام في فيلادلفيا وصادفت اثناء مرورك إضراب لعمال النسيج، فما هو الانطباع الذي ولده لديك ذلك المشهد ؟

جواب : كنا نسير بسيارة ترولي، على ما أنكر. ولا يمكنني القول فيما إذا كان عمري كان اربعة سنوات أو ستة. وكان ذلك أحد الإضرابات التي كانت تحدث في منتصف الثلاثينات، والتي كانت تتسم بالعنف. وأتذكر بأن ذلك الاضراب بشكل خاص، ولم أكن أفهم ماذا كان يحدث بالضبط وقد سألت والفتي ماذا كان يجري. كان معظمهم من النساء، وكن يضرين بعنف من قبل رجال الشرطة. وأمكنتني أن أشاهد ذلك تماماً. وبعضهن قد مزقت ملابسهن. ولم أكن أفهم ذلك. وقد شكل ذلك انطباعاً تاماً لي.

ولا يمكنني الانحاء بلتني قد فهمت ما كان يجري، بيد أنني قد حصلت على فكرة عامة. وما لم أفهمه فقد فسر وشرح لي. وايضاً، فإن التفسير لم يكن بعيداً جداً عن فهمي العام للمسألة. وكان لدى عائلتي عدد وافر من العمال والنشطاء النقابيين والنشطاء السياسيين وهم جراً. لذلك فإنني كنت أعرف ما هو خط الإضراب وماذا كان

يعني بالنسبة لقوى اصحاب العمل التي كانت تلقي الى الاندية المتارجحة لتقوم بتعطيلها.

■ سؤال : لقد لاحظت انه خلال فترة الركود من ان اجتياز خط الاضراب كان امراً او عملاً غريباً. وكمن يسرق طعاماً من شخص فقير. فهل تغيرت الامور منذ ذلك الحين ؟

جواب : ليس ذلك فقط خلال فترة الكساد، ولكن ولعدة سنوات بعد ذلك. فالناس قد تفهم ذلك. لقد تغير الامر.

■ سؤال : لماذا تغير ؟

جواب : كان هناك مثلاً جيداً حول ذلك بالأمس. فقد ذهبنا الى تلك المدرسة الثانوية للطبقة العاملة (تيفرتون). وتحدثت الى الطلاب وبعض المدرسين فيها. وهؤلاء المدرسون جاؤا من نفس الطبقة العاملة مثل طلابهم، ولكن من جيل اكبر. واحدى المدرسات التي تحدثت اليها كانت تصف الفرق بين فهمها للعالم وبين ذلك الفهم للطلبة. ومع انهم يتمتعون لنفس الطبقة العاملة، فانها، أي المعلمة، قد نشأت في جيل ما زال يعود في ثقافته الى تقدير تضامن الطبقة العاملة والحاجة للفقراء والحاجة للعمل سوياً وانشاء النقابات. في حين ان نفس أبناء الطبقة العاملة اليوم لا يفهمون ذلك تماماً. فتلك هي الخبرة أو التجربة التي امتلكها وامتلكتها من قبل. فلنا من جيل أقدم من جيل تلك المعلمة، بيد انه في طفولتي ومرحلة مراهقتي أصبح امراً مسلماً به. فالفقراء والمعانين يمكنهم ان يدافعوا عن انفسهم فحسب ضد السلطة وان يتشاركوا سوياً في العمل، وان العمل سوياً يعني اموراً أخرى مثل القيام بالاضرابات، وهلم جرا. فتلك كانت الطريقة.

واليوم فالامر مختلف جداً. فإني اذكر قبل عامين مضياً، وخلال الاضراب الشرقي، عندما كان فرانك لورنيزو يحاول ان يحطم النقابة، وعند نقطة معينة فقد خفض من اجور السفر الى نيويورك. انخفضت بشكل كبير. وتفق الناس الى الشرق، بما فيهم العناصر الرأسمالية. وأذكر أنني تحدثت لنشطاء الطلبة حول ذلك وقلت بلقني لا افهم هذا. فالطياريون والمضيفون لم يكونوا عبارة عن عمال في مزرعة مكسيكية، وانما هم ما زالوا من طبقتنا العاملة وان نقابة الميكانيكيين كانت تقف وراء ذلك. فكيف يمكنكم يا اولاد ان تجتازوا خطوط اضراب نقابة الميكانيكيين؟ وكانت ردة الفعل باننا كنا الى

جانب الطبقة العاملة كافة، والتي لا أرى أي سبب ما إذا يجب ان ندح هنا وهناك من قبل رؤساء النقابات المهنية. فإذا ما أردت الذهاب للعمل فهذا شيء جيد، فالنقابات لا يجب ان تكون قاهرة على وقف العمال من الذهاب الى العمل.

وعند هذه النقطة فإنه من الصعب معرفة الجواب. فطيك ان تبدأ من روضة الأطفال وتفسير ما تعني عبارة للطبقة المناضلة والكفاح ضد القمع والعمل سويًا مع الآخرين. إلا ان ذلك قد فقد. وليس ذلك مصادفة. واستغرق ذلك تفكيراً وجهداً كبيرين. وقد بدأ ذلك منذ الثلاثينات، بجهود عامة ورئيسية من جانب وسائل الاعلام التابعة لرجال الأعمال، والعلاقات العامة للمصانع، الخ. وذلك لمحاولة كسر وتحطيم تلك النوع من الوعي والتضامن.

وقد بدأ ذلك أيضاً في حقبة الثلاثينات، ومن المحتمل أنه حدث بنفس الوقت الذي كنت أشاهد فيه تلك الاضراب، ومباشرة بعد قانون واغنر في عام ١٩٣٥. فقانون واغنر كان أول قانون عمل وايضاً آخر لتتصار تشريعي حقيقي. فقد منح مجال للعمل للحق في التنظيم والحمليات المختلفة. كما انه أفرج رجال الأعمال اصبيين. فالشيء الأول، انه كان ممارسة للديمقراطية، التي تفرع طبقة النخبة يوماً، والتي لا تريد للديمقراطية. ثانياً، انه أتاح للطبقة العاملة من تنظيم اتحادات جانب، وهذا أمر مفرغ بعد ذلك.

وكانت ردة الفعل فورية. فخلال سنة فقد طورت الادارة الأميركية ما أطلق عليه اسم النامج العلمية لكسر أو إبطال الاضرابات. وكانت الفكرة الرئيسية هي محاولة تعبئة معارضة جماهيرية ضد المضربين، وذلك برفع الشعارات الوطنية، مثل الامركة والاتحاد. وقد تمت محاولة القيام بذلك، كما اعتقد ، ضد اضراب مصانع جونستون للفولاذ، وضد مصانع دبليو، في بنسلفانيا، حيث خسرت القوى العاملة الجولة، وكان ذلك في عام ١٩٣٦، وكانت الفكرة هي غمر المجتمع بالدعاية والاعلام. وكانت النغمة الرئيسية لوسائل الدعاية والاعلام هي «إننا نحن ضدهم». فنحن منظمين مشتركين، والطبقة العاملة الرزينة التي أرادت ان تقوم بأعمالها هي، رية للنزله رجال الدين، اصحاب المحال والبقالات، فذلك كله هو نحن جميعاً. وصحيح ان هناك فئة تلعب الفولف وفئة أخرى تشرب البيرة في البارحة، إلا أنهم وبشكل رئيس هم نحن جميعاً سويًا. وهناك اختلافات ثقافية. لذلك فهناك نحن نقف في جهة، وفي الجهة الأخرى هنالك الفئات والعناصر الممزقة التي تحاول تحطيم التناغم الموجود، وهي الامركة.

والصداقة، وحياتنا الجميلة، لذلك ينبغي علينا تعبئة أنفسنا للدفاع عن أنفسنا ضد هذه العناصر الممزقة. واستنفار كل من الصحافة، والأذاعات، والكنائس. لذلك فقد أثبتت فعاليتها وجدواها. وأطلق على ذلك فيما بعد صيغة رادي موهارك. وأضيف إلى ذلك فيما بعد عنصر جديد، مثل العلاقات الانسانية. إذ انه يطلع بالعمال لاحترام وتقدير حقيقة انهم يقفون في الجانب الذي تقف فيه الادارة او الحكومة الاميركية، فنحن كلنا نقف معاً سوياً، ونحن جميعاً أصقاء. فالأمور مثل الهجوم على الامركة، التي لها جذور مبكرة فعلياً. قد احييت بطريقة دراماتيكية تماماً.

ولا اعتقد بأن هنالك أي بلد آخر في العالم لديه مفهوم مشابه لفكرة الامركة. فأناس مثل الفرنسيون والإسبان، من المحتمل ان يضحكوا اذا ما فهموا حتى ماذا نعني في تلك البلاد. وفعلياً فإنه لا يعني أي شيء، وإنما كانت تلك هي النقطة الدقيقة. تماماً مثل الانسجام الذي لا يعني أي شيء.

■ سؤال : هل هذا مثل شعار «ادعموا قواقتنا» ؟

جواب : نعم انه مثل ذلك، فإنه لا يعني أي شيء. إنها شعارات فارغة بحسب. فهي الحقيقة، فإن شعار ادعموا قواقتنا هي ردة فعل انعكاسية معاصرة، وهي بالضبط نفس الشيء. كان نقول نحن جميعاً سوياً في هذا. فلا تطرح اسئلة: هل تدعم خطتنا، وسياستنا؟ فذلك هو ما تريد ان تردع الناس عن التفكير به. لذلك عليك ان تجعلهم يصرخون بشعار «ساندوا قواقتنا» ومن ثم فإن حركة السلام ستناقش ذلك، هل سندعم قواقتنا، أو لا ندعمها؟ فهل يعني ذلك أي شيء ؟

إن إدارات العلاقات العامة للصناعات قد خصصت جهداً ومالاً كبيرين لهذا الغرض. وهو يختلف عن مجال الأعمال. مع انه ايضاً يعتبر مجالاً أكاديمياً، وفكرياً، الخ. فهناك التزامات أساسية لمحاولة تقويض الفكر المستقل، ولتخطيم أي تقبل وانهم للتضامن، والمصالح والاهتمامات التي توحد الشعب في انجاز اهدافها. إنهم يريدون أن يدمروا كل ذلك والوصول إلى شرنة وبعثرة المجتمع بحيث لا أحد يفكر بشيء ما عدا مصلحته الشخصية، وربما تكون هناك بعض أعمال الاحسان، وبعض المواضع الخيرية، ولكن بالتأكيد لا شيء يشبه الكلاح أو النضال من أجل هدف مشترك. لهذا الأمر كان فعالاً جداً. وأحياناً نرى ذلك يظهر وبشكل مثير تماماً من خلال عمليات

الاستطلاع. ففي إحدى الاستطلاعات التي أجريت، سئل المستطلعون، ما هو أهم شيء في حياتك ؟ فجاءت النتيجة كالآتي: الخيار الأعلى، وحصل على نسبة أكثر من أربعين بالمائة من المستطلعين، كان التقرب من الله، والخيار الثاني، وقد حصل على نسبة خمسة وعشرين بالمائة، كان يتعلق بالصحة الشخصية. الخيار الثالث كان المعاناة الزوجية. واعتقد بأن العمل المرضي قد حصل على ما نسبته خمسة بالمائة. وحصل الاحترام أو الاعتبار في المجتمع على حوالي اثنين بالمائة. فتلك كانت نتيجة عملية الاستطلاع. واعتقد بأن ذلك سيكون صعباً جداً لمضاعفته في أي مجتمع صناعي حديث، فأي شيء بعيد مثل ذلك. وعندما تفكر ماذا يعني ذلك، فاعتقد بأنه لن يكون غامضاً. وفكرة أنه عمل مفيد ما هو إلا خيار. ففكرة احترام المجتمع لا تعني أي شيء. لأنه لا توجد هناك أية مجتمعات. فإنك ستكون وحيداً. ستكون وحيداً، وإنك ستجني منافع جراء ذلك، وستكون عاملاً سلبياً، وتتبع الأوامر، ولن يكون هناك مجتمعاً، ولن يكون هناك عملاً مرضياً، وبالتأكيد فلا يوجد هناك مثل هذا الأمر كأي إشراف على عملك، فحتى أنهم لن يعرفوا ماذا سيعني ذلك فانت تتبع الأوامر، وانت عامل سلبي. فحياتك كما هي موجهة، ربما يكون اكتساب فردي أو شخصي للمنافع والفوائد. فذلك تعليق ضعيف ومعلول على مجتمع وخصوصاً مجتمعاً غنياً وموسوراً وثرياً مثل هذا المجتمع.

■ سؤال : لقد قلت لي أنه بنهاية السنة الدراسية، فإنك تصبح مكتئباً ومتشائماً وموهناً. فماذا ستفعل من أجل تجديد نشاطك وإزالة لارهاق وتوتر العام الدراسي مع كل ما شمله من أحاديث ومن مهنة التعليم ؟

جواب : إنني متأكد تماماً من أن كل نشيط يتعرض لهذا. فالسنة الدراسية لها إيقاع خاص. فتلك هي الطريقة التي تسير فيها الحياة. والسنة الدراسية تبدأ اعتباراً من شهر أيلول وحتى شهر حزيران من كل عام، ويتخللها وقت كبير من النشاط هو في الخريف والربيع. وعندما تبدأ السنة الدراسية، فإنه لن يكون لديك وقتاً للبحث والتفكير عما كنت تفعله في العام الماضي، إذ أنه لا يوجد لدي وقت للتفكير بذلك للحظة. وعندما تسأل نفسك، متى ستفكر، ففي الأشهر العشرة الأخيرة كنت أقتل نفسي حقيقة، أتصابق مع كل لحظة، وكانت هناك لحظات كثيرة من المعاناة، ولكن هناك أيضاً أموراً كثيرة غير

سارة، وبالتأكيد تخللتها اوقات من التوتر. واذا ما سألت نفسك حول كل ذلك، وما انجزته، فالجواب قد يكون ظاهراً، وليس تماماً جداً. وربما تكون هناك بعض المنجزات والمكتسبات هنا وهناك، وقد تكون هناك بعض الخسائر الأخرى في مكان ما ايضاً، وغالباً ما تكون خسائر ضخمة، ومن الصعب أن لا تسأل نفسك حول ماذا كل ذلك. فانه من السهل أن تصبح مكتئباً عندما تسأل نفسك حول ماذا كل ذلك. فلنا متأكد بأنني لست وحدي أقوم بذلك.

فكيف تتعامل مع ذلك؟ فالناس لهم طرق خاصة متعددة بهذا الشأن. واحياناً أقوم بأشياء بطريقة خاطئة. وذلك ما أدى بي لأن أدخل المستشفى قبل عامين.

ولكن على المرء أن يفهم بأنه ما دامت الأمور باقية هناك فإنه ستكون هناك انتصارات ضئيلة، والامتناع عن بعض اعمال العنف والشر، وتحسن الأمور بشكل ضئيل هنا وهناك، جاعلاً الأمور اقل سوءاً من مما قد يكون أو أفضل قليلاً مما قد يكون، وقد تجنى من ذلك بعض التوضيحات والفهم، وربما يساعد اناس اخرون بكسب بعضها. فهذا هو بشأن ذلك.

اما الاهداف الاكبر فإنها بعيدة الوصول اليها. بيد ان الانجازات يمكن ان تكون جوهرية تماماً. ولنأخذ مثلاً مجموعة المهام الخاصة التي كنا نشارك فيها قبل مدة وجيزة. انها مجموعة صغيرة من نشطاء مكرسين كانوا يدافعون عن حقوق الانسان في السلفادور ومن أشخاص آخرين يدافعون عن اللاجئين السلفادوريين. وربما عندما يفكرون بذلك، فانه لا يشعرون بعظمة ذلك العمل، أو كمثل انهم لا يغيرون العالم. ولكنهم بالتأكيد قد انقذوا ارواحاً عديدة وساعدوا في خلق مجال يمكن ان يعيش ويعمل فيه اناس اخرون. فنلك ليس انجازاً صغيراً. ويوجد هناك اماكن تمارس فيها اعمال عنف ووحشية ضخمة. اسواما وقعت في اقليم تيمور باندونيسيا. ولكن قد يتعرضون لاساوى كثيرة. والسبب لا يكمن في أنهم كانوا مجموعة صغيرة من الأشخاص، أو فئة قليلة من الشباب، الذين سخروا انفسهم لذلك العمل. وكانوا احياناً يجبرون الصحافة على تغطية اخبارهم. واحياناً أخرى يشيرون بعض الاحتجاج في الكونغرس ويقدمون نوعاً من الردع الفعال يمكن ان يتيح مجاًلاً لبعض الناس من العيش. فتطور هذه الجمعيات في الولايات المتحدة هو امر مهم.

رهان باسكال

جرت هذه المقابلة في شهر تشرين الاول ١٩٩١

■ بيليد بارساميان : كنت غالباً ما تعلق من انه كان تأثير وعمل
تنظيمات التضامن، وجماعات الكنائس، الخ، قد كبحت اعمال ادارة
ريغان في اميركا الوسطى. فلم لم يكن لها تأثيراً فعالاً في حرب
الخليج ؟

نعوم تشومسكي : لسبب انه لم يكن هنالك وقت كافٍ. ففي الحقيقة، فان ادارة
الرئيس بوش كانت لطيفة تماماً لتبلغنا بالضبط ما كان يجري. ومباشرة وفي اللحظة
التي بدأ فيها الهجوم البري، فقد كان هناك تسرب مثير للدهشة تماماً، ومن الادارة
بشكل واضح: ولا أدري لِمَ سرّوا ذلك. بل انهم سرّوا جزءاً من تقريرهم الاستراتيجي
الدولي الذي أنجز من اجل ادارة بوش. فعندما يأتي رئيس جديد للسلطة توجد هناك
تخمينات وتقييمات لدول العالم من قبل وكالة المخابرات المركزية ووكالة الاستخبارات
المسكوية، الخ. فذلك التقرير أنجز في الأسابيع أو الأشهر الأولى لادارة الرئيس بوش.
وسرّيت إحدى أجزائه ونُشرت في صحيفة نيويورك تايمز. وكان يعالج قضايا النزاع مع
دول العالم الثالث المتشابهة جداً بالحرب العراقية. فالذي جاء فيه، انه في وجود اعداء
أكثر ضعفاً، وبالطبع فانهم نفس النوع فقط الذي تحاربه، فانه لا ينبغي علينا أن نهزمهم
فحسب وإنما نهزمهم بحسم وباضطراد، لأن أي شيء آخر سيجعل الأمر مريكاً. وبذلك
فانه لن يكون هناك دعماً سياسياً للتدخل، وإذا ما اقتصحت المجال لأي شيء، يجب
انتباه الناس وإدراكهم، فأنك ستجلب المتاعب لنفسك. وأعتقد بأن هذا ما حدث تماماً في
حرب الخليج. وقبل بدء الحرب بأيام قليلة، لقد كانت استطلاعات الرأي العام ما زالت
تشير الى معارضة الحرب بنسبة اثنين الى واحد. ذلك انه اذا ما سئل الجمهور قبل
نشوب الحرب ببضعة أيام، هل تفضلون انسحاباً متفاوض عليه للقوات العراقية في
مقابل حل للمسائل الاقليمية، المتعلقة بإسرائيل واللسطين، الخ، فان الجمهور سيكون
الى جانب ذلك الحل بنسبة اثنين الى واحد. وذلك الرقم يكون خادعاً جداً لأن ذلك

الاستطلاع بدأ بقوله، ان جورج بوش يعارض اجراء تصوية سلمية للارزمة. فإذا ما اريدت ان تطرح سؤالاً للاستطلاع، فقل فحسب ان الرئيس يعتقد كذا، فما تعتقده انت؟ فإليك مستحصل تلقائياً على عامل كبير كذا. لذلك فان علينا ان نشك بذلك الاستطلاع.

لما الجزء الآخر، وهذا امر مهم جداً، هو ان الجمهور الذي كان يجيب على السؤال يجب ان يفترض، على انه هو الوحيد فقط الذي يحبذ تصوية سلمية للنزاع، لانه لا احد قد اوضح ذلك عملياً. وفي الواقع، فان رفض اجراء اية تصوية سياسية كان شاملاً عملياً سواء في وسائل الاعلام أم في الكونغرس. ومع ذلك فانه كانت هناك نسبة اثنين الى واحد. علاوة على ذلك فمن الغير محتمل ان اي واحد قد قال نعم لاجابة على ذلك السؤال عرفوا انه قبل اسبوع فقط تقدمت العراق باقتراح للانسحاب وقد رفض من قبل كبار المسؤولين الأميركيين في حينه. فلا مبرر لذلك السؤال او الاستطلاع.

وكان هناك اقتراح اخر للانسحاب وبدون شروط مسبقة ما عدا عقد مؤتمر دولي. فتلعل ان الصحافة وقفت صامتة حيال ذلك ولم تقم بعملها. فافترض انهم قد ابلغوا الناس ما كان يجري في العالم وإتاحة الفرصة لمناقشة المسائل الحقيقية. فإنه لن يكون لديك نسبة اثنين الى واحد عنده، وانما سيكون لديك ما نسبته عشرة الى واحد يدعمون اجراء تصوية سلمية مطروحة، والتي رفضتها الولايات المتحدة، خصوصاً اذا ما نوقشت. وبذلك فانه سيتم وقف الحرب.

ومن ثم جاء يوم الخامس عشر من كانون الثاني. وبدأت الحرب التي قتلنا فيها عدداً كبيراً من الناس. في غضون ذلك كنت لا ازال أتذكر الاستعداد والتعبئة العسكرية بسبب العراق. فاعظم واتوى دولة في العالم، كانت تخشى من ان تأتي العراق وتقتلنا جميعاً، الخ. وكان الناس مذعورين حقاً. وامكنتي ان ارى ذلك وانا اتجول في انحاء البلاد. وكنت تصل الى اكثر مكان تخلفاً في البلاد وترى الناس يرتجلون برعب ويبدو عليهم الارهاق، وكانوا يعتقدون بان صدام سيقتي ويقضي عليهم. فقد كان ذلك خوفاً حقيقياً، وكان الناس مذعورين. وكان شوارتسكوف يبلي بلحائث ومقابلات صحفية حول قلة عدد قواتنا ومع ذلك فسنمضي للحرب، وكيف ان العراقيين كان لديهم أسلحة فتاكة وفعالة لم يحطم بها احد من قبل. وبدأ الامر بأنه قد نظم ورتب

بقعة ليوجي بأنه لن تكون هناك حرباً. فقد بدا ذلك أمراً جاداً. فلن تكون هناك حرباً تماماً. إلا أنه في الحقيقة كان أمراً مغلوطاً. ولكن في الوقت الذي بدا فيه الهجوم البري، لم يبق هناك شيء سوى الخراب، بحيث أن القوات كانت تزحف على الخراب، وذلك من جراء القصف الجوي العنيف. وكانت الخسائر الأميركية من جراء القتال تعادل تقريباً التي تكبتهما خلال غزو غرينادا، أو أكثر قليلاً.

وبالطبع، ففي تلك الفترة، وبعد أسبوعين من قصف العدو الذي كان على وشك تعميرنا، فإن ذلك لم يتح له فرصة الاستعداد والتهيؤ أو أي شيء آخر. واعتقد بأن الإدارة (الأميركية) قد فهمت ذلك. فإذا ما أدت أن تخوض حرباً هذه الأيام، فإن عليك أولاً أن تهنيء وتجعل العدو أن يكون أكبر من حجمه بكثير، وأن ترعب وتزعج كل واحد أيضاً من جراء ذلك. وعليك أن تفعل ذلك بسرعة كبيرة. ومن ثم فإن عليك العمل على عدم حدوث قتال فعلي وأن تنهي ذلك بشكل سريع جداً. فذلك ضرب ضيق من الحرب، ولا اعتقد بأنه كان لديهم أية خيارات أخرى.

وبالعوبة لسؤالك، فتحت مثل تلك الظروف، وينجهاز دعاية وإعلامية منسجمة ومتفقة، فإنه لم يكن هناك أية امكانية لتطوير أية معارضة جادة وسريعة للحرب. فالحركات التضامنية قد طورت على مدى سنوات من النشاط والتوزيع للمعلومات وإنشاء اتصالات منفصلة، وعلى الناس أن يذهبوا أسفل إلى أميركا الوسطى ليشاهدوا ذلك بأنفسهم. فلا يمكنك أن تفعل ذلك في يوم وليلة.

■ سؤال : ولكن يوجد هناك شيء ما آخر فيما يتعلق بمقارنة أميركا الوسطى بالشرق الأوسط. إذ أن هناك تناقضاً كبيراً ونزاعاً عندما يتعلق الأمر بالشرق الأوسط وقد تحدثت مع نشطاء للذين قالوا بأنهم كانوا يشعرون بمزيد من القرب مع أميركا الوسطى. فهناك اللغة المتشابهة والدين أيضاً وأنواع المسائل والقضايا المشتركة، وأنهم لا يشعرون بذلك فيما يتعلق بالشرق الأوسط. فما هو تعليقك؟

جواب : هناك شيء ما حول ذلك. وهناك أيضاً خلفية معادية وعرقية متطرفة ضد العرب. ولكن لاحظ بأن الإدارة كانت قادرة على القيام بالشيء ذاته مع بنما، وبنفس الطريقة أيضاً. وقبل بضعة أشهر فقط مع ذلك، فإن نوريفغا قد صور بأنه كان أكبر من

حجمه بكثير. وراجع تعليق تيد كويل وآخرين غيره، الذي يقول فيه بأن نوريفا كان واحداً من أسوأ الشخصيات في التاريخ، وقد شكل لنا خطراً عظيماً، الخ. وكان ذلك في سياق حرب المخدرات الزائفة تلك، والتي أزهت البلاد حقيقة. وكان بإمكانك ان ترى من خلال الاستطلاعات وغيرها من الأدلة الكثيرة. فذلك المهرب للمخدرات الاسباني الأصل والذي جاء ليدمر حياتنا، كان يشكل خطراً عظيماً علينا. فذلك حدث بنفس الطريقة، وبسرعة كبيرة، وبهجوم مدمر ونحن قتال حقيقي. ومن ثم نسينا ذلك.

وما قلته أيضاً هو صحيح تماماً، فالعنصرية المعادية للعرب والمسلمين هي أكثر تطرفاً بكثير من معاداة الهاسبانيك أو الجنس الاسباني، ومن الممكن استخدام هذه العنصرية أيضاً. فنوريفا قد حول الى شيطان وبشخصية عنصرية كاريكاتورية تامة. وقد تقبلت أجهزة الإعلام ذلك تماماً. وكان بعضها مرعياً. فعلى سبيل المثال، فإن شبكة سي. إن. إن. هيات استوديوهاتها عند حدوث ذلك الهجوم الصبباني على سفارة الفاتيكان، والذي اثني عليه واستحسن هنا، وقامت المحطات التلفزيونية بتصوير كافة المشاهد من الفناق القريبة العالية وذلك حتى يمكن للجميع مشاهدة ذلك المشهد الليلي واعتقد بأن شبكة السي. إن. إن. هي التي قامت بتعليق الشعار الذي يحتوي على حبة أو ثمرة الأناناس على شبابيك ونوافذ السفارة. ونوع آخر من أسلوب الكاريكاتور أو المغالاة بالنسبة للأعداء، هو نفس النوع الذي يمكن ان تتوقعه في ألمانيا النازية سابقاً. بل إن ذلك أمر مسلم به. كما أنه قد وصف أيضاً على أنه أسلوب مضحك نظيف. فإذا ما أردت أن تضع موسيقى الروك الصاخبة في سفارة الفاتيكان، فذلك أسلوب مضحك ومسلّي نظيف أيضاً.

■ سؤال : لقد وضعت انت وإد هيرمان نموذج واسلوب الدعاية

والإعلام، وفيما يتعلق بما كنت قد ناقشته للتو، فهل هناك أي بعد عن

ذلك الشكل ؟

جواب : انه كان أمراً مروعاً، كمثل الكتب المدرسية. فقبل شهر اب ١٩٩٠ كانت وسائل الاعلام لطيفة جداً مع صدام حسين. وخلال الفترة التي كانت فيها الحكومة الأميركية تدعم صدام حسين بقوة، وكانت ادارة الرئيس بوش يمنع أي نقد من قبل الكونغرس للرئيس العراقي، وكان يرسل له مساعدات تكنولوجية عالية، كثير منها للأغراض العسكرية، وكانت تغطية الصحافة ضئيلة جداً بهذا الصدد. وقد كشف النقاب عن

معظم ذلك بعد شهر أب. أما قبل ذلك للتاريخ فانه لم يتعرض لذلك أبداً. وكان هناك مراسل تلفزيوني، هو تشارلز غلاس، يحاول واحدة سنوات حث شبكة اي. بي. سي. لن تقوم بنشر تفاصيل للواد الإخبارية التي قام بجمعها والحصول عليها ووسائل غير مباشرة فيما يتعلق بالانشآت البيوأوجية العسكرية والمساعدة الأميركية للعراق بهذا الصدد، إلخ. وكان من حين لآخر يستطيع أن يحصل على أمر معين من هناك ويحاول نشره، إلا أنه غالباً ما كان يصطدم بمعارضة الكونغرس ولا يثير اهتمام سوى بضعة أشخاص. فقد كان ذلك نموذجاً متبعاً منذ سنوات عديدة. وهكذا فقد كانت تلك المرحلة الأولى. فعندما كانت الحكومة الأميركية تدعم صدام حسين فقد كانت وسائل الاعلام هامة تماماً.

ومن ثم جاءت المرحلة الثانية، وهي من شهر أب ١٩٩٠ إلى شهر كانون الثاني ١٩٩١. فقد كان علينا أن نهبط، ونعد للحرب بشكل محموم. وعند تلك النقطة، فإن المهمة تحولات لكبت الحقيقة من أنه لا يوجد أي مبرر للذهاب للحرب. فعلياً إن نذهب للحرب، لذلك فإن علينا تقديم مبرر لذلك. إنها مسألة خطيرة. فالسؤال كان، هل نسعى وراء الوسائل السلمية؟

فذلك كان السؤال نوعاً. هل تحاول كبت العدوان وغيره من الجرائم بالوسائل السلمية أم ستمضي للحرب؟ وكانت الحجة الوحيدة المقدمة من قبل الإدارة الأميركية لهذه المسألة هي، نحن نؤمن بالمباديء، والمباديء لا يمكن أن تجد لها حلاً وسطاً، كما لا يمكنك التفاوض مع معتدي.

وايس للمباديء، أي شيء، بهذا الشأن. فجورج بوش كان له تاريخ طويل سواء بتنفيذ أو القيام بدعم العدوان. فإني من السنوات العشر التي قضتها في الحكم قد سجلت بكل موافقه، بيد أن وسائل الاعلام لم تصخر من ذلك أبداً. ففي كل مرة كان بوش يبلي فيها بذلك للتصريح - وهو أنه لن تكون هناك مفاوضات لذلك فلا يمكننا إجراء حل وسط - كان ذلك يقابل باستحسان كبير وواسع عبر وهم المبدأ الأميركي للنهل والضخم. وكان يقول بأنه لن تكون هناك مفاوضات، وبعد ذلك يكون لديك عشرات اللقالات والافتتاحيات الصحفية تقول، بأنه قد ذهب إلى آخر حد من أجل السلام وأنه سعى وراء وسائل سياسية لأبعد الحدود، إلخ. وكان هناك كتباً تماماً تقريباً لحقيقة من أنه لا يوجد مبرر أبداً قد طرح من أجل الذهاب للحرب، ولا سبب أو مبرر

يمكن ان يستهزا به حتى من قبل مراقب متعلم.

ثانياً، ان خيارات التسوية السلمية قد كبتت كما فكرنا وناقشنا ذلك في مقابلات صحفية اخرى. ونابراً ما كانت تذكر في الصحف. ومن المشكوك فيه انه لم يسمع بذلك سوى واحد بالمئة من الشعب. وجاءت معلومات اخرى حول ذلك فيما بعد مما جعل الامر اكثر سوءاً. وهكذا فان مهمة وسائل الاعلام كانت في ذلك الوقت منع امكانية التحقق والابراك من انه كان يوجد هناك بديلاً للحرب.

وكانت هناك مسألة قد نوقشت، لزنها قد نوقشت في الكونغرس فحسب، وهي: هل ندع العقوبات الاقتصادية تجري لفترة اطول؟ فقد نوقشت هذه المسألة بيد انه كانت هناك مسألة فنية وهي: هل العقوبات تعمل بشكل مطلق؟ والحقيقة ان للعقوبات كانت مجدية، فكلما علمنا، انه بمنتصف شهر اب بدأت العروض العراقية بالانسحاب تتوالى. إلا ان الصحافة ووسائل الاعلام طورت الامر على ان الحرب قد تحدث. وفكرت نتائج الاستطلاعات تلك. وهي انه اذا لم تقم وسائل اعلامنا بوظيفتها بشكل ناجح جداً، فانه لن يكون هناك دعماً لقيام تسوية سلمية. وقد ساندت الجماهير ذلك حتى بدون ان تدع وسائل الاعلام اي واحد ان يعرف بذلك.

ثم جاء شهر كانون الثاني ١٩٩١ وحتى نهاية شهر شباط، وهي تشكل الستة اسابيع على ما اطلقنا عليه اسم الحرب، وهي منبجة بالفعل. فخلال تلك الفترة، بالطبع، فان وسائل الاعلام كانت تهال في البلاد. إذ انك لم تتوقع اي شيء في ذلك الوقت، وانك لن تحصل على اي شيء بالتالي. وجاءت بعد ذلك فترة أكثر إثارة، وهي فترة ما بعد وقف إطلاق النار. وكانت استراتيجية وتكتيكات الولايات المتحدة تقضي بمهاجمة البنية التحتية المدنية. وذلك مما منحها الهيمنة على السكان في العراق في فترة ما بعد الحرب. فبذلك يمكننا الإبقاء على الضغوطات عليهم لأننا قد أنجزنا ما يقارن بإنجاز حرب بيولوجية. وانهم سيجوعون ويموتون من الأمراض ما لم يقوموا بما نريد ونرغب. فذلك كان هدف تلك التكتيك. وكان الجزء الثاني من استراتيجية الحرب هو الهجوم على جيش المجندين في الجنوب، وهم من الذين كان معظمهم من القرويين الشيعة والاكرد، كما نعلم ذلك، وقد تعرضوا لمنبجة. في حين ان الوحدات المختارة ظلت سليمة.

وبعد الحرب، فان المهمة التالية كانت مراقبة هذه الوحدات المختارة، والتي أطلقت

أيديها بحرية من أجل أن تقوم بقمع الثورات الشعبية، التي بدأ بالجنوب. فقد كانت هناك ثورة شيعية في الجنوب، وتحت أعين القيادة الأميركية القريبة هناك. ولم تحرك الولايات المتحدة ساكناً، عندما قامت قوات الحرس الجمهوري بقمع تلك الثورة في الجنوب بواسطة مدافع الطائرات المروحية الحربية وتحت مرأى القوات الأميركية. ولم يحدث أي شيء. وبعد أن نجحوا بذلك، تحولت قوات الحرس الجمهوري إلى الشمال، وقامت بمهاجمة الثوار الأكراد هناك. وشاهد كل واحد ذلك، ولم يحدث أي شيء.

يبدو أن الهجوم على الأكراد هو أمر أكثر صعوبة قليلاً من الهجوم على الشيعة. فالشيعة هم من العرب، لذلك فلا أحد يهتم بذلك بشكل أساسي. أما الأكراد فإنهم يشبهون في مظهرهم وسماتهم الجنس الآري. فمراسلو التلفزيون كانوا يتحدثون عن الأطفال ذوي العيون الزرقاء، الخ. لذلك فإنه كان هناك مزيداً من الضغط الشعبي، في الولايات المتحدة، للوقوف إلى جانب الأكراد. وأخيراً، ساندت إدارة الرئيس بوش هذه المسألة وتظاهرت بالتحرك لوقف الهجوم عليهم. ولكن في غضون ذلك، وفي الوقت الذي كانت فيه الطائرات المروحية الحربية وببابات الحرس الجمهوري تواصل الهجوم عليهم، أجرى ستورمينغ نورمان مقابلات تلفزيونية شرح فيها كيف تمت إبادة الوحدات المختارة من الحرس الجمهوري وإسقاط طائراته المروحية، في حين كان جورج بوش خارجاً يصطاد السمك. وكما بينت في مقابلة سابقة، في إظهار أن الاعتبارات الانسانية لم تكن حتى لتشكل عاملاً منعزلاً في رد الإدارة الأميركية، فقد كان لدى الصحافة ووسائل الاعلام مشكلة بهذا الصدد.

ثورة الشيعة في الجنوب لم تكن لتشكل مشكلة كبيرة، لأنه لا أحد يهتم بالهجوم عليهم. أما قمع الأكراد فقد كان أمراً حزيناً، ومن المدهش رؤية كيف يعالجون هذه المسألة. فهناك كان لدينا وضعاً حيث كان فيه جورج بوش يدعم صدام حسين، وبشكل تكتيكي، في حين كان يهاجم الأكراد وآخرين ممن اشتركوا في ثورة شيعية كانت تهدف لإحداث تغيير ديمقراطي في العراق. فهنا كان جورج بوش يدعم حليفه القديم، في حين كان حليفه يتصدى بعنف لاحتمالات حدوث تغيير ديمقراطي في العراق. فكيف كانت وسائل الاعلام تتعامل هذه المسألة المخاوعة؟

وما حدث بالفعل، هو أننا فعلاً أكثر تكريساً للأمور الانسانية في التاريخ،

ويشكل واضح، وبالطبع فإننا نقدم كل شيء من أجل الديمقراطية، بيد اننا أيضاً علينا الاعتراف بحاجتنا للمنهج العملي وعنصر الاستقرار. فالمنهج العملي هي عبارة لطيفة، تعني افعل أي شيء تشعر بلك ترغبه. والاستقرار كلمة جميلة أيضاً، تفرض نوع النظام الذي نريده. لذلك فإننا بحاجة للمنهج العملي والاستقرار.

وقد عملت تحليلاً خاصاً لصحيفة نيويورك تايمز حول هذا الموضوع، وكان من الممتع رؤية كيف عالجوا ذلك الأمر. فمراسل الصحيفة في الشرق الأوسط، على سبيل المثال، وهو آلن كاول، قد كتب مقالاً مطولاً في شهر نيسان على ما اعتقد، حاول فيه التعامل مع حقيقة أنه بعدما عارضنا على نحو مزعوم صدام حسين، فإننا وقفنا بعد ذلك مكتوفي الأيدي نشاهده وهو يقضي على المعارضة الكردية. وما قاله، تلك للراسل، بلته توجد هناك درجة كبيرة من الاجماع بين شركاء الائتلاف العربي والولايات المتحدة حول الحاجة لاتباع سياسة عملية للإبقاء على الاستقرار والنظام في العراق، وهذا بالتالي يدعم حكم صدام حسين وليس تلك العناصر المنشقة.

ويعني عن النتيجة السلبية لكاول في مقالته تلك، فقد يتبادر للذهن سؤال واضح وهو: ماذا بشأن هذا الاجماع؟ فكل واحد كان يقدم أو يؤدي نفس الخط، انه موقف واقعي وعملي مدعوم من شركاء الائتلاف العربي. فجميع هذه الدول تتميز بعوامل مشتركة.

فذلك ما حدث في التاسع والعاشر من نيسان ١٩٩١، إذ علمنا بأن كافة الدول المشتركة في الائتلاف العربي كانت متفقة معنا على دعم صدام حسين لاستعادة الاستقرار. ومن ثم ظهر هناك أشخاص أنكباء، ثوماس فريدمان، المراسل السياسي لصحيفة التايمز، حيث قدموا التحليلات الصحفية بهذا الشأن. فما قاله من خلال تحليلاته من ان وزارة الخارجية، الذي يتحدث باسمها، «انه من الأفضل لكافة دول العالم، اعادة «القبضة الحديدية» التي استخدمها صدام حسين من قبل، وبرضا كل من تركيا والسعودية، والولايات المتحدة طبعاً. انن، فإن ما قاله كان سائداً لغاية شهر اب ١٩٩٠. وما أربناه فقط هو العودة لذلك الوضع. وبالطبع، فقد كنا نفضل ان لا يقوم صدام حسين بذلك، لأن ذلك سيكون امراً مريئاً. وسيكون من الأفضل اذا ما امكنا ايجاد بديل ما ليقوم بفرض القبضة الحديدية وبذلك نحصل على الأفضل ويجري

تخطيط أية حركة معارضة، وضمان الاستقرار، وجمع ذلك مع المخطط الأميركي في المنطقة. وهذا تخمين صحيح إذا ما تمعنت بما يقوله هذا الصحفي.

وهكذا، وبذلك الطريقة عالجت وسائل الاعلام تلك المسألة أيضاً. وكنت فضولياً لأرى إذا ما كانوا قاصرين على إثارة الوضع، بعدما اثاروا تلك الهستيريا حول العراق، وفجأة نساندها ونُدعمها في حين نقوم بقمع المعارضة الشعبية. فقد أنجز ذلك بفضل أسس أخلاقيتنا العالية، وإدراكنا للحاجة من أجل الاستقرار والنهج العملي. فهذه هي القصة برمتها، منذ البداية للنهاية، عبارة عن انجاز منهل.

وفي الحقيقة، ولإضافة عنصر أو عامل بسيط آخر، فخلال تلك المدة برمتها فإن المعارضة الديمقراطية العراقية كانت متواجدة في المنفى. ولا يمكنها ان تبقى بموجب هذا النظام. بيد أنهم ما زالوا متواجدين هناك، وهم محترمون تماماً، منهم رجال اعمال وينوك في لندن، ومهندسون أيضاً. وقد استثنوا يوماً من وسائل الاعلام. ويمكنك ان تفهم لماذا. لأنهم يعارضون يوماً السياسة الأميركية. وفي الحقيقة، فإن مواقفهم كانت تتماشى يوماً مع حركة السلام.

وكانوا قبل آب ١٩٩٠ يعارضون نعم جورج بوش لصدام حسين. كما أنهم خدعوا من قبل واشنطن، لأنها رفضت التحدث معهم عندما قدموا الى هنا لطلب الدعم من أجل اقامة حكم ديمقراطي برلماني في العراق. وجرى تعقيم اعلامي عليهم. وكانوا منذ شهر آب ١٩٩٠ الى شهر شباط ١٩٩١، يعارضون الاستعداد للحرب. فهم لم يريدوا ان يروا بلدهم وقد يمر. وكانوا يدعون الى تسوية سياسية وحتى أنهم دعوا الى انسحاب القوات من المنطقة. ويمكنك ان تقرأ تقاريرهم في الصحافة الألمانية، والصحافة البريطانية، وفي مجلة «زد» أيضاً. إلا انها جميعاً قد حُجبت عن الصحافة الأميركية. ولا أعلم أية كلمة نشرت عنها هنا، وفي الواقع، فإذا ما كان هناك أي شيء، فأنني لم استطع ان أجدها.

وفي الفترة الواقعة من كانون الثاني الى شباط ١٩٩١، فلا أحد كان يتحدث. وبعد ذلك، بالطبع، فإن المعارضة الديمقراطية العراقية كانت الى جانب الثورات الشعبية التي حدثت، كانت الى جانبها بشكل علني. وكشفت الصحافة عن ذلك، رافضة أي صوت من تلك المعارضة، إلا أن صحيفة وول ستريت جورنال سمحت لهم بلن يقدموا

مقالين في افتتاحيتها. وكانت هناك جهات أخرى تتعاطف مع للنشقين العراقيين الذين كما اعلم لم تكن لهم اية ارتباطات معهم. ومع ذلك فان المعارضة للديمقراطية العراقية والتي قد نظمت في كل من لندن والمانيا، قد سنت مجالات الصحافة امامها، باستثناء بضعة مقالات كتبت في فترة ما بعد الحرب في صحيفة وول ستريت جورنال. وهذا امر مثير بحد ذاته. فهنا توجد قوة ديمقراطية مهمة تتكون من اشخاص شجعان، ونشطاء يدافعون عن حقوق الانسان إلا أنهم مرفوضين من قبل السلطة. فما الذي يجري؟

إن كثير من امثلة الرفض الاميركي للديمقراطية يمكن ان يرى في الكويت. فلن الكويت حالياً تجمع بضعة كافة فئات الشعب. ومنهم الكويتيون الذين هم بدون جنسية، او الذين يطلق عليهم اسم «البدون»، والذين عاشوا هناك منذ عشرات السنين إلا أنهم لم يمنحوا الجنسية الكويتية، وهناك ايضاً الفلسطينيون، واخرون كثيرون. كما تمارس هناك عمليات تعذيب وقمع، الخ. وهناك بعض التغطية عن ذلك في الصحافة ولكن بالطبع ما هو أكثر اثاره هو ما يرد الى زاوية رسائل الى المحرر في الصحف من فترة لآخرى، من قبل اشخاص مراقبين لحقوق الانسان. وما يلفت للنظر ان جورج بوش كان يساند القمع علناً. فقد كتب اريه نثير، رئيس هيئة مراقبة حقوق الانسان، مقالاً في صحيفة «الامة»، حيث اشار بأن تصريحات بوش تفاضت عن الارهاب الذي كان يظهر على صفحات الصحف الكويتية، قائلاً بأنه حتى جورج بوش يقول «موافقاً وحسناً لذلك، وبعوه يستمر».

■ سؤال : غير ان جورج بوش يقول بان الحرب لم تكن حول

الديمقراطية، وانما كانت حول القمع. فما هو تعليقك ؟

جواب : صحيح، فهو يقول تقريباً بأنه امر قابل للفهم، أي ما يقوم به الكويتيون. وعندما سُئل لماذا لم يقل شيئاً حول الديمقراطية، كانت اجابة البيت الابيض، بأن ذلك يعتبر تدخلاً في الشؤون الداخلية لبلد آخر. حتى انهم قالوا في رسالة خاصة بعثوا بها الى حكام الكويت، بأن لا يذكرها كلمة ديمقراطية بسبب قلقه من مستوى هذه الكلمة. ولا يمكنهم حتى أن يلمحوا الى كلمة الديمقراطية في اتصالاتهم الخاصة.

إنها ليست نفس الطريقة أو الأسلوب التي تعاملت به واتبعت الادارة الأميركية مع

كل من كوبا، نيكاراغوا، العراق، بنما، وهذا المؤمن الكبير (جورج بوش) في مبداه بعدم التدخل. ومرة ثانية، فإن حقيقة أن الصحافة يمكنها النطق بتلك الكلمات من دون تردد سخيف. وتعاماً وفي مناسبة أخرى، وبعد الإطاحة بالحكومة الديمقراطية المنتخبة في هايتي، فقد طلب من بوش أن يقوم بفرض عقوبات اقتصادية عليها. فقال بأنه لا يمكنه أن يفرض عقوبات عليها لأن ذلك سيضر بشعب هايتي. وظهر ذلك في مقال على الصفحة الأخيرة لصحيفة نيويورك تايمز، ويدون تعليق. فهذا الرجل قد قال بأنه لا يستطيع فرض عقوبات لأن ذلك سيضر بشعب هايتي؟ وبعد كل هذا السجل له الذي يتعلق بفرض العقوبات؟ فكوا الآن تقع تحت الحصار والحظر. ونيكاراغوا خفت حتى الموت. وفي العراق فإننا الناس هناك يموتون من الجوع والمرض. ويمكننا أن نستشهد بالمزيد. وبناتي هذا الرجل ليقول، «لا يمكنني أن أفرض عقوبات لأن ذلك سيؤذي الشعب في حالة إذا ما استولى العسكر على الحكم». ولا أحد يعلق على ذلك. فعليك أن تعجب.

■ سؤال : إذا ما كانت للصحافة ووسائل الاعلام نليلة وهامدة جداً حقيقة كما أوحيت بذلك فلم قامت ادارة بوش، خلال فترة الحرب، بجهود مضنية من اجل السيطرة علي هذه الوسائل، والتركيز عليها، وارسال مراقبين وراصدين معها الى ميدان المعركة، وذلك للاشراف على تحركاتها ومراقبة تقاريرها فعلياً ؟

جواب : لا يوجد هناك نظام سلطة مرضي عنه من قبل. فخلال الحرب الافغانية في حقبة ما قبل غورباشتوف، أو العهد الستاليني القديم، فإن القيادة السوفييتية العليا والحزب الشيوعي قد شجبوا بشدة أجهزة الاعلام لكونها لم تكن وطنية ومتحمسة، ولا ترفع الشعار كاملاً، وتساهم في تقويض المجهود الحربي في الوطن.

وليس هنالك درجة من الخنوع الذي يفرض بالضرورة أي سلطة أو نظام. ولم اتفق في ذلك، ولكن إذا ما راھنتك بالرجوع للوراء الى عهد وزارة الداخلية النازية برئاسة غوبلز فإنه من المحتمل ان تجد بأنهم كانوا ينتقدون الصحافة الألمانية لكونها لم تكن وطنية ومتحمسة تماماً. وفي الحقيقة، فإن الصحافة تعتبر كعنصر عدائي أو خصمي.. وهذا صحيح من وجهة نظر الأشخاص الذين يتولون السلطة. فإذا لم تكن تسبغ وتتفنى

بالسلطة الحاكمة في كل بقية من اليوم، فانها تعتبر لا تحتل ولا نطاق من قبل السلطة.

■ سؤال : لقد اظهرت الاستطلاعات بان الجمهور قد ايد بقوة هذه السيطرة والاشراف على وسائل الاعلام. ولا يحتاج الامر لنكاه لمعرفة ان هناك عداة شعبي واضح وملموس تجاه الصحافة ووسائل الاعلام. فكيف تقيم ذلك ؟

جواب : إن نوع العداة الموجود في هذه البلاد للصحافة هو امر مثير للدهشة فهناك عداة تجاه وسائل الاعلام، وتجاه الكونغرس، وتجاه كل مؤسسة تقريباً باستثناء مؤسسة واحدة، وهي الجهاز المشترك. فلا يوجد عداة تجاهها. فهذا يخبرك بالضبط من الذي يدبر ويسير البلاد. ولا بأس من أن تنتقد وسائل الاعلام، ورجال الكونغرس، والمحاكم أو القضاء، ورجال الشرطة. وبإمكانك أن تقول بأن الرئيس هو مهرج. ويمكنك أن تفعل أي شيء، كان ما عدا أن تنتقد السلطة الفعلية المركزية. حتى انه ليس مسموح لك أن تعرف بأنها موجودة. انها مخفية وغير مرئية.

وكان ذلك مدهشاً جداً في علم مصطلحات اورويل ذلك انه صمم في الثمانينات ليبين كيف هي المصالح الخاصة التي تحدثنا عنها، والتي ناقشناها في مقابلة سابقة. وبنقول مجيداً، ان الحزب الديمقراطي غالباً ما اتهم بكونه حزب المصالح الخاصة، العمال، النساء الشباب، الكبار، وحزب كل واحد. ولكن اذا ما بققت ذلك، فانك ستجد اخفاء لا فت للنظر عن المصالح الخاصة وهي: انه لا يوجد أي شيء فيما يتعلق بالسلطة المشتركة، وهي سلطة الأعمال. ليوحى الأمر بأنها ليست موجودة، وليست لها مصلحة خاصة.

ويبدو هذا الإلغاء صحيحاً بالنسبة للمنح الدراسية والتعليمية ايضاً. فعند سنوات مضت، وفي حقبة السبعينات، فقد كان يوجد هناك دراسة اكايمية نادرة جداً فيما يتعلق بالمؤسسات والسياسة الخارجية. وكان ذلك الشخص يكتب مقالة، في احدى تلك الصحف. وبدأ كتابته باستعراض معيار الأعمال ناظراً الى هذا السؤال. وتناول مائتي عمل رئيسي تتعلق بالشؤون الدولية، والسياسة الخارجية ليرى ماذا كانت تقول عن المؤسسات والسياسة الخارجية. واكتشف، مع استغرابه بذلك لانه كان سائجاً

تعلماً، بأنهم قد تجنبوا الموضوع. فقال إن ما نصيبه (٩٥) بالمئة من الدراسات لم تنكر المؤسسات والسياسة الخارجية أبداً. وخمسة بالمئة فقط مرت عليها مروراً فحسب. وكانت هناك دراسة عجيبة ووافرة عن النساء، رجال الدين والسياسة الخارجية، إلا أنه لم يتحدث كائن من كان عن المؤسسات والسياسة الخارجية. ومضى في تفكيره وتلمله ليصل إلى أنها تعارض أشراف ومراقبة غريبين. وتوصل إلى أنه إذا ما بدأ الباحثون بالبحث في مسألة المؤسسات والسياسة الخارجية فأنه من المحتمل أنهم سيجدون أنه يوجد هناك بعض النفوذ.

ويظهر ذلك انضباط وتهذيب حرفة المثقف. فأنك تريد أن تتأكد بذلك لم تدرس مطلقاً ما هو مهم. فسيكون ذلك خطراً جداً. ومجال التاريخ الدبلوماسي، الذي يعتبر مجالاً مثيراً، يعتني بشكل كبير بالشخصيات. وكنت خضت مناقشة حول هذا الموضوع مع مؤرخين راديكاليين الذين هم على خلاف بقوة مع ما أقوله هنا. ولكن من وجهة نظري فإن الاهتمام حول القرارات الشخصية والشخصيات القياسية هو أمر مهم كمثل مناقشة شخصيات مجلس إدارة شركة جنرال موتورز. ومما لا شك فيه فإنها صنعت بضعة مئات من القرارات، بيد أن التأثيرات الساحقة لها كانت مؤسسية، تعمل مع التركيبة المؤسسية. وسواء كان جورج بوش يعتقد بما كان يقوله، أو هل يتنكر رونالد ريغان هذا، من هو الذي كان مستشاراً خاصاً وقال ذلك وما كان لديه للإفطار ذلك الصباح - نعم، فهذه هي كافة الأسئلة حول هذه الشخصيات المهمة، والتي هي غير مفهومة لو واضحة تماماً، بل إنهم يطعمونك بشكل ضئيل جداً عن السياسة. ومع ذلك، فإنها هي الوسيلة التي تعمل فيها الحرف الأكاديمية، وكل الوسائل التي تقطب على الانفعالات الراديكالية، ليس بشكل تام، وإنما إلى أبعد حد.

ويمكنك أن تجد ذلك في المجال العام فإذا ما كانت ماساشوسيتس تعاني من أزمات اقتصادية خطيرة، فما الذي يكرهه الناس؟ فخذ مثلاً صحيفة بوستن غلوب (هذا الصباح). إنها تتحدث عن شعبية الحاكم بعد أن صرف من خدمته، لماذا؟ لأنه كان يهاجم المواطنين الذين كل واحد منهم كان يكره المستخدمين والفقراء، فذلك هو الذي يكرهه كل واحد. فهل هم سبب المشكلة الاقتصادية؟ أم أن هناك عاملاً آخر مشترك فيما يحدث في اقتصاد نيوانجلند إضافة لوجود الفقر والبطالة هناك؟ وبالطبع، فإن الناس يكرهون وسائل الإعلام أيضاً. فقد سمحتم أتم بكرمهم. ففي الحقيقة، فأنتم قد سمحتم

بكره كل واحد باستثناء أولئك الأشخاص الذين لا يتواجدون، أي الأشخاص الذين يديرهم الأمور من وراء الستار. أولئك الذين تتركز السلطة والقرار بأيديهم، والذين يصدرهم قرارات الاستثمارات، والذين يبنون الإطار الذي تعمل بموجبه الدولة والحكومة، ويملكون وسائل الاعلام، ويشرفون عليها ويضعون القواعد التي تعمل وتسير عليها. فتلك المؤسسات لا يسمح لك بكرهها أو بفضها، أو حتى ان تعلم عن وجودها.

وفي الحقيقة، فان جزء من جهاز الدعاية والاعلام يعزز ويدعم الفكرة من ان المؤسسات تتشكل من أشخاص يشبهوننا تماماً. فهناك أشخاص يشبهوننا من ناحية، يسيرون من سلطة تنفيذية مشتركة الى عامل شريف الى ربة منزل وهكذا. فنك نحن جميعاً. ومن ثم فهناك «هم»، موظفو الحكومة، الفقراء، الكونجرس وكافة هؤلاء الأشخاص السيتين الذين يحاولون جعل الحياة قاسية امامنا. فهذه هي الصورة. وانها لم تصور أو ترسم بطريق الصدف. فهناك قد عمل جهد عظيم، وربما قد أنفق نحو بليون دولار على الدعاية سنوياً، وعلى العلاقات العامة في أوسع أشكالها، ومحاوله ابداع هذه الصور في افلام، ودعاية صريحة، وبعثات دراسية، وكلها وضعت وصيغت في هذه العبارات، وبشكل واضح تماماً. ويعرف المواطنون الذين يعملون في العلاقات العامة الصناعية ما الذي يفعلونه ويقومون به، وانهم لن يؤثروا عملهم اذا لم ينجزوا هذا.

■ سؤال : بوضوح ان لك خبرة في العلم. فانك تقوم بجمع المعلومات والحقائق، وتحللها وتصل الى نتيجة معينة. واعتقد بان الأمر الأخير قد لا يتفق معك فيه الناس. ولكنني كنت مهتماً لأرى عرض كتابك «عاقبة الديمقراطية»، الذي صدر في تشرين اول ١٩٩١ للناس ماثيو روتشيلد. وقد رأى فيه البعض ان نظرياتك كانت ضعيفة فيما يتعلق بمجال معين لوسائل الاعلام. وينهب روتشيلد الى حد الإيحاء بان لك نظرية تامة بشأن وسائل الاعلام. فما هو تعليقك على ذلك ؟

جواب : ان الكتاب الذي نكرته يتحدث قليلاً فقط عن الطريقة التي تعمل فيها وسائل الاعلام. وانما يحتوي فقط على بحث ومناقشة الأمثلة. وقد تحدثت عن ذلك والطريقة التي تعمل بها وسائل الاعلام في مجالات أخرى، وليس في هذا الكتاب. ولكن من المثير

للدهشة بأنه قد أطلق عليها لقب نظرية تآمرية. وذلك لأنني قلت وبالاشتراك مع انوار ميرمان هو انه توجد هناك عوامل مؤسسية تعمل لعاقة الطريق امام وسائل الاعلام. والنقد الذي اوردته لكل من يهوشوا كوهين وجويل روجرز، هو مخالف فعلياً لما صورته. فقد قالاً بلقني لم استرسل او انهب بعيداً تماماً في التحدث عن العوامل المؤسسية.

بيد ان استعراض روتشيلد كان مهتماً لأنني لم اناقش العوامل المؤسسية ولم اخصص وقتاً كافياً لبحث القرارات الخاصة التي تتخذ من قبل رؤساء تحرير الصحف، المراسلين الصحفيين، وموظفي الحكومة، الخ. وفي هذا الكتاب، فقد اخذت العوامل المؤسسية على انها امر مسلم به، والذي نكرت ونوقشت بشكل واضح وصريح في أمكنة متعددة ومختلفة، مع انه يوجد في الكتاب فصل طويل مكرس للايبلوجية التي تقف وراء ذلك، منذ القرن السابع عشر وحتى اليوم، والذي يعتني بأسباب وسائل الدعاية والاعلام وتوجيه الفكر، وذلك لكي يتم تهميش الجمهور. وقد يدعو ذلك بانها نظرية تآمرية، إلا أنني لم اقصد ذلك.

إلا ان الحقيقة بأن الجمهور قد تأثر على الفور بعبارة «النظرية التآمرية». فنظرية التآمر تحتوي على شيء رسي. لذلك فإذا ما نكر أي شخص عبارة نظرية التآمر، فإن ذلك يعني ان هناك شيئاً ما خطأ. ومن ناحية أخرى، فإذا ما نظرت الى العوامل المؤسسية التي تقيد القرارات، وتخبرك الشيء الكثير عند السجل الفعلي للتفكير حول الموضوع. لذلك فإن عليك ان لا تنظر لذلك. وفي الحقيقة فإن روتشيلد لم ينظر لذلك.

ويمكنك ان تتخيل ماذا سيحدث اذا تفاعل الناس مع التحليلات الاقتصادية بهذه الطريقة. وبمنا نعود الى قضية «جنرال موتورز» مرة ثانية. فبعض الاقتصاديين تحدث عن قرارات مؤسسة «جنرال موتورز». فقد تحدث عن الاهتمام العام من أجل زيادة مشاركة السوق والارباح والفوائد، وماذا سيحدث اذا ما صنعت هذا النوع من للسيارات أو ذاك النوع، والاهتمام بالتكلفة أيضاً، الخ.

وافترض بأن أحد ما قد عاد وقال، انها عبارة عن نظرية تآمرية، وذلك لأنك لم تقابل السكرتير التنفيذي لمعرفة ما حدث في اجتماع الخبراء حول هذه المسألة وتلك، ومن قال هذا، الخ. فذلك سيكون عبارة عن نكته.

وهناك عوامل رئيسة عليها ان تتفاعل مع الطريقة التي تتفاعل بها وظيفه وعمل

الأنظمة والأجهزة التي تقرر بصورة ساحقة الطريقة التي تسير بها وسائل الاعلام. وقد ناقشت ذلك في نواحي وامكنة أخرى. فكومين وروجرز قالوا في تقديمهما بأنني لم أذهب بعيداً بما فيه الكفاية في ذلك الاتجاه، ويمكن أن يكون ذلك صحيحاً.

■ سؤال : كيف تحليل حقائق ومعلومات الاختراع؟ فانا اعرف من خلال احاديثك العامة عندما تورد ذكر الاختراعات فانك تضيف يوماً كلمة تحذيرية. فما هي النصيحة التي تقدمها لأي كان فيما يتعلق باستخدام حقائق الاستطلاعات ؟

جواب : على العكس من النقد الكثير، فإنني لا اعتقد بأن حقائق الاستطلاع هي ملفقة او زائفة. واعتقد بأنها دقيقة تماماً، وضمن حدود الإمكانيات. وعليك ان تتظر بإمعان للسؤال الذي يطرح. ويمكنك أن تحصل على نتائج مختلفة تماماً بالتغير الضئيل لطبيعة السؤال. فذلك لماذا عليك ان تتظر لذلك بحذر. ففي الاستطلاع الذي أجري بمنتصف كانون ثاني ١٩٩١ حول استفتاء الجمهور بشأن تسوية سلمية للانسحاب العراقي من الكويت، فقد كان من المهم ملاحظة ان سؤال الاستطلاع بدأ بالقول: ان الرئيس يعارض ذلك. فماذا تعتقد؟ وبما ان السؤال طرح بهذه الطريقة، فانك تعلم للتو بأن هناك انحراف كبير، لان تكون هناك نزعة قوية لدعم الرئيس في اوقات الازمات، لذلك فان عليك ان تحلل الوضع. فنتائج الاستطلاعات مدعشة، لكن عليك ان تدققها بعناية وان تتمعن بكيفية طرحها، وما هي خلفياتها، وما هو الاطار الذي سئلت فيه، الخ.

وبعنى اقدم لك مثلاً آخر. فكثير من اليساريين الذين شهدوا الاستطلاعات خلال الثمانينات يقولون بأن الجمهور كان يعارض بقوة مساندة ثوار الكونترا ولم يكن ذلك زائفاً فحسب، وانما مخابراً ايضاً، لان كثير من الناس لم يعرفوا حتى مع أي جانب كنا نقف، ولماذا يجب علينا مساندة هذه الجماعات؟ فذلك ليس له علاقة بهذه المسألة، وان ذلك العامل ينبغي أن يفصل قبل استخدامك مائة مثل ذلك.

■ سؤال : كنت خاضعاً على مدى سنوات لعدد من الهجمات الشخصية. ولا اريد منك الخوض في لجاجة مفصلة لانك قد فعلت ذلك في مكان آخر. بيد انه يملكني الفضول بخصوص فهمك وادراكك لشخصية وطبيعة هذه الهجمات. وما هي الدوافع خلفها ؟ ولماذا

تستمر ؟ وساعطيك مثالين حول ذلك. ففي عام ١٩٩١، تحدثت عن اطفال الشرق الاوسط، مما اثار السخط عليك ووصفوك بمالذافع عن منظمة التحرير الفلسطينية، وحتى عندما كانت ترتكب عمليات القتل ضد الاطفال اليهود. ولقد وصفك الن برشويتز، بانك «مناهض متحمس للصهيونية، ومعاد لإسرائيل ولاميركا والغرب». فهل ترك اي شيء بعد ذلك ؟

جواب : إنني لم أقرأ ذلك، لذلك فلا يمكنني التحدث بهذا الشأن .

■ سؤال: ولكن ماذا عن هذه الهجمات الشخصية؟ وكيف ترد عليها ؟ وكيف يمكنك الرد عليها ؟

جواب : لا يمكنك ذلك حقيقة. فلا توجد هناك طريقة للرد. فقفظ الطين يفعل مفعوله يوماً. ومرة ثانية، فإن ذلك من جراء أو بسبب مؤسساتي بشكل جزئي، غير انه في هذه الحالة كان شخصياً بشكل جزئي أيضاً. ففي مسألة اساتذة «بيركلي»، فقد وردت رسائل بعد ستة أسابيع من وجودي هناك، وكانت الرسائل موجهة الى مكاتب بيع الكتب، تقول بأنه لا يجب ان يسمح ببيع كتبتي أو مؤلفاتي. كما انني ابلفت، مع انني لم اكن متاكداً من ذلك بأنه كانت هناك محاولة بأن يجعلوهم يسحبون كتبتي من المكتبات هناك. واعتقد بأن تلك أمر مفهوم تماماً واحترمه. فهناك اناس يعرفون تماماً بأنهم لا يحبون ما أقوله. وهم يعرفون بأنه ليست لديهم الكفاة أو المعرفة للرد، لذلك فإن الشيء الوحيد الذي يفعلونه هو الاغلاق أو السد، وذلك لمنع من ان يسمع ولأنهم لا يمكنهم ان يربوا عليه. لذلك فإنك تقول بأنني قد أيدت منظمة التحرير الفلسطينية، الخ. فمن المحتمل ان معظمهم لم يعرفوا ما قلته عن ذلك. إلا أن محرر الرسالة المذكورة، وهو روبرت ألتر، يعرف تماماً، بأنني قد شجبت منظمة التحرير لقيامها بتلك الاعمال، ومن الممكن بشكل أقصى، وعلى نحو واضح أكثر مما فعله أو قاله هو نفسه. إلا أن ذلك لا يهم. فالحقائق لا صلة لها بالموضوع.

وبالنسبة لديرشويتز، فهناك نفس القصة جزئياً. ومرة أخرى، فهو يعرف بأنه لم يكن بوسع الرد عما قلته. فليس لديه المعرفة أو الكفاة ليتعامل مع هذه المسائل. لذلك، فإن الفكرة هي محاولة اغلاق ذلك وسده وذلك بقذف المزيد من الوحل بقدر ما

يستطيعون. وهناك قصة شهيرة نسبت الى سام ايرفن، وهو سناتور محافظ عندما قال مرة بلته بصفته محامياً شاباً فانه قد علم بلته لو ان القانون كان ضدنا، فانه ستركز على الحقائق. واذا ما كانت للحقائق ضدك، فاشجب عندئذ مجلسك المعارض. ولم يكن بيرشويتز نكياً جداً، إلا انه فهم ذلك كثيراً. واذا لم تستطع الاجابة على الحقائق، واذا لم تستطع ايضاً الاجابة على المبادئ، فانه من الأفضل لك ان تقذف بالوحد. ففي مثل حالته فانه لا بد وان يكون هناك سبب شخصي وراء ذلك. وكان في جهاد شخصي على مدى العشرين سنة الأخيرة، وقد عهدته وهو يقوم بهجومه الشخصي الكاذب على شخصية اسرائيلية تحررية قياسية. فبالرغم من تظاهراته، فانه قد عارض بقوة الحريات المدنية. وباستغلاله لمنصبه كاستاذ قانون بجامعة هارفارد، فقد فضل ما قرره المحاكم الاسرائيلية. إلا انه كان كاتباً صراحة في ذلك. وكان هذا في صحيفة غلوب بوستن عام (١٩٧٢)، عندما كتبت رسالة قصيرة فنلت فيها ذلك. ثم عاد بعد ذلك بعدة قصيرة ليهتم كل واحد بالكذب وتحداني بأن استشهد من سجلات المحاكم. فلم يكن يعتقد أبداً بلته كان لدي عدد منها، ولكنني الطبع قد فعلت ذلك. واستشهدت بسجلات المحاكم في ردي على ذلك. وحاول ان يتواقع بعدئذ مرة ثانية. وانتهى الأمر أخيراً بارسالي نسخ من سجلات المحاكم الى محقق صحيفة غلوب، الذي لم يعرف ما يفعله مع اناس يتخنون مواقف معارضة فحسب. فترجمت له ذلك، واقترحت عليه بأن يستخدم خبرته الذاتية لتدقيق الترجمة. وأخيراً أبلغ المذوق بيرشويتز بانهم، في الصحيفة، لن ينشروا أية رسائل أخرى له لأنه كان يكتب صراحة.

ومنذ تلك الحين فقد كان يحاول الحصول على ذلك، لذلك فقد كان هناك جيشان وانفعال هستيري اثر الآخر. وهذا ليس عجيباً. فهو عبارة عن مهرج بشكل رئيسي. وفي تلك الحالة كانت هناك مسألة تغطي المسألة السياسية، التي هي مسألة أكثر أهمية. فهذه المسألة الشخصية ليست مثير للاهتمام. ولكن اذا ما نظرت الى عصبية مكافحة الافتراء أو أساتنة «بيركلي» وهناك الكثير غيرهم، فهذه هي قصة سام ايرفن. وانت تعلم بأنه ليس بإمكانك التعامل مع المائة. فساء تجاهلت ذلك، أم انه لا يمكنك تجاهل ذلك، فعندئذ فانك ستشهر بالمتحدث. وتلك هي الطريقة الوحيدة فقط التي يمكنك ان تتعامل معها اذا لم يكن لديك فهم أو معرفة أو انك تعرف ان موقفك لا يمكن ان يدافع عنه. واعتقد بأن ذلك أمر قابل للفهم، ويمكنك ان تقره. فتلك هي سمة أو صفة المفوض.

■ سؤال : إن الأفكار الثلاث التي تميز هذه الهجمات عليك هي بسبب
تأييدك لمنظمة التحرير الفلسطينية وازهابها وتبريرك للمجازر
الجماعية التي ارتكبها النازيون والخمير للحرر، فما هو تعليقك ؟

جواب : انها جميعها مزيفة ومفبركة. فبالنسبة لمسألة الدعم لمنظمة التحرير فانني قد
انتقدتها بشدة من قبل. وليس هنالك شك بهذا الشأن، وبالنسبة لمسألة الخمير للحرر،
فناشراً ما قلت أي شيء منفرداً، إلا أن إد هيرمان وأنا، الذي كتبنا عن هذا الموضوع
عدة مرات، لم نشجب أعمالهم الوحشية فحسب وإنما أيضاً قد قارنا ذلك مع المذابح
التي جرت في اندونيسيا في منطقة تيمور، والتي كانت من أسوأ المجازر المتعلقة
بالسكان منذ حرب الابادة النازية. وأن الناس قد انزعجوا بشأن الذي قلته أو كتبته:
فدعنا نقول الحقيقة حول كلا المسألتين.

وكانت ردات الفعل مثيرة. قال سكوت ألتام من قبل الولايات المتحدة على المذابح
التي ارتكبت في إقليم تيمور، اعتبر دعماً أميركياً بهذا الصدد. وبالنسبة لمسألة الخمير
للحرر، فقد كان يوجد هناك ادعاء بأننا كنا نؤيد أعمالها الوحشية عندما قلنا بأنه يجب
علينا أن نقول الحقيقة عنها بدلاً من الكذب حولها خدمة لأهداف الدولة.

كما أن مسألة فيوريسن هي مثيرة للاهتمام أيضاً (التي ادعى بأنني قد أيدت
الرأي من أن غرف الغاز للنازية لم تكن موجودة). فموقفي من هذه المسألة كان واضحاً
وقبل أن تثار هذه المسألة. وفي الحقيقة فإن مقالة كتابي الأول، بحثت في موضوع
النازيين الذين أنكروا الجرائم النازية وبينت بأنه حتى في مجرد الدخول في مناقشة مع
مثل أولئك الأشخاص، فانك بذلك تفقد إنسانيتك، مع أنه عليك أحياناً أن تقوم بذلك.
فمسألة فيوريسن هي مسألة طبق القانون الفاشي، أي أن يعاقب شخص ما من أجل
تزييف التاريخ. فذلك معيار ستاليني، وعقيدة فاشية، وسبق أن عارضت كل من
السايبينية والفاشية، بالنسبة لهذه المسألة كما بالنسبة للعديد غيرها. لذلك وبما أنني
أؤيد الحق في تدريس حرب الجرائم الأميركية في الجامعات، وحتى في الوقت الذي
يستخدم في بحثها من أجل جرائم الحرب، فإنني أؤيد حق الشعب في البوح والتحدث
بالأمور الرهيبة والمروعة كما يرغبون ويريدون، وحتى لو أن المرء لا يرغب بذلك.

لذلك وعلى سبيل المثال، فإذا ما نشرت مجلة الكونغرس الأميركية اليهودية، كما

فعلت مؤخراً، مقالاً ادعت فيه بأن المذابح الجماعية النازية للفجر ما هي الا من نسيج الخيال، فلا أقول بأنه يجب جلب محررين هذه المجلة للمحكمة من اجل انكار تلك المذابح الجماعية والتي كانت في الواقع متشابهة مع حرب الابادة ضد اليهود. واذا ما ارادوا نشر اكاينبيهم الشائنة، فانه ينبغي ان يكون لديهم الحق للقيام بذلك. واذا ما جلبت للمحكمة، فانتني سادافع عن حقهم ليقولوا ما يريدون. والناس الذين عارضوا حرية الكلام، او الذين لديهم حوافزهم الخاصة لمحاولة اسكات الانتقادات، وسيحاولوا هذا بشكل طبيعي الى ما يريدونه.

■ سؤال : لقد اوحى إد هيرمان بأن هذه الهجومات عليك والاصرار على انتقائك ما هي في الحقيقة إلا ضريبة لفعاليته. ونلك ما حدث، فما هو رأيك بذلك ؟

جواب : اعتقد بأن هذا معقول. على نحو متصاف، فانه استغرق وقتاً طويلاً قبل ذلك. فمنذ المرة الاولى التي فتحت فيها فمي، فقد بدأت الهجمات علي.

■ سؤال : هل تعلق ذلك بالحرب في الهند الصينية ؟

جواب : نعم، فقد بدأت مباشرة في عام ١٩٦٩. ومعني اورد لك مثلاً ففي اول كتاب الفته، وهو «السلطة الاميركية والمنبرين الجدد»، كان يوجد هناك خطأ بسيطاً في الطبعة الاولى، اي انني نسبت اقتباس للرئيس ترومان التي كانت في الحقيقة فقرة وثيقة جداً، وفقرة حرفية تقريباً لما قاله في مصدر ثانوي. وحصلت على ملاحظة مختلطة وبدلاً من الاشارة الى المصدر الثانوي فقد اشرت الى ترومان. وقد صحح ذلك خلال حوالي شهرين في الطبعة الثانية. ولم يكن هناك بحث دراسي الا وتعرض لمثل هذا الخطأ المشابه. فقد كانت هناك عشرات المقالات على الأقل، اذا لم يكن اكثر، مستخدمة هذا الخطأ لشجبي، لإثبات بأنه لا يمكن الاعتقاد بلي شيء. يقال من قبل أي كاتب يساري، الخ. إذ ان هؤلاء يعتبرون اناساً يانسين فثقافة المفوض اليساري هي ثقافة بانصة باعترافهم. وهم يعرفون بانهم لا يمكنهم الصمود امام النقد، ولذلك فإن عليك ان تسكتهم.

بيد ان نلك لم يؤثر فيّ. فدعنا نأخذ هذا الهجوم الأخير على ما دعي بالتصحيح السياسي. والقصة الحقيقية هي ما ذكرته من قبل، حول الدراسات الاكاديمية

للمؤسسات والسياسة الخارجية. فهناك تقريباً سيطرة تامة وحيدية على المناهج الدراسية والأفكار إلى درجة كبيرة على الجانب اليساري أو على الفئة اليسارية. ولكن منذ الستينيات، كان يوجد هناك توقفان عن ذلك. وكان يثار الشيء القليل فقط فطى سبيل المثال، فإنه لم يعد بإمكانك أن تكون عنصرياً وعرقياً بشكل واضح، ولم يعد بإمكانك أن تتحدث عن اكتشاف أميركا بالطريقة الفعالة والهاية الذي لم يسبق لها مثيل في الجنس البشري، الخ. وهناك قيود مختلفة على ذلك. وكان اليساريون متحمسون من ذلك. فالفكرة بأنه يمكن أن تكون هناك استقلالية في الفكر، وهذا امر خطير جداً. لذلك فقد شن هجوماً كبيراً على اليساريين الفاشيست الذين يسيطرون على الجامعات والثقافة. فهناك مئات المقالات التي تتحدث عن كيفية استغلالنا للجامعات الحرة، ولهذا البلد الحر، بل انها تدار الآن من قبل الوحوش الفاشيست اليساريين. فعندما تقرأ مئات الهجومات عليهم ولا يكون هنالك دفاع عن ذلك، فإن عليك أن تستغرب وهو انه: اذا ما كان اليساريون الفاشيست يديرون البلاد حالياً، فكيف صدف بأنهم يشجبون بشن مئات الهجمات عليهم ونحن أن يدافعوا عن أنفسهم؟

وشيء مثير آخر حول مسألة الهجومات هو أنهم يدعونهم يوماً «باليساريين الفاشيست». وافترض باننا قبلنا بالقصة برمتها. عندما ألقى جورج بوش خطاباً في جامعة ميتشغان شاجباً فيه الأشخاص الذين كانوا يسكنون كل واحد بالتهخوف وذلك بسبب الملاحظات العرقية والعنصرية المزعومة، وقد دعاهم «باليساريين». وكل واحد يدعوم «باليساريين»، لماذا؟ فالافتراض هو أن كل واحد غير عنصري أو غير عرقي ويقف إلى جانب ثقافات الآخرين، فلا بد وأن يكون في صف اليسار، ولذلك ينبغي علينا أن نكون ضدهم. فهذا في الحد ذاته افتراض عجيب. إذ انها كلها تلائم بعضها البعض.

والنقطة هي أن الأشخاص الذين يملكون السلطة والامتياز هم متخوفون بشكل طبيعي لأي خرق في ذلك. ففي الستينيات، عندما بدأ الطلاب يطرحون الأسئلة بدلاً من نقل الملاحظات فحسب، وكانت الهيئات التعليمية تتصرف وكأن الجامعات كانت تحترق. وكانت المكتبات تحترق في كافة أنحاء البلاد لأن الطلاب كانوا يطرحون الأسئلة. انها ربة فعل طبيعية لجزء من الناس الذين استغلوا بدرجة مته بالته في الطاعة والإنعان. إذ

انه يشبه كمن الذي يعود الى شيء ما تحدثنا عنه من قبل، فالقيادة العليا السوفياتية والحزب الشيوعي الروسي كانا يشجبان الصحافة ووسائل الاعلام بسبب عدم وطنيتها. فمن وجهة نظر السلطة، فلا توجد هناك درجة من التبعية تفي بالغرض. وإذا وجد أي شيء بأنه لا يمكن ان يكون متجاهلاً تماماً، فعليك ان تشن عنمذ حملة كبيرة للقضاء على ذلك لأنه قد سمع بذلك فقط.

ومرة ثانية، فهناك اختلافات مثيرة جداً ما بين الدول الديمقراطية والاستبدادية في هذا الصدد. فهي مختلفة تماماً. فعلى سبيل المثال، في الاتحاد السوفياتي، في الحقبة التي سبقت عهد غورباتشوف، كانت الصحف السرية هي الأكثر توزيعاً هناك. وهناك بعض التقديرات من أنها كانت تصل تقريباً الى أكثر من نصف السكان المتعلمين. وفي البلدان الديمقراطية، فإنه لا يسمح بذلك مطلقاً. فيمكنك ان تقرأ مجلة دزد أو أن تستمع الى برنامجك المفضل، إلا ان ذلك لا يصل سوى الى واحد بالمئة من السكان، وهذا يعتبر أمراً خطيراً. أما في البلدان الديكتاتورية، فإنه يمكنك ان تصل لنسبة خمسين بالمئة وان لا يهتموا بذلك كثيراً. فلم يكن ذلك ليشكل كثيراً من المتاعب ليقلقوا معها الصحف السرية. فلم يكن ذلك يستحق. وما دام ان الناس يحكمون بواسطة القوة، فالافتراض هو ان لا تهتم كثيراً بما يفكرون به.

■ سؤال : لقد ابلغت بيل مويرز في مقابلة معه من انك منحت فرصة

بان تقوم بالأمور بصورة مختلفة. وكنت اتساءل اذا ما كنت تفكر

بمسألة فيوريسن ؟

جواب : لا، ان ما كنت أفكر به كان في الحقيقة ما قلته له. فبالنسبة لقضية الحرب في الهند الصينية، والتي كانت تعتبر رئيسية، فقد بدأت بذلك متأخراً جداً. ولم انخرط في ذلك بشكل جاد لغاية ١٩٦٤. وكان علي أن أقول الشيء ذاته حول الأمور العديدة الأخرى. ولناخذ مثلاً الأعمال الوحشية التي ارتكبت في تيمور. فلم أكتب عنها لغاية أواخر عام ١٩٧٨. واستمر ذلك لثلاث سنوات أخرى. وكان يوجد هناك كثير من الأمور مثل ذلك. نعم، فهناك الكثير من الأمور مثل ذلك فقد قمت بها بصورة مختلفة اذا ما كان علي أن أفكر بها. وانني متأكد بان هناك مسائل أخرى متواجدة حالياً ذلك ان علي أن أفكر بها فيما بعد.

■ سؤال : لك لم تتضمن تلك الرسالة التي كتبتها الى سيرج ثيون، مدافعاً فيها عن حرية الكلام حتى في احلك الظروف ؟ فذلك ما استخدمه فيما بعد، وبدون معرفتك وموافقتك كرد على مذكرات فيوريسون، عندما حاول «تزييف التاريخ» بعد نشر حججه من ان غرف الغاز لم تكن موجودة، في العهد النازي. فما هو رأيك ؟

جواب : اذا ما سألتني، هل يجب علي القيام بذلك، فانني ساجيبك بنعم، فباستعادة الاحداث الماضية والتأمل فيها، فانه سيكون من الأفضل ان لا افعل ذلك، ويمكن ذلك فقط في حالة عدم اعطاء فرصة كافية بالنسبة للاشخاص الذين شهدوا المعتقلات النازية في بيرشويتز، والذين التزموا جداً في منع حرية الكلام فيما يتعلق بالمسائل العربية - الاسرائيلية، والتبادل الحر للأفكار. فلا اعرف. فيمكنك القول او التحدث على اسس تكتيكية، بيد انها ليست تلك الطريقة العلمية. في رأي. فينبغي عليك ان تقوم بما تعتقد او تؤمن بأنه صحيح وليس ما قد يكون مفيداً من الناحية التكتيكية.

■ سؤال : لقد قلت غالباً بان كل رئيس امريكي ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية يمكن ان يعتبر مجرم حرب بموجب مبادئ محاكمات نورمبرغ، فما هو تعليقك ؟

جواب : نعم، كل واحد منهم، وبدون استثناء، قد تورط سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة في الاعمال الوحشية وجرائم الحرب. فمئذ كارتر مثلاً، الذي كان اقل عنفاً من الآخرين. ومع ذلك، فان ادارة كارتر هي التي دعمت بحزم سواء عسكرياً او سياسياً المذابح التي جرت في اقليم تيمور باندونيسيا، والتي ابيد فيها حوالي ربع السكان هناك. ولم تكن تلك هي الحالة الوحيدة. فادارة كارتر قد دعمت ايضاً حلم سوموزا، بالرغم من ادعائها بخلاف ذلك، لغاية ما احركت بانها لا يمكنها الاستمرار بذلك طويلاً.

وفي نهاية المطاف، وبعد ان قتل الحرس الوطني التابع لسوموزا حوالي اربعين الف شخص، فان ادارة الرئيس كارتر حاولت اخراج الحرس الوطني من ورطته، وحتى لو لم يكن بالامكان انقاذ سوموزا. وعندما لم تستطع انقاذ الحرس الوطني، فقد قامت باخراجهم من البلاد بطائرات تحمل شارات الصليب الاحمر، وهذه تعتبر جريمة حرب

بذاتها. فذلك ما قامت به افضل الادارات الامريكية. اما بالنسبة لادارتي كل من ريغان ورووش فلمنا حتى بحاجة لأن نتكلم عنهما، فحدث عنهما ولا حرج.

■ سؤال : وماذا بشأن «الفريضة من أجل الحرية» لباكونين ؟ فقد كتبت بانك حينت الاعتقاد بأن يكون لدى الناس هذه الفريضة من أجل الحرية، ذلك حتى يمكنهم السيطرة على أمورهم، فهم لا يريدون ان يهملوا، لو ان يجمعوا ويكتبوا، إلخ. انهم يريدون فرصة للقيام بالأمور التي لها معنى، مثل الأعمال البنائبة، وبطريقة يمكنهم السيطرة عليها والسيطرة مع الآخرين، ثم كتبت فيما بعد نقول، «لا اعرف اية طريقة لإثبات هذا. وانه امل في الحقيقة بشأن ما هو الانسان، امل بأنه اذا ما تغيرت التركيبات الاجتماعية بشكل فعال، فان تلك المظاهر للطبيعة الانسانية ستحقق. فما هو قولك ؟

جواب : انه من المستحيل اثبات ذلك او عدم اثباته فلا نعرف أي شيء عن الطبيعة البشرية. واذا ما كنا عاقلين فاننا نعرف بأن تلك موجودة وهناك بنون شك قيود بيولوجية قوية بالطريقة التي نفكر بها، وما نفعل، وما نفكر، وما نتخيل ونظن وبشأن مخاوفنا وأمالنا أيضاً، إلخ. ولكن حول ماذا هي تكون، فبإمكانك التعلم أكثر من رواية أكثر مما لا يمكن الحصول عليه من العلم. كما يمكنك ان تعمل على أسس أمالك. واعتقد بأنه لا احد قال افضل مما قاله جرامسي في تعليقه الشهير بأنه «يجب عليك ان تلخذ بالتشاور الفكري التفاضل بالأرادة». فتلك هي الاستراتيجية المعقولة فقط.

■ سؤال : انك تختتم محاضراتك أحياناً بالإشارة بما تطلق عليه اسم رهان باسكال . فما هو ذلك ؟

جواب : ان باسكال يثير التساؤل بقوله : كيف تعرف ان الله موجود ؟ فيقول، اذا ما افترضت ان الله موجود وهو موجود بالفعل، فأنني سأقوم بعمل جيداً. واذا لم يكن موجوداً، فأنني سأخسر أي شيء. واذا ما كان موجوداً وافترضت بأنه ليس موجوداً، فربما اقع في متاعب. فذلك هو المنطق بشكل رئيسي. وفي هذه المسألة التي تخص الحرية الانسانية، اذا ما افترضت بأنه لا يوجد هناك امل، فانك ستكفل بأنه لن يكون هناك أملاً. واذا ما افترضت بأن هناك غريزة للحرية، فهناك فرص لتغيير الأمور، إلخ، وهناك فرصة لك قد تساهم في جعل عالم افضل. فهذا هو خيارك.

بيرل هاربر

تشرين الثاني ١٩٩١

■ سؤال : ان الكسندر كوكبورن يحب اطلاق نكتة من ان اعظم نكبتين وقعتا على السلطة الاميركية في القرن العشرين كانتا الهجوم الياباني على بيرل هاربر، وثانياً، يوم مولده، وكلاهما صادفا يوم السابع من كانون الاول، وان لك وجهة نظر غير تقليدية فيما يتعلق ببيرل هاربر وبالأحداث التي انت الى تلك. فما هو تعليقك ؟

جواب : لقد كتبت عن ذلك منذ زمن طويل، في الستينات. وما اعتقده هو بعيد جداً عما هو موجود فعلياً في الالب المدرسي او التطليمي. فاول كل شيء، دعنا نكون واضحين بشأن ما حدث. انها تختلف عن الصورة الرسمية، فحوالي ساعة من بدء الهجوم على بيرل هاربر هاجمت اليابان الملايو، وكان ذلك غزواً حقيقياً. فالهجوم على بيرل هاربر كان هجوماً استعمارياً، اي على قاعدة عسكرية تابعة للولايات المتحدة. وهو عمل عدواني، بل انه من ضمن الاعمال الوحشية. فالهجوم على قاعدة عسكرية هو ليس شئناً عالياً. وكانت الاعمال الوحشية اليابانية قد حدثت قبل ذلك. وكان هناك المزيد بعد ذلك، الا ان الحدث الرئيسي كان غزو الصين، واغتصاب نانكين، والاعمال الوحشية في منشوريا، وهلم جرا. وخلال تلك المدة لم تكن الولايات المتحدة تقدم يد العون لتلك الدول التي تم الهجوم عليها، بل انها لم تعارض ذلك بشكل قوي.

وكانت المسألة الكبيرة للولايات المتحدة، هل ستقوم باستغلال الهجوم على الصين ام باستغلال ما حدث لها ؟ ام هل ستطلق الامر ؟

وكانت هناك امور اخرى تصير في الخفاء او من وراء الستار في العشرينات، والتي كانت بالطبع حقبة هيمنة الاستعمار البريطاني. ووجدت بريطانيا نفسها غير قادرة على مجاراة الصناعات اليابانية. وكانت صناعة المنسوجات اليابانية تضاهي مصانع لانكشير. وحالما اصبح ذلك واضحاً، فان بريطانيا اسقطت بلاغتها الخيالية بشأن اهمية

وجود تجارة حرة. فلا احد يساند التجارة الحرة ما لم يعتقد بأنه سيكسب التنافس. ولم تساند بريطانيا ذلك قبل ان كسبت اللعبة الصناعية، وبعد ذلك سحبت دعمها ذلك. وفي عام ١٩٣٢ عقد مؤتمر مهم في اوتوا، وكانت بريطانيا لا تزال امبراطورية انذاك طقورت ان تغلق اسواق الامبراطورية البريطانية امام البضائع اليابانية. فرفعت تعريفه الاستيراد الى خمسة وعشرين بالمئة. فاعلقت بذلك اسواق كل من الهند، استراليا، ونيوزيلاندا وغيرها امام البضائع اليابانية.

في غضون ذلك قام الهولنديون بنفس الشيء. كان ذلك في الثلاثينات. وقد فعل الهولنديون الشيء ذاته في اندونيسيا. اما الولايات المتحدة، والتي كانت انذاك تعتبر قوة امبريالية صغيرة، قامت ايضاً بنفس الشيء في الفلبين وكوبا. وقصة الامبرياليين اليابانيين انهم كانوا خاضعين لما اطلقوا عليه طوق او محيط اميركا، بريطانيا، الصين، وهولندا.

وكانت هناك بعض الحقيقة في ذلك. فالفكرة اليابانية كانت تلخص في انهم ينكرون حقنا في مكان تحت الشمس. فانهم قد احتلوا كل ما ارادوا حينذاك، والآن عندما كنا نحاول ان ندخل الى الساحة متأخرين، فانهم اغلقوها امامنا، والآن عندما كنا نحاول ان ندخل الى الساحة متأخرين، فانهم اغلقوها امامنا، لذلك فنحن لا نستطيع ان ننافسهم بحرية. فذلك كانت القضية، ومنتهى للحرب بناء عليه.

ولم يحدث مثل ذلك بصورة اوتوماتيكية. ففرو منشوريا قد سبق مؤتمر اوتوا، الا ان تلك الامور ظلت مستعمرة. وكان هناك تفاعل لذلك الامر الذي استمر لغاية ١٩٤١. فقد قيد اليابانيون من قبل القوى الاستعمارية. لذلك فقد كانوا ينفقون ويقومون بمزيد من الاعمال العدوانية ليؤمنوا لانفسهم عالماً ليسيظروا عليه. وأدت تلك الاعمال العدوانية الى المزيد من التصدي والمواجهة من القوى الاستعمارية.

وجرت في النهاية مفاوضات بين الولايات المتحدة واليابان، ما بين وزير الخارجية الامريكية انذاك، والاميرال نوومرا عن اليابان. واستمرت المفاوضات لغاية وقت قصير من ضرب بيرل هاربر، وكانت المسألة تراوح مكانها بشكل رئيسي، هل تفتح اليابان نظامها الاستعماري للتغلغل الاميركي ؟ وفي النهاية توصلنا فعليا الى نوع من الاقتراح للعمل به، بيد ان اليابانيين اصرروا على مبدأ التعويض او المقابل، أي ان الولايات

المتحدة تقدم المقابل. مما ادى الى رد حاد من الاميركيين. فاعلقوا محادثاتهم مع اولئك الاوغاد الصفر. فحدث الهجوم على بيرل هاربر بعد وقت قصير من ذلك.

وكان هناك تفاعل معقد طيلة مدة الحرب في الباسفيك (المحيط الهادي) فلو أن اليابانيين لم يرتكبوا المجازر وعمليات القتل الجماعية في بعض مناطق اسيا، لكانوا حصلوا على المزيد من الدعم من هناك. فلقد كانوا تلقوا كثيراً من الدعم من الدول التي احتلوها، مثل اندونيسيا. وكان الكثير من الوطنيين ساندوهم في اسيا. الا انهم ويسبب الوحشية والقسوة التي ابوها فقد فقدوا الكثير من الدعم الا انهم لم يفقدوه كله. فقد اعتبروا من حيث الجوهر على انهم محرومين، استطاعوا التغلب على الرجل الابيض الذي كان يهيمن على رقاب الشعوب هناك منذ مدة طويلة. لذلك فانها قصة معقدة

وفي الحقيقة، فانها مسألة حتى اكثر من معقدة. واذكر انه في أواخر الستينات نشرت مؤسسة راند ترجمات لمنشورات يابانية استخدمت في عمليات القمع التي جرت في منشوريا. فقارنتها مع تلك النشرات التي اصدرتها الولايات المتحدة وقتذاك، والاعمال التي قامت بها في فيتنام الجنوبية انها كانت متشابهة الى حد كبير. فهناك امور لم تتغير كثيراً.

وفي الوقت الذي كنت فيه متشككاً بشأن الحرب العالمية الثانية، فقد اعتدت ان انهب الى مكتبة فيلادلفيا العامة التي كان لديها مجموعة من كافة انواع الصحف الراييكالية الغربية والعجيبة، وكان لديها ايضاً مواداً مطلعة بكافة انواع التفسيرات لما كان يجري آنذاك، ومن بينها الحرب الزائفة التي كانت دائرة آنذاك. ولا اريد ان اسيء لأي احد كان، ولكنك ستخمن عما اتحدث عنه. ففي تلك الايام كانوا يتواجدون هنا وهناك، ايضاً. وكانت توجد هناك مؤامرة بين البلاشفة وهي الطبقة الحاكمة في روسيا وبين الطبقة الحاكمة الغربية من اجل تدمير البروليتاريا الأوروبية، وكان ذلك ما كانت تسير عليه الحرب في الحقيقة. وهناك نظريات اخرى ايضاً، نظريات غريبة جداً في فحواها، بيد انها ليست غريبة تماماً. فقد كانت لديهم مظاهر تشابه المواد المعلوماتية المتواجدة اليوم التي تحتوي على عناصر متبصرة.

وعندما بدأت عملية تحرير أوروبا فقد كان بإمكانك ان ترى ما كان يجري. ذلك انه

في عام ١٩٤٣ اعاد الامريكيون المتعاطفين مع الفاشية في ايطاليا وفي عام ١٩٤٤، وبشكل خاص، عندما قدم البريطانيون الى اليونان، فانه لم يكن غامضاً ما كان يجري هناك. وبحلول شهر كانون اول ١٩٤٤، فانه حتى للذين كانوا يقرأون الصحف انذاك فقد امكنهم فهم بانهم كانوا يدمرون المقاومة. فالعناصر التي كانت تقاتل النازيين وتصدى لهم كانوا يدمرون انذاك من قبل البريطانيين، وبذلك فان البريطانيين حلوا مكان النازيين.

وكان موقفي في تلك الوقت متلوئاً بطابع الصهيونية. وكنا نقول انهم الامبرياليون البريطانيون، انظروا ماذا يفعلون باليهود في فلسطين، وفي اليونان. ولم يكن من السهل بالنسبة لنشط صهيوتي نو خمسة وعشرين عاماً ان يدرك ويستوعب ما كان يجري انذاك، ولكن كان بإمكانه ان يرى الاشياء. وفي عامي ١٩٤٥ - ١٩٤٦ ظهرت صحيفة للسياسة، التي اعتبرت العين الحقيقة المفتوحة، وكان رئيس تحريرها دوايت ماككونالد.

■ سؤال : متى بدأت بقراءتها انذاك ؟

جواب : ربما قرأتها بعد ذلك بسنة، ومن المحتمل ان يكون ذلك في عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧، عندما كنت طالباً في الكلية. وكان لذلك تأثيراً ضخماً علي. ولا اسري ماذا سيكون تأثيرها لو اني قرأتها الآن، الا انها في تلك الوقت كان تأثيرها كبيراً علي. وكان رئيس تحريرها كاتباً عجبياً، مثيراً للعواطف جداً، ولديه كثير من النفاق. ولن انسى ابدأ بعض المقالات التي قرأتها فيها. فعلى سبيل المثال، اتذكر كاتباً ليبرالياً مفروراً كان يكتب فيها اسمه ماكس لارنر. وماككونالد، الذي كان مناهضاً جداً للفاشية. ولا احد يضاهيه في مناهضته للفاشية. كان يصف ما كان يحدث وقتذاك، سواء كان هنا ام هناك او ما كان يسمع عنه، لا اسري. فقد كنت في المانيا انذاك. وكان ماكس لارنر على ما يبدو يرافق القوات الاميركية. فصانفوا في الطريق مجموعة من اللاجئين، كانوا عبارة عن نساء المانيات جائعات يحملن حقائب على ظهورهن، وكن يبحثن عن ملاذ لهن. فيصف ماككونالد كيف ان لارنر نزل من سيارته الجيب وبدأ باستجواب اولئك النساء حول شعورهن بالذنب من جراء تلك الحرب. لقد كان ذلك امراً حاداً جداً، ويحمل ف طياته الكثير من النفاق والشعور الذاتي بعقبة المحرر المحتل واثار ذلك كثير من التساؤلات وكان ذلك ينطبق على كافة كتاباته. ومن احدى الامور هناك انها كانت تلك مسؤولية للفكرين التي فهمتها فيما بعد.

ديفيد بارساميان : لقد سئلت في عدة محاضرات ولقاءات لاجراء مقارنة بين عملك في اللغويات وفي السياسة. فأنني لن اسالك تلك السؤال.
نعوم تشومسكي : شكراً [ضحك خافت].

ديفيد بارساميان : ولكن ما هو مثير حقاً هو لماذا طرح السؤال ؟

نعوم تشومسكي : انه سؤال مثير، فهو يسأل باستمرار. وما هو اكثر من ذلك، فان هناك اسئلة ايضاً تطرح من قبل كل واحد ما عداي. وهناك ايضاً اجوبة حساسة. ولكن ليس بسبب الاجوبة للحساسية طرح ذلك السؤال. فاعتقد بأن هناك سببين لذلك. الاول هو انه يوجد هناك افتراض بأنه لا يمكنك ان تكون انساناً فحسب، ولا يمكنك ان تكون مهتماً بالمجازر الجماعية لانه لا تحب المجازر الجماعية فحسب. فلا بد ان تهتم بامور اخرى وهناك افتراض ايضاً انه ما لم تكون خبيراً محترفاً في شيء، ما، فانه لا يمكنك التحدث عنه. لذلك يوجد هناك اي عدد من وجهات النظر، بما فيها وجهات النظر المحببة، ويجب علي القول، بأن وجهات النظر من قبل اليساريين الذين يستعرضوا كتاباً لي ويقولون، «عجباً لهذه التحليلات الدعائية المثيرة، لانه يستطيع ان يستخدم علم اللغة لينقص من او يخفض من بناء الايدولوجية او شيئاً من هذا القبيل. وانتي حتى لا اعرف ماذا تعني كلمة «انقاص البناء»، وما هي وكيف تستخدم.

فلو انك جلست في صفي الدراسي، لكان بإمكانك ان ترى الارتباط ما بين ذلك والكتابة حول الايدولوجية. فربما تجرى دراسة طبوغرافية جبرية لكل تلك الذي يتعلق بالايولوجية. ولكن على الناس ان يروا بعض الارتباط في ذلك. ولا بد ان يكون بوسعي ان افعل هذا لانتي عالم لغوي محترف. وهذا يحمل تضميناً، انه لا يمكنك ان تقوم بذلك اذا لم تكن عالماً لغوياً. فذلك يعتبر خطأ فاصلاً. فهو يبلغ او يقول للناس ضمناً، بأنه لا يمكنكم القيام بذلك. فلا يمكنك ان تفكر بالعالم، كما لا يمكنك فهم العالم. وربما يمكنك ان تمتلك احساسياً، ولكن اتركها للخبراء. فهناك يوجد شخص او عالم لغوي محترف، بإمكانه ان يحدثك عن الايدولوجية. واذا ما نهبت الى كلية العلوم السياسية، فانهم سيشرحون ويوضحون لك السياسات، إلا انكم انتم ايها الاناس العاديون، لا يمكنكم او انتم غير قاصرين على ذلك تماماً. وانتي لا اوحى بأن الاشخاص الذين يكتبون المقالات ووجهات النظر المفضلة يمكنهم ان يقبلوا بهذا الوضع. ففي الحقيقة، فانهم يرفضون

تلك بقرة، وانتي متأكد من ذلك. بيد انني اعتقد بان هناك شيئاً مخفياً مبطن، يوجد هناك. وبطريقة اخرى لماذا يجب على اي واحد ان ينظر للاشياء التي اكتبها ويقول انني انتقص من بناء الايدولوجية، فماذا ذلك يعني، هل لاتي عالم لغوي محترف وذا خبرة ؟

■ سؤال : لقد صرح القائد العام في نيويورك في شهر تشرين اول ١٩٩١ بان الكونغرس يقوم بدفع نفس البرنامج الحر القديم الى بلد جائع من اجل بناء ما علينا ان نفجزه خارجاً لنجلب الفجاح الى بلادنا، وهذا يبدو ليكون في الحقيقة لمجاعة متزايدة في الولايات المتحدة، ولكن ليس من اجل التنوع الذي لوحى به بوش، وسجل الارقام الامريكي، ويشير تقريباً الآن الى الاعتماد على الغذاء كعنصر فعال. فقد نجح ذلك في العراق. وبالطبع، فان ذلك انتصار سريع. وربما يمكنك ان تستعرض مناطق اخرى في العالم، مثل غرينادا، بنما، نيكاراغوا وتيمور الشرقية ؟

جواب : ان العراق قد تعرض لكارثة من وجهة نظر اية قيم معترف بها. بالطبع، انها كارثة من جهة نظر السياسة الفعلية. ويمكنك قول الشيء ذاته على البلدان الاخرى. فهناك ما حدث في شرق تيمور (اندونيسيا) وارتكاب المزيد من المجازر، دون ابداء الاهتمام المناسب بها. بل ان شرق تيمور اعتبرت ساحة لارتكاب المجازر الجماعية فعلياً من قبل الجيش الاندونيسي. واستمرت الاحداث جارية والدعم الاميركي الحاسم والخطير استمر منذ عهد ادارة الرئيس فورد وحتى عهد ادارة كارتر، وللمساعدات الاميركية تنصب، ومنع تدخل الامم المتحدة ليكون الاندونيسيون قاضين على السيطرة على الاقليم، وقتل بالنتيجة اكثر من مائتي الف شخص من اصل سبعمائة الف شخص من لجمالي عدد السكان هناك . هكذا استمرت المجازر والاعمال الوحشية، واستمرت عمليات القمع، مع استمرار المساعدات الاميركية. ولم تكن لوحدنا نقدم المساعدات. بل كانت هناك مساعدات من كل من بريطانيا، هولندا، في اندونيسيا. الا ان المساعدات القصوى كانت من الولايات المتحدة. بل نستطيع القول بأن اي واحد كان يمكنه ان يجني دولاراً كان متواجداً هناك.

ومن احدى اعظم حالات الضرائب في هذه القضية كانت استراليا، فاستراليا كان

لها علاقات خاصة باقليم تيمور. وكان يوجد هناك فدائيون استراليون يحاربون اليابانيين في تيمور، ابان لاحتلال اليابان لها خلال الحرب العالمية الثانية، وفقد سكان تيمور حوالي اربعين الفاً من الارواح من اجل مساعدة مائتي من الكوماندوز الاستراليين الذين كانوا منعزلين هناك. لذلك وفي مقابل هذه الخدمة فقد دعم الاستراليون عملية الغزو (الاندونيسية) منذ بدايتها. واصبح لهم فيما بعد الحق في الوجود في حرب الخليج، ومن ثم توصلوا الى ابرام اتفاقية مع اندونيسيا لاستغلال النفط من الممر الضيق الواقع ما بين تيمور واستراليا. وكان ذلك يحدث في حين كنا نصرخ حول العراق والكويت، وكان ليبيا قد عقدت صفقة مع العراق والكويت. وعندما اثير هذا السؤال، كان وزير الخارجية يموت من اجل الحصول على جائزة نوبل للسلام لقاء ترسطة في مسألة كمبوديا. وقال بلن العالم مليوناً بالامثلة التي تثبت امتلاك الاراضي او المناطق بواسطة القوة. وكان يشير بذلك الى اقليم تيمور. واذا ما تطرق الامر بالعراق والكويت، فبالطبع فاننا سنقف ونقول بأن الكويت دولة صغيرة ولا يجب ابتلاعها، الخ. الا ان ذلك لا ينطبق على اقليم تيمور انها حقاً ملصاة وحشية. اذ انه لم يكن هناك سوى القليل من الاهتمام او ربة الفعل حول المجازر التي ارتكبت هناك. فانثونيسيا هي دولة غنية وقوية، فتحت نفسها على الغرب واستغلالة، بعدما تولي سوهارتو زمام السلطة هناك. الا انه كما صورته مجلة الايكونوميست البريطانية، فهو معتدل ولطيف، وشخص جيد بشكل رئيس، واذا ما اراد ان يحتل بلداً او اقليماً اخرأ ويبيد سكانه، فان ذلك ليس من شلتنا.

وماذا عن غرينادا ؟ كانت غرينادا ماضية لتكون حرة طليقة. وكان ذلك هو الشيء الوحيد الذي قد نجح فعلياً هناك. واصبحت واحدة من الدول التي تحتوي على اكثر كمية من اموال تهريب المخدرات، فلا توجد فيها قيود قانونية مفروضة على البنوك هناك، فكل شيء مفتوح وميسر. لذلك فقد اصبحت مركزاً للانشطة الاجرامية التي تنفذ من قبل البنوك الرئيسية هناك. وربما اصبحت مركزاً دولياً لتجارة المخدرات، وقفشت فيها البطالة، ولا يوجد فيها أي نوع من التطور والنمو. مع وجود نشاط سياحي ضئيل، وذلك بسبب شاطئها الجميل، الا انه قد أهمل عمداً.

اما بنما، فانها كانت تقع بأيدي عشرة بالمئة فقط من الاوروبيين من مجموع السكان، وهم الذين كانوا يشكلون النخبة الثرية ويديرون البلاد قبل نشوء حكم

ترويجوس العسكري الديكتاتوري، والذي فرضته الولايات المتحدة. وتراجعت اعمال البنوك التجارية، في حين نشطت تجارة المخدرات واموالها. وارتفع معدل البطالة فيها.

وبالنسبة لنيكاراغوا، فانها تعتبر مسألة مرعبة جداً. فربما تعتبر نيكاراغوا من افقر الدول، افقر من هنوراس. ومن المحتمل ان تكون من افقر البلدان في نصف للقارة الاميركية الجنوبية وربما تأتي بعد هايتي. ويمكننا ان نسرد قائمة بهذا الصدد. وفي كل انتصار للسياسة الخارجية يعتبر كارثة تماماً من وجهة نظر السكان هناك. لكن ذلك لا يهم، لانه يكون فقط انتصاراً على الصفحات الاولى للصحف الاميركية لكي تخدم مصالحها. وهذه المصلحة هي مزوجة قطعياً. الاولى، هو التأكد من ان العالم مسيطر عليه. وثانياً، للتأكد من ان الشعب الاميركي لا يعير انتباهاً لما يشار اليه من البداية، ومن حقيقة ان هناك دولة تنهار بالقرب منه. فهم لا يربطون للشعب الاميركي ان يلفت انتباهه الى ذلك، لذلك فهم بحاجة لتحقيق انتصارات. وهم بالتاكيد لا يمكنهم تحقيق انتصارات داخلية. لذلك فان عليهم تحقيق انتصارات. وهم بالتاكيد لا يمكنهم تحقيق انتصارات داخلية. لذلك فان عليهم تحقيق انتصارات في السياسة الخارجية. وذلك ما هم بحاجة اليه من دعم ومساندة الصحافة لهم، والى رجال الفكر من اجل تحويل هذه الكوارث والنكبات الى انتصارات للسياسة الخارجية. فلولا عليك ان ترعب الشعب حول وجود عمو خارجي، ومن ثم تقف في خشوع امام زعيمك الفاتح العظيم، الذي انقذك في احلك الاوقات. لقد قمنا او نقوم بذلك في كل سنتين. ونحن نقوم بذلك حالياً، في ليبيا.

■ سؤال : ماذا تعرف عن الوضع في منطقة باباوا الغربية (ايران

جاييا) ؟

جواب : انها قصة مرعبة ايضاً، ولا يوجد لدينا الكثير من المعلومات عنها. فلقد سلمت لاندونيسيا تقريباً. وكانت تعتبر جزءاً من الامبراطورية الهولندية، ولكن على العكس من تيمور الشرقية، التي لم تكن كذلك، فان السكان في ايران جاييا ارادوا نيل الاستقلال، بالطبع. فهناك حوالي مليون من السكان تقريباً، معظمهم من القبائل، اي انهم السكان المحليين. وقد عقدت صفقة ابان ادارة الرئيس كينيدي مع الرئيس الاندونيسي السابق سوكارنو، قبل ان يتسلم سوهارتو السلطة. وفي عام ١٩٦٩، جرت عملية نقل لاقليم ايران جاييا وذلك بتفويض من المجتمع الدولي، الى نظام يمارس عمليات الابادة

الجماعية، والذي كان ينوي تدمير هذا الاقليم. بل ان الغرب اراد ذلك، لانه توجد مصابر طبيعية هناك. وستكون هناك طريقة لتنمية وتطوير هذه المصابر اذا ما سلّمت تلك المنطقة لاندونيسيا، لانهم ارادوا نهبها ومساعدة الغرب على نهبها ايضاً. لذلك فقد تحركوا اليها، وجرت هناك عمليات كبيرة من القتل والقمع، ووضعت خطط من اجل الهجرة للجماعية، التي انخرطت فيها عدة دول ومن ضمنها كندا. فقد وصفوا هذه العملية على انها جزء من جهود انسانية، في غضون ذلك، جرت عملية ابادة للسكان المحليين، ويمكنك ان تخمن ماذا جرى، ولم يعرف اي واحد ماذا جرى هناك بالضبط، وقد عد القتل بنحو (٢٠٠) الف قتيل. وقد استخدمت الاسلحة الكيماوية ضدهم على ما يبدو. اذ ظهر ذلك في نشرة لجمعية مكافحة الرق في لندن، كما اكدت تلك برامتان اجراها الاستراليون بهذا الصدد. والف للعالم الانساني جورج مونبيوت، الذي ذهب الى هناك وتجول في المنطقة، كتاباً مهماً حول ذلك.

انها عملية تدمير لمجتمع محلي من قبل دولة شبه فاشية من العالم الثالث مدعومة بقوة من الغرب، لان اندونيسيا موجهة تجاه السماح لنا باستغلال مواردها. وهكذا فانها قصة وحشية اخرى، لا احد تحدث عنها من قبل.

■ سؤال : لقد تحدثت عن الاحداث الداخلية في الولايات المتحدة، التي تجري بطرق ووسائل مدمرة جداً ومتراكمة بالعنف العشوائي الواسع : فهناك عامل يريد يفر مسعوراً في ميشيغان، وهناك بالامس طالب يجري مهتاجاً جداً في ايوا، ومنذ اسبوعين كانت هناك مجزرة في تكساس. فهل هناك اي ارتباط بين العنف الاميركي الدولي الرسمي وبين ما يجري داخلياً ؟

جواب : كانت هناك بعض الدراسات حول ذلك، الا انني لم ار اية تفاصيل، لذلك فانني اتردد في التحدث عن ذلك. بيد ان الدراسات تدعى باظهار ارتباط ما بين العنف الدولي والعنف الداخلي. وسواء كان ذلك صحيحاً ام لا، فاني لست متأكداً من ذلك. وهناك ايضاً كثير جداً من العنف الخيالي، وافر مفتاح التلفزيون فحسب لتشاهد وبشكل عشوائي عملية قتل او ان تشاهد امرأة وقد قطع راسها. فهناك بعض الاشخاص مثل جورج جيرينز، الذي كان مديراً للمدرسة انينبرغ قام باجراء دراسات حول تأثير العنف

في التلفزيون على الاطفال. فتوصل الى ان الاطفال يشاهدون معظم اعمال العنف على شاشة التلفزيون، كما يشاهدون بصورة مستمرة عمليات القتل، فالطفل قد يشاهد عشرات عمليات القتل اسبوعياً، او ربما في يوم واحد. اما للعنف الدولي فانه يضاف الى الاحساس بانك تقتل. وهكذا تسير الحياة العادية. وما هو المحيط هناك ؟ ففي مركز لوقلب مدينة بوستن، على سبيل المثال، فانها قد لصيحت قضية شرف بالنسبة للمراهقين بان يصابوا برصاصة ما، على غرار ما كان يجري في المبارزات الارستقراطية الالمانية قديماً. فاذا لم تصب برصاصة حقيقية فانك لن تكون رجلاً حقيقياً. فهناك اطفال في الثانية عشر من عمرهم يتنون الى المدرسة وهم يحملون السلاح. فنلك هو البعبع الفكري.

■ سؤال : لقد كنت مهتماً بملاحظة انك كنت تتحدث فعلياً عن تورط الحكومة في عمليات المخدرات في احياء الجيتو (الاحياء الفقيرة).
لما هو قولك ؟

جواب : لقد قلت بانني لن اكون مندهشاً من نلك. ولا اعرف اي دليل حول نلك. وهناك بالتأكيد كثير من الناس السود الذين يعتقدون نلك. وهناك بعض الامور تثير الشكوك بالتأكيد. وقد لعب وباء المخدرات في الستينات دوراً كبيراً في ازالة مجتمعات كانت بدأت بالفعل في تنظيم وتعبئة نفسها من اجل المساهمة في الازمات الديمقراطية التي كانت النخبة الحاكمة قلقة بشأنها.

■ سؤال : انك غالباً ما تسخر من انك تقدم مناقشات عامة ومنذ عدة سنوات لمواضيع من نفس النوع. فما هي الازمات الحالية في الشرق الاوسط غير المصالح الاميركية في النفط ودعم اسرائيل، ونلك هي اسباب كالمية، فهل هناك اي شيء تحت السطح لا يمكننا ان نراه ؟

جواب : اعتقد بانها نلك هي الامور الرئيسية التي لا نراها. فدعم اسرائيل لا يمكن ان ننساه، ولكن الطريقة التي تشد بها هذه العلاقة هي عملية السيطرة على الموارد، والطريقة التي تتلائم فيها هذه الامور مع السياسة العامة الاميركية. فلا اعتقد ان احداً قد لاحظ او رأى الكثير من نلك، وهناك امور اخرى، بالطبع، ولكن اعتقد بان نلك هو لب الموضوع، وانه ليس سرّاً كبيراً، وبالعودة الى الاربعينات، فان السعودية اعتبرت بشكل

خاص على انها اهم منطقة من الناحية الاستراتيجية في العالم، كما دعا ذلك ايزنهاور في حينه. ولم يكن ذلك بسبب ان الولايات المتحدة تحب رمال الصحراء.

■ سؤال : في اجابة لك على سؤال قبل اجراء مقابلة (في ١٥ تشرين اول ١٩٩١) فقد عزيت عدم الاهتمام في او عدم الصلة بالفلستينيين في الولايات المتحدة الى معاداة العرب ومناهضة المسلمين المتطرفين. وكان جوابك الصريح تاماً، قد جعلني غير راضياً بعض الشيء. فهناك كثيراً او عدد جيد من اليهود الاميركيين ينتمون للحركة التقدمية. فهل تعتقد بان ذلك يساهم في التناقض او التشوش بشأن الشرق الاوسط ؟

جواب : اه، نعم، فلن اكون راضياً بذلك السبب حتى، ويمكنك مشاهدة انها لا يمكن ان تكون القصة برمتها، لان مناهضة العنصر العربي لا تمنعنا من محبة امير الكويت، او العائلة المالكة السعودية. فذلك شيء جيد. وما يجب ان اقله هو ان مناهضة العنصر العربي هو شيء مستوطن في البلاد، الامر الذي يعتبر غير عادي، ومساهمة تساعد في تسهيل تنفيذ سياسات انكار حقوق الفلستينيين.

وبالنسبة لوضع الفلستينيين، فاذا ما كانوا يمتلكون النفط او المال، وكانوا يلعبون نفس اللعبة التي تربيها الولايات المتحدة، واذا ما كانوا يشكلون قوة عسكرية قوية، او كان لديهم مستوى تكنولوجي عسكري عالٍ ويقانون من قبل قطاع طرق، فان مناهضة العرب عندئذ لن تؤثر على موقفنا تجاه الفلستينيين. بيد ان الفلستينيين ليس لديهم الاسباب. فهم ليس لديهم الثروة، وحتى على الاقل بالمستوى الذي يهتم به اي واحد. كما انه لا توجد لديهم قوة. بل انهم يشكلون مصدر ازعاج، لان لديهم قضية وطنية غير محلولة مما تثير العواطف في العالم العربي. فقد اخرجوا من بلادهم واستبدلوا بما ينظر اليه من قبل العرب بفرز اوروبي آخر (اليهود المهاجرون من اوربا). فكل هذا جعلهم ليس صفراً من حيث القيمة فحسب، وانما سلبين في القيمة. انهم صفراً من حيث القيمة لانهم لا يساهمون بأي شيء بالنسبة للقوة الاميركية او الثراء الاميركي. وانهم سلبيون في القيمة لان وطنيتهم الغير مرضية تعتبر قوة لاثارة ما تعتبره الولايات المتحدة قوة ممزقة، اي ما يقصد بالقوى الوطنية او القوى المستقلة في ارجاء العالم

العربي. وبالتالي، فإنها عديمة القيمة. وعند ذلك الحد فإن معاداة العرب تستمر وتجعل الامر سهلاً لمعاملتهم على انهم عديمي القيمة.

ان عنصرية معاداة العرب ليس بمزحة. فعلى سبيل المثال، افترض ان احد المراسلين الصحفيين في نيويورك قال بأن نصيحته لسوريا كانت بأن عليهم ان يعاملوا اسرائيل بالطريقة ذاتها التي يميزون فيها وادي البقاع في لبنان. فذلك هو الامر، سيطروا على اسرائيل وعاملوها بعقل الطريقة التي تعاملون بها البقاع في لبنان. فاذا ما حدث ذلك فإن تلك المراسل سيصعد ليصل الى منصب كبير المراسلين السياسيين لصحيفة نيويورك تايمز. انني اتحدث عن توماس فريدمان. واقد قمت بتحليل تلك كلمة كلمة، وتوصلت الى ان اسرائيل هي التي تسيطر على الضفة الغربية وتديرها كما تدير جنوب لبنان.

■ سؤال : هل هذا يعادل قصة نيكاراغوا مرة ثانية ؟

جواب : لا اعتقد بأن ذلك مماثل تماماً بالنسبة للفلسطينيين.

■ سؤال : على سبيل الافتراض، ما هو التهديد الذي يمكن ان تشكله

دولة فلسطينية ضئيلة في مواجهة القوة الاميركية ؟

جواب : التهديد هو ان على اسرائيل الانسحاب، فهناك بعض المشاكل بالنسبة للانسحاب الاسرائيلي. فاسرائيل تعتبر عنصراً مركزياً في نظام القوة الاميركية هناك. فاذا ما انسحبت اسرائيل، فإنها يمكن ان تندمج في المنطقة كجزء تكنولوجي متقدم دون شك، الا انها لن تكون كمثل مبارطة اسرائيلية. وهي ستمضي في الدخول بتسويات سلمية لكي تحصل على اشيء مثل مياه الشرب مثلاً. ودع المياه جانباً. فكل شيء يعتبر سرياً، عبارة عن مواد مصنفة، لذلك فلا احد يعرف التفاصيل حقيقة. ولكن من المحتمل ان اسرائيل تستخدم شيئاً ما لكي تحصل على ثمانين بالمئة من مياه الضفة الغربية. اذ انها تعتمد عليها. لان مصابرها المائية محدودة. وهناك بدائل ممكن تصورها، وقد تعقد صفقة مع تركيا، او ربما تسرق المياه من نهر الليطاني في لبنان. كما يمكنك تخيل احتمالات اخرى، الا انها محصورة. انن فالسيطرة على مياه الضفة الغربية مهم جداً.

ونفس الامر ينطبق على مرتفعات الجولان. فمرتفعات الجولان تعتبر مصدراً رئيسياً للمياه، فمنه تنحدر ينابيع نهر الاردن. وبذلك فإن جزءاً رئيسياً، وربما تكون ربع

مياه اسرائيل تأتي من تلك الجزء المحتل من الاراضي العربية المحتلة. وهذا ما يفسر ذلك الاهتمام الكبير الذي يثار حول مرتفعات الجولان، والذي يعود لعام ١٩٤٨ - ١٩٤٩. وتقع على قمة تلك الامور بما يدعى بمسألة القدس، والتي تشمل الآن منطقة كبيرة معتدة، تحتل مساحة رئيسية كبيرة من الضفة الغربية. والمناطق المحيطة بها تعتبر من الاحياء الجميلة حتى تل اييب. حيث توجد المناظر الجميلة ذات الطبيعة الخلابة. لذلك فانهم لن يتخلوا عن ذلك لغاية ما يجبروا عليه.

والولايات المتحدة لا تريد ان يتخلوا عن هذه المناطق، لان اسرائيل لا تلعب دوراً في التخطيط الاميركي. لذلك فان لديهم حقوق الانسان، لانهم يمتلكون السلاح والتكنولوجيا ويعرفون كيف يحاربوا ويساعدوا في المسائل الاستخبارية. وانهم يقومون بانواع من الامور القيمة، لذلك فان لهم حقوقاً. كما ان الولايات المتحدة لا تريد ان يفقدوا تلك القوة. وهكذا فانها ليست الدولة الفلسطينية هي التي ستضر بالمصالح الاميركية. انها ليست مثل نيكاراغوا انن. وانه ليس الخطر الذي يمكن ان يتبع ويثير القوى الوطنية الاخرى في المنطقة التي تريد اثبات نجاحها. فلا اعتقد بلن ذلك بشكل تهديد. فالتهديد هو ببساطة الذي سيلزم الانسحاب الاسرائيلي.

■ سؤال : انن فانت ما زلت مؤيداً للنظرية الاستراتيجية من ان

اسرائيل تمثل نور الشرطي الاميركي في المنطقة ؟

جواب : انها واحدة منهم، كما كانت يوماً، او ان تلك يعود بالتاكيد الى اوائل الستينات. وكان هذا المصطلح مستخدماً قبل عشر او خمسة عشرة عاماً فقط الا انه منذ مطلع الستينات، فان اسرائيل استخدمت كقاعدة للقوة الاميركية. ومن المحتمل ان اكثر فترة أهمية كانت حقبة الستينات، عندما كانت تعتبر مصر الناصرية، وهذا صحيح ايضاً، كقوة مستقلة في العالم العربي وفي كافة ارجاء العالم العربي في الحقيقة. وكانت تلك فترة نشأت فيها حركة عدم الانحياز، وكان ناصر يعتبر زعيماً قومياً. وكان ينادي بما اطلق عليه اسم «القومية العربية الرأبكالية»، وبالقومية العربية المناهضة للغرب، وبالقومية العربية المعادية للاقطاع. ونشأت هناك بما عرف بحرب التفاويض، ما بين للمعوية من جهة، التي كانت تدافع عن المصالح الاميركية، وبين مصر الناصرية واليمن من جهة اخرى، في تلك السنوات. وكانت اسرائيل تعتبر عائقاً امام الضغوطات

الناصرية ضد السعودية . بل ان المخابرات الاميركية اعترفت بالعائق الاسرائيلي امام الضغوطات الناصرية.

■ سؤال : هل كان هناك تحالف ايراني سعودي - اسرائيلي ثلاثي ؟

جواب : لقد دعي ذلك في القاموس الاميركي باسم «سياسة العمودين» ايران والسعودية. الا انه وبسبب ان اسرائيل تعتبر «بقرة مقدسة» فانه لا يسمح لك بالتحدث عنها. اما في الحقيقة، فقد كانت هناك ثلاثة اعمدة، ايران، السعودية، اسرائيل. ومن الناحية الفنية، فقد كانت السعودية في حالة حرب مع كل من اسرائيل وايران. وقد احتلت ايران بعض الجزر في الخليج وحدث هناك احتياج جراء ذلك. وهذا الوضع كان مفهوماً جيداً. ولا يعتبر هذا سراً كبيراً.

- بيفيد بارساميان : اني اعرف ما حدث في الستينات والسبعينات وافكر اكثر حول فترة ما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والحرب العراقية.

- نعم تشومسكي : لم يكن لدى الاتحاد السوفياتي شيئاً ليفعله بهذا الصدد. انه كان كالسمك احمر. فلا تنس، انه ولعة سبعين عاماً، وفي كل مرة كنا نريد فيها غزو بلد ما، كنا نحسب حساباً للاتحاد السوفياتي. ولم يكن ذلك صحيحاً تقريباً. فانه من الصحيح بان مهاجمة الاهداف الاميركية عنت الحصول على دعم سوفياتي، ولكن ذلك بخصوص الحقيقة المحبوبة لتلك الرواية. وبعيداً عن ذلك، فان التهديد السوفياتي كان عبارة عن اداة لتعبئة الدعم من اجل التدخل في العالم الثالث. وبماكانك ان ترى ذلك بوضوح، فبعد سقوط جدار برلين، فلا يمكنك حتى ان تتظاهر بوجود أي نوع من التهديد السوفياتي. فعندما غزت الولايات المتحدة بنما، اين كان الاتحاد السوفياتي ؟ ومن العجيب ايضاً ان البيت الابيض كان يتقدم سنوياً من الكونغرس بتخصيص موازنة عسكرية ضخمة واكبر من سابقتها، من اجل هذا الغرض. الا ان الموازنة التي جاءت في اذار عام ١٩٩٠، وحتى بعد سقوط جدار برلين، اذ انه لم يعد هناك تهديد سوفياتي يمكن التظاهر به، كانت تلك موازنة مثيرة للدهشة. واختلفت تلك الموازنة عن سابقتها، لان في تلك المرة فان سبب الحاجة لموازنة عسكرية اكبر والمزيد من الصواريخ، كان بسبب ازدياد التقدم التكنولوجي لدول العالم الثالث، وخصوصاً في الشرق الاوسط.

وكان هذا قبل الاحتلال العراقي للكويت، إذ أنهم لم يكن بإمكانهم أن يقولوا شيئاً يهدد مصالحنا من قبل الكرملين.

والآن يمكننا أن نسلم بذلك، إذ أنه من غير المفيد طويلاً بل أن نضع باللائمة على ابواب الكرملين، فيمكننا أن نسلم بأنه لم يعد هناك خطراً سوفيتياً. وفي الحقيقة، فإن التهديد كان يوماً الشيء ذاته في أي مكان بالضبط وهو ما اطلقوا عليه عبارة القومية الراديكالية المستقلة، وبمعنى آخر، المجال الذي يقصد منه الدعم من قبل الروس، وإذا ما كان هدفاً معرضاً لهجوم اميركي.

■ سؤال : لقد دعوت هذا بمشكلة «الزريعة المتلاشية» اليس كذلك ؟

جواب : لقد تحدثت عن هذا لعدة سنوات. فمن وجهة نظري، فإن الحرب الباردة كانت بصورة رئيسية عبارة عن مواجهة شمال مع جنوب، مع وجود جزء كبير وقوي من الجنوب قد عاد الآن الى وضعه الحقيقي كالبرازيل.

■ سؤال : يعني افهم شيئاً أكثر عن اسرائيل فيما يتعلق بدورها القيام بشرطي محلي. فلماذا لم تدعو «قيادة الشرطة» في واشنطن (الادارة الاميركية) وتقول، تدخل يا اسرائيل وهاجمي العراق؟

جواب : لم يكن من الممكن القيام بذلك. فقد كانت هناك خدعة تجري. فقد كان عليها أن تشكل نولاً من التحالف العربي. وكان معظم العالم العربي يعارض الهجوم على العراق، وقامت المظاهرات المؤيدة له من المغرب وحتى انغونيسيا.

لذلك فقد كان من الصعب أن تتدخل اسرائيل وتهاجم العراق. وكان من الضرورة القصوى بل أن تحيد اسرائيل.

علاوة على ذلك، فلم يكن هنالك شيء تقوم به اسرائيل مع وجود القوة الاميركية الساحقة. فاسرائيل تعتبر قوة اقليمية فحسب، ولكن عندما تكون الولايات المتحدة متواجدة هناك، فلا دور لاسرائيل يمكن أن تلعبه.

■ سؤال : ان «بوستن غلوب» هي من إحدى صحفك المحببة، إذ انها تقول ان الشرق الاوسط هو «منطقة مليئة بخطط للسلام الاميركية». فكاتب يلفيد يُعتبر واحدة منها، وهو غالباً ما يشار اليه على انه

الانموذج والمثال لاجراء مفاوضات في الشرق الاوسط فانتوني
لويس قد كتب عن ذلك الى حد التقزز. ويمكنك ان تلخص العملية
(كامب بيفيد) على انها في المقام الاول كانت لاجراج مصر من قضية
التزاع هناك مع ما ترتب عليه من نتائج في الاراضي المحتلة وعدم
مقدرة لبنان على ردع القوة الاسرائيلية. وقد اصبح يتريد، من ان
الفلسطينيين قد منحوا الآن ما قد منحوا سابقاً في كامب بيفيد.
وحسب علمي فانهم حتى لم يكونوا ممثلين في كامب بيفيد. فما هو
تعليقك ؟

جواب : انهم حتى لم يمثلوا الآن، وهذا ليس غير صحيح. فدعني اعود الى بيان ظهر
في افتتاحية «بوسطن غلوب» حول خطط ومبادرات السلام الاميركية فنك صحيح، الا
انه صحيح بالتعريف. وانها ليست الحقيقة، انها دائماً عبارة عن درجة من المنطق
فحسب. والسبب ان خطط ومبادرات السلام لم تكن اميركية . ففي الحقيقة، فان الشرق
الايوسط الذي يفيض بكافة انواع خطط السلام، فانها كلها اعيتت من قبل الولايات
المتحدة، حتى انها ليست جزءاً من تلك الخط وكانت هناك سلسلة من خطط السلام
الاميركية، تلك انها، عبارة عن جهود تتضمن ترتيبات اميركية مفضلة بالنسبة للمنطقة.
وانه ليس سراً من انها كانت كذلك. وذلك لا يعني شيئاً بالنسبة للفلسطينيين، ولا يوجد
اشتراك دولي، وانما ما هي الا عبارة عن اشتقاق وامتداد لمبدأ مونرو للشرق الاوسط
لفرض ترتيبات معينة بين دول المنطقة المختلفة، ومن ضمنها اسرائيل وتركيا. فاذا ما
تمكنت من ايجاد ترتيب ما واعلنته رسمياً، فان ذلك يمكن ان يدعى «سلاماً» من وجهة
النظر الاميركية واي شيء بخلاف ذلك فانه لا يعتبر سلاماً.

■ سؤال : ان لسابرا شاترانند مقالاً نشر في صحيفة نيويورك تايمز
حول هذا الموضوع، فما هو قولك ؟

جواب : انها لم تفهم وتستوعب الامر. وانما اعتمدت على المعلومات الاعلامية. وهذا
يتعلق بموضوع الحكم الذاتي. واذا ما اردت معرفة هذه الامور، فعليك قراءة مواداً مثل
مقالات افنير يانيف، وهو محلل استراتيجي اسرائيلي رئيس، او مقالات وليام كوانت،
وهو معلق امريكي من شبكة ان. اس. سي الذي اشترك في المفاوضات. وهم ابركوا
النتائج التي كانت واضحة. فالفلسطينيون قد منحوا الحكم الذاتي، والاشخاص الذين

يقولون بانه نفس الحكم الذاتي الذي قدم لهم الآن فهو امر صحيح. وانت قلت بانهم لم يكونوا ممثلين (في المفاوضات) فذلك امر صحيح ايضاً. بل انهم ليسوا ممثلين حالياً ايضاً. فهناك اناس معينون فقط ، سمحت لهم كل من الولايات المتحدة واسرائيل بأن يشتركوا في مفاوضات الحكم الذاتي، واذا ما ارادوا توقيع (معاهدة الاستسلام) معنا، فهذا امر جيد. فذلك ما يعني بالتمثيل. ومفاوضات الحكم الذاتي تعني نفس الشيء. فهذا ما ارادته كل من الولايات المتحدة واسرائيل على الدوام. فذلك ما كان بيغز يقبل به. فالحكم الذاتي يعني الكثير مما هم يريدونه وما ارادوه، اي ان تخدم مصالحهم الذاتية. فلا يمكنك وضع سنتاً واحداً من اجل التعليم او الرفاه الاجتماعي أو أي شيء آخر. وبإمكانك ان تدبر كل تلك الامور بنفسك، ونحن سنأخذ كل شيء نريده.

■ سؤال : هل تعني بذلك الضرائب ؟

جواب : انهم سيدفعون الكثير من الضرائب. وسنجنّي الكثير من المال من جراء الضرائب، الا اننا لن نقدم أية خدمة في المقابل. وقد اشارت الصحافة الاسرائيلية مؤخراً بأن لا احد من الصقور المتشددين الذين يتحدثون عن ارض اسرائيل الكبرى قد تحدثوا ضمناً من قبل عن الضم. فهناك بعض الاسباب الجيدة لذلك. لأنه اذا ما ضمنت الاراضي، فسيكون لديك اناس هناك عليك ان تطبق القانون الاسرائيلي عليهم. والقانون الاسرائيلي يعامل الفلسطينيين العرب، الذين يعتبرون مواطنون اسرائيليين، بشكل رديء تماماً. ومع ذلك فان عليك الاعتراف بوجودهم. وهذا يعني بأن تقدم لهم الرواتب التقاعدية والخدمات الاجتماعية اذا ما كانوا عاطلين عن العمل. وهذا بالتالي سيفلس الخزينة الاسرائيلية. لذلك فانهم لا يريدون ضم الاراضي المحتلة. وانما هم يريدون فقط للتساؤل، كيف يمكن السيطرة والاشراف عليها. ومن احدى هذه الوسائل هو ما يطلق عليه اسم «الحكم الذاتي». وفي الحقيقة، ففي مقال كتبه مؤخراً الصحفي الاسرائيلي داني روبنشتين، وهو صحفي كفؤ، غطى أخبار الضفة الغربية لعدة سنوات، تعرض في مقاله بشكل جيد لموضوع الحكم الذاتي. الا انه لا يؤيد وجود دولة فلسطينية. لكنه قال بأن ذلك الحكم الذاتي يعني نوعاً من الحكم الذاتي كالذي يوجد في معسكرات الاعتقال. ففي معسكر الاعتقال يسمح للسجناء بأن يقوموا بأعداد وجبات طعامهم، ويديرون شؤونهم الثقافية اذ يتركهم الحراس يقومون بذلك لوحدهم. فذلك هو ما يعني بالحكم الذاتي. ودعونا لا نضحك على أي واحد بهذا الصدد . وقد يكون

روينشتين مؤيداً لذلك. بيد انه يقول دعونا لا نخدع أي واحد بهذا الشأن.

وذلك ما ارادته كل من الولايات المتحدة واسرائيل في كامب ديفيد وهو ايضاً ما تفضله اليوم. فذلك هو نفس الحكم الذاتي بصورة اساسية. وقد جاء في مقال سابرا شاتراند الذي نكرته، مقابلة فعلية مع سول لنيوتيز، وهو احد المفوضين الاميركيين، الذي ادعى بان الفلسطينيين قد خسروا فرصة كبيرة. فهم قد خسروا فرصة للحصول على ذلك، وفيما لو كان يجب عليهم قبول ذلك، فمن يدري ؟ ربما انهم قد طوروا الامر. وربما يجب عليهم ان يقبلوه الآن. فبإمكانك ان تحت على ذلك ايضاً. بيد انه دعنا ان لا نبني اوهاماً حول ذلك. فما دامت الولايات المتحدة تدير المسرحية او العرض، ولوحدها او من طرف واحد، فانها ستكون المبادىء هي التي سنسود. فلم يكن هنالك أي شيء. فعل لمصلحة الفلسطينيين ومنذ عشرين عاماً.

■ سؤال : لقد قال ابا اييان سابقاً «بان على الفلسطينيين ان لا يدعوا

اية فرصة تفوتهم». فما هو تعليقك ؟

جواب : ذلك هو خط عنصري اسرائيلي. فانهم لم يفقدوا اية فرصة ليتقدموا بها . فبإمكانهم ان يدعوا بتصريحات انتقائية كثيرة حول الفلسطينيين. بل وان يقولوا بان على الفلسطينيين ان لا يدعوا اية فرصة تفوتهم، فهذا يظهرهم (الاسرائيليون) على انهم عنصريون. فموقفهم مع الولايات المتحدة هو ان تنضم لمباراتهم وان توقع وتبصم لهم على بياض، وتقول لهم، محسناً لقد استسلمت. . فذلك ما عناء واراناه ابا اييان . فهو لا يريد حق تقرير المصير للفلسطينيين. ومن الممكن ان يقبله كحل نهائي، اذا ما كانت عملية السيطرة مكلفة جداً لا اسرائيل، بل ان موقفه كان يوماً يعكس رأي حزب العمل. فعلى اسرائيل ان تأخذ بصورة اساسية ما تريده وان لا تمارس الاشراف على السكان. فذلك هي الفرصة التي اضاعها الفلسطينيون.

■ سؤال : في شهر ايلول ١٩٩١، تحدث جورج بوش عن قرض مقداره

عشرة بلايين دولار يمنح من اجل توطين المهاجرين السوفييت اليهود

في اسرائيل. كما تحدث عن «المصالح السياسية القوية» ومن لم قدم

نفسه على انه، واحد صغير يقف ضد ألف شخص، . فماذا تعني هذه

التعليقات او التصريحات ؟

جواب : تعني الشعب الامريكي. انه كان يحاول اثارة وتحريك المناهضين للعنصرية اليهودية قليلاً.

■ سؤال : وهل نجح بذلك ؟

جواب : نعم، اعتقد ذلك. فقد كان قادراً برمشة عين ان يعيىء اللوبي. وقد شعرت يوماً بأن سلطة اللوبي كان مبالغاً فيها بشكل كبير. فليست تلك الطريقة التي تسير عليها الامور في الولايات المتحدة . فاللوبيات الوحيدة الفعالة بشكل حقيقي في الولايات المتحدة والمستقلة عن اي شيء اخر هي لوبيات العمل والمهن، بل ان لها ممثلين في الحكومة. وتلك ليست هي الطريقة التي تعمل فيها التعصبة الاميركية. وهناك لوبيات اخرى فعالة : مثل التي تتعامل مع المسائل التي لا تعير اهتماماً كبيراً لمصالح الدولة المشتركة، مثل لوبي السلاح. فاذا ما كنت مهتماً في المؤسسات المشتركة او في سلطة الدولة فان الامر لا يهم كثيراً اذا ما نهب الناس باطلاق النار على بعضهم البعض. لذلك فان لوبي السلاح يمكن ان يكون فعالاً. او ان هناك لوبيات مهتمة في اثارة النفقات للشوفينية، ويمكن ان تكون فعالة، او لوبيات مهتمة بقطاعات هامة للسلطة الحقيقية، كما هو الامر بالنسبة للوبي الصهيوني.

فهذا افراط في الامر، من ان هناك تأثير كبير للوبي الصهيوني على الفئات المتعلمة، فعند عام ١٩٦٧، فان الفئات المتعلمة في الولايات المتحدة قد اكنت حباً كبيراً لاسرائيل. انهم احبوا فقط من ان يكون بوسعهم سحق شعوب دول العالم الثالث وتحجيمهم. لذلك، فقد كان هناك حباً وفيراً ماضياً، ولكل انواع المبررات والاسباب المعقدة. وهذا عنى بانه كان لديهم صحافة مفضلة جداً ولم يكن لديهم تلك النوع من النقاشات لهذه المسائل التي توجد في أوروبا، او تلك التي موجودة في اسرافيل ذاتها. فذلك ليس بالامر التافه، وحتى يمكنك ان تقترح بانه كان عاملاً ملتبساً في السلطة او سلطة التنمية وهو امر ممكن. ولكن اذا ما واجهت اللوبي الصهيوني مع بعض السلطة القوية المتحدة نسبياً، فانه سينحل بشكل سريع جداً.

لذلك، فان بوش قد قام، من وجهة نظري، بعمل يشير الاشمنزاز تماماً، فيما يتعلق باثارة مسألة اللاسامية، وهو امر ليس بالصعب، فهو سهل جداً، في الحقيقة. فاذا ما اردت حقيقة ان تثير مسألة اللاسامية، فانه يمكنك ان تفعل ذلك بسهولة. واذا لم يمكنه

ان يحسب ذلك فان باستطاعتي ان اقول له ذلك. الا انهم يعرفون ذلك. بل انه كان امراً
ضمنياً، شخصاً صغيراً يقف وحيداً ليواجه هذه المصالح القوية، اغنياء اليهود، وذلك
كان كافياً لارسالهم لوطنهم. ولاحظ بأن تلك المسألة كانت ضيقة جداً والى حد بعيد :
فهل نقدم لهم العشرة بلايين دولار كقرض مكفول اليوم او بعد اربعة اشهر من الآن ؟
فمن وجهة نظر بوش فانه لم يكن بالامر الضيق او المحصور. فلما تريد اسرائيل
القرض في شهر ايلول وليس في شهر كانون الأول ؟ لانهم يريدون تقويض مؤتمر
مديد. فهم يعرفون بانه لو قدمت الولايات المتحدة القرض لهم في شهر ايلول، فان ذلك
سيجعل من الصعب مشاركة الدول العربية في المؤتمر. وهذا السبب نفسه للذي حدا
باسرائيل ان تصفق لانقلاب اب الذي وقع في الاتحاد السوفياتي فقد كانوا يملكون بأن
ذلك سيقتل انعقاد مؤتمر مديد. فالحكومة الاسرائيلية لم ترد انعقاد ذلك المؤتمر. الا
ان الرئيس بوش اراد انعقاده بحماس، ولذلك فمن زاوية هذه المسألة الفنية الضيقة
بالنسبة للفترة التي كان سيقدم فيها القرض لهم، فقد كان راغباً في ان يرسل تحذيراً
للوبي الصهيوني، وهو امر ليس بالصعب.

■ سؤال : اريد التحديث عن وسائل الاعلام. فمن وجهة نظرك، هل
اسطورة هذه العلاقة الخاصة ما بين وسائل الاعلام والسلطة
المشتركة ما زالت قائمة ؟

جواب : ان الاسطورة ما زالت قائمة وستظل قائمة. انها قيمة جداً من ان تفقد.

■ سؤال : وحتى لو كان هناك عدد وافر من الكتب، المتضمنة ... ؟

جواب : هذه الكتب ليست موجودة. فاذا ما اردت ان تنظر الى ما هو موجود بالفعل،
فاني قد حصلت على دراسة وضعت من قبل كلية كنيدي حول وسائل الاعلام في
السياسة الخارجية. وكانت الاسئلة المسموح بها تركز على : هل وسائل الاعلام
عنوانية جداً ؟ وان بيتر ارنيت (الذي ظل في العراق عند بدء الهجوم الجوي عليه) قد
اجتاز الخط ؟ فذلك هي المسألة التي اثرتها. بالتأكيد، كانت هناك تشرة خطيرة بهذا
الصدد، الا انها لم تكن مدعومة بقوة، لذلك فانه لم تكن موجودة ويمكنك ان تثبت ذلك
بتأكيد ان وسائل الاعلام هي عبارة عن جهاز تعاني لمصالح مؤسسات الدولة المشتركة.
وانها لن تكون مختلفة عن ذلك ابداً. فهذا اثبات خاطئ. وهذا كل شيء.

■ سؤال : لقد قلت لي بان هذه النشرة مفيدة فيما يتعلق بتسليح...

جواب : انها ساعدت في تنظيم الناس. وانها لن تتغلغل في كلية كنيدي. فكيف يمكن ذلك ؟ بل لن نك مثله شاهد سلام. فاذا ما اتيت بمعلومات عن اميركا الوسطى، فان ذلك لن يؤثر على العالم الاكاديمي او الصحف، وانما ذلك سيؤثر على جماعات التضامن.

■ سؤال : ماذا يمكن ان تكون استراتيجية وسائل الاعلام الفعالة ؟

فهل تقترح محاولة اخال المقالات الصحفية والمعلومات في وسائل الاعلام الرئيسية او خلق بدائل مستقلة حقيقية ؟

جواب : كلاهما، فلا توجد هناك مؤسسة مستقلة عما يحدث في المجتمع الكبير. وبما ان هناك مزيداً من الاهتمام والاتصال في المجتمع الكبير، فانه سيكون هناك مزيداً من الاهتمام في وسائل الاعلام وان الانفتاح سيتطور بشكل لم يسبق له مثيل. إلا انه ستكون هناك حدود لذلك. فاذا ما ذهب الامر للرجة تهدد السلطة بشكل حقيقي، فسيكون هناك حدوداً لذلك. ولكن يمكنك ان ترفع تلك القيود بصعوبة جداً، وهناك اناس يفعلون او يمكنهم القيام بذلك. وهو شيء جميل جداً بان يفعل. فمزيد من الضغط على وسائل الاعلام سيعطيهم او يمنحهم المزيد من الفرص للقيام بذلك.

وفي الوقت ذاته، فان وسائل الاعلام البديلة تعتبر ناقصة، ولكنها مستقلة، كما دعا ذلك جيف كوهين وآخرون، واعتقد بان ذلك تعبير صحيح، وهي ليست جزءاً من رابطة الدولة المشتركة (مؤسسات الدولة المشتركة)، ويمكنها ان تمنع الكثير من الفرص. ووجودها لها تأثير على انفتاح وسائل الاعلام. واذا لم تستطع تجاهلها فانها ستصبح منافسة. كما انها ايضاً ستمنح خيارات، وتساهم في العملية الديمقراطية في البلاد، وهو امر جيد على النوام.

ديفيد بارساميان : هناك تيار تحتي او خفي لنظريات قاتمة تسري على الارض، واعرف بانك قد سئلت عنها، وهي تمتد من قتل جون كنيدي الى الفضائح المصرفية، الخ. وان المروجين لبعض هذه النظريات هم اشخاص مثل كريج هوليت، بو جريتز، فليتشر بروتني، داف ايميري ومعهد كريستيك وغيرهم. وان شيب بيرليت و سارة ييموند لنيهما قضايا موثقة تثبت ان

الجماعات التقدمية ومحطات الاذاعة قد عززت فعلياً بعض هذه المعلومات. فما هو رأيك بمثل هذه النظريات التأميرية انها تعتبر من الصناعات من الصناعات الحقيقية حالياً ؟

نعوم تشومسكي : انها ليست خفيفة او صغيرة. بل انها كبيرة ومنذ وقت طويل، وانها تستنزف أموالاً طائلة من الحركات اليسارية. وهناك الكثير يمكن التحدث عنه بشأنها. والتحدث عن ذلك يعتبر أمراً خطيراً جداً. فانطباعاتي بعد جولة في البلاد خلصت الى انها بلاد مذعورة جداً. وهذا ينطبق على معظم المناطق الرجعية او المتخلفة ومعظم المناطق المتحررة. ففي كل مكان نهبت اليه، وقد نهبت الى شتى اجزاء البلاد، وكان كل واحد مذعوراً. فكل واحد يعتقد بأن شخص ما يفعل شيئاً ما ضده، ولا يعرف من هو بالضبط. كما انهم لا يفهمون لماذا هم في مثل هذه الحالة السيئة. فبولتنا في وضع جيد، وغنية وثرية، لذا، فلما نحن فقراء انز؟ وهناك اعتقاد بأن احد ما يفعل شيئاً ما ضلنا. وان الناس كمن هم مذعورين من عدو خارجي، كما لو انهم مذعورين من غرياء قاصمون من العالم الخارجي او من هنود حمر يهاجمون العربات. فهناك احساس بأن احد ما قد اخذ شيئاً ما منا هو من حقنا، او سلبنا شيئاً ما هو حق لنا. وان الاعداء يحيطون بنا.

وهناك الشيء الضئيل في طريقة التحليلات السياسية الجادة، مثل تحليلات المصابر المؤسسية الواضحة للسياسة واتخاذ القرارات. وذلك خارج نطاق جدول الاعمال. فالناس هم سلبيون جداً. فهم لا يؤمنون بأي شيء. واذا ما ابلت بحديث ما وقلت بأن جورج بوش هو من عالم خارجي او من الفضاء الخارجي، وانه يشرب نساء الاطفال او شيء من هذا القبيل، فان من المحتمل ان يقول الناس، ولم لا ؟ فنلك يبدو معقولاً. ففي مثل هذه الحالة فان نفسية الناس تكون مفتوحة ومتقبلة لكل شيء امام الترف، والمؤامرات المفترضة. فلا يمكنك ان تفهم ما يحدث حقيقة، لأن ذلك خارج عن نطاق البرنامج. فتحدث امور غير سارة. ولا تفهم لماذا هي تحدث. فانت انز لا تستحق تلك النوع من العناية . لذلك فانه مع مثل هذا الوضع فانه من السهل جداً القول بأنه توجد هناك قوة خفية خارجية قد سلبت منا بلاننا الجميلة.

تواريخ الانشقاق

تقديم

البحث عن الحقيقة

ذهب تشومسكي الى طبيب الأسنان، الذي قام بدوره بفحص وتدقيق أسنانه، فلاحظ أن المريض كان يصرّ على أسنانه. وبعد استعلامه من السيدة تشومسكي عن سبب ذلك، كشفت للطبيب بأن الصرّ على الأسنان لا يتم أثناء ساعات نوم تشومسكي. فحتى يحدث ذلك إذن؟ وأخيراً توصلنا الى أن ذلك يحدث كل صباح، عندما كان تشومسكي يقرأ صحيفة «نيويورك تايمز»، فيصك على فكيه لاشعورياً عند كل صفحة يطالعها. فسألت تشومسكي لماذا يحدث ذلك، مع تقديم دليل وخبرة طويلة، من أن الصحافة المشتركة، وبشكل خاص صحيفة «نيويورك تايمز»، لا تنحرف عن الحقيقة. فلا بد أن الأمر اختلف حتى جعل تشومسكي يفعل ذلك. وتنهّد تشومسكي، وعزم على عدم الاستمرار في قراءة الصحيفة لكي لا يرتج في كل صباح من جراء الغضب والانفعال لانحراف الصحيفة عن الحقيقة.

ويعرف تشومسكي مكان الجرح أو الخلل، فهو لم يتصور أنه في يوم من الأيام سيكتب مقالة نقدية تنتج عنها ردة فعل قوية، مما يدفع صاحب «النيويورك تايمز» بأن يدرك فجأة مدى خطأ التعليمات والأوامر التي كان يصدرها لموظفيه في الصحيفة فيما يتعلق بحقيقة الأخبار. بيد أنه يؤمن أيضاً في قوة العقل، للاستدلال على الحقيقة بعناية. فهنا يكمن سبب الصرّ على الأسنان. «لا أعرف لماذا يستمرون في نفاقهم»، قال لي ذلك على الهاتف في يوم آخر، وهو يتحدث بنوع من الاستغراب العنيف، عندما كنا نناقش بحنق مسألة «التطهير العرقي» في البوسنة، والذي أثار أيضاً أصوات يهود أميركيين، من الذين قضوا حياتهم وهم يكتمون بهدوء مسألة التطهير العرقي الذي بدأ في اسرائيل في عام ١٩٤٨.

من المقدمة



المنشأة الأدبية الهاشمية - عتبات / وسط البلد
خلف مطبع الفاس / ص. ب. ٧٧٧٢ - هاتف ٢٢٩١٨٨
فاكس ٦٥٧٤٤٥ • منشوراتها في العام ١٩٩٧ م
• الغلاف: زهير زوشايب.